معرفة للجميع

المنظمة العربية للترجمة

نورمان فاركلوف

تحليل الخطاب

التحليل النصي في البحث الاجتماعي

ترجمة

د. طلال وهبه

بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

منتدى مكتبة الاسكندرية

توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية

لجنة العلوم الإنسانية والاجتماعية:

عزيز العظمة (منسّقاً)
عزمي بشارة
جميل مطر
جورج قرم
خلدون النقيب
السيد يسين
علي الكنز

المنظمة العربية للترجمة

نورمان فاركلوف

تحليل الخطاب

التحليل النصي في البحث الاجتماعي

ترجمة

د. طلال وهبه

مراجعة

د. نجوى نصر

بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

الفهرسة أثناء النشر - إعداد المنظمة العربية للترجمة
فاركلوف، نورمان
تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي/ نورمان فاركلوف؛ ترجمة طلال وهبه؛ مراجعة نجوى نصر.
495 ص. - (علوم إنسانية واجتماعية)
ببليوغرافيا: ص 477 ـ 488.
يشتمل على فهرس.
ISBN 978-9953-0-1645-0
1. التحليل اللغوي. 2. البحوث الاجتماعية. أ. العنوان. ب. وهبه، طلال (مترجم). ج. نصر، نجوى (مراجع). د. السلسلة.
300.14
«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن اتجاهات تتبناها المنظمة العربية للترجمة»
Fairclough, Norman
Analysing Discourse: Textual Analysis for Social Research
© Routledge, a Member of the Taylor & Francis Group
All Rights Reserved.

© جميع حقوق الترجمة العربية والنشر محفوظة حصراً لـ:

المنظمة العربية للترجمة

بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص. ب: 5996 ـ 113
الحمراء ـ بيروت 2090 1103 ـ لبنان
هاتف: 753031 ـ 753024 (9611) / فاكس: 753032 (9611)
e-mail: info@aot.org.lb - http://www.aot.org.lb

توزيع: **مركز دراسات الوحدة العربية**
بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص. ب: 6001 ـ 113
الحمراء ـ بيروت 2407 2034 ـ لبنان
تلفون: 750084 ـ 750085 ـ 750086 (9611)
برقياً: «مرعربي» ـ بيروت / فاكس: 750088 (9611)
e-mail: info@caus.org.lb - Web Site: http://www.caus.org.lb

الطبعة الأولى: بيروت، كانون الأول (ديسمبر) 2009

المحتويات

مقدمة المترجم 7
كلمة شكر 13
1 ـ المقدمة 17

القسم الأوّل
التحليل الاجتماعيّ وتحليل الخطاب والتحليل النصيّ

2 ـ النصوص والأحداث الاجتماعيّة والمُمارسات الاجتماعيّة 55
3 ـ التناص والمسلّمات 89

القسم الثاني
الأصناف والفعال

4 ـ الأصناف والبنية العامة 133
5 ـ العلاقات الدلاليّة بين الجُمل والعبارات 175
6 ـ العبارات. أنماط التبادل والوظائف الكلاميّة والصيغ النحويّة 205

القسم الثالث
ضروب الخطاب والممثليات

7 ـ ضروب الخطاب 233

8 ـ ممثليات الأحداث الاجتماعية 255

القسم الرابع
الأساليب والهويّات

9 ـ الأساليب 295

10 ـ صيغة القول والتقييم 303

الخلاصة 351

الثبت التعريفي 389

ثبت بأسماء أهمّ أصحاب النظريات 417

ثبت المصطلحات 423

مُلحَق النصوص 431

المراجع 477

الفهرس 489

مقدمة المترجم

لم تعد الدراسات الألسنية، بمختلف فروعها ومجالاتها، علماً مجهولاً في عالمنا العربيّ. إنّها اليوم جزء من البرامج الجامعيّة، يُتابعها المتخصّصون باللغة والآداب والمقبلون على العديد من المجالات الأخرى. لذلك، لم يعد الاطّلاع على التيارات الألسنية الغربية، الكلاسيكيّة نسبيّاً، كـ: التركيبية، والوظيفية، والتحويلية، وحتى التداولية، أمراً كافياً للباحث في اللغة وما يرتبط بها.

ومن أهمّ مجالات التحليل الألسنيّ الجديدة ـ نسبيّاً ـ: التحليل النقديّ للخطاب. لقد نشأت هذه الدراسة رسميّاً في العام 1991[1]، وهي تستخدم مصطلحات التحليل النصي لتربط بين بنية الخطاب والعلاقات السلطويّة داخل المجتمع، ولتتناول كيفيّة تحقيق هذه العلاقات وتثبيتها، أو مناهضتها، من خلال التفاعل الخطابيّ.

يتميّز التحليل النقديّ للخطاب بأنّه يقيم جسراً بين مجالين: التحليل اللّغويّ للنصّ، والعلوم الاجتماعيّة، وبالتالي فهو يحلّله

---

(1) Ruth Wodak, «What is Critical Discourse Analysis?» *Forum: Qualitative Social*, vol. 8, no. 2 (29 May 2007). (In Conversation with Gavin Kendall). Available on: http://www.qualitative-research.net.

باعتباره معطى يستند إليه في تعليلاته النظرية. لذلك يجدر بالباحثين العرب في مجال اللّغويّات والعلوم الاجتماعيّة الاطّلاع على هذا التيّار الفكريّ الرائد، الذي يجمع بين التحليل اللّغويّ للنصّ وتحليله الاجتماعيّ.

أمّا مؤلّف الكتاب الذي اخترته، نورمان فاركلوف (Norman Fairclough)، فهو أحد أبرز ثلاثة باحثين[2] كتبوا عن التحليل النقديّ للخطاب، وهو أستاذ «اللغة والحياة الاجتماعيّة في جامعة لانكاستر (Lancaster) في بريطانيا، وله عدد كبير من المؤلّفات في تحليل الخطاب، منها: **اللغة والسلطة** (*Language and Power*) (1989)، **والخطاب والتغيير الاجتماعيّ** (*Discourse and Social Change*) (1992)، و**خطاب الإعلام** (*Media Discourse*) (1995)، و**التحليل النقديّ للخطاب** (*Critical Discourse Analysis*) (1995)، و**الخطاب في الحداثة الجديدة** (*Discourse in Late Modernity*) (1999)، و**حزب عمل جديد، لغة جديدة؟** (*New Labour, New Language?*) (2000)، و**اللغة والسلطة** (*Language and Power*) (2001)، و**اللغة والعولمة** (*Language and Globalization*) (2006)، و**الخطاب والتغيير الاجتماعيّ المُعاصر** (*Discourse and Contemporary Social Change*) (2007).

وتكمن أهميّة الكتاب الذي اخترته في أنّه لا يقتصر على شرح مبادئ التحليل النقديّ للخطاب ومصطلحاته، بل ويركّز بشكل أساسيّ على كيفيّة تطبيق هذه المبادئ والمصطلحات في تحليل

---

(2) الكاتبان الآخران هما روث ووداك (Ruth Wodak) وتيان أ. فان دجك (Teun A. van Dijk). انظر على سبيل المثال: Robin Wooffit, *Conversation and Discourse Analysis. A comparative and Critical Introduction* (London: Sage Publications, 2005), p. 137.

النصوص تحليلاً يهتمّ بتفاصيلها البنائيّة وبُعدها الاجتماعيّ، أي بكونها ترتبط بعلاقات بين جماعات معيّنة وتصدر عن أفراد يتبوّأون مواقع معيّنة في المجتمع. أضف إلى ذلك أنّ الكتاب في تحليله النصوص، يربط بين تراكيب النص وتياراتٍ وأحداث مجتمعيّة عالميّة، فيتناول نصوصاً أسهمت في تشكيلها توجّهات رأسماليّة معيّنة وصراعات عالميّة (كأزمة الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001) وتغيّرات في أنماط تقييم العاملين في المرافق الاقتصاديّة والتربويّة وضروب التحديث في أساليب التواصل لجذب المستثمرين.

يقدّم الكتاب نماذجَ تحليليّة يمكن الاقتداء بها واعتماد مبادئ التحليل فيها لمعالجة نصوصٍ جديدة متنوّعة المصادر والسياقات. والتحليل اللّغويّ فيه دقيق وتفصيليّ، ويُعتمد في معالجته البُعدُ الاجتماعيّ للسّمات اللّغويّة على نظريّات فلسفيّة واجتماعيّة مُعاصرة، من أهمّ أعلامها ميشال فوكو (Michel Foucault) وبيار بورديو (Pierre Bourdieu) ويورغن هابرماس (Jürgen Habermas).

اللغة جزء من الحياة الاجتماعيّة، وهذا الكتاب مصدر أساسيّ لتخطّي إهمال البُعد الاجتماعيّ في تحليل النصوص.

لقد حاولتُ جاهداً في ترجمتي التوصّل إلى مصطلحات شفّافة[3]، ولأنّ الكتاب يحلّل نصوصاً معيّنة تحليلاً دقيقاً، تكمن أهمّ الصعوبات التي واجهتني في ترجمة وصف الكاتب للنصوص الإنجليزية وصفاً لغوياً دقيقاً. لقد تطلّب ذلك:

---

(3) لقد أوضحت المنهج الذي أتّبعه في ترجمة المصطلحات في مقدّمة ترجمتي كتاب (دانيال تشاندلر، **أسس السيميائية** (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2008)، ص 18)، حيث شدّدتُ على شفافية المصطلح العربيّ: «تعمّدت أن يكون المصطلح قريب المنال، يمكن استشفاف معناه قبل قراءة تعريفه في سياقه داخل النص، أو في ثبت المصطلحات آخر الكتاب. سيكون إذاً من السهل أن يتذكّر القارئ المصطلح الجديد وإن كان لم يسمع بما يشابهه البتّة».

ـ عند ترجمة نصّ ـ مثال، تقديم ترجمتَين أحياناً: ترجمة تلتزم قواعد اللغة العربيّة واستخدامها في المُمارسة، وترجمة أخرى بين قوسَين معكوفَين ([]) تُظهر جُملاً عربيّة صحيحة، من منظور نحويّ، لكنْ غير مُستَحسَنة في المُمارسة اللّغويّة. مثال ذلك: ترجمة (What would you Say Language is?) بـ «ما هي اللغة برأيك؟ [ما قد يكون قولك في تعريف اللغة]»[10]، فمن الضروري زيادة التّرجمة الثانية بين قوسين معكوفَين ليفهم القارئ قول الكاتب أنّ الناطق بالجملة الإنجليزيّة يستخدم وجهة قول افتراضيّة.

(10) انظر ص 312 من هذا الكتاب.

كلمة شكر

يود الناشرون والمحررون التوجّه بالشكر إلى الأفراد والمؤسسات التالية أسماؤهم، لأنهم سمحوا بتضمين الكتاب نصوصاً سبق نشرها:

نشرة الأنباء في راديو بي. بي. سي (BBC) 4، «طرد ليبيين»، 30 أيلول/ سبتمبر 1993، نُعيد نشره بإذن من البي. بي. سي راديو 4، م. بارات براون وك. كوتس، من وحي بلير (Michael Barratt Brown and Ken Coates, *The Blair Revelation: Deliverance for Whom?* (Nottingham: Spokesman, for Socialist Renewal, 1996); Great Britain. Dept. for Education and Employment, *The Age: A Renaissance for a New Britain* (London: [Stationery Office], [1998]), pp. 9-10) Rick Iedema, «Formalizing Organizational Meaning,» *Discourse and Society*, vol. 10, no. 1 (1999),

نُعيد نشره بإذن من منشورات ساج (Sage Publications Ltd. Copyright C Sage Publications Ltd. 1999، التلفاز المُستقلّ (Independent Television, Channel 3:

«Debate on the Future of the Monarchy's», (January

(1997)، نُعيد نشره بإذن من التلفاز المستقلّ، روزابث موس كانتر (Rosabeth Moss Kanter, *Evolve!: Succeeding in the Digital Culture of Tomorrow* (Boston, Mass.: Harvard Business School Press, 2001)),

نعيد نشره بإذن من معهد إدارة الأعمال في هارفرد)، ب. مونتيغل ، ج. وايس ور. ووداك (Peter Muntigl, Gilbert Weiss and Ruth Wodak, *European Union Discourses on Un/Employment: An Interdisciplinary Approach to Employment, Policy-Making and Organizational Change* (Amsterdam: J. Benjamins, 2000), p. 101; Richard Sennett, *Corrosion of Character: The Personal Consequences of Work in the New Capitalism* (New York: Norton, 1998); Tony J. Watson, *In Search of Management: Culture, Chaos and Control in Managerial Work* (London; New York: Routledge, 1994), and World Economic Forum Annual Meeting, «Globalization,» (January 2002), Davos, Switzerland.

لقد بذلنا كلّ الجهود الممكنة للاتّصال بأصحاب حقوق النشر لكلّ مادة استخدمناها، ومع ذلك يسعدنا، كناشرين، أن يتصّل بنا كلّ من لم نستطع الاتّصال به، لنعوّضه في أقرب وقت ممكن.

أتوجّه بشكر خاص لطلاب الماستر وطلاب البحث في جامعة لانكاستر (Lancaster)، وللأعضاء في مجموعة البحث حول اللغة والأيديولوجية والسلطة، لإجاباتهم وتعليقاتهم على النسخ الأولى من الكتاب، أو على أجزاء منه. وأنا مُمتنّ أيضاً لـ: جيم جي (Jim Gee) وأنيت هاستينغز (Annette Hastings) وبوب جيسوب (Bob Jessop)، لتعليقاتهم القيّمة على مسوّدة الكتاب بأجمعه، فلقد ساعدت تلك التعليقات على إعادة النظر في عدّة أمور.

أريد أن أشكر أيضاً ماثيو (Matthew) وسيمون (Simon)، لقدرتهم على التحمّل والمُعاناة الطويلة أمام كتاب جديد من كتب أبيهما التي لانهاية لها. وأشكر إيزابيلا (Isabela) لإضفائها معنى على كل ذلك.

1 ـ المقدمة

كتبتُ هذا المؤلَّف لأجل نوعين من القرّاء: الطلاّب والباحثين في العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة (كعلم الاجتماع، والعلوم السياسيّة، والتربية، والجغرافيا، والتأريخ، والإدارة الاجتماعيّة، والدراسات الإعلاميّة، والدراسات الثقافيّة، ودراسات المرأة) الذين لا يعرفون شيئاً ـ أو لا يعرفون الكثير ـ عن التحليل اللغوي، والطلاّب والباحثين المتخصّصين في اللغة.

غالباً ما يُواجه العاملون في حقول العلوم الاجتماعيّة ـ على أنواعها ـ مسائل لغويّة، وغالباً ما يتضمّن عملهم موادّ لغويّة: نصوصاً مكتوبة أو مُحادثة أو مُقابلات بغرض البحث. لقد علّمتني تجربتي في تعليم تحليل الخطاب (على سبيل المثال، ضمن برنامج التمرين على البحث في كليّة العلوم الاجتماعيّة في جامعة لانكاستر (Lancaster) أنه يشوب الغموض على نطاق واسع كيفيّة تحليل المادة اللغويّة. إنني أجد غالب الطلاّب الباحثين في العلوم الاجتماعيّة يشعرون بالحاجة إلى إعطاء تفاصيل أكثر عن المعطيات اللغويّة التي بين أيديهم، لكنّهم غير مجهّزين لذلك، ويجدون في مُتابعة مقرّرات في الألسنية أو قراءة كُتُب عنها لتصحيح ذلك، أمراً مخيفاً بالنسبة إليهم. إن أحد أهمّ أسباب ذلك هو أنّ جزءاً كبيراً من الألسنية المُعاصرة لا يتلاءم

أبداً مع أغراضهم (بخاصةً الألسنية الشكلانيّة **Formal Linguistics**)، التي تهتمّ بالخواص المُجرّدة للغة البشر، ولا تملك سوى اليسير عن تحليل ما يقول الناس أو يفعلون). والغرض من هذا الكتاب هو تقديم إطار لتحليل اللغة المكتوبة والمحكيّة يستطيع استخدامه الباحثون في العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، الذين لا يملكون، أو بالكاد يملكون، خلفيّة في التحليل اللغوي. ونقدّم هذا الإطار بطريقة توضح المنهج الذي يسمح بتحسين التحليل اللغوي للبحث في عدد من المسائل التي تهمّ الباحثين في العلوم الاجتماعيّة.

ويمكن أيضاً اعتبار الكتاب مدخلاً إلى التحليل الاجتماعيّ للّغة المحكيّة والمكتوبة، بالنسبة إلى الذين يملكون نوعاً من الخلفيّة في التحليل اللغوي. كان هناك خطوات مهمّة خلال العقود الأخيرة باتّجاه تحليل اللغة اجتماعياً في إطار الألسنية، حيث غدت الألسنية الاجتماعيّة (Sociolinguistics) وتحليل الخطاب اليوم جزأين راسخين في هذا الحقل.

ولكن يوجد ضربان من القصور في معظم هذا العمل، آمل أن أبدأ بتصحيحهما في هذا الكتاب: **الأوّل** هو أنّ المواضيع والمسائل التي تهمّ الباحثين في العلوم الاجتماعيّة لم يتمّ تناولها إلاّ قليلاً. **والثاني** هو أنّه يصعب التفكير بعرض مفصّل نسبيّاً عن إطار للتحليل الألسنيّ، في الوضع الحالي لأدبيّاته، يشير إلى كيفيّة استخدام هذا الإطار بشكل مُجدٍ يطرح مجموعة من المسائل في البحث الاجتماعي. وهدفي في هذا الكتاب هو تخطّي تلك الصعوبة.

وأتوقّع أن يُستخدَم الكتاب بطرق مختلفة، فهو يمكن استخدامه ككتاب تدريس للسنتين الجامعيّتين الثانية والثالثة، ولطلاّب الماستر والطلاّب الباحثين في مقرّرات موضوعها مناهج البحث في أقسام العلوم الاجتماعيّة، ومقرّرات تُعنى بتحليل استعمال اللغة في الأقسام

اللغوية. ولكن، يمكن لهذا الكتاب أن يستخدمه أيضاً طلاّبٌ باحثون وأكاديميّون في العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، خارج سياق أيّ مُقرّر، يبحثون عن مدخل ذي توجّه اجتماعي إلى تحليل اللغة المحكيّة والمكتوبة.

بما أنّه من المُرجّح أن يختلف القرّاء بشكل كبير من حيث تآلفهم مع الأفاهيم والفئات التي انتقيتُها من البحث الاجتماعي وتحليل الخطاب والنص، ضمّنتُ الكتاب ثبتاً للمُصطلحات الأساسيّة، وآخر للمؤلّفين. كذلك ضمّنته عناوين مؤلّفات لهم تخطّت أحياناً المصادر التي أُشير إليها في النص الأساسيّ للكتاب.

التحليل الاجتماعي وتحليل الخطاب والتحليل النصي

أعتبرُ هذا الكتاب امتداداً لكِتاباتي المنشورة التي تناولتُ فيها دراسةً للخطاب تعمد إلى تحليل النصوص تحليلاً ألسنيّاً مفصّلاً[1]. تستند مُعالجتي في دراسة الخطاب (صيغةٌ من صيغ «التحليل النقدي للخطاب») إلى التسليم بأنّ اللغة جزء من الحياة الاجتماعيّة لا يمكن اختزاله، وبينه وبين عناصر الحياة الاجتماعيّة الأخرى علاقة منطقيّة جدليّة تجعل من الضروري أن يأخذ البحث والتحليل الاجتماعي اللغة دائماً بعين الاعتبار. (سأشرح العلاقات المنطقيّة الجدليّة في

[إن الهوامش المشار إليها بأرقام تسلسلية هي من وضع المؤلف، أما تلك المشار إليها بـ (*) فهي من وضع المترجم].

(1) Lilie Chouliaraki and Norman Fairclough, *Discourse in Late Modernity* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1999); Norman Fairclough: *Language and Power*, 2nd Ed. (London: Longman, 2001); *Discourse and Social Change* (Cambridge, MA: Polity Press, 1992); *Critical Discourse Analysis: The Critical Study of Language* (London: Longman, 1995), and «Discourse, Social Theory, and Social Research: The Discourse of Welfare Reform,» *Journal of Sociolinguistics*, vol. 4, no. 2 (2000), pp. 163 - 195.

الفصل الثاني). يعني ذلك أنّ التركيز على اللغة، باستخدام شكلٍ من أشكال تحليل الخطاب، هو إحدى الطُرق المُنتِجة في البحث الاجتماعي. ليس ذلك اختزالَ الحياة الاجتماعيّة باللغة، ولا اعتبارَ كلّ شيء خِطاباً، ليس الأمر كذلك، فما تحليل الخطاب، بالمعنى الذي ذكرناه، سوى إحدى إستراتيجيّات عديدة في التحليل، ومن المفيد دائماً استخدام تحليل الخطاب مع أشكال أخرى من التحليل، كـ: مَبْحَث الأعراق والثقافات أو أشكال دراسة المؤسّسات.

توجد عدّة صِيَغ لـ «تحليل الخطاب»[2]. أحد التقسيمات الأساسيّة هو: الفصل بين المُعالجات التي تتضمّن تحليلاً مفصّلاً للنصّ (أُوضِحُ لاحقاً المعنى الذي أستَخدِمُ به هذا المصطلح)، وتلك التي ليست كذلك. وأستخدِمُ مصطلح «تحليل الخِطاب ذا النزعة النصيّة» (Textually Oriented Discourse Analysis) لتمييز النوع الأوّل من الثاني[3]. غالباً ما يكون تحليل الخطاب في العلوم الاجتماعيّة مُتأثّراً جداً بكتابات فوكو[4]. وعامةً، من النادر أن يهتمّ علماء الاجتماع الذين يعملون وفق هذا التقليد بالسّمات اللسانيّة للنصوص اهتماماً دقيقاً. وأقوم في مُعالجتي لِتحليل الخِطاب بمحاولة تخطي الفارق بين الدراسات التي تستند إلى النظرية الاجتماعية، والتي تنزع إلى عدم تحليل النصوص، والدراسات التي تركّز على لغة النصوص

(2) Teun A. Van Dijk, ed., *Discourse as structure and Process: Discourse Studies: A Multidisciplinary Introduction* (London: Sage Publications, 1997), vol. 1: *Discourse as Social Interaction: Discourse Studies: A Multidisciplinary Introduction*, and vol. 2: *Discourse as Structure and Process: Discourse Studies: A Multidisciplinary Introduction*.

(3) Fairclough, *Discourse and Social Change*.

(4) Michel Foucault, *The Archaeology of Knowledge*, Translated from the French by A. M. Sheridan Smith (New York: Pantheon, 1972), and Fairclough, *Discourse and Social Change*.

إنما تنزع إلى عدم الخوض في المسائل الاجتماعيّة النظريّة. ليس من الضروري اختيار أحد المنهَجين. ليس الأمر كذلك، فمن ناحية، إنّ أيّ تحليل للنصوص يريد أن يكون ذا شأن من منظور التحليل العلمي الاجتماعي يجب أن يرتبط بالمسائل النظريّة التي تخصّ الخطاب (مثال تلك المسائل: النتائج التشييدية (Constructive) الاجتماعيّة للخطاب). ومن ناحية أخرى، لا يمكن التوصّل إلى فهم حقيقي للنتائج الاجتماعيّة للخطاب من دون النظر عن قرب في ما يحصل عندما يتكلّم الناس أو يكتبون.

إذاً، تحليل النص جزء أساسيّ من تحليل الخطاب، لكنّ تحليل الخطاب لا يقتصر على التحليل اللّساني للنصوص. أرى أنّ تحليل الخطاب يتأرجح بين التركيز على نصوص معيّنة والتركيز على ما أسمّيه نطاق الخِطاب (Order of Discourse)، أي البناء الثابت نسبياً للّغة الذي يشكّل مكوّناً في بناء الممارسات الاجتماعيّة والشبكة التي تؤلّفها، الثابتين نسبياً أيضاً. ويهتمّ التحليل النقدي للخطاب بالاستمراريّة والتغيير على هذا المستوى الأكثر تجريداً وبنائيّةً من مستوى النصوص، كما يهتمّ أيضاً بما يحصل في النصوص بعينها. تربط طريقة تحليل النصوص في التحليل النقدي للخطاب بين الاهتمام بالنصوص وبنطاق الخطاب. لا يُعتَبَر تحليل الخطاب تحليلاً لسانياً فقط، إنّه يتضمّن أيضاً ما أسمّيه تحليل التفاعل الخطابي (Interdiscursive Analysis)، أي معالجة النصوص من مُنطلق ضروب الخِطاب والأصناف والأساليب المُختلفة التي تستند إليها وتُمفْصِلها بعضها مع بعض. وسأسهب في شرح هذا أكثر في الفصل الثاني[5].

---

(5) انظر: Norman Fairclough, «Discourse, Social Theory, and Social Research: The Discourse of Welfare Reform,» *Journal of Sociolinguistics*, vol. 4, no. 2 (2000), pp. 163 - 195.

أركّز في هذا الكتاب على التحليل اللساني للنصوص. لكن أودّ أن أوضح أنّه ليس كتاباً آخر عن التحليل اللّساني للنصوص، إنّه جزء من مشروع أوسع هدفه تنمية التحليل النقدي للخطاب باعتباره مصدراً للتحليل والبحث الاجتماعيّين. ويمكن استخدام الكتاب من دون ربطه بهذا المشروع الأوسع، ولكن أودّ أن يعيَ القارئ وجوده حتى وإن كان لا يوافق عليه. وأضع في نهاية الخلاصة «بياناً» مختصراً يوضح المشروع الأوسع. ولعلّ بعض القرّاء يريدون أن يقرؤوا الآن عن ذلك الإطار الأوسع[6].

المصطلحات: النص والخِطاب واللغة

أستخدمُ مصطلح «النص» بمعنى واسع جداً. النصوص المكتوبة والمطبوعة ـ ك: قائمة المشتريات ومقالات الصُحُف ـ هي «نصوص»، لكنّ مُدوّنات المحادثات واللّقاءات المحكيّة نصوص أيضاً، كذلك الأمر بالنسبة إلى برامج التلفاز، وصفحات شبكة المعلوماتيّة. يمكننا القول إنّ أيّ ظهور فعليّ للّغة في الاستخدام هو «نص»، مع محدودية هذا التعريف، إذ إنّ برامج التلفاز كنصوص لا تتضمّن فقط اللغة، إنّما أيضاً الصور المرئيّة والمؤثّرات الصوتيّة.

وسنستخدم مصطلح «لغة» بمعناه المعتاد، أي لنشير إلى اللغة المنطوقة (المحكيّة والمكتوبة): الكلمات، الجُمل. . . إلخ. يمكن التكلّم عن «اللغة» بطريقة عامة، أو عن لغات معيّنة كالإنجليزيّة والسواحلية. يشير استخدام مصطلح **الخطاب** (في ما يُسمّى عامةً «تحليل الخِطاب») إلى رؤية معيّنة، أشرت إليها أعلاه، للّغة في

(6) انظر ص 370 ـ 387 من هذا الكتاب. انظر على وجه الخصوص مقطع «بيان الدفاع عن الدراسة النقديّة للخطاب».

استخدامها باعتبارها عنصراً في الحياة الاجتماعيّة يتّصل اتّصالاً وثيقاً بعناصر أخرى. لكنّ مصطلح الخِطاب أيضاً يمكن استخدامه بطريقة خاصّة وبطريقة عامة، مجرّدة. سأتحدّث مثلاً عن «خِطابات» معيّنة، كخطاب «الطريق الثالث»، وهو الخطاب السياسي للمجدّدين في حزب العمال[7].

اللغة في الرأسمالية الجديدة

ترتبط الأمثلة التي أستخدمُها في مجمل الكتاب لتوضيح المعالجة المطروحة، في الدرجة الأولى بالتبدّل الاجتماعي المُعاصِر، وعلى وجه الخصوص بالتغيّرات في الرأسماليّة المُعاصِرة وتأثيراتها في نُطُق متعدّدة من الحياة الاجتماعيّة. ويُشار إلى هذه التغيّرات بتعابير مختلفة، فتُسمّى «العَولمة» (Globalization) «مابعد الحداثة» أو «الحداثة الجديدة» (Post-Modernity, or Late-modernity)، «مجتمع المعلومات» (Information Society)، «اقتصاد المَعرفة» (Knowledge Economy)، «الرأسماليّة الجديدة» (Neo-Capitalism)، «المجتمع الاستهلاكي» (Consumer Culture)... وما إلى ذلك[8].

سوف أستَخدِمُ مصطلح «الرأسمالية الجديدة»، وهو يعني أحدث شكل لسلسلة من التغيّرات الجذريّة سمحت للرأسماليّة بالمحافظة على أساس وجودها[9]. وما دفعني إلى التركيز على هذا

(7) Norman Fairclough, *New Labour, New Language?* (New York: Routledge, 2000).

(8) David Held [et al.], *Global Transformations: Politics, Economics, and Culture* (Cambridge: [Polity Press, 1999]).

(9) Bob Jessop, «The Crisis of the National Spatio-Temporal Fix and the Ecological Dominance of Globalizing,» *International Journal of Urban and Regional Research*, vol. 24, no. 2 (2000), pp. 323-360.

المصطلح هو أنّ طبيعة هذه التغيّرات ونتائجها موضِعُ اهتمام كمٍّ كبيرٍ من الأبحاث الاجتماعية المُعاصِرة. وبكلّ بساطة، لا يمكن لأيّ بحث اجتماعي معاصر أن يتجاهل هذه التغيّرات، فهي ذات تأثير واسع في حياتنا. والسبب الإضافي للتركيز على الرأسمالية الجديدة، هو أنّ دراستها تنمو لتصبح مجالاً للبحث جديداً يتناوله التحليل النقدي للخطاب. ولقد خُصّص لذلك موقع على شبكة المعلوماتيّة (http:www.cddc.vt.edu/host/Inc/)، كما خُصّصت مجلّة **الخِطاب والمجتمع** (*Discourse and Society*) أحد أعدادها لذلك[10]. لكن يجب أن أُضيفَ أنّ استخدام مصطلح «الرأسمالية الجديدة» لا يعني التركيز حصراً على القضايا الاقتصاديّة: للتغيّرات في الرأسماليّة تفرّعات تنتشر في الحياة الاجتماعيّة، ويجب فهم الاهتمام بمصطلح «الرأسمالية الجديدة» بمعناه الواسع بأنه اهتمام بكيفيّة تأثير هذه التغيّرات في السياسة والتربية والإنتاج الفني، وحقول أخرى كثيرة في الحياة الاجتماعيّة.

تملك الرأسماليّة القدرة على تخطي الأزمات بتغيير نفسها جذريّاً ودوريّاً، فتُتيح بذلك استمرار التوسّع الاقتصادي. وهذا النوع من التغيير، باتّجاه رأسماليّة جديدة، يحدث الآن كردٍّ على الأزمة التي طالت نموذج ما بعد الحرب العالميّة الثانية (المعروف بالفورديّة)، (نسبة إلى فورد Ford). ويتضمّن هذا التغيير «إعادة بناء» (Re-Structuring) العلاقات بين النُطُق الاقتصادي والسياسي والاجتماعي (بما في ذلك إدخال مفهوم التسويق والسلعة على حقول كالتربية، فتصبح هذه الأخيرة خاضعة لمنطق السوق الاقتصادي)، كما يتضمّن «إعادة ترتيب» (Re-Scaling) العلاقات بين المستويات

(10) *Discourse and Society*, vol. 13, no. 2 (2002).

المختلفة في الحياة الاجتماعيّة: العالمي (The Global)، والمناطقي (The Regional) (مثال ذلك: أوروبا الموحّدة)، والوطني (The National)، والمحلي (The Local). وتعتبر مؤسّسات الحكم اليوم، على عدّة مستويات، أكانت اشتراكيّة ديمقراطية أم مُحافِظة، أن خضوع الجميع لاقتصاد يسيّره منطق العولمة الجديد واقعةٌ حياتيّة (علماً أنها «واقعة» ساهمت الاتّفاقات بين الحكومات بإنتاجها)، وجميعها اعتنقت «الليبراليّة الجديدة»، أو أدخلت تعديلات بسببها. الليبراليّة الجديدة مشروع سياسي يسعى إلى تسهيل إعادة بناء العلاقات الاجتماعيّة وإعادة ترتيبها وفق متطلّبات رأسماليّة عالميّة من دون قيود[11]. ولقد فُرِضَت على الاقتصاديّات التي كانت سابقاً اشتراكيّة، على اعتبار أنها الوسيلة الأنجع لتغيير المنظومة الاقتصاديّة وتجديد الاقتصاد، والتكامل مع الاقتصاد العالمي. وأدّى ذلك إلى هجمات متطرّفة على تعميم المساعدة الاجتماعيّة، وإلى تقليص ضروب الحماية من آثار السوق، في الدول الحمائيّة التي كانت توفّرهما. وأدّى أيضاً إلى زيادة الفروق بين الأغنياء والفقراء، وإضعاف الأمان الاقتصادي وزيادة الضغوط حتى في أوساط الطبقات «المتوسّطة الجديدة»، وإلى تكثيف استغلال العمّال. ويؤدي التشديد المُفرِط على النموّ إلى زيادة المخاطر البيئيّة. وأنتجت الليبراليّة الجديدة إمبرياليّةً جديدة، حيث تقوم المؤسّسات الماليّة العالميّة، برعاية الولايات المتّحدة الأميركيّة وحلفائها الأغنياء، بفرض إعادة البناء من دون تمييز على الدول الأقلّ غنى، وتكون النتائج كارثيّة أحياناً (مثال ذلك: روسيا). ولا تكمن المشكلة في السعي الحثيث إلى رفع مستوى التكامل الاقتصادي العالمي، لكن في الطريقة التي

(11) Pierre Bourdieu, *On Television* (New York: New Press, 1998).

تمّ بها فرض ذلك وما تبعها من نتائج لا مردّ لها (مثال ذلك: توزيع الثروة غير المُتوازن). ونجم عن كلّ ذلك تشتيت وتعطيل القوى الاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة الملتزمة ببدائل يساريّة، كما أنّه ساهم في القضاء على مناقشة الشأن العام وفي إضعاف الديمقراطية[12].

ويجد القرّاء في المُلحق مجموعة من النصوص التي استخدمتُها في كلّ الكتاب للتوضيح. وقد اخترتُ هذه النصوص، بالدرجة الأولى، نظراً لأهميّتها في توضيح عدد من المسائل البحثيّة التي ظهرت في عدد من الاختصاصات نتيجة التحوّلات في الرأسمالية الجديدة. وفي بعض الحالات، لجأتُ إلى أمثلة من أبحاث سابقة مُحاولاً أن أبيّن كيف تستطيع المُعالجة التي يتبنّاها هذا الكتاب أن تحسّن مناهج التحليل الموجودة.

مُعالجة التحليل النصي

ومن بين الكتابات التي تتناول التحليل النصي، أعتمد بشكل أساسيّ على الألسنية الوظيفية النسقيّة (Systemic Functional Linguistics)، وهي نظريّة ألسنيّة ترتبط بها مناهج تحليل معيّنة. وأهمّ روّادها مايكل هاليداي[13] (Michael Halliday). وبخلاف التقليد

---

(12) Robert Boyer and J. Rogers Hollingsworth, eds., *Contemporary Capitalism: The Embeddedness of Institutions* (Cambridge; New York: Cambridge University Press, 1997); Robert Brenner, «The Economics of Global Turbulence,» *New Left Review*, no. 229 (1998); Colin Crouch and Wolfgang Streeck, eds., *Political Economy of Modern Capitalism: Mapping Convergence and Diversity* (London: Sage, 1997), and Jessop, «The Crisis of the National Spatio-Temporal Fix and the Ecological Dominance of Globalizing».

(13) Michael Halliday: «The Sociosemantic Nature of Discourse,» in: Jürgen Habermas, *Language as Social Semiotic: The Social Interpretation of Language and* =

التشومسكي (نسبة إلى تشومسكي (Chomsky))، الأكثر تأثيراً في الألسنية، تهتمّ الألسنية الوظيفية النسقيّة بشكل أساسيّ بالعلاقة بين اللغة من جهة والعناصر الأخرى في الحياة الاجتماعيّة وجوانبها، ويطغى على مفهومها للتحليل الألسنيّ للنصوص التشديد على الطابع الاجتماعيّ للنصوص[14]. ويجعلها ذلك مصدراً قيّماً للدراسة النقديّة للخطاب. وبالفعل، نتج من الألسنية الوظيفية النسقيّة إسهامات كبيرة في الدراسة النقدية للخطاب[15].

Meaning (London: Edward Arnold, 1978), and *An Introduction to Functional Grammar*, 2nd Ed. (London: E. Arnold, 1994).

(14) ومن المصادر القيّمة على وجه الخصوص: Halliday, *An Introduction to Functional Grammar;* Michael Halliday and T. Hasan: *Cohesion in English* (London: Longman, 1976); *Language, Context and Text: Aspects of Language in a Social-Semiotic Perspective* (Oxford: Oxford University Press, 1989); Ruqaiya Hasan, *Ways of Saying, Ways of Meaning: Selected Papers of Ruqaiya Hasan* (London: Cassell, 1996); J. Martin, *English Text* (Amsterdam: John Benjamins, 1992); T. Van Leeuwen: «Genre and Field in Critical Discourse Analysis: A Synopsis,» *Discourse and Society*, vol. 4, no. 2 (1993); «Representing Social Action,» *Discourse and Society*, vol. 6, no. 1 (1995), and T. Van Leeuwen, «The Representation of Social Actors,» in: Carmen Rosa Caldas-Coulthard and Malcolm Couthard, eds., *Texts and Practices: Readings in Critical Discourse Analysis* (London: Routledge, 1996).

(15) Roger Fowler [et al.], *Language and Control* (London: Routledge & K. Paul, 1979); Robert Hodge and Gunther Kress, *Social Semiotics* ([Cambridge: Polity Press], 1988); *Language as Ideology*, 2nd Ed. (London: Routledge, 1993); Gunther Kress: *Linguistic Processes in Sociocultural Practice* (Geelon, Victoria: Deakin University Press, 1985); Gunther Kress and Theo van Leeuwen, *Multimodal Discourse: The Modes and Media of Contemporary Communication* (London: Arnold, 2001); Jay L. Lemke, *Textual Politics: Discourse and Social Dynamics* (London: Taylor & Francis, 1995), and Paul J. =Thibault, *Social Semiotics as Praxis: Text, Social Meaning Making, and*

لكنّ منظور التحليل النقدي للخطاب لا يتطابق بالضبط مع منظور الألسنية النسقيّة، لأنّ أهدافهما تختلف[16]. توجد حاجة لتطوير معالجات لتحليل النصوص من خلال حوار عابر للاختصاصات (Transdisciplinary Dialogue) يحمل عدّة منظورات حول اللغة والخطاب ضمن النظريّة والبحث الاجتماعيّين، وذلك بهدف تنمية قدرتنا على تحليل النصوص كعناصر في سَيرورات اجتماعيّة. وللوصول إلى معالجة أو منهج تحليلي «جامع للاختصاصات»، لابدّ

Nabokov's Ada (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1991).

D. Cameron, *Working with Spoken Text* (London: Sage, 2001); انظر أيضاً: De Beaugrande, *New Foundations for a Science of Text and Discourse: Cognition, Communication, and the Freedom of Access to Knowledge and Society;* De Beaugrande and Wolfgang Ulrich Dressler, *Introduction to Text Linguistics* (London: Longman, 1981); James Paul Gee, *An Introduction to Discourse Analysis: Theory and Method* (London: Routledge, 1999); Michael Hoey: *On the Surface of Discourse* (London: George, Allen & Unwin, 1983); *Textual Interaction: An Introduction to Written Discourse Analysis* (Routledge, 2001); Susan Hunston and Geoff Thompson, eds., *Evaluation in Text: Authorial Stance and the Construction of Discourse* (Oxford: Oxford University Press, 2000); Mikko Lehtonen, *Cultural Analysis of Texts*, Translated by Aija-Leena Ahonen and Kris Clarke (London: Sage, 2000); Glenn F. Stillar, *Analyzing Everyday Texts* (London: Sage, 1998); Michael Stubbs, *Text and Corpus Analysis: Computer-Assisted Studies of Language and Culture* (Oxford: Blackwell Publishers, 1996); John M. Swales, *Genre Analysis: English in Academic and Research Settings* (Cambridge: Cambridge University Press, 1990); Stefan Titscher [et al.], *Methods of Text and Discourse Analysis* (London: Sage, 2000); Michael Toolan, *Narrative: A Critical Linguistic Introduction* (London: Routledge, 1998), and Jef Verschueren, *Understanding Pragmatics* (London: Arnold, 1999).

(16) للاطّلاع على حوار نقدي بين النظريّتين، انظر: Lilie Chouliaraki and Norman Fairclough, *Discourse in Late Modernity* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1999).

من العمل على فئات النظريّات الاجتماعيّة و«منطقها»، وفئات ومنطق مكوّنات أخرى، لأجل تطوير نظريّة تتناول الخطاب ومناهج لتحليل النصوص. وهذا مشروع طويل الأمد لا مناص، نجد بداياته المتواضعة في هذا الكتاب، في مُناقشة «سلسلات الأصناف» (Genre Chains) مثلاً (الفصل الثاني)، و«البعد الحواري» (Dialogicality) (الفصل الثالث)، و«التساوي والاختلاف» (Equivalence and Difference) (الفصل الخامس)، وتمثيل الزمان والمكان (Representation of Time and Space) (الفصل الثامن). ويمكن اعتبار عمل فان ليوين (Van Leeuwen) عن الممثّليّة (وقد أشرت إليه أعلاه) إسهاماً في تحليل النص بالطريقة الجامعة للاختصاصات المذكورة. ولقد حاولتُ أيضاً جعل الفئات المُستخدمة في التحليل شفّافةً قدر الإمكان بالنسبة إلى التحليل الاجتماعيّ للخطاب، مُبتعداً بذلك إلى حدّ ما عن الاستبعاد الذي غالباً ما تتميّز به المصطلحات الألسنيّة.

وسأشير أيضاً باختصار إلى الدراسة الكميّة لعيّنات البحث، علماً أنّني لا أعالج أبداً هذه المسألة في هذا الكتاب(17). إنّ تحليل النص المفصّل الذي أقدّمه في هذا الكتاب هو شكل من أشكال التحليل الاجتماعي «النوعيّ». إنّه يتطلّب عملاً مكثّفاً، ويمكن تطبيقه بفعاليّة على عيّنات من مادّة البحث، وليس على مجموعات كبيرة من النصوص. ومع أنّ كميّة العيّنة التي يمكن تحليلها ترتبط بمستوى التفصيل في التحليل، يمكن أن يُركّز تحليل النص فقط على بعض السّمات النصيّة المُختارة، أو على عدد كبير من السّمات في الوقت عينه. لكن يمكن أن يكون من المفيد دعم هذا الشكل من التحليل

(17) De Beaugrande and Dressler, *Introduction to Text Linguistics*, and Tony McEnery and Andrew Wilson, *Corpus Linguistics* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2001).

النوعي بـ «التحليل الكمّي» (Quantitative Analysis) الذي يقدّمه التحليل الألسني الكميّ للعيّنات، كما يرى دو بوغراند[18] (De Beaugrande) وستابز[19] (Stubbs). إنّ رُزمات العيّنات المتوفّرة (كرُزمة وردسميث[20] (Wordsmith) تسمح لنا، على سبيل المثال، بتحديد «الكلمات المفاتيح» في عيّنة من النصوص، وتفحُّص **أنماط التلازم** (Type Collocation)، أو التوارُد، بين الكلمات المفاتيح والكلمات الأخرى، ولا تخلو نتيجة ذلك من قيمة، لكنّ قيمتها محدودة، إذ تتطلّب تكملة هي دراسة نصيّة نوعيّة، مكثّفة وتفصيليّة أكثر.

في الواقع، يمكن أن يستند التحليل النقدي للخطاب إلى مجموعة واسعة من المُعالجات التي تحلّل الخطاب. اخترتُ في هذا الكتاب التشديد، بالدرجة الأولى، على التحليل النّحوي والدلالي، لأنّ هذا النوع من التحليل يمكن، بحسب اعتقادي، أن يكون مُنتجاً جداً في البحث الاجتماعي، لكن من الصعب غالباً على الباحثين الذين يجهلون الألسنية الوصول إليه. توجد معالجات للخطاب مألوفة أكثر وأسهل (تحليل الحوار مثال جيّد عليها) لم أتناولها في هذا الكتاب[21]. ولا يعني ذلك أنه لا يمكن الاستناد إلى هذه المعالجات في التحليل النقدي للخطاب؛ لقد استخدمتها نوعاً ما، في الواقع، في بعض كتاباتي السابقة[22].

(18) De Beaugrande, *New Foundations for a Science of Text and Discourse: Cognition, Communication, and the Freedom of Access to Knowledge and Society.*

(19) Stubbs, *Text and Corpus Analysis: Computer-Assisted Studies of Language and Culture.*

(20) التي استخدمها بعض الشيء في Fairclough, *Language and Power.*

(21) للحصول على فكرة شاملة عن الموضوع، انظر: Titscher, *Methods of Text and Discourse Analysis.*

(22) على سبيل المثال: Fairclough, *Discourse and Social Change.*

مواضيع البحث الاجتماعي

يتناول كلّ فصل من الكتاب موضوعاً في البحث الاجتماعي أو أكثر، أحدّد ذلك في بداية الفصل. والهدف من ذلك هو توضيح كيف يمكن الاستناد إلى الجوانب المعيّنة من تحليل النص الذي يتناوله الفصل لأجل خوض تحليل هذه المواضيع. وتتضمّن المواضيع: الحكم (Government) [أو الحاكمية (Governance)] في المجتمعات الرأسماليّة الجديدة، التهجين (Hybridity) [أو الضبابيّة (Blurring)] الحدود الاجتماعية كَسِمة لما يُطلق عليه بعض المنظّرين الاجتماعيّين «مابعد الحداثة» (Postmodernity)، التحوّلات في «المكان ـ الزمان» (الزمان والمكان) التي ترتبط بـ «العولمة»، صراعات الهَيمنة لأجل وضع خِطابات وممثليات معيّنة في منزلة «عالميّة»، الأيديولوجيات، المواطنية و«مساحة الشأن العام»، التغيير الاجتماعيّ والتغيير في تقنيات التواصل، شرعنة الفعال الاجتماعيّة وضروب التراتبيّة الاجتماعيّة، أنماط الأدوار السائدة في المجتمعات المُعاصِرة (بما في ذلك المسؤول الإداري والمُعالج النفسي)، «تجاوز الرسميّات» المجتمعيّة والابتعاد عن التراتبيّة الظاهرة.

لا شكّ في أنّ مجموعة المواضيع التي أطرحها، وأصحاب نظريات علم الاجتماع والباحثين الذين أستند إليهم، تبدو من منظور الباحث الاجتماعي مُتفاوتة. لقد اخترت مواضيع ومصادر أجدها تساعد بشكل عام على طرح موضوع اللغة والرأسمالية الجديدة، ولكن يجب اعتبارها، بالرجوع إلى موضوعي العام، استشهاديّة. إنّها توضح، من ناحية، كيف أنّ البحث والنظريّة الاجتماعيّين يمكن أن يُغنيا تحليل النص، ومن ناحية أخرى كيف أنّ تحليل النص يمكن أن يزيد من أهمية وقيمة البحث الاجتماعي. يمكن القول إنّ تنوّع

المواضيع والمصادر مُفيد، إذ قد يُساعد على إظهار أنّ العلاقة التي أؤيدها بين تحليل النص والبحث الاجتماعي، هي علاقة عامّةٌ لا تقتصر على نظريّات أو اختصاصات أو تقاليد بحثيّة معيّنة في العلوم الاجتماعيّة. ومع أنني اخترتُ أن أركّز على اللغة في الرأسمالية الجديدة كموضوع بحث، يجب أن لا يُفهَم من ذلك أنّ تحليل النصوص لا يُلائم سوى البحث الاجتماعي الذي يتناول هذا الموضوع. وبالطبع لا يستطيع كتاب واحد أن يُبيّن التحسين الذي يُدخله تحليل النصوص على عدد كبير من حقول البحث الاجتماعيّ.

لقد استندتُ إلى أعمال عدد من أصحاب نظريات علم الاجتماع. وأقولها ثانيةً: يجب عدم اعتبار هذه المصادر التي اخترتُها شاملةً أو حصرية. كلّ ما في الأمر هو أنّني وجدت من المفيد إنشاء حوار مع هؤلاء المنظّرين عندما أعمل في إطار التحليل النقدي للخطاب. وكلّهم يطرحون، بطريقة أو بأخرى، أسئلة حول اللغة والخطاب من دون أن يستخدموا المصادر الضروريّة للقيام بتحليل تفصيلي. وأنا أقول إنّ من شأن هذا التحليل اللغوي التفصيلي أن يزيد من أهمية وقيمة هذه المشاريع النظريّة والبحث الذي يرتبط بها. وتجِدُ في نهاية الكتاب فهرس أسماء أصحاب النظريات الأساسيّين الذين أشير إلى أعمالهم.

يجد القارئ في كتاب تشولياراكي (Chouliaraki) وفاركلوف (Fairclough)[23] مُناقشة منهجيّة للعلاقة بين التحليل النقدي للخطاب والنظرية الاجتماعية. يمكن اعتبار كتابهما مُكمّلاً لهذا الكتاب، وهو يتضمّن مناقشة مطوّلة للعلاقة بين التحليل النقديّ للخطاب والنظريّات الاجتماعيّة الأساسيّة التي أشير إليها

(23) Chouliaraki and Fairclough, *Discourse in Late Modernity.*

هنا، كما يتضمّن شرحاً مُطوّلاً للتحليل النقديّ للخِطاب. ويجد القرّاء في كتاب آخر لِفاركلوف[24] تطبيقاً للتحليل النقديّ للخِطاب يطال حالة معيّنة: لغة «حزب العمّال الجديد» الحاكم في بريطانيا.

تأثيرات النصوص الاجتماعية

تملك النصوص، باعتبارها عناصرَ تشترك في تكوين الأحداث الاجتماعيّة[25]، نتائجَ تُسبّبها، أي إنها تُحدِث تغييراً، فهي على صعيد مُباشر يمكن أن تُحدِث تغييرات في المعرفة التي نملكها (يمكن أن نتعلّم منها)، وفي معتقداتنا، ومواقفنا، وقيَمنا... وما إلى ذلك. كذلك تُحدِث نتائج على المدى الطويل، فيمكن على سبيل المثال، اعتبار أن المُعايشة الطويلة للإعلانات والنصوص الدعائيّة الأخرى تُسهِم في تشكيل هويّة الناس كـ «مستهلكين»، أو هويّتهم كذكر أو أنثى.

يمكن للنصوص أيضاً أن تُشعل حروباً، أو أن تُسهِم في إحداث تغييرات في مجالات التربية أو العلاقات الصناعيّة... أو غيرها. ويمكن أن تتضمّن نتائجها تغييرات في العالم المادي، كتغيير التخطيط المُدُني، أو هَندسة أنماط معيّنة من البناء، وتصميمها الفني.

باختصار: في النصوص أسبابٌ لها نتائج على الناس (معتقداتهم، مواقفهم... إلخ) والأفعال والعلاقات الاجتماعيّة والعالم المادّي، كما تُسهِم في ما يلحق بهذه المكوّنات من تغيّرات. إننا لو لم نكن نعتقد أنّ للنصوص نتائج من النوع المذكور، وتأثيرات على التغيير الاجتماعي، لما كان من الضروري التركيز على

(24) Fairclough, *New Labour, New Language*.

(25) انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

اللغة في الرأسمالية الجديدة. لكن، كما سأبيّن لاحقاً، تخضع هذه التأثيرات لعمليّة صناعة المعنى.

لابدّ من توضيح المقصود بالسببية. إنها ليست سببية آليّة بسيطة، فنحن لا يمكننا القول إنّ سِمات معيّنة في النصوص تجلب آليّاً تغيّرات معيّنة في المعرفة أو السلوك البشريّين، أو تجلب نتائج اجتماعيّة أو سياسيّة محدّدة. ليست السببية هنا مُنتظمة: لا يوجد طِراز مُنتظم من سبب ونتيجة يرتبط بنمط معيّن من النصوص، أو من السمات النصيّة المحدّدة. لكن لا يعني ذلك أن ليس هناك نتائج وراءها أسباب[26]. يمكن أن يكون للنصوص نتائج تتعلّق بأسباب، من دون أن تكون العلاقة مُنتظمة، ذلك أنّه يوجد عوامل أخرى كثيرة في السياق تحدّد ما إذا كان للنصّ هذه النتائج أو تلك. ويمكن أن يؤدّي هذا إلى أن يكون للنص الواحد نتائج متنوّعة، بحسب تغيّر المفسّرين مثلاً[27].

لقد تأثّرت العلوم الاجتماعيّة المُعاصرة بشكل واسع بـ «التشييدية الاجتماعية» (Social Constructivism)، أي بالمقولة الآتية: إنّ العالَم (الاجتماعيّ) مُشيّد اجتماعياً. ويشدّد عدد كبير من نظريّات التشييد الاجتماعي على دور النصوص (اللغة، الخطاب) في تشييد العالم الاجتماعيّ. تنزع هذه النظريات إلى أن تكون مثاليّة، لاواقعيّة. الواقعيّ يقول إنّه وإن كانت بعض جوانب العالم الاجتماعي،

---

(26) إنّ اختزال السببيّة باعتبارها مساوية للاطّراد ليس سوى أحد المنظورات في السببيّة، وغالباً ما يُطلق على هذا المنظور تسمية السببيّة الهيوميّة، نسبة إلى دايفد هيوم (David Hume) انظر: Andrew Sayer, *Realism and Social Science* (London: Sage, 2000), and Norman Fairclough, Bob Jessop and A. Sayer, «Critical Realism and Semiosis,» *Journal of Critical Realism*, vol. 5, no. 1 (2002), pp. 2-10.

(27) Fairclough, Jessop and Sayer, «Critical Realism and Semiosis».

كالمؤسسات الاجتماعيّة، مشيّدة اجتماعياً في نهاية المطاف، فإنّها تصبح بعد تشييدها ضروبَ واقع تؤثّر في التّشييد النصي (أو «الخطابي») للاجتماعي وتَحُدّ منه. لا بدّ من أن نميّز بين «التشييد» و«الإعراب عن»، وهذا ما لا يفعله التشييديّون الاجتماعيّون: قد نعرب عن (أو نمثّل، أو نتخيّل... إلخ) العالم الاجتماعيّ نصيّاً بطرق معيّنة، لكن احتمال أن ينجم عن ممثّلياتنا أو إعرابنا تغييرُ تشييد العالم الاجتماعي أمرٌ يرتبط بعوامل سياقيّة متعدّدة، بما في ذلك ما يكون عليه الواقع الاجتماعي، وهويّة الذي يُعبّر... وما إلى ذلك، لذلك نقبل بصيغة معتدلة من مقولة أنّ العالم الاجتماعي مشيَّدٌ نصّياً، لكن ليس بصيغة متطرّفة[28].

الأيديولوجيات

إنّ النتائج الأيديولوجيّة هي أحدُ أنواع النتائج التي تسبّبها النصوص، والتي تحظى باهتمام التحليل النقديّ لِلخطاب: تأثير النصوص في تثبيت الأيديولوجيّات أو دَعمِها أو تغييرها[29]. الأيديولوجيات ممثّليات لجوانب من العالم، ويمكن إبانة إسهامها في إقامة العلاقات الاجتماعيّة المرتبطة بالسلطة والسّيطرة والاستغلال، وصيانة هذه العلاقات أو تغييرها. وتُغاير هذه الرؤية «النقديّة» للأيديولوجية، التي ترى في هذه الأخيرة شكلاً من أشكال السلطة، رؤى «وصفيّة» متنوعة تعتبرها مواقع، أو مواقف، أو معتقدات، أو منظورات... إلخ، تتخذها المجموعات المجتمعيّة. ولا تشير هذه

---

(28) Sayer, *Realism and Social Science.*

(29) T. Eagleton, *Ideology* (London: Verso, 2000); Jorge Larrain, *The Concept of Ideology* (London: Hutchinson, 1979); John B. Thompson, *Studies in the Theory of Ideology* (Cambridge [Cambridgeshire]: Polity Press, 1984), and Teun A. Van Dijk, *Ideology: A Multidisciplinary Approach* (London: Sage Publications, 1998).

الرؤى إلى علاقات السلطة والسيطرة بين هذه المجموعات. يمكن اعتبار ممثليات الأيديولوجية نصوصاً (يرى طومسون (Thompson) أنّ الأيديولوجية «معنًى في خدمة السلطة»)، لكن عندما أقول إن الأيديولوجيّات ممثليات يمكن البرهنة على إسهامها في علاقات السلطة والسيطرة في المجتمع، فإنّي أقترح وضع التحليل النصي، من المنطلق المذكور، في إطار تحليل اجتماعيّ يمكّننا من النظر إلى مجموعات النصوص باعتبار تأثيراتها في العلاقات السلطويّة. زيادةً على ذلك، الأيديولوجيّات ممثليات بالدرجة الأولى، لكن يمكن «تحقيقها» في طرق الممارسة الاجتماعيّة، و«ترسيخها» في هويّات الفاعلين الاجتماعيين. ويمكن أن تملك الأيديولوجيّات استمراريّة وثباتاً يتخطّيان النصوص الفرديّة أو مجموعات النصوص، بالاستناد إلى التمييزات التي أوضِحُها في الفصل الثاني، يمكن ربطها بضروب الخطاب (باعتبارها ممثليات)، وبالأصناف (باعتبارها تحقيقات)، وبالأساليب (باعتبارها ضروبَ ترسيخ).

لننظر، كمثال على ذلك، في الطرح المنتشر الآتي: في الاقتصاد «العالميّ» الجديد، لابدّ من أن تملك الدول قدرة تنافسيّة عالية لكي تحيا. نجد هذا الطرح معلناً، أو مفترضاً في الكثير من النصوص المعاصرة، ونجده (بالإضافة إلى الخطاب الليبراليّ الجديد الذي يرتبط به) موضعَ تحقيق في تصاعد إدارة المؤسّسات، كالجامعة مثلاً، كما تُدار الأعمال التجاريّة، ونجده موضع ترسيخ في الأساليب الجديدة التي يستخدمها مسؤولو الإدارة، والتي تظهر في نصوص عدّة. لا نستطيع التوصّل إلى الحكم على أيديولوجيّة هذا الطرح أو عدمها، إلا إذا نظرنا في ما يسبّبه، مع الطروحات المُشابهة له، من نتائج في نُطُق معيّنة من الحياة الاجتماعيّة (مثال ذلك معرفة ما إذا كان الناس يقتنعون أنّ الدول يجب أن تملك قدرة تنافسيّة

النحيا) وإذا تساءلنا ما إذا كان وضع هذه المقولات موضع التحقيق والترسيخ يُسهِم في صيانة العلاقات السلطويّة أو تغييرها (بجعل المستخدمين، على سبيل المثال، أكثر انصياعاً لمَطالب المسؤولين الإداريّين). وفي حال اعتبار هذه الطروحات أيديولوجيّة، لا يعني ذلك أنها غير صحيحة: قد نرى، مثلاً، أنّ العلاقات الاقتصاديّة المُعاصرة تفرض فعلاً مُنافسة أكبر، وفي الوقت عينه تؤكّد أنّ ذلك ليس «قانوناً تفرضه الطبيعة»، كما يُقدَّم في معظم الأحيان، لكنّه نِتاج ترتيب اقتصادي معيّن يمكن تبديله. وأعود إلى مناقشة ما تفترضه الأيديولوجيّات في الفصل الثالث بشكل خاص، وإلى ضروب الاحتجاج فيها في الفصل الرابع.

النصّ والمعاني والتفسيرات

يجب معالجة النصوص باعتبارها عناصر مكوّنة في الأحداث الاجتماعيّة، كما يجب أن لا نُعنى فقط بالنصوص كنصوص، إنّما أيضاً بسيرورات صناعة المعنى التفاعليّة. في حالة التّحاور وجهاً لوجه، يكون النصّ تدويناً لِما قيل، ويستطيع المرء أن يرى، إلى حدّ ما، صِناعة المعنى وهي تتشكّل بالنظر في كيفيّة تبادل المُشاركين الكلام في حِوارهم بحسب دورِهم. وإليكم مثال بسيط جدّاً[30]:

1 ـ الزبون: كأس بيرة، إذا سمحت!
2 ـ الساقي: كم عُمرك؟
3 ـ الزبون: اثنتان وعشرون.
4 ـ الساقي: حسناً، حالاً.

(30) مـن: Cameron, *Good to Talk? Living and Working in a Communication Culture.*

يقوم الساقي والزبون في الدورين (2) و(3) بتفاعل هدفه التحقّق من أنّ الشروط المُسبقة لطلب الكحول في الحانة متوفِّرة، أي أنّ الزبون (بحسب القانون البريطاني) يزيد عمره عن ثماني عشرة سنة. يُبدي الزبون في الدور (3) معرفته بوجود قيد قانوني يستدعي السؤال، ويتفهّم سَعي الساقي إلى التقيّد بالقانون بطرحه السؤال، فيتعاون ويُدلي بمعلومة تبدو في ظاهرها لا تتلاءم مع سياق طلب الشراب. إنّ تمكّن الزبون من اعتبار سؤال الساقي في (2) ملائماً لا يعود فقط إلى معرفته بقوانين السماح بالشراب، إنّما أيضاً إلى موقع السؤال: عندما يُجاب على طلب بسؤال، يعني ذلك في معظم الأحيان أنّ تلبية الطلب مشروطة بالإجابة عن السؤال المطروح.

يشير المثال المذكور إلى وجود ثلاثة عناصر تحليليّة منفصلة في سيرورات صناعة المعنى: إنتاج النص، والنصّ ذاته، وتلقي النص. يركّز تحليل إنتاج النص على المنتِجين: المؤلِّفين، المتكلمين والكُتّاب، في حين يركّز تحليل التلقي على التفسير: المفسّرين، القرّاء، المستمعين[31]. وكلّ واحد من العناصر الثلاثة أُعطِيَ الأفضليّة في مرحلة من مراحل التاريخ الحديث لنظريّات المعنى:

أوّلاً نوايا الكاتب، هويّته. . . إلخ،

ثمّ النص نفسه،

ثمّ ـ في مرحلة أقرب ـ العمل التحليلي الذي يقوم به القارئ أو السامع.

لكن من الواضح أن المعنى يُولَّد من التفاعل بين العناصر

---

(31) يرى غوفمان أنّ «مُنتِج النص» و«المُتلقي» دوران مُعقّدان. على سبيل المثال، قد لا يكون مُنتج النص هو الذي صاغ كلماته مع بعضها (المؤلّف)، وقد يكون، أو لا يكون، هو من يعلن لنا النص أنّه القائل، انظر: Erving Goffman, *Forms of Talk* (Oxford: Blackwell, 1981).

الثلاثة: يجب أن نأخذ بعين الاعتبار موقع المنتجين المؤسّساتي، ومصالحهم، وقيمهم، ونواياهم، ورغباتهم... إلخ، والعلاقات بين عناصر توجد على مستويات مختلفة في النصوص، ومواقع المتلقّين المؤسّساتيّة، ومعرفتهم، وأهدافهم، وقيمهم... إلخ. من الصعب بلوغ الدّقة في ما يخصّ سيرورات صِناعة المعنى، وذلك لسبب بديهي، هو أنّها تحصل، بشكل أساسي، في أذهان النّاس، وليس من طريقة مُباشرة توصلنا إليها. عندما ننتقل ـ مثلاً ـ من الحوار الشفويّ إلى النصوص المطبوعة، تتضاعف المشكلات، لأنّنا بهذا نخسر التفاوضَ على المعنى، القائمَ في الحوار، إذ إنّ هذا التفاوض مُعطًى يكشف بعض الشيء عن المعنى المقصود وكيفيّة التفسير، أمّا النص المطبوع فيمكن أن يدخل في عدّة سيرورات لصناعة المعنى، ويُسهم في معانٍ مختلفة، لأنّه مفتوح على تفسيرات محتملة متنوّعة.

يتّضح من المثال المذكور أعلاه أنّ صناعة المعنى لا تستند فقط إلى البيّن في النص، إنّما إلى المُستتر، المُسَلّم به أيضاً. لذلك يمكننا القول إنّ سؤال الساقي في الدور (2) يفترض أنّ المشروبات الروحيّة لا يمكن تقديمها إلا لمن تخطّى عمراً معيّناً. غالباً ما يستند ما «يُقال» في النصوص إلى مُسلّمات «لا تُقال». لذلك، إنّ محاولة تحديد المسلّمات جزء من تحليل النصوص[32].

يمكن اعتبار التفسير سيرورةً معقّدة ولها جوانب متعدّدة ومختلفة:

فهو جزئيّاً مسألة تتعلّق بالفهم: فهم ما تعنيه الكلمات أو الجُمَل، أو الوحدات النصيّة الأطول، ومنهم ما يعنيه المتكلّمون أو الكتّاب (يستلزم هذا أن ننسب إليهم نوايا، وهذا موضع الإشكال)،

(32) انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب.

وهو أيضاً ـ جزئياً ـ مسألة حكم وتقييم. مثال: الحكم ما إذا كان المتكلّم صادقاً أم لا، جدّياً أم لا، وما إذا كان الناس يتكلّمون، أو يكتبون بطُرق تتلاءم مع العلاقات الاجتماعيّة والمؤسّساتيّة. . . إلخ، التي تشكّل إطار الحدث أو تعتّم ربما على هذه العلاقات، **وزيادةً على ذلك**، يدخل في التفسير عنصر إيضاح: فنحن غالباً ما نحاول أن نفهم لِمَ يتكلّم الناس كما يتكلّمون، أو يكتبون كما يكتبون، إلى درجة أنّنا نحاول تحديد أسباب اجتماعيّة غير مُباشرة لذلك. من ناحية أخرى، يحظى بعض النصوص، بشكل واضح، بعمل تفسيريّ أكبر بكثير من نصوص أخرى: فبعض النصوص شفّاف جداً، في حين أن بعضها الآخر مُلتبس بدرجات مختلفة بالنسبة إلى بعض المفسّرين. ويتمّ تفسير النصوص أحياناً من غير إشكال، وبشكل فوري فعلاً، في حين تتطلّب نصوص أخرى أحياناً الكثير من النظر والتفكير الواعي بحثاً عن المعنى المقصود، وعن أسباب قول ما قيل أو كتابة ما كُتب.

إنّ موضوع هذا الكتاب خاص ومحدّد: تحليل النصوص مع اعتبار نتائجها الاجتماعيّة (أناقش ذلك أدناه). تنبع النتائج الاجتماعيّة للنصوص من سيرورات صناعة المعنى. قد نقول إنّ النتائج الاجتماعيّة للنصوص تظهر من خلال صناعة المعنى، أو إنّ المعاني هي التي تملك النتائج الاجتماعيّة وليست النصوص كَنصوص، لكنّ أحد المصادر الضروريّة لأيّ رصد لِسَيرورات صناعة المعنى هو القدرة على توضيح النصوص بهدف توضيح مُساهمتها في سَيرورات صناعة المعنى. والغرض الأوّل من هذا الكتاب هو توفير هذا المصدر، لذلك لا أرصد بالتفصيل سيرورة صناعة المعنى، مع أنّ مُعالجتي تُسلّم بالحاجة لمثل هذا الرصد. إنّني أنظر إلى النصوص في ديناميكيّتها، أنظر في كيفيّة صناعة الفاعلين الاجتماعيّين النصوصَ أو «نَسجها» بإقامة العلاقات بين عناصرها. ويعني ذلك أنّ معالجتي

لدراسة النصوص تهتمّ أكثر بإنتاج النصوص من اهتمامها بتلقّي النصوص وتفسيرها. لكن أرجو ألا يُفهم ممّا ذكرته أنني أقلّل من أهمية التلقّي والتفسير.

النصوص والمؤلّفون

سوف أستخدم تعبير «مؤلّف» في إشارتي إلى واضع النص. يميّز غوفمان[33] بين «المؤسّس»، وهو من يعبّر النصُّ عن موقفه، و«المؤلّف»، وهو من يضع الكلمات مع بعضها ويكون مسؤولاً عن صياغتها، و«المُنَظِّم»، وهو من يُنتج الأصوات أو يضع الحروف على الورق. في أبسط الحالات يقوم شخص واحد، في الوقت نفسه، بجميع هذه الوظائف. لكنْ ـ مبدئياً ـ قد لا يكون الأمر كذلك: قد يكون المتكلّم، على سبيل المثال، ناطقاً باسم منظّمة (أي «منظّماً» فقط)، أو قد يكون الصحافي مؤلّفَ التقرير الإخباريّ، لكنّ مؤسّسه هو أحد السياسيّين ويقوم الصحافي بالدعم المستتر لموقف المؤسّس. وتوجد حالات أكثر تعقيداً: يمكن أن يكون التأليف جماعيّاً من دون أن يتّضح ذلك بالضرورة في النص (يمكن أن يشترك عدّة أشخاص في إنتاج تقرير إخباريّ). يعترض البنيويّون ومابعد البنيويّين على هذا التشديد على التأليف، لكن تنبع هذه الاعتراضات، معظم الأحيان، من تقليل مبالغ فيه من شأن عمليّة الفعل[34]. عندما أُشير إلى «المؤلّفين»، أفعل ذلك من دون الخوض كثيراً في هذه التعقيدات، وأكون عندها أشير بالدرجة الأولى إلى من يمكن اعتباره قد صاغ النص، وتكفّل بصحّته وما فيه من التزامات وضرورة وقيَم، بفعل الخيارات التي تبنّاها في الصياغة[35].

(33) المصدر نفسه.

(34) انظر الفصل الثاني للاطّلاع على موقفي من ذلك.

(35) انظر الفصل العاشر من هذا الكتاب.

الأشكال والمعاني والنتائج

يهتمّ تحليل النصوص بالأشكال اللسانيّة للنصوص، وبتوزيع الأشكال اللسانيّة المختلفة في مختلف أنماط النصوص. يمكن نسبة نتائج معيّنة إلى أشكال لسانيّة معيّنة (أو، بطريقة معقولة أكثر، إلى نزعة قويّة، في مجموعة كافية من النصوص، إلى اختيار شكل ما أكثر من أشكال ممكنة أخرى). لكن أكرّر أن الحذر أساسيّ، إذ يجب عدم الإيحاء بأنّ هذه النتائج توجد آليّاً وبطريقة بسيطة ومنتظمة، إنّها مرتبطة بالمعنى والسياق. على سبيل المثال: كثيراً ما تَستخدِم التقارير والمَرويّات عن «الاقتصاد العالمي» **التحويل الاسمي** (أناقشه في الفصل الثامن): بدل تمثيل السيرورات التي تحدث في العالم كَسَيرورات (نحوياً، في عبارات وجُمَل تحتوي على مُسند)، تُمثِّل كَكِيانات (نحوياً، بالتحويل الاسمي، أي تحويل العبارة إلى كيان اسميّ أو شبه اسميّ)، وإليكم مثال بسيط من نصّ لطوني بلير (Tony Blair):

إن كلمة «التغيير» في عبارة «يجتاح التغييرُ العالمَ المُعاصِر» هي تحويل اسميّ (Nominalization). إحدى النتائج الشائعة للتحويل الاسميّ هي أنّ القائمين بالسيرورات (الناس الذين يُطلقونها أو يؤثّرون في الآخرين وفي الموجودات) غائبون من النصوص. يمكن التعبير عن السيرورة التي يشير إليها بلير باستخدام طرق أخرى، مثل: «تقوم الشركات المتعدّدة الجنسيّات (Multinational Corporations)، بالتعاون مع الحكومات، بتغيير العالم بطرق متعدّدة». في هذه الحالة، نرى أن الفاعلين (أي «الشركات المتعدّدة الجنسيّات» و«الحكومات») مذكورون في النص.

لكن ليس التحويل الاسمي فقط هو الذي يُخفي الفاعلين، بل أيضاً بناء الفعل للمجهول (كما في عبارة «يمكن أن تُصنَع» (Can be

(Made . . . وعبارة «وأن تُشْحَنْ» (and Shipped))، وما يمكن تسميته بناء النعت للمجهول (Passive Adjectives) (كما في عبارة «متحرّك» (Mobile)) في جملة أخرى لبلير: «رأس المال **متحرّك**، يمكن للتقانة (التكنولوجيا) أن تُهاجر بسرعة، **ويمكن** للسلع **أن تُصنع** في بعض البلدان بتكلفة زهيدة، **وأن تُشحَن** إلى أسواق البلدان المتقدّمة».

إحدى السمات المهمّة في هذه الجملة هي الاستعارة البلاغية في نسبة «الهجرة» إلى «التقانة»، باستخدام الفعل اللازم (غير المتعدّي) «تُهاجِر»، حيث كان بالإمكان مثلاً استخدام فعل متعدٍّ، كما في «تستطيع الشركات نقل التقانة حول العالم بسرعة».

ومن المُلفتِ أيضاً استخدام التحويلات الاسميّة، كـ «التغيير»، والأسماء الدالّة على جماد، كـ «رأس المال» و«التقانة»، كفاعلة للأفعال، بدل الفاعلين البشر.

في ما يخصّ النتائج الاجتماعيّة لهكذا نصوص، يمكنني القول إنّ التحويل الاسمي يُساهم ـ كما أرى ـ في انتشار عام لإخفاء الدور البشري ومسؤوليّته في سيرورات «الاقتصاد العالمي الجديد»، لكن من الواضح أنّ ذلك لا يَنتُج فقط من التحويل الاسمي، بل من مجموعة من الأشكال اللسانيّة المختلفة[36].

إضافة إلى ذلك، إنّ احتمال إسهام التحويل الاسمي في هذه النتائج مرتبط بالمعنى والسياق، فلا أرى مثلاً أنّه يمكن نسبة التأثير المذكور إلى التحويلات الاسميّة «تنظيف البيت» و«إعادة التنظيم» في الجملة الآتية عن أحد أبراج الحظ (Horoscope): «حتى إنّ الوقت

---

(36) Fowler [et al.], *Language and Control.*

قد يكون مُناسباً لتنظيف البيت وإعادة تنظيمه». أمّا في ما يخصّ السياق، فإنّ انتشار النوع المذكور من الحديث عن «الاقتصاد العالمي الجديد» في نمط معيّن من النصوص، هو السبب الوحيد الذي يدفعنا إلى التساؤل عن إسهام التحويل الاسمي في إخفاء الفاعلين ومسؤوليتهم، ويمكن ـ أكثر من ذلك ـ أن نتحدّث عن عملية إرباك وتشويش. نجد هذه الظاهرة في نصوص شديدة التأثير، صادرة عن منظّمات عالميّة، مثل المنظّمة العالميّة للتجارة والبنك الدولي، وعن الحكومات الوطنيّة، وما إلى ذلك. ويمكننا قياس تأثير مثل هذه النصوص بالنظر في توزيعها العالمي والوطني على نحو واسع، وتنوّع قرّائها وكثرتهم، واقتباس عدد كبير من النصوص الأخرى منها في عمليّة «تناص» (مثال ذلك: وسائل الإعلام). علينا أيضاً أن ننظر في كيفيّة تفسير قرّاء هذه النصوص لها، وكيفيّة دخولها سيرورات صناعة المعنى.

باختصار، يمكن اعتبار الأشكال اللسانيّة مصدر نتائج معيّنة، لكن بعد النظر في المعنى والسياق.

التحليل النقدي و«الموضوعية»

إنني أعتبرُ تحليل النصوص جزءاً من العلوم الاجتماعيّة، وأوّد أن أوضح بعض الأمور المرتبطة بالمنظور العلمي الاجتماعي الذي يستند إليه هذا الكتاب، أي فلسفة علوم الاجتماع. إنّني أتبنّى الموقف الواقعي، الذي يستند إلى نظرة واقعيّة إلى الوجود: إن الأحداث الاجتماعيّة المحسوسة والبنى الاجتماعيّة المجرّدة، وكذلك «الممارسات الاجتماعيّة»، الأقل تجريداً، التي أُناقشها في الفصل الثاني، هي جزء من الواقع. ويمكن التمييز بين «الممكن» و«الحاصل»، الممكن بسبب طبيعة البنى والممارسات الاجتماعيّة

(بما فيها من قيود وإتاحات) إزاء ما يحصل فعلاً، ونميّز بين كليهما من جهة، و«التجريبي» ـ أي ما نعرفه عن الواقع ـ من جهة أخرى (نستند في صياغة هذه التمييزات إلى ما جاء عند **بهاسكار**[37] (Bhaskar).

لا يمكن المساواة بين الواقع (الممكن والحاصل) ومعرفتنا عن الواقع، فهذه الأخيرة عرضيّة ومتبدّلة وجزئيّة. وينطبق هذا أيضاً على النصوص: يجب أن لا نفترض أنّ معرفتنا عن النصوص تستنفد واقع النصوص. إحدى نتائج ذلك أنّه علينا أن نفترض أنْ ليس هناك تحليل لنصّ يستنفد كلّ ما يمكن أن يُقال عنه، لا يوجد ما يمكن اعتباره تحليلاً كاملاً ونهائياً لنص. لا يعني ذلك أنّه لا يمكن معرفة النصوص، فمعرفتها معرفة علميّة اجتماعيّة ممكنة وحقيقيّة بما يكفي، ومتصاعدة، كما نأمل، لكن لا مفرّ من أنّ هذه المعرفة تبقى جزئيّة ويمكن توسيعها: تهدف المعالجة العابرة للاختصاصات (Transdisciplinary)، التي دافعتُ عنها سابقاً، إلى تحسين قدرتنا على «رؤية» الأشياء في النصوص من خلال «تفعيل» (تشغيل) المنظورات الاجتماعيّة النظريّة وما يكشف عنه التحليل النصي.

لا مفرّ من أن يكون التحليل النصي انتقائياً: في كلّ تحليل نختار أن نطرح بعض الأسئلة حول الأحداث الاجتماعيّة والنصوص، وليس أسئلة أخرى ممكنة. على سبيل المثال، كان يمكن أن أركّز في هذا الكتاب على عدد من السمات الكميّة في النصوص، وذلك بمقارنة أنماط مختلفة من النصوص بالنظر إلى معدّل عدد الكلمات

---

(37) Roy Bhaskar, *A Realist Theory of Science*, 2nd Ed. (Brighton: Harvester, 1979).

انظر أيضاً ساير (Sayer): Sayer, *Realism and Social Science*.

في النصّ، معدّل عدد الكلمات في الجملة، نِسَب تكرار فئات مختلفة، كالأسماء والأفعال والحروف. . . إلخ. ويمكن أن أملك أسباباً جيّدة لفعل ذلك، فقد أكون مهتمّاً بالنصوص من الناحية التربويّة، بدرجة صعوبتها بالنسبة إلى الأطفال أو متعلّمي اللغة كلغة أجنبيّة. المسألة العامة هي أنّه توجد دائماً دوافع معيّنة تحمل على طرح بعض الأسئلة دون أخرى. إنّ ما يدفعني إلى طرح الأسئلة التي أوردها في هذا الكتاب هو اعتقادي أنّ النصوص تملك نتائج وتأثيرات اجتماعيّة وسياسيّة ومعرفيّة وأخلاقيّة ومادّيّة، وأنّه من الضروري فهم هذه النتائج والتأثيرات إن نحن أردنا طرح أسئلة أخلاقيّة وسياسيّة بشأن المجتمعات المُعاصرة، وبشأن التغييرات في «الرأسمالية الجديدة» على وجه الخصوص.

لعلّ بعض القرّاء يطرحون تساؤلات حول «موضوعيّة» معالجتِ في التحليل النصي تستند إلى الدوافع المذكورة. لا أعتبر ذلك مشكلة، إذ لا يوجد تحليل «موضوعي» للنصوص، إن كان المقصود بذلك تحليلاً يصف بكلّ بساطة ما هو «موجود» في النص من دون أيّ «تحوير» تسبّبه «ذاتيّة» المحلّل. وكما سبق وقلت، إنّ قدرتنا على معرفة «الموجود» محدودة وجزئيّة، لا مفرّ من ذلك. والأسئلة التي نطرحها لابدّ أن يكون مصدرها دوافع معيّنة تتخطى «الموجود». تنتمي مُعالجتي، في إطارها الواسع، إلى تُراث هو «علم الاجتماع النقدي»، علم الاجتماع الذي يحرّكه السّعي إلى توفير أساس علمي للتساؤل النقدي حول الحياة الاجتماعيّة من منطلقات أخلاقيّة وسياسيّة، أي بالنظر إلى العدالة الاجتماعيّة والسُلطة[38].

---

(38) Chouliaraki and Fairclough, *Discourse in Late Modernity*, and Raymond A. Morrow and David D. Brown, *Critical Theory and Methodology* (Thousand Oaks, Calif.: Sage Publications, 1994).

في المقابل، يمكن اعتبار أنّ ما يحرّك القسم الأكبر من البحث الاجتماعي هو السعيُ إلى جعل أشكال الحياة الاجتماعيّة القائمة تعمل بفعاليّة وتأثير أكبر، من دون النظر في المسائل الاجتماعيّة والسياسيّة بتاتاً. ليست أيّ من المعالجتين «موضوعيّة» بالمعنى البسيط للكلمة، فكلّ واحدة مرتبطة بمصالح ومنظورات معيّنة، لكن هذا لا يمنع أنّ يكون كلّ منهما علماً اجتماعياً جيّداً جداً. ولا يعني ذلك أيضاً أنّ المعنى الاجتماعي للبحث الخاص ونتائجه هما شفّافان: يمكن أن يؤدي البحث الاجتماعي إلى نتائج بعيدة كلّ البعد عمّا هو مقصود أو متوقّع.

يستلزم تحليل الأحداث الاجتماعيّة والنصوص تحليلاً اجتماعياً علمياً الوقوفَ على مسافة من اختبارنا الاعتيادي لها. يكوّن الناس انطباعات حول ما يفعلونه في الحياة الاجتماعيّة التي يمارسونها، ولديهم طرقهم في التحدّث عنها ووصفها وتقييمها والتنظير حولها. على سبيل المثال، يمكن أن نصف أحدهم بأنه «ثرثار مُملّ» أو «كثير الكلام» أو «شديد الإعجاب بصوته». هذه بعض الفئات التي نستخدمها لنتحدّث عن النصوص. كذلك نملك فئات نلجأ إليها عندما نحلّل النصوص تحليلاً اجتماعياً علمياً («اسم»، «الجملة»، «صنف». . . وما إلى ذلك)، لكن هذه فئات يستخدمها المتخصّصون وتختلف عن تلك المستخدمة في حياتنا الاجتماعيّة الاعتياديّة. تسمح هذه الفئات الاجتماعيّة العلميّة برؤية النصوص من منظور النظريّات العامة المُتقنة، وهذا ما لا تسمح به الفئات العمليّة اليوميّة. لكن، إذا سلّمنا بأنّ معرفتنا بالنصوص هي بالضرورة جزئيّة وغير مكتملة، كما أشرت، وأنّنا نسعى دائماً إلى تحسينها وتوسيعها، فعلينا أن نقبل بأنّ فئاتنا مؤقّتة دائماً وقابلة للتغيير.

حدود التحليل النصي

التحليل النصي هو أحد مصادر التحليل الاجتماعي، ويمكن أنْ يجعله أفضل إنْ هو استُخدم بمعيّة مناهج تحليليّة أخرى. التحليل النصي محدود في حدّ ذاته. ناقشتُ أعلاه اشتراكَ النصوص في صِناعة المعنى، والنتائج التي تسبّبها، ونتائجها الأيديولوجيّة على وجه الخصوص. لا يمكن الوصول إلى أيٍّ من هذه المواضيع من خلال التحليل النصي فقط. يحتاج المرء للخوض في مَبحث صِناعة المعنى أن ينظر في تفسيرات النصوص، كما يحتاج أنْ ينظر في النصوص نفسها وفي كيفيّة ظهور النصوص على مستوى المُمارسة، في نُطُق معيّنة من الحياة الاجتماعيّة. يوحي ذلك بأنّ الإطار الأنسب للتحليل النصي هو علم الأعراق البشرية (ethnography). لتقييم النتائج التي تسبّبها النصوص ودورها الأيديولوجي، لابدّ من تأطير التحليل النصي ضمن تحليل ضروب التنظيم، على سبيل المثال، والربط بين التحليل «المجهري» للنصوص والتحليل «الكلّي» لكيفيّة عمل العلاقات السلطويّة من خلال شبكات الممارسات والبِنى. التحليل النصي مُكمِّل قيِّمٌ للبحث الاجتماعي، لكنّه لا يقوم مقام أشكال البحث والتحليل الاجتماعيَيْن الأخرى.

يوجد اعتقاد يبدو في الظاهر معقولاً، يقول إنّ علينا وصف النصوص أوّلاً، ثمّ عندها فقط يمكن تحليلها ونقدها اجتماعياً. للاطّلاع على صيغة لهذا الاعتقاد من منظور تحليل الحوار[39]، ورِدُود ويزيريل[40] (Wetherell) وتشولياراكي (Chouliaraki)

(39) انظر شاغلوف (Schegloff): E. A. Schegloff, «Whose Text? Whose Context?» *Discourse and Society*, vol. 8, no. 2 (1997), pp. 165 - 187.

(40) M. Wetherell, «Positioning and Interpretive Repertoires: Conversation Analysis and Post-Structuralism in Dialogue,» *Discourse and Society*, vol. 9, no. 3 (1998), pp. 387-412.

وفاركلوف[41] (Fairclough). يفترض هذا الاعتقاد وجود فئات وأُطر تحليلية تُلائم وصف النصوص (ودراسة الحوار) بمنأى عن أيّ مشاريع أو مشاكل بحثيّة معيّنة. ويرى المعترضون على هذا الموقف أنه يستبعد ما اعتبرتُه سيرورة عابرة للاختصاصات، حيث يمكن تفعيل منظورات وفئات من خارج التحليل النصي ودراسة الخطاب باعتبارها طُرقاً لتحليل النصوص تؤدّي إلى تحسين معرفتنا بالجوانب النصيّة في الحياة الاجتماعيّة، وبالسيرورات والعلاقات التي يركّز عليها أي مشروع بحثيّ معيّن. مثالٌ على ذلك ما ورد في المثال الأوّل ـ تجدونه في ملحق الكتاب ـ في الفصل الثامن، حيث أُناقش مسألة بحثيّة اجتماعيّة موضوعها كيفيّة انتماء الناس في الوقت نفسه إلى «أمكنة وأزمنة» مختلفة («المكان ـ الزمان» العالمي، و«المكان ـ الزمان» المحلّي)، وانتقالهم روتينيّاً من الواحد إلى الآخر. إنّ وصف كيفيّة تمثيل الزمان والمكان هو محاولة تهدف إلى عملٍ نصّي يتناول مسألة البحث الاجتماعي بطريقة لا يمكن إنتاجها عند وصف النص بوساطة نَحْو اللغة المرتبط بتمثيل الزمان والمكان.

يجب عدم اعتبار التحليل والوصف النصيّ سابقاً للتحليل والنقد الاجتماعيّين ومستقلاً عنهما، إنّه سيرورة مفتوحة يمكن تحسينها من خلال الحوار بين الاختصاصات والنظريّات، وليس تشفيراً يستخدم إطاراً تحليليّاً مستقلاً أو نحواً ما. ويمكن ربط ذلك بالتمييز بين «الحاصل» و«التجريبي» الذي ذكرته أعلاه. لا يمكننا الافتراض أنّ النص بتحقّقه الكامل يمكن أن يُجعَل شفافاً عبر تطبيق أفكار إطارٍ تحليليّ سابق لوجود النص، يمكن أن يكشف لنا عن كلّ ما في النص من «حاصل». إنّ ما يمكننا رؤيته من «حاصل» في النص

---

(41) Chouliaraki and Fairclough, *Discourse in Late Modernity*.

يرتبط بالمنظور الذي نستخدمه لِمعالجته، ويتضمّن المنظور القضايا الاجتماعيّة التي نركّز عليها والنظرية الاجتماعية ونظريّة الخطاب اللّتين نستند إليهما.

تنظيم الكتاب

يتضمّن الكتاب أربعة أقسام ومقدّمة وخلاصة تشكّل ما مجموعه أحد عشر فصلاً:

يزوّدنا **القسم الأوّل** (الفصلان 2 و3) بإطار يقتصر على التحليل النصي «الداخلي»، ويُحدّد موقع التحليل النصي من حيث علاقته بدراسة الخطاب والتحليل الاجتماعي. وقد قمتُ بذلك إلى حدّ ما في فصل المقدّمة، وأفصّله في:

الفصل الثاني، حيث أحلّل النصوص باعتبارها جزءاً من الأحداث الاجتماعيّة المحسوسة ـ والأحداث تتفاعل مع بِنى اجتماعيّة ومُمارسات اجتماعيّة أكثر تجريداً منها، فتتبلور بها وتقوم بِبلورتها.

ويقترب **الفصل الثالث** أكثر من النص . يمكن القول إنّه يركّز على كيفيّة إدخال ما يقع «خارج» النص في النص. وتتعلّق هذه المسألة، إلى حدّ ما، بالتناص: كيف تستند النصوص إلى نصوص أخرى، وتستوعبها، وتضعها في سياق جديد وتتحاور معها، وتتعلّق أيضاً بـ «افتراضات» الناس وما يعتبرونه مسلّمات عندما يتكلّمون أو يكتبون. في خلفيّة ما يُقال في النص، يوجدُ دائماً «ما لم يُقال»، وما هو بيّنٌ راسخٌ دوماً في ما يُترك مستتراً. إنّ تحديد مُسلّمات هي إحدى الطُرق التي تُدخلنا في التناص، إذ تربط بين النص ومجموعة غير محدّدة من النصوص الأخرى: ما قيل أو كُتب في مكان آخر، أو على الأقل خطر ببال أحدهم.

ومواضيع الأقسام الثلاثة الآتية هي على التوالي: الأصناف وضروب الخطاب والأساليب.

يتناول **القسم الثاني** الأصناف والنصوص كفِعال (action). والصنف هو طريقة لسانيّة في الفعل والتفاعل، فالمُقابلة والمُحاضرة والتقرير الإخباري، على سبيل المثال، كلّها أصناف. تبني الأصنافُ النصوصَ بطُرق محدّدة، فللتقارير الإخباريّة، على سبيل المثال، بناء عام يميّزها: العنوان + مقطع التوطئة (يلخّص القصّة) + مقاطع تابعة (تعطي التفاصيل). يهتمّ **الفصل الرابع** بهذه المسائل.

تستند العلاقات الدلاليّة والنّحويّة بين الجُمل والعبارات إلى طبيعة الصنف (**الفصل الخامس**)، كذلك الأمر بالنسبة إلى نمط «التبادل» (التزويد بمعلومات، طلب إنجاز فِعال)، والوظيفة الكلاميّة (أقوال خبرية، عروض، أقوال طلبيّة)، والصيغ اللّغويّة (grammatical mood) (تصريحيّ، استفهاميّ، أمريّ) ـ نتناولها في **الفصل السادس**.

ويتناول **القسم الثالث** ضروب الخطاب والنص كمُمثّليّة. الخطاب طريقة معيّنة في تمثيل جزء ما من العالم (المحسوس، الاجتماعيّ، النفسيّ). توجد عدّة ضروب خطاب حول الموضوع الواحد، وغالباً ما تكون على تنافس في ما بينها، مرتبطة بمجموعات مختلفة من الناس في مواقع اجتماعيّة مختلفة (**الفصل السابع**).

تختلف ضروب الخطاب في ما بينها في طريقة تمثيلها للأحداث الاجتماعيّة، في ما تستبعده وتتضمّنه، وفي درجة تمثيل الأحداث بطريقة مجرّدة أو محسوسة، وبتحديد أكبر، في كيفيّة تمثيل السّيرورات والعلاقات والفاعل الاجتماعيّ، وزمان ومكان الأحداث (**الفصل الثامن**).

ويتناول **القسم الرابع** الأساليب، والنص باعتباره يُحدّد الهويّة، أي النصوص في سيرورة إنشاء الهويّات الاجتماعيّة للمشاركين في الأحداث التي هم جزء منها (**الفصل التاسع**).

وأحد جوانب تحديد الهوية هو ما يلتزم به الناس، من حقائق وواجبات، في ما يقولون أو يكتبون، وتشكّل هذه الأمور «وجهة القول» أو صيغته (mood). وأحد الجوانب الأخرى هو التقييم، والقِيَم التي يلتزم بها الناس، هذا هو موضوع **الفصل العاشر**.

وللخلاصة هدف مزدوج: **أوّلاً** التوليف، أي جمع المسائل التحليليّة المختلفة التي نُقِشت في الكتاب وتطبيقها على مثال واحد، هو المثال السابع (الملحَق). **ثانياً**، وضع التحليل النصي الوارد في هذا الكتاب ضمن إطار أوسع هو منظور التحليل النقديّ للخطاب، وذلك بتقديم «بيان» مُقتضب أعتبر فيه هذا المنظور مصدراً يمكن أن يُسهم في البحث والتغيير الاجتماعيّين باتّجاه عدالة اجتماعيّة أكبر.

القسم الأوّل

التحليل الاجتماعيّ وتحليل الخطاب والتحليل النصيّ

2 ـ النصوص والأحداث الاجتماعيّة والمُمارسات الاجتماعيّة

مسائل التحليل النصي

أنماط المعنى الرئيسة: الفعال والتمثيل وتحديد الهوية

الأصناف وضروب الخطاب والأساليب

سلسلة الأصناف وسلسلة النصوص

خلط الأصناف

التبادل المنطقي «البيخطابي»

مسائل التحليل الاجتماعي

البنية وعمليّة الفعل

البنى الاجتماعيّة والمُمارسات الاجتماعيّة والأحداث الاجتماعيّة

منطق الخطاب

العولمة والرأسمالية الجديدة

الوساطة

تجديد السياق

الحاكمية

التهجين و«مابعد الحداثة»

تُعتبر النصوص في هذا الكتاب أجزاءً من الأحداث الاجتماعيّة. إنّ التكلّم والكتابة هما ـ ضمن الأحداث الاجتماعيّة ـ إحدى طُرق الفعل والتفاعل بين الناس، لكنّهما لا يشكّلان الطريقة الوحيدة. تملك بعض الأحداث الاجتماعيّة طابعاً نصيّاً قويّاً، بينما لا تملك أخرى ذلك. على سبيل المثال: الكلام جزء من لعبة كرة القدم (كأن نقول: يطلب لاعبُ الطابة)، لكنّ دوره فيها هامشيّ نسبيّاً، ومعظم الفعال غير لسانيّة. في المُقابل، معظم الفعال في المُحاضرة لِسانيّة، فهي تتضمّن: ما يقوله المُحاضِر، المكتوب على شاشة أو أوراق مُوزّعة، والملحوظات التي يسجّلها المستمعون إلى المحاضرة. لكن حتى المُحاضرة ليست كلّها لغة، إنّها أداء جسدي إلى جانب كَونها أداءً لسانيّاً، ومن المرجّح أن تتضمّن فِعالاً جسديّة، كأنْ يقوم المُحاضر بتشغيل مِسلاط الصُوَر على الشاشة.

ناقشتُ في الفصل الأوّل النتائج التي تفرضها العناصر النصيّة الداخلة في الأحداث الاجتماعيّة على الحياة الاجتماعيّة. لكن للأحداث والنصوص أسبابٌ أيضاً، أي توجد عوامل تجعل نصاً، أو نمطاً نصّياً معيّناً، يحمل السمات التي يحملها. ويمكننا عامةً التمييز بين «سُلطتَين» مسبّبتين تُبلوران النصوص: البِنى والممارسات الاجتماعيّة من ناحية، والفاعلون الاجتماعيون من ناحية أخرى، أي الناس المشتركون في الأحداث الاجتماعيّة[1]. وما ذكرته سابقاً من الحذر بخصوص السببية ينطبق هنا أيضاً: لا نتحدّث عن سببيّة آليّة بسيطة أو عن سببيّة تستلزم اطّراداً مُتوقّعاً.

(1) Margaret S. Archer, *Realist Social Theory: The Morphogenetic Approach* (Cambridge: Cambridge University Press, 1995), and Andrew Sayer, *Realism and Social Science* (London: Sage, 2000).

أركِّز في هذا الفصل على العلاقة بين النصوص والأحداث الاجتماعيّة، والمُمارسات الاجتماعيّة، والبنى الاجتماعيّة، لكن أقوم أوّلاً بالتعليق على عمليّة فعل المُشاركين في الأحداث، وسنعود لاحقاً إلى هذا الموضوع، خاصة في الفصل الأخير.

يوجد عدد من مواضيع البحث الاجتماعيّ التي يمكن طرحها في هذا الفصل، سأتحدّث على وجه الخصوص عن التدبير السياسي في الرأسمالية الجديدة[2]، «مُنظّراً» بذلك الخطاب ضمن فلسفة علوم «نقديّة واقعيّة»[3]، وضمن نظريّات العَولمة[4]، ووسائل الاتّصال/ التوسُّط[5]، وسأتحدّث عن الحُكم والحاكمية في الرأسمالية الجديدة[6]، وعن مفهوم «تجديد السياق» الذي توسّع فيه برنشتاين (Bernstein) في نظريّته عن علم الاجتماع التربوي[7]، وعمليّة التهجين، أو مَحْو الحدود التي يربطها بعض المنظّرين بمابعد

(2) Bob Jessop, «The Crisis of the National Spatio-Temporal Fix and the Ecological Dominance of Globalizing,» *International Journal of Urban and Regional Research*, vol. 24, no. 2 (2000), pp. 323 - 360.

(3) Norman Fairclough, Bob Jessop and A. Sayer, «Critical Realism and Semiosis,» *Journal of Critical Realism*, vol. 5, no. 1 (2002), pp. 2-10.

(4) Anthony Giddens, *Modernity and Self-Identity: Self and Society in the Late Modern Age* (Cambridge: [Polity Press], 1991), and David Harvey, *The Condition of Postmodernity: An Enquiry into the Origins of Cultural Change* (Oxford: Blackwell, 1990).

(5) Roger Silverstone, *Why Study the Media?* (London: Sage, 1999).

(6) F. Bjerke, Discursive Governance Structures, Working Paper, Institute of Social Sciences and Business, Economics, Roskilde University, Denmark, and Bob Jessop, «The Rise of Governance and the Risks of Failure: The Case of Economic Development,» *International Social Science*, vol. 155 (1998), pp. 29-45.

(7) Basil Bernstein, *The Structuring of Pedagogic Discourse* (London: Routledge, 1990).

الحداثة[8]. كذلك أُناقش مفهومَي «الصنف» و«الخطاب»، فكِلاهما حَظِيَ باهتمام كبير في النظرية والبحث الاجتماعيَّين (مثال ذلك: الاهتمام بـ «الصنف» في مَبْحث وسائل الاتّصال، وبـ «الخطاب» في أعمال فوكو (Foucault) على وجه الخصوص).

النصّ والفاعلون الاجتماعيون

ليس الفاعلون الاجتماعيون فاعلين «أحراراً»، إذ تحدّ من حريّتهم قيودٌ اجتماعيّة. لكن ليست فِعالهم محدّدة اجتماعيّاً بشكل تام. يملك الفاعلون «قواهم السببية» الخاصة التي لا يمكن اختزالها بالقوى السببية التي تملكها البِنى والمُمارسات. راجع بخصوص هذه الرؤية للعلاقة بين البنية وعمليّة الفِعل كتابات آرتشر[9]. يقوم الفاعلون الاجتماعيّون بنَسج النص، فيُنشئون العلاقات بين عناصر النصوص. لكن القيود البنيويّة تحدّ من هذه السيرورة، فعلى سبيل المثال، يسمح نَحْوُ اللغة بوجود ضروب مَزج معيّنة وضروب ترتيب لأشكال النحو دون غيرها (على سبيل المثال، «لكن كتاب هذا» ليست جملة عربيّة). وفي حال كان الحدث الاجتماعيّ مُقابلة، توجد اصطلاحات صِنفيّة تتناول كيفيّة تنظيم التحادث. لكن على الرغم من ذلك يبقى للفاعلين الاجتماعيين حرية كبيرة في نَسج النصوص.

لنَنظر في المقطع الآتي المُختار من المثال الأول (راجع

---

(8) مثال ذلك: David Harvey, *The Condition of Postmodernity: An Enquiry into the Origins of Cultural Change* (Oxford: Blackwell, 1990), and Fredric Jameson, *Postmodernism, or, The Cultural Logic of Late Capitalism* (Durham: Duke University Press, 1991).

(9) Margaret S. Archer: *Realist Social Theory: The Morphogenetic Approach* (Cambridge: Cambridge University Press, 1995), and *Being Human: The Problem of Agency* (Cambridge: Cambridge University Press, 2000).

المُلحق)، حيث يتحدّث مدير أعمال عن ثقافة الناس في المدينة التي وُلد فيها، ليفربول:

«إنهم يشكّكون في أيّ تغيير، ويشكّكون في كلّ من يُحاول مُساعدتهم. يسعون فوراً إلى الغشّ. لقد نشأوا أيضاً على الاعتقاد أنّه في الواقع من النبيه «ترك الآخر يُسيطر عليك»، فهم غارقون في ذلك. وتُلغي الخطوط الفاصلة التي سُمِحَ للنقابات بفرضها في هذه المجالات، بسبب ذلك، اللّيونةَ إلى درجة مُدمّرة. أعرف ذلك، أستطيع أن أراه».

«وكيف تربط بين ذلك وما يحدث هنا؟»

«أقصد، كنت أريد أن أقول كيف تغيّر هذا النوع من الثقافة السلبية؟»

لاحِظ على وجه الخصوص العلاقة الدلاليّة التي تقوم بين «الثقافة السلبية» و«الخوف من التغيير» و«السعي إلى الغشّ» و«ترك الآخر يسيطر عليك» و«الخطوط الفاصلة» و«إلغاء «اللّيونة» إلى «درجة مدمّرة». نرى في ذلك نسج علاقة دلاليّة من نوع التبعية، أي علاقة بين الكلّ («الثقافة السلبية») وأجزائه. وهذه علاقة لا تحدّدها القواميس. مدير الأعمال هو الذي ينسجها. يمكننا نسبة صناعة المعنى هنا إلى مدير الأعمال باعتباره فاعلاً اجتماعيّاً. لاحِظ ما تستلزمه صناعة المعنى هنا: وضع تعابير موجودة في معادلات جديدة باعتبارها تحقيقات مُصاحبة «الثقافة السلبية». ليس للمعنى المصنوع وجود مُسبق في الكلمات والتعابير، إنّه ناتج من العلاقات التي تُقام بينها[10].

Maurice Merleau-Ponty, *Signs* (Evaston, Ill.: Northwestern University Press, 1964). (10)

الأحداث الاجتماعيّة والمُمارسات الاجتماعيّة والبِنى الاجتماعية

نعود لاحقاً إلى الحديث عن عمليّة الفعل. أريد الآن أن أُركِّز لبرهة على العلاقة بين الأحداث الاجتماعيّة والمُمارسات الاجتماعيّة والبِنى الاجتماعيّة. تعكس هذه المعالجة دراسات قمتُ بها بالتعاون مع منظّرين في علم الاجتماع تناولَت الخطاب في إطار فلسفة علوم «نقديّة واقعيّة»(11).

إنّ البِنى الاجتماعيّة كِيانات مجرّدة جدًا. يمكن تصوّر بنية اجتماعيّة ما كونها تحدّد احتمالات، أي مجموعة من الإمكانات (مثال ذلك: بنية اقتصاديّة أو طبقة اجتماعيّة أو لغة). لكنّ العلاقة بين الممكن بنيوياً وما يحدث فعلاً بين البِنى والأحداث، هي علاقة شديدة التعقيد. لا تنتج الأحداث بطريقة بسيطة ومباشرة من البِنى الاجتماعيّة المجرّدة، فالعلاقة بين الطرفين تتمّ بوساطة: توجد كيانات وسيطة تنظّم العلاقة بين البِنى والأحداث. لنُسَمِّ هذه الكيانات «المُمارسات الاجتماعيّة»، ومن الأمثلة عليها مُمارسات التعليم، وممارسات الإدارة في المؤسّسات التربويّة. ويمكن اعتبار الممارسات الاجتماعيّة طرق سيطرة على انتقاء بعض الاحتمالات البنيويّة دون أخرى، ثمّ الاحتفاظ بما يُنتقى واستمراره في نُطُق معيّنة من الحياة الاجتماعيّة. ويتمّ ربط الممارسات الاجتماعيّة ببعضها بطرق معيّنة مُتغيّرة. على سبيل المثال، لقد وقع حديثاً تغيير في الطريقة التي ترتبط بها ممارسات التعليم والبحث بممارسات الإدارة في التعليم العالي، تمّت «هيمنة الإدارة التسويقيّة» (أو بتعبير أعمّ «سيطرة التسويق»)(12) على التعليم العالي.

---

(11) Fairclough, Jessop and Sayer, «Critical Realism and Semiosis».

(12) Norman Fairclough, «Critical Discourse Analysis and the Marketisation of Public Discourse: The Universities,» *Discourse and Society*, vol. 4, no. 2 (1993), pp. 133 - 168.

إنّ اللغة (وبشكل أوسع «السيميائية» (semiotics)، بما في ذلك - على سبيل المثال - التعبير والتواصل عبر الصور المرئيّة) عنصرٌ مكوّن في الاجتماعي على جميع المستويات. نعبّر عن ذلك بالجدول الآتي:

البنى الاجتماعيّة: اللّغات
الممارسات الاجتماعيّة: نُطُق الخطاب
الأحداث الاجتماعيّة: النصوص

يمكن اعتبار اللّغات جزءاً من البني الاجتماعيّة المجرّدة التي ذكرتها. تحدّد اللغة مُمكناً ما، أو بعض الاحتمالات، وتستبعد أخرى: يمكن المزج بين العناصر اللّسانيّة وفق طُرق معيّنة، دون طُرق أخرى (مثال ذلك: يمكن إضافة لام التعريف في أوّل كلمة كتاب - الكتاب -، لكن لا يمكن إضافتها في آخرها). لكنّ النصوص باعتبارها مُكوّنة في الأحداث الاجتماعيّة لا تنتج فقط من الإمكانات التي تحدّدها اللّغات. نحتاج أن نتعرّف إلى كِيانات مُنظّمة متوسّطة ذات طبيعة لسانيّة، هي العناصر اللّسانيّة الداخلة في شبكات ممارسات اجتماعيّة. أُطلقُ على هذه الكيانات تسمية **نُطُق خطابيّة**[13] (orders of discourse). والنطاق الخطابي شبكة من المُمارسات الاجتماعيّة في جانبها اللّغوي. ليست عناصر النطق الخطابيّة أشياء من مثل الأسماء والجُمَل (هذه جزء من البنى اللّسانيّة)، إنّما هي ضروب خطاب وأصناف وأساليب (سأميّز بينها قريباً). تنتقي هذه العناصر بعض الاحتمالات التي تحدّدها اللّغات وتستبعد أخرى، تسيطر على

---

(13) انظر: Lilie Chouliaraki and Norman Fairclough, *Discourse in Late Modernity* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1999).

التغيير اللّساني في مجالات معيّنة من الحياة الاجتماعية، لذلك يمكن اعتبار النطق الخطابيّة هي التي تنظّم التغيير اللّساني وتتحكّم به.

لابدّ من إضافة أمر آخر: عندما ننتقل من البني المجرّدة إلى الأحداث المحسوسة، تزداد صعوبة فصل اللغة عن العناصر الاجتماعيّة الأخرى. وبتعبير نستعيره من ألتوسير (Althusser) تُسهم العناصر الاجتماعيّة الأخرى في تحديد اللغة بشكل مُتزايد[14]؛ فحتّى على مستوى البنى المجرّدة، يمكننا أن نتحدّث إلى حدّ ما عن اللغة. أقول «إلى حدّ ما»، لأنّ النظريّات «الوظيفية» للّغة ترى أنّ الجانب الاجتماعي يُبلور النحْوَ في كلّ لغة[15]. والنُطق الاجتماعيّة مستوى متوسّط، توضح طريقتي في تحديدها أننا، على المستوى التي تنتمي إليه، نتعامل مع تحديد أكبر للّغة مصدره العناصر الاجتماعيّة الأخرى، فالنطق الخطابيّة تنظّم التبدّل اللغوي اجتماعياً وتوجّهه، لذلك ليست عناصرها (ضروب الخطاب والأصناف والأساليب) فئات لسانيّة خالصة، إنّما هي أصناف ترتبط باللّغوي وغير اللّغوي، الخطابي وغير الخطابي. وعندما نصل إلى النصوص باعتبارها عناصر في الأحداث الاجتماعيّة، يصل تحديد العناصر الاجتماعيّة للّغة إلى أعلى مستوى: لا تنتج النصوص فقط من البنى اللّسانيّة والنطق الخطابيّة، إنّها تنتج أيضاً من البنى الاجتماعيّة الأخرى، ومن الممارسات الاجتماعيّة في جميع جوانبها. لذلك يصعب الفصل بين العوامل التي تُبلور النصوص.

---

(14) Louis Althusser and E. Balibar, *Reading Capital* (London: New Left Books, 1970).

(15) M. Halliday, «The Sociosemantic Nature of Discourse,» in: Jürgen Habermas, *Language as Social Semiotic: The Social Interpretation of Language and Meaning* (London: Edward Arnold, 1978).

الممارسات الاجتماعيّة

يمكن اعتبار الممارسات الاجتماعيّة تعبيراً لفظيّاً لأنماط مختلفة من عناصر اجتماعيّة ترتبط بمجالات معيّنة من الحياة الاجتماعيّة، مثال ذلك تعليم الصفوف في بريطانيا المُعاصرة باعتباره ممارسة اجتماعيّة. والأمر المهمّ المرتبط بالممارسات الاجتماعيّة، من منظور هذا الكتاب، هو أنّها تعبير لفظي عن الخطاب (وبالتالي لغة) مع عناصر اجتماعيّة غير خطابيّة. يمكننا اعتبار أيّ ممارسة اجتماعيّة تعبيراً لفظيّاً للعناصر الآتية:

الفعال والتفاعل العلاقات الاجتماعيّة الأشخاص (بمعتقداتهم، ومواقفهم، وتواريخهم. . . إلخ) العالم المحسوس الخطاب

فعلى سبيل المثال يقوم تعليم الصفوف (من ناحية المدرّسين وناحية الطلّاب) بمَفصلة طُرق معيّنة في استخدام اللغة مع العلاقات الاجتماعيّة التي تتعلّق بالصفوف، وبانبناء الصف كمساحة محسوسة واستخدامه على أنّه كذلك، وما إلى ذلك. والعلاقة بين هذه العناصر المختلفة من الممارسات الاجتماعيّة منطقيّة جَدَليّة (ديالكتيكية)، كما يقول **هارفي**[16]، والمقصود بذلك التعبير عن واقعة تبدو متناقضة، وهي أنّ العنصر الخطابيّ الداخل في ممارسة اجتماعيّة ليس هو

---

(16) Norman Fairclough, «The Dialectics of Discourse,» *Textus*, vol. 14 (2001), pp. 231 - 242, and David Harvey, «Globalization in Question,» *Rethinking Marxism*, [vol. 8] (1996).

نفسه، على سبيل المثال، العلاقات الاجتماعيّة التي ترتبط به، إنّما هما يحتويان، أو يتضمّنان، بمعنى من المعاني، بعضهما: العلاقات الاجتماعيّة، في طبيعتها، خطابيّة جزئيّاً، والخطاب جزئيّاً علاقاتٌ اجتماعيّة. تقوم شبكات الممارسات الاجتماعيّة ببَلورة الأحداث الاجتماعيّة: تحدّد الممارسات الاجتماعيّة طُرقاً معيّنة للفِعل. قد تخرج الأحداث الفعليّة عن تلك الطرق والتوقّعات (لأنّها ترتبط بعدّة ممارسات اجتماعيّة مختلفة، وبسبب وجود الفاعلين الاجتماعيّين وتأثيرهم)، لكن تستمرّ الممارسات الاجتماعيّة ببَلورتها ولو جزئيّاً.

الخطاب من حيث هو عنصر في الممارسات الاجتماعيّة:

الأصناف وضروب الخطاب والأساليب

يمكن القول إنّ الخطاب يظهر بثلاثة أشكال في الممارسة الاجتماعيّة:

كَأصناف (طُرق فِعل)
كضروب خِطاب (طُرق تمثيل)
كَأساليب (طُرق كَينونة)

إحدى طرق الفعل هي التكلّم أو الكتابة، لذلك يظهر الخطاب **أوّلاً** «كجزء من الفعال». يمكن التمييز بين الأصناف المختلفة على أساس أنّها طُرق مختلفة في الفعل والتفاعل الخطابي: المُقابلة مثلاً هي صنف. **ثانياً**، يظهر الخطاب في الممثليات التي هي دائماً جزء من الممارسات الاجتماعيّة: ممثليات للعالم المحسوس، للممارسات الاجتماعية الأخرى، ممثليات تعكس تمثيل الممارسة لنفسها. من الواضح أنّ التمثيل مسألة خِطابيّة، ويمكن التمييز بين عدة ضروب خطاب تمثّل المجال نفسه من العالم من منظورات أو مواقع مختلفة.

لاحظ أنّ مصطلح «خطاب» مُستخدَم هنا بمعنيين: تجريدي، كاسم مجرّد، حيث يعني اللغة وأنماط أخرى من السيرورات السميائيّة باعتبارها عناصر في الحياة الاجتماعيّة، وبشكل محسوس أكثر، في استخدامها كمضاف إليه بعد «ضروب»، حيث تعني طرقاً معيّنة في تمثيل جزء من العالم. وكمثال على هذا المعنى الأخير نذكر الخطاب السياسي الجديد لحزب العمال، في مقابل الخطاب القديم للحزب نفسه، أو في مقابل الخطاب السياسي التاتشري (نسبة إلى تاتشر[17] Thatcher). **ثالثاً** وأخيراً، يظهر الخطاب بصحبة السلوك الجسدي لتشكيل طرق معيّنة في الكينونة، هويّات اجتماعيّة أو شخصيّة معيّنة. أطلقُ على الجانب الخطابي من ذلك تسمية «الأسلوب». مثال على ذلك أسلوب نمط معيّن من مديري الأعمال: طريقته ـ أو طريقتها ـ في استخدام اللغة كمصدر للتعريف بالذات.

ويُستخدَم مفهومَا «الخطاب» (discourse) و«الصنف» (genre)، على وجه الخصوص، في اختصاصات ونظريّات متنوّعة. والمسؤول الأكبر عن شعبيّة مصطلح «الخطاب» في البحث الاجتماعي هو فوكو[18]. ويُستخدمُ مصطلح «صنف» في الدراسات الثقافيّة ودراسات وسائل الاتّصال والنظريّة السينمائيّة، وما إلى ذلك[19]. فهذان المفهومان منتشران في الاختصاصات والنظريّات، ويمكن أن يعملا كـ «جسور» بينها جميعاً، فيتركّز فيهما حوار بين الاختصاصات يسمح

(17) Norman Fairclough, *New Labour, New Language?* (New York: Routledge, 2000).

(18) Michel Foucault, *The Archaeology of Knowledge*, Translated from the French by A. M. Sheridan Smith (New York: Pantheon, 1972).

(19) انظر، على سبيل المثال: John Fiske, *Television Culture* (London: Routledge, 1987), and Roger Silverstone, *Why Study the Media?* (London: Sage 1999).

بتطوير أحدها على أساس المنظورات التي نضجت في اختصاص آخر.

النص باعتباره فعلاً ومُمَثِّلة وتحديداً للهوية

شدّدت المعالجات «الوظيفية» للّغة على «تعدّد وظائف» النصوص. على سبيل المثال، تعتبر الألسنية الوظيفية المنظومية أنّ النصوص تملك في الحين نفسه وظائف «فكريّة» (ideational) و«تبادليّة» (interpersonal) و«نصيّة» (textual). ويعني ذلك أنّ النصوص، في الوقت نفسه، تمثّل جوانب من العالم (العالم المحسوس والعالم الاجتماعي والعالم العقلي)، وتُجسّم العلاقات الاجتماعيّة بين المشاركين في الأحداث الاجتماعيّة ومواقفهم ورغباتهم وقيمهم، كما أنّها تقيم ترابطاً وتماسُكاً بين أجزاء نصيّة، وتصل بين النص والمقام الذي يشكّل سياقه[20]. وبالأحرى القول إنّ الناس يقومون بهذه الأشياء ضمن سيرورة صناعة المعنى في الأحداث الاجتماعيّة، ويشمل ذلك نسج النص، صِناعته.

وأعتبرُ، على نحو مُشابه، لكن بطريقة مختلفة، أنّ النصّ متعدّد الوظائف، وذلك بالتناغم مع التمييز بين الأصناف وضروب الخطاب والأساليب، باعتبارها الطرق الثلاث الأساسيّة التي يظهر من خلالها الخطاب كجزء من الممارسة الاجتماعيّة: طرق الفعل وطرق التمثيل وطرق الكينونة. وبعبارة أخرى باعتبارها العلاقة بين النص من ناحية، والحدث ـ العالم المحسوس والاجتماعي الأوسع ـ والأشخاص المشاركين فيه من ناحية أخرى. لكنّني أفضّل أن أتحدّث عن ثلاثة أنماط رئيسيّة من المعنى، وليس عن وظائف:

(20) Halliday: «The Sociosemantic Nature of Discourse,» and *An Introduction to Functional Grammar*, 2nd Ed. (London: E. Arnold, 1994).

أنماط المعنى النصّي الرئيسية

الفعال

التمثيل

تحديد الهوية

يتطابق التمثيل مع الوظيفة «الفكرية» عند هاليداي (Halliday)، كما أن الفعال هي أقرب ما تكون إلى ما يدعوه هاليداي الوظيفة «التبادليّة»، علماً أنها تشدّد على النص كطريقة للفعل في الأحداث الاجتماعية والتفاعل معها، ويمكن اعتبارها تتضمّن (تُجسِّم) العلاقة الاجتماعيّة. لا يميّز هاليداي وظيفة منفصلة تتناول تحديد الهوية، معظم ما أضعه ضمن «تحديد الهوية» يضعه هو في الوظيفة «التبادليّة». ولا أميّز وظيفة «نصيّة» منفصلة، إنّما أُدخِلها ضمن الفعال كنمط.

ويمكن رؤية الفعال والتمثيل وتحديد الهوية في الحين نفسه في نصوص بأكملها، وفي أجزاء نصوص. لننظر في الجملة الأولى من المثال الأوّل: «إنّ ثقافة مؤسّسة الأعمال الناجحة مختلفة عن ثقافة مؤسّسة الأعمال الفاشلة». الممثّل هنا هو العلاقة بين كيانَين: «أ مختلف عن ب». والجملة فعل أيضاً (نمط فعل)، ممّا يستلزم علاقة اجتماعيّة: مدير الأعمال يقدّم معلومات، يقول شيئاً، للّذي يُجري المقابلة، ممّا يستلزم، بمعنى عام، علاقةً اجتماعيّة بين من يعرف ومن لا يعرف. ما العلاقات الاجتماعيّة المرتبطة بمثل المقابلة في النصّ الأوّل (راجع المُلحق) سوى ضرب خاص من المعنى العام المذكور: علاقات بين من يملك المعرفة والآراء ومن يستوضحها. إنّ الإبلاغ وإسداء الرأي والوعد والتحذير... وما إلى ذلك، طُرُق فعل. وتعكس الجملة أيضاً التفهّم والالتزام بموقف والحُكم: عندما يقول مدير الأعمال «يختلف» بدل أن يقول «ربّما يختلف» أو «قد

يكون مختلفاً»، فهو يلتزم بشدّة بموقف معيّن. إنّ تركيز التحليل النصي على التفاعل بين الفعال والتمثيل وتحديد الهوية يُدخل منظوراً اجتماعياً إلى قلب النص وتفاصيله الدقيقة.

هناك، كما قُلت، ترابط بين الفعال والأصناف، بين التمثيل وضروب الخطاب، وبين تحديد الهوية والأساليب. إنّ الأصناف وضروب الخطاب والأساليب هي طرق ثابتة ودائمة نسبياً في الفِعل والتمثيل وتحديد الهوية، على التوالي، وتُعتبر عناصر في نُطُق خطابيّة على مستوى الممارسات الاجتماعيّة. عندما نحلّل نصوصاً معيّنة كجزء من أحداث معيّنة، نقوم بشيئين مترابطين: (أ) نعالجها من منطلق جوانب المعنى الثلاثة (الفعال والتمثيل وتحديد الهوية) وكيفية تحققها في سمات النص المختلفة (المفردات، والنحْو، وما إلى ذلك)، (ب) نقيم رابطاً بين الحدث الاجتماعي المحسوس والممارسات الاجتماعيّة الأكثر تجريداً بالتساؤل حول كيفيّة استناد النصوص المدروسة إلى الأصناف وضروب الخطاب والأساليب، وكيفيّة تَمفصُل هذه العناصر الثلاثة الأخيرة مع بعضها بعضاً في النص.

العلاقات المنطقيّة الجدليّة

كتبتُ حتّى الآن عن جوانب المعنى الثلاثة (وعن الأصناف وضروب الخطاب والأساليب) وكأنّها منفصلة بعضها عن بعض، لكنّ العلاقة بينها دقيقة ومعقّدة أكثر ممّا يبدو، إنّها علاقة منطقيّة جدليّة. يميّز فوكو[21] بين ثلاثة عناصر تشبه كثيراً جوانب المعنى الثلاثة التي أقترحها، ويوحي تحليله بالطابع المنطقيّ الجَدَليّ للعلاقة بينها (علماً أنّه لا يستخدم مقولة «منطقيّ جَدَليّ» (dialectics)):

(21) M. Foucault, «What is Enlightenment,» in: P. Rabinow, ed., *Michel Foucault: Essential Works* (Harmondsworth: Penguin, 1994), vol. 1: *Ethics*, p. 318.

تنبع منظومات الممارسة هذه من ثلاثة مجالات واسعة: علاقات السيطرة على الأشياء، علاقات الفعل باتجاه الآخرين، العلاقات مع الذات. ولا يعني ذلك أنّ كلاً من هذه المجالات غريب عن الآخر. من المعروف أنّ السيطرة على الأشياء تمرّ عبر العلاقات مع الآخرين، وأنّ العلاقات مع الآخرين تستلزم دائماً علاقاتٍ مع الذات، والعكس صحيح. لكن لدينا ثلاثة مَحاور لابدّ من تحليل خصوصيّتها وارتباطها ببعضها: **محور** المعرفة و**محور** السلطة و**محور** الأخلاق. . . كيف نتشكّل كمواضيع لمعرفتنا؟ كيف نتشكّل كذوات تمارس علاقات السلطة أو تخضع لها؟ كيف نتشكّل كذوات أخلاقيّة تنبع من فعالنا؟

توجد هنا عدّة نقاط: **أوّلاً**، تشير مختلف الصّيَغ عند فوكو إلى تعقيدات داخل كلّ جانب من جوانب المعنى الثلاثة المذكورة (وهي تتفق مع الـ«محاور» الثلاثة عند فوكو): يتناول التمثيل المعرفة، لكن أيضاً «السيطرة على الأشياء»، تتناول الفعال عامةً العلاقات مع الآخرين، لكن أيضاً «الفعل باتّجاه الآخرين»، والسلطة، ويتناول تحديد الهوية العلاقات مع الذات، والأخلاق، و«الذات الأخلاقيّة». تشير هذه الصيَغ المختلفة إلى إمكانيّة إغناء فهمنا للنصوص بربط كلّ من جوانب المعنى الثلاثة بعدد من الفئات في النظريّات الاجتماعيّة. وأحد الاحتمالات الأخرى هو اعتبار تحديد الهوية يحمل على الأخذ بعين الاعتبار، في تحليل النصوص، ما يُطلِق عليه بورديو[22] «المحيط المألوف» (habitus) للأشخاص المشاركين في الحدث، أي استعداداتهم المجسّمة لرؤية الأمور والتصرّف بطرق معيّنة استناداً إلى انخراطهم في المجتمع وتجربتهم. وتتضمّن هذه الاستعدادات التكلّم والكتابة بطرق معيّنة.

(22) Pierre Bourdieu and and Loic Wacquant, *An Invitation to Reflexive Sociology* (Chicago: University of Chicago Press, 1992).

ثانياً، على الرغم من أنّه يجب التمييز بين جوانب المعنى الثلاثة لأغراض تحليليّة، وهي بهذا المعنى تختلف عن بعضها، فهي ليست مُتمايزة، وليست منفصلة تماماً عن بعضها. أقول بتعبير يختلف عن تعبير فوكو: إنّها مرتبطة في ما بينها بمنطق جدليّ، أي إنّ كلّ واحد منها، بمعنى من المعاني، يحمل فيه الآخرَين[23]. هذا ما توحي به الأسئلة الثلاثة في نهاية المُقتبَس من فوكو: يمكن رؤية كلّ الجوانب من منطلق علاقة تتناول الأشخاص في الحدث («الذوات» - علاقتهم بالمعرفة، وعلاقتهم بعضهم ببعض (علاقات سلطويّة)، وعلاقتهم بأنفسهم (كـ «ذوات أخلاقيّة»). ويمكن أن نقول أيضاً، على سبيل المثال، إنّه يمكن تجسيم الممثليات المعيّنة (ضروب الخطاب) بطرق فِعل وربط (أصناف) معيّنة، وترسيخها بطرق معيّنة في تحديد الهوية (الأساليب). نعبّر عن ذلك بالجدول الآتي:

المنطق الجدليّ للخطاب
ضروب الخطاب (المعاني كَممثليات) مجسّمة في أصناف (المعاني كفعال)
ضروب الخطاب (المعاني كممثليات) وقد تمّ ترسيخها في أساليب (المعاني كمحدّدة للهوية) الفعال والهويات (بما في ذلك الأصناف والأساليب) ممثّلة في ضروب الخطاب (المعاني كَممثليات)

على سبيل المثال، يمكن اعتبار النصّ 14، المُقتبَس من جلسة تقييم، يتضمّن خطاب تقييم (أي طريقة معيّنة في تمثيل جانب من نشاطات الهيئة الجامعيّة)، لكنّه يحدّد أيضاً كيفيّة تجسيم الخطاب في إجراء التقييم الذي يتكوّن من أصناف، كالمُقابلة التقييميّة، ويُوحي

(23) David Harvey, *Justice, Nature, and the Geography of Difference* (Oxford: Blackwell, 1996).

للناس بطرق معيّنة لتحديد هويّتهم في أطار أساليب مرتبطة بالتقييم. لذلك يجوز القول إنّه يمكن استيعاب الأصناف والأساليب بطريقة منطقيّة جدليّة لخطاب التقييم[24]. أو لنقُل، بطريقة أخرى، إنّ هذه الأصناف والأساليب تفترض ممثليات تستند إلى ضروب خطاب معيّنة. هذه مسائل معقّدة، لكن الموضوع الأساسي هو أنّ التمييز بين جوانب المعنى الثلاثة، وبين الأصناف، وضروب الخطاب، والأساليب، تمييزٌ تحليليٌّ بالضرورة، لا يستبعد تداخلها بطرق مختلفة.

الوساطة

إنّ العلاقة بين النصوص والأحداث الاجتماعيّة غالباً ما تكون أكثر تعقيداً ممّا أشرت إليه. تستخدم الكثير من النصوص «وسائل الإعلام» كوسيط. ووسائل الإعلام مؤسسات «تستخدم تِقانات النسخ لنشر التواصل»[25]، وتتضمّن وسائل تواصل، من مثل الطباعة والهاتف والراديو والتلفاز والإنترنت. يكون التواصل أحياناً بين فرد وآخر في الزمن نفسه، لكن في أماكن مختلفة، كما يحصل عند استخدام الهاتف. هذا هو الوضع الأقرب إلى الحوار العادي. توجد أنواع تواصل أخرى تختلف كثيراً عن الحوار العادي، على سبيل المثال: الكتاب المطبوع، يكتبه مؤلّف أو مجموعة صغيرة من المؤلّفين، لكن يقرأه عدد لا حدّ له من الأشخاص المتواجدين في أزمنة وأماكن مختلفة. في هذه الحالة يربط النصّ بين أحداث اجتماعيّة مختلفة: تأليف الكتاب من ناحية، والأحداث الاجتماعيّة الكثيرة والمختلفة التي تتمّ خلالها قراءة الكتاب (أو تقليب صفحاته،

(24) Fairclough, «The Dialectics of Discourse».

(25) Niklas Luhmann, *The Reality of the Mass Media* (Cambridge: Polity Press, 2000).

أو الإشارة إليه. . . إلخ): رحلة في القطار، تدريس صفّ في مدرسة، زيارة مكتبة، وما إلى ذلك.

تتضمّن **الوساطة**، بحسب سيلفرستون[26] (Silverstone) «انتقال المعنى» من ممارسة اجتماعيّة إلى أخرى، من حدث إلى آخر، من نصّ إلى آخر. ويعني ذلك أنّ الوساطة لا تطال فقط نصوصاً مفردة أو أنماط نصوص، إنّها في معظم الحالات سيرورة معقّدة يدخل فيها ما أُطلقَ عليه «سلسلة»، أو «شبكة»، نصوص. لنأخذ كمثال مقالة في صحيفة: يعتمد الصحافيّون في كتابة مقالاتهم على مصادر متنوّعة (وثائق مكتوبة، خُطَب، مقابلات. . . وما إلى ذلك). ويقرأ المقالات أُولئك الذين يشترون الصحيفة، وقد يتفاعلون معها بصياغة نصوص متنوّعة (حوارات بشأن الأخبار، وإذا كانت القصّة الإخباريّة مهمّة، قد ينتج من التفاعل معها نشرُ قِصص إخباريّة أخرى في صحف أخرى أو على التلفاز. . . وما إلى ذلك). وفي هذه الحالة تتضمّن سلسلة النصوص، أو شبكتها، عدداً كبيراً من الأنماط النصيّة المختلفة. وتوجد، إلى حدّ بعيد، علاقة منتظمة ومنهجيّة بين بعضها. على سبيل المثال، يُنتج الصحافيّون مقالات، تستند إلى مصادر، بطريقة مُنتظمة ومتوقَّعة إلى حدّ بعيد، فيحوّلون مواد المصدر وفق اصطلاحات راسخة جيداً (كتحويل المُقابلة إلى تقرير).

تتضمّن المجتمعات المُعاصرة المعقّدة قيام شبكة تربطُ بين ممارسات اجتماعية مختلفة موزّعة في مجالات وحقول مختلفة من الحياة الاجتماعية (مثال ذلك: الاقتصاد، التربية، الحياة الاجتماعية) وعلى مستويات مختلفة من تلك الحياة (العالمي، المناطقي، الوطني، المحلّي). والنصوص جزء أساسي من العلاقات في تلك

(26) Silverstone, *Why Study the Media?*.

الشبكة: تحدّد النظُق الخطابية، المرتبطة بشبكات من العلاقات الاجتماعية، تسلسلاً وشبكة علاقات بين أنماط نصوص. يمكن اعتبار التغيّرات التي أحدثتها الرأسمالية الجديدة تغيّرات في شبكة الممارسات الاجتماعية تتضمّن تغيّرات في النطق الخطابيّة وتغيّرات في تسلسل النصوص وربطها في ما بينها بشبكة، وفي «سلسلات أصناف» (راجع أدناه). على سبيل المثال، تتضمن سيرورة «العولمة» تحسين قدرة بعض الناس على التأثير في فعال آخرين، وبلورتها، من مسافات مكانيّة وزمانيّة بعيدة[27]. إنّ ذلك يعتمد جزئيّاً على سيرورات وساطة نصّية للأحداث الاجتماعيّة أكثر تعقيداً، وعلى تسلسل أنماط نصوص مختلفة وشبكة علاقات بين تلك الأنماط (أسهم في تسهيلها تقانات جديدة، وبخاصة الإنترنت). والقدرة على التأثير في سيرورات الوساطة، أو السيطرة عليها، جانب مهمّ من السلطة في المجتمعات المعاصرة.

لـ «سلسلات الأصناف» أهميّة مميّزة. إنّها تتألّف من أصناف مختلفة يتمّ الربط بينها بشكل منتظم، وتتضمّن الانتقال المُنتظم من صنف إلى صنف. تسهم سلسلات الأصناف في إمكانيّة القيام بفعال تتخطى الفروق المكانيّة والزمانيّة، رابطة بذلك بين أحداث اجتماعيّة تنتمي إلى ممارسات اجتماعيّة مختلفة، وبلدان وأزمنة مختلفة، ومسهّلةً عمل القدرة المتطوّرة لـ «الفعل عن بعد»، هذه القدرة التي اعتُبرت إحدى السمات المُحدّدة لـ «العَولمة» المعاصرة، وبالتالي من العوامل التي تسهّل ممارسة السلطة.

---

(27) Anthony Giddens, *Modernity and Self-Identity: Self and Society in the Late Modern Age* (Cambridge: [Polity Press], 1991), and David Harvey, *The Condition of Postmodernity: An Enquiry into the Origins of Cultural Change* (Oxford: Blackwell, 1990).

سلسلات الأصناف

تعطي المقتطفات في النصّ الثالث[28] فكرة عن سلسلة الأصناف. يرتبط المثال بمشروع تخطيط تجديد مستشفى للأمراض العقليّة. والمقتطفات من مقابلة مع «المهندس المعماري المُخَطِّط» المسؤول عن صياغة تقرير مكتوب يستند إلى مُشاورات بين «أصحاب أسهم» المشروع، في اجتماع مع «أصحاب الأسهم»، وإلى تقرير المشروع. وما يجري بشكل أساسي هو أنّ «أصحاب الأسهم» يختارون من بين طرق محتملة لتنفيذ المشروع، ويجدون حِجَجاً تدعم اختيارهم لوضعها في التقرير. وفي هذه الحالة، يشكّل اجتماع أصحاب الأسهم والتقرير المكتوب عنصرين في سلسلة الأصناف.

يُبيّن تحليل إيديما (Iedema) أمرين: **أوّلاً** أنّ اللغة المستخدمة في اجتماع أصحاب الأسهم «مُترجمة» إلى لغة التقرير بطرق جدّ منهجيّة - إنّها ترجمةٌ تعكس الفرق بين صنفين. **ثانياً** لكنّه يُظهر أيضاً أنّ الترجمة مُستبقة في الاجتماع نفسه: تقوم عدّة مُساهمات، في مراحل متعدّدة، (ممثّلة في المقتطفات) بالبدء بسيرورة الترجمة دافعةً باتّجاه لغة التقرير. يقوم المشاركون في الاجتماع بعمل تراكميّ يصل إلى المنطق الرسميّ المحبوك جيّداً في التقرير، هذا المنطق الذي يشكّل إحدى سمات صنف التقرير الرسمي.

نرى في **المقتطف الأوّل** من الاجتماع سمة اتخاذ القرار بطريقة غير رسميّة في مثل هذه الاجتماعات، حيث يعمل مدير المشروع على الحصول على حُجَج تساند الخيار المفضَّل. في **المقتطف الثاني** يبدأ المهندس المعماري المُخطِّط ببناء منطق التقرير، لكن بطريقة شخصيّة تحمل طابع الحوار وتفسّرُ الأسباب التي يملكها أصحاب الأسهم

(28) مـأخـوذة عـن إيـديـمـا: Rick Iedema, «Formalising Organizational Meaning,» *Discourse and Society*, vol. 10, no. 1 (1999), pp. 49-65.

المساندة الخيار المفضّل (مثال ذلك: «أظنّ أننا كنا سعداء، لذلك خرجنا بنتيجة مُدهشة»). تظهر في **المقتطف الثالث** خطوة أخرى باتّجاه التقرير، وذلك بتحويل الحجج المساندة للخيار المفضّل إلى خطاب مُقتَبس (مثال ذلك: «أنت تقول إنّ الخيار «د» مفضّل لأنه الأكثر تماسكاً. . . »)[29]. أخيراً، يُظهر المُقتطف من التقرير نفسه منطقاً غير ذاتي تبرز فيه تعابير الوصل المنطقي (كـ«يعني ذلك»، و«الحلّ»، و«بهذه الطريقة») في بداية الجملة أو العبارة (تصبح بذلك «موضوع القول»، كما سأبيّن لاحقاً). توضح هذه التعليقات التي تتناول منطق الاحتجاج كيف أنّ التقدّم في سلسلة أصناف يعني تغيير اللغة بطرق معيّنة.

يمكننا أيضاً اعتبار النصّ الأوّل جزءاً من سلسلة أصناف. إنّه مُقتطف من مقابلة بين باحث أكاديمي ومدير أعمال، هدفها التعريف بالثقافات. والمثال مقتطف من كتاب صنفه الأساسي هو التحليل الأكاديمي. وللكتاب ملحق يحتوي على «تنظيم القدرات التي تتطلّبها إدارة الأعمال» أنتجها الكاتب للشركة بالاستناد إلى بحثه، إنه أحد أصناف التربية الإداريّة. لذلك يمكننا اعتبار المقابلة المعرِّفة بثقافة جزءًا من سلسلة أصناف. وبشكل أدقّ، يمكن اعتبارها وسيلة عامة للوصول إلى لغة ممارسة إدارة الأعمال، جزءاً من سلسلة أصناف تحوّل هذه اللغة إلى لغة التحليل الأكاديمي، ثمّ تحوّل هذه الأخيرة إلى لغة تربويّة لإدارة الأعمال، لغة تشكّل جزءاً من عمليّة التحكّم بمؤسّسات الأعمال. تبيّن هذه الطريقة في وصف النصّ الأوّل أهميّة سلسلة الأصناف في إقامة شبكة من الممارسات الاجتماعيّة (الأعمال التجاريّة والبحث الأكاديمي، في النصّ المذكور) وأهميّتها في الفعال كما تظهر في شبكات مختلفة من الممارسات الاجتماعيّة.

(29) انظر الفصل الثالث للمزيد عن الخطاب المُقتبس.

الأصناف والحاكمية

تقوم الأصناف بدور أساسي في مساندة البنية المؤسّساتيّة في المجتمع المُعاصر، أي العلاقات البنيويّة بين الحكم (المحلّي) والأعمال التجاريّة والجامعات ووسائل الإعلام... الخ. يمكن النظر إلى هذه المؤسّسات باعتبارها عناصر مترابطة ضمن الحاكمية في المجتمع[30]، وإلى الأصناف باعتبارها جزءاً من تلك العمليّة. أستخدمُ «الحاكمية» هنا بمعناها الواسع، حيث تشتمل على كلّ نشاط في مؤسّسة أو تنظيم هدفه تنظيم ممارسة اجتماعيّة أخرى (أو شبكة من الممارسات الاجتماعيّة)، أو إدارتها. ويعود السبب في تصاعد شعبيّة مصطلح «الحاكمية» الى البحث عن طُرق جديدة في إدارة الحياة الاجتماعيّة (غالباً ما يُشار إلى هذه الطُرق بتعبير «شبكات» أو «ضروب شراكة»... إلخ) تتحاشى في الحين نفسه النتائج الفوضويّة للأسواق الحرّة والتراتبيّة الفوقيّة التي تتّصف بها الدول. علماً أنّه يمكن اعتبار الحاكمية المُعاصرة، كما يلحظ جيسوب (Jessop)، تجمّعاً بين كلّ الأشكال الآتية: الأسواق والتراتبيّات والشبكات[31]. ويمكن المُغايرة بين أصناف الحاكميّة من جهة و«الأصناف العمليّة» من جهة أخرى، أي، على وجه التقريب، الأصناف التي تظهر عند القيام بالأشياء وليس عند إدارة الحكم لتُصنع الأشياء بطُرق معيّنة. قد يبدو، ظاهرياً، من الغريب اعتبار المقابلة المعرّفة بثقافة في النصّ الأوّل صنفاً يدخل في الحاكمية، لكن يصبح ذلك جليّاً عندما

---

(30) F. Bjerke, *Discursive Governance Structures*, Working Paper, Institute of Social Sciences and Business, Economics, Roskilde University, Denmark

(31) Bob Jessop, «The Rise of Governance and the Risks of Failure: The Case of Economic Development,» *International Social Science*, vol. 155 (1998), pp. 29-45.

نضعها، كما فعلتُ أعلاه، في سلسلة أصناف. يبيّن ذلك، بطريقة محسوسة نسبياً، ما يُناقش عادةً بطريقة مجرّدة: انخراط البحث الأكاديمي، إلى حدّ بعيد، في شبكات الحاكمية وسيروراتها.

تتميّز أصناف الحاكمية بتجديد السياق وفق خصائص محدّدة. والمقصود بـ «تجديد السياق» نقل عناصر من إحدى الممارسات الاجتماعيّة إلى ممارسة اجتماعيّة أخرى، ووضع العناصر المأخوذة في سياق الممارسة الاجتماعيّة الجديدة، محولةً إياها في تلك السيرورة وفق طرق معيّنة[32]. إنّ «تجديد السياق» مصطلح نشأ في علم الاجتماع التربوي[33]، ويمكن تفعيله بشكل مُنتج، وجعله يعمل في إطار تحليل النص والخطاب. في حالة النصّ الأوّل، يتمّ تجديد سياق ممارسات إدارة الأعمال (ولغتها)، ويتمّ بذلك تحويلها، في إطار الممارسات الأكاديميّة (ولغتها)، ثم يُجدّد سياق ما ينتج من التحويل أيضاً في إطار الأعمال التجاريّة ليتّخذ شكل التوجيه في إدارة الأعمال. على سبيل المثال، يتمّ تجديد سياق الخلاصة التي يصل إليها مدير الأعمال في احتجاجه في المقابلة المذكورة («على كلّ مؤسّسة تجاريّة أن تحافظ على علاقة طيّبة مع كلّ من يتعاملون مع بعضهم فيها، لكي تستحقّ أن تستمرّ») في التحليل الأكاديمي، على اعتبار أنّها دليل على أنّ مديري الأعمال يقدّرون الحاجة «للثقة والتفاعل المتبادل»، ويتمّ الإيحاء بأنّه يمكن جعل هذا التقدير يتّخذ «شكل مُمارسةٍ فيها اعتراف مُتبادَل بالآخر واعتبار الكلّ ذواتاً مترابطة». جاء في إحدى الخطوط العريضة في «تنظيم القدرات التي

(32) Basil Bernstein, *The Structuring of Pedagogic Discourse* (London: Routledge, 1990), and Lilie Chouliaraki and Norman Fairclough, *Discourse in Late Modernity* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1999).

(33) Bernstein, *The Structuring of Pedagogic Discourse.*

تتطلّبها إدارة الأعمال»، تعبيراً عن الشكل الذي يتخذه التقدير المذكور: «يكون مديرو الأعمال الجيّدون حسّاسين على مواقف جميع الذين يعملون معهم، وعلى مشاعرهم، ويعاملون الآخرين وأفكارهم باحترام، ويستمعون جيّداً إلى ما يقول الآخرون ووجهات نظرهم، ويعملون بنشاط للحصول منهم على إسهامات إيجابيّة». وبالطبع من المُفترَض أنّ هذا الخطّ العريض لا يستند فقط إلى ما قاله المدير في المقابلة المذكورة، إنّما أيضاً إلى ما قاله الكثير من مديري الأعمال. ويمكن اعتبار السيرورة بمجملها انتقالاً من الاستملاك إلى التحويل ثمّ الاستيطان، وهذه مصطلحات تركّز على العلاقات الاجتماعيّة السلطويّة في الحاكمية التي تشكّل تجديدات السياق المذكورة جزءاً منها.

وتتضمّن أصناف الحاكمية الأصناف الترويجيّة، أي تلك التي تسعى إلى «بيع» البضائع والعلامات التجاريّة والمؤسّسات والأشخاص. وإحدى سمات الرأسمالية الجديدة هو الانتشار الهائل للأصناف الترويجيّة[34]، التي تشكّل جزءاً من استيطان الأسواق لمجالات جديدة من الحياة الاجتماعيّة. يتضح ذلك في المثال الثاني: في الرأسمالية الجديدة تحتاج كلّ بلدة ومدينة أن تروّج نفسها لتجذب الاستثمار[35].

وهناك مسألة أخرى تتعلّق بالنصّ الأوّل، هو أنّ الانتقال من حديث مدير الأعمال في المقابلة المعرّفة بالثقافات إلى «تنظيم القدرات التي تتطلّبها إدارة الأعمال» هو انتقال من المحلّي إلى العالميّ. يمكننا النظر إلى ما يسمّى بـ «العولمة» على أنّها في حقيقتها

(34) انظر: Andrew Wernick, *Promotional Culture: Advertising, Ideology, and Symbolic Expression* (London: Sage Publications, 1991).

(35) انظر «مزج الأصناف» أدناه لقراءة مناقشة تتناول النصّ الثاني.

مسألة تغييرات في العلاقات بين مستويات مختلفة من الحياة الاجتماعيّة وفي التنظيم الاجتماعيّ[36]. يشكّل ذلك تغييراً في «مستوى القياس»، بمعنى أنّ البحث في مؤسّسة أعمال معيّنة يقود إلى قواعد سلوك (مثال ذلك: يسعى مدير الأعمال الجيّد وراء الفرص، ويعمل على إيجادها، ويُطلق فعالاً، ويريد أن «يستبق الأمور») يمكن أن تنطبق على أيّ مؤسّسة تجاريّة في أيّ مكان في العالم. وبالفعل، تصل المصادر الأكاديميّة التي تتناول التربية الإداريّة إلى جميع أنحاء العالم. بشكل أعمّ، تملك أصناف الحاكميّة القدرة على الربط بين مستويات مختلفة، فتصل بين المحلّي والخاص وبين الوطنيّ/ المناطقيّ/ العالمي والعام. يدلّ ذلك على أهميّة الأصناف، ليس فقط في المحافظة على العلاقات البنيويّة بين المؤسّسة الأكاديميّة والمؤسّسة التجاريّة، على سبيل المثال، إنّما أيضاً على العلاقات بين المستويات: المحلّي والوطني والمناطقي (كالاتّحاد الأوروبيّ) و«العالمي». ويعني ذلك أنّ التغيّرات في الأصناف مرتبطة بتغيّرات في بناء الحياة الاجتماعيّة في الرأسمالية الجديدة وما يدخل فيها من مستويات.

يوضح النصّ الثالث أيضاً تلك المسألة: اجتماع المُساهمين محلّي، لكن ينتج من تجديد سياقه وتحويله إلى تقرير، الانتقالُ إلى مستوى عالمي. وهذا النوع من التقارير يُهمل خصوصيّة الأحداث والأوضاع المحليّة وينتقل إلى منطق غير شخصي يمكن أن ينطبق على عدد لا حدّ له من الأحداث والحالات المحليّة. ويمكن أن ينتشر على مستوى الوطن والمنطقة (كالاتّحاد الأوروبي) والعالم،

Jessop, «The Crisis of the National Spatio-Temporal Fix and the (36) Ecological Dominance of Globalizing».

فيصل بذلك بين المحلّي والعالمي. ولهذا التغيير، عند الانتقال في سلسلة الأصناف، تأثير في ضروب الخطاب: يمكن إلغاء ضرب الخطاب المُستخدم في أحد الأصناف (كالاجتماع) عند الانتقال إلى صنف آخر (كالتقرير)، بحيث تعمل سلسلة الأصناف كوسيلة مراقبة تختار بعض ضروب الأصناف وتفضّلها، بينما تستبعد ضروباً أخرى.

إنّ معظم الفعال والتفاعلات في المجتمعات الحديثة تتمّ، كما ذكرتُ سابقاً، بوِساطة. والفعال بوساطة هي «فِعال عن بعد»، يُسهم فيها مُشاركون بعيدون عن بعضهم في المسافة و/ أو الزمن، معتمدين على بعض تقنيّات التواصل (الطباعة، التلفاز، الإنترنت. . . إلخ). وأصناف الحاكمية هي بالأساس أصناف بوساطة متخصّصة بالـ «الفعال عن بعد»: يتضمّن كلا المثالين المذكورين أعلاه وساطة عن طريقة الطباعة، طباعة كتاب أكاديمي وتقرير مكتوب. وهناك من يعتبر أنّ ما يسمّى عادة وسائل الإعلام جزء من جهاز الحاكميّة: تقوم الوسيلة الإعلاميّة، مثل الأخبار المُتلفزة، بتجديد سياق الممارسات الاجتماعية الأخرى، كممارسات السياسة والحُكم، وتحويلها، ويتمّ تجديد سياق الأخبار المُتلفزة أيضاً في نصوص وتفاعلات تنتمي إلى ممارسات مختلفة، تدخل فيها، على وجه الخصوص، الحياة اليوميّة حيث تُسهم الأخبار المتلفزة في بلورة أسلوبنا في الحياة والمعاني التي نُضفيها عليها(37).

مزج الأصناف

إنّ العلاقة بين النصوص والأصناف يمكن أن تكون معقّدة: ليس من الضروري أن ينتمي النص إلى صنف واحد، يمكن أن يخلط، أو يجمع، بين عدّة أصناف. يشكلّ النصّ الثاني، وهو جزء

(37) Silverstone, *Why Study the Media?.*

من حملة ترويجيّة لصالح بلدة باكسكابا (Békéskaba) قامت بها الصحيفة المَجَريّة **بودابست سان** (*Budapest Sun*) المكتوبة بالإنجليزيّة، مثالاً على مزج الأصناف. وكما ذكرتُ سابقاً، أحد جوانب التحوّلات المرتبطة بالرأسمالية الجديدة، هو أنّ كلّ مدينة وبلدة تحتاج أن تنشُط في الترويج لنفسها و«بيع» نفسها، ولا يكفي أن تقوم الحكومة الوطنيّة بذلك عنها. وترتبط بهذا التغيير في العلاقة بين المدن والشركات الاقتصاديّة سلسلةٌ معيّنة تصل بين أصناف الحكومة المحليّة وأصناف الأعمال التجاريّة. وتشكّل النصوص الشبيهة بالنصّ الثاني حلقة وساطة أساسيّة في هذه السلسلة. إنّ ظهور صنف جديد في سلسلة الأصناف، عن طريق المزج بين أصناف موجودة، هو أحد الأشكال التي يعلن التغيير بها عن نفسه. فالصنف في حالة النصّ الثاني مزيج من سمات المقالة الصحافيّة والإعلان الدعائي عن الشركات (يعلن هنا لحكم محلّي) والكُتيّب السياحي. ويظهر هذا التهجين بوضوح في التصميم وتنظيم الصفحة: العنوان («بلدة المهرجانات تزدهر») والاقتباس، من كلام رئيس البلديّة، الذي يظهر في أسفل الصفحة بخط غامق، سِمَتان تتميّز بهما المقالة الصحافيّة، أمّا الصور الثلاث في أعلى الصفحة فترتبط بالكتيّب السياحي، وأسلوب صورة رئيس البلديّة الشمسيّة في أسفل الصفحة بالإعلان الدعائي. ومن السمات الأخرى التي ترتبط بالأصناف الثلاثة: الانتقال من وإلى التقرير والاقتباس، أو التمثيل غير المباشر لكلمات من مصدر ذي شأن، كرئيس البلديّة (إحدى خصائص المقالة الصحافيّة؛ سيطرة الترويجي الذاتي في ضروب تقييم إيجابية (مثال ذلك: «قوى عاملة قادرة، التحسين في البنية التحتيّة، وطواعية العمّال أمران متوفّران وجاهزان») يتضمّنها الكلام المُقتبَس (إحدى خصائص الإعلان الدعائي عن الشركات)؛ وصفُ باكسكابا وصفاً منظّماً بحسب المواضيع وفق اصطلاحات المؤلّفات السياحيّة

(الأبنية، والساحات، وما شابه ذلك ممّا يتميّز بأهميّة معماريّة أو تاريخيّة، الموقع الجغرافي، الحياة الاجتماعيّة. . . إلخ).

ومن خصائص الصنف داخل السلسلة أنّه يدخل في علاقات «استعاديّة» و«مستقبليّة» مع الأصناف التي تسبقه والتي تليه في السلسلة. وقد يؤدي ذلك تدريجياً إلى تهجين الصنف بوساطة نوع من الدمج مع الأصناف السابقة واللاحقة. في المثال الذي ندرسه، يمكن اعتبار استخدام الإعلان الدعائي في أحد أصناف الحكم المحلّي شكلاً من أشكال «البيخطابية» (وهو تحليل التبادل المنطقي Interdiscursivity) المستقبليّة: تستبق السلطة المحليّة ممارسات المؤسّسات التجاريّة، فتأمل أن تجعلها تتبنّى إعلانها الدعائي. وهناك مثال آخر على ذلك، واسع الانتشار، وهو «التحول الحواري» لعدّة أصناف، من مثل الأحاديث الإذاعيّة أو نشرات الأخبار: تستعير هذه الأخيرة بعض سمات لغة الحوار استباقاً للسياقات التي سيتمّ فيها الاستماع أو المشاهدة (عادةً في البيت)[38].

لقد تناول عدد من الباحثين والمنظّرين الاجتماعيين الطرق التي يتمّ بها تشويش الحدود الاجتماعيّة في المجتمع المُعاصر، وما ينتج عنها من أشكال «التهجين» أو المزج في الممارسات الاجتماعيّة. وينتشر اعتبار ذلك التهجين، على سبيل المثال، إحدى سمات «ما بعد الحداثة»، ويعتبره الكتّاب، من أمثال جيمسون[39] (Jameson) وهارفي[40]،

(38) انظر حول هذا الجانب من تاريخ الحديث الإذاعيّ: Paddy Scannell, ed., *Broadcast Talk* (London: Sage Publications, 1991).

(39) Fredric Jameson, *Postmodernism, or, The Cultural Logic of Late Capitalism* (Durham: Duke University Press, 1991).

(40) David Harvey, *The Condition of Postmodernity: An Enquiry into the Origins of Cultural Change* (Oxford: Blackwell, 1990).

الوجه الثقافيّ لما أسمّيه الرأسمالية الجديدة. وحصل التهجين على اهتمام كبير وخاص في أحد مجالات الحياة الاجتماعيّة، هو وسائل الإعلام. يمكن اعتبار نصوص هذه الأخيرة تجسيماً لتشويش أنواع مختلفة من الحدود: بين الوقائع والخيال، والأنباء والترفيه، والدراما والتقرير الوثائقي، وما إلى ذلك[41]. يوفر التحليل البيخطابي للتهجين في النصوص مصدراً قيّماً قد يحسّن البحث الذي يقوم على المنظورات المذكورة لأنّه يقدّم مستوى من التفصيل في التحليل لا يمكن تحقيقه بوساطة طرق التحليل الأخرى.

المعالجة العلائقية لتحليل النص

إنّني أتبنّى منظوراً علائقياً في تناول النصوص، ومعالجة علائقية في تحليلها. ونحن معنيّون بعدّة «مستويات» تحليليّة، وعدّة علاقات بين هذه «المستويات»:

البنى الاجتماعيّة
الممارسات الاجتماعيّة
الأحداث الاجتماعيّة
الفعال وعلاقاتها الاجتماعيّة
تحديد هويّة الأشخاص
ممثّليات للعالم
الخطاب (الأصناف، ضروب الخطاب، الأساليب)
علم المعاني
النحو والمفردات
علم الأصوات الوظيفي/علم الخطّ

(41) Marshall McLuhan, *Understanding Media; The Extensions of Man* (New York: McGraw-Hill, [1964]), and Silverstone, *Why Study the Media?*.

يمكننا التمييز بين العلاقات «الخارجيّة» للنصوص والعلاقات «الداخليّة». إنّ تحليل العلاقات «الخارجيّة» للنصوص يعني تحليل علاقاتها مع عناصر أخرى في الأحداث الاجتماعيّة، وعلى مستوى أكثر تجريداً، مع الممارسات والبنى الاجتماعيّة. ويتضمّن تحليل علاقات النصوص مع عناصر أخرى في الأحداث الاجتماعيّة كيفيّة حضور النصوص في الفعال وتحديد الهويّات والممثليات (أي في الأنماط التي تسمح بالتمييز بين ثلاثة جوانب أساسيّة من المعنى النصّي). وهناك بُعد آخر للعلاقات «الخارجيّة» سأتطرّق إليه في الفصل الثالث: العلاقات بين نصٍّ ونصوص («خارجيّة») أخرى، كيف يستوعب النص عناصر من نصوص أخرى عن طريق «التناص»، ويستوعب أصوات الآخرين، بما أنّ النصوص المستوعبة قد تكون نصوص «أناس آخرين»، وكيف يتمّ التلميح إلى نصوص أخرى أو تكون مُفترضة، أو يتمّ التحاور معها، وما إلى ذلك.

ويتضمّن تحليل «العلاقات الداخليّة» للنصوص التحليلات الآتية:

- **العلاقات الدلالية**

علاقات المعنى بين الكلمات والتعابير الأطول من الكلمات، وبين عناصر العبارات، وبين العبارات، وبين الجُمل، وبين قِطع من النص أكبر[42].

- **العلاقات النحوية**

العلاقة بين «المفردات الصغرى» (morphemes) داخل الكلمات (مثال ذلك: بين «مرض» و«يّ» داخل «مرضيّ»)، وبين الكلمات

(42) Keith Allan, *Natural Language Semantics* (Oxford: Blackwell, 2001), and John Lyons, *Semantics* (Cambridge: Cambridge University Press, 1977).

داخل المركَّب النحوي (مثال ذلك: بين الاسم «بيت» والنعت «قديم» في «بيتٍ قديم»)، وبين المركَّب النحوي داخل العبارات (راجع الفصلين 6 و8)، وبين العبارات داخل الجُمل (مثال ذلك: يمكن أن ترتبط العبارات فيما بينها بـ «علاقات نظيرية» أو «علاقات تبعية» (راجع الفصل الخامس)، أي أن تملك المنزلة النحوية نفسها، أو تكون في علاقة رئيسة/ تابعة(43).

- **العلاقات بين المفردات**

علاقات تلازم، أي طُرزٌ من التلازم بين مفردات (كلمات وتعابير). على سبيل المثال: تقوم في نصوص بلير (Blair)، باعتباره يمثّل حزب العمال الجديد في بريطانيا، علاقة تلازم بين «العمل» و«إلى» (إلى العمل) و«العودة إلى» (العودة إلى العمل) أكثر من قيام علاقة بين «العمل» و«خسارة» (خسارة العمل)، في حين كان الطراز عكس ذلك في نصوص حزب العمال القديمة(44).

- **العلاقات الصوتية الوظيفية**

علاقات في اللغة المحكيّة، بما في ذلك طُرز التنغيم والإيقاع العروضيّة، والعلاقات الخطيّة في اللغة المكتوبة، مثال ذلك العلاقات بين أنواع الحروف المطبعيّة وأحجام الأنماط في النص

---

(43) Suzanne Eggins, *Introduction to Systemic Functional Linguistics* (London: Pinter, 1994); Michael Halliday, *An Introduction to Functional Grammar*, 2nd Ed. (London: E. Arnold, 1994), and Randolph Quirk, *A Comprehensive Grammar of the English Language* (London: Longman, 1995).

(44) Norman Fairclough, *New Labour, New Language?* (New York: Routledge, 2000); John Rupert Firth, *Papers in Linguistics, 1934-1951* (London: University Press, 1957); John Sinclair, *Corpus*, Concordance, Collocation (Oxford: University Press, 1991), and Michael Stubbs, *Text and Corpus Analysis: Computer-Assisted Studies of Language and Culture* (Oxford: Blackwell Publishers, 1996).

المكتوب. وأنا لا أتناول العلاقات الصوتيّة، ولا العلاقات الخطيّة في هذا الكتاب.

والعلاقات الداخليّة هي، بتعابير كلاسيكيّة، «علاقات حاضرة» (*in praesentia*) و«علاقات بغائب» (*in absentia*)، أي علاقات تركيبيّة وعلاقات استبداليّة. والأمثلة التي ذكرتها للتوّ هي أمثلة على العلاقات التركيبية، علاقات بين عناصر حاضرة بالفعل في النص. أمّا العلاقات الاستبداليّة فعلاقات اختيار، تُلفت الانتباه إلى علاقات بين ما هو حاضر بالفعل وما كان يمكن أن يكون حاضراً لكنّه ليس كذلك «الغيابات ذات الأهميّة». وينطبق ذلك على عدّة مستويات: يحتوي النص على بعض التراكيب النحويّة وبعض المفردات وبعض العلاقات الدلاليّة وبعض ضروب الخطاب أو الأصناف، كان يمكن أن يحتوي على تراكيب ومفردات وعلاقات وضروب أخرى متوفّرة وممكنة، لكنّه لم يتمّ اختيارها.

ويتمّ تحليل العلاقات بين الأصناف وضروب الخطاب والأساليب، أي العلاقات «البيخطابية» كما أسميتها، على مستوى الخطاب. وهو مستوى متوسّط يقع بين النص في حدّ ذاته وسياقه الاجتماعي (الأحداث الاجتماعيّة، الممارسات الاجتماعيّة، البنى الاجتماعيّة). وضروب الخطاب والأصناف والأساليب هي في الوقت نفسه عناصر نصيّة وعناصر اجتماعيّة. وهي منظّمة في النصّ مع بعضها في علاقات بيخطابية تتيح «المزج» بين أصناف وضروب خطاب وأساليب مختلفة تتمفصل وتُنسج بعضها ببعضٍ بطرق معيّنة. ومثلها مثل العناصر الاجتماعيّة، تتمفصل مع بعضها بطرق معيّنة في نُطق خطابيّة، إنّها الجوانب اللّغويّة في الممارسات الاجتماعيّة حيث يتحكّم الاجتماعي بالمتغيّر اللغوي. وهي تربط بين النص وعناصر أخرى في المكوّن الاجتماعي، بين العلاقات الداخليّة في النصّ وعلاقاته الخارجيّة.

إنّ العلاقات بين المستويات، من خطابي، ودلالي، ونحويّ، ومفرداتي، هي علاقات «تحقيقيّة»[45]. ويعني ذلك أنّ العلاقات الخطابية بين الأصناف، وضروب الخطاب، والأساليب، تتحقّق وتظهر كعلاقات دلاليّة تتخذ شكل علاقات نحويّة ومفرداتيّة («مُنتظمة»).

تلخيص

رأينا أنّ النصوص أجزاء من الأحداث الاجتماعيّة التي تبلورها وتنتجها قدراتُ البنى الاجتماعيّة (بما فيها اللغة) والممارسات الاجتماعيّة (بما في ذلك النطق الخطابية) من جهة، والفاعلون الاجتماعيون من جهة أخرى. توجد في النصوص ثلاثة جوانب معنى أساسيّة: الفعال والعلاقة الاجتماعيّة، التمثيل، وتحديد الهوية، وهي ترتبط، على التوالي، بالفئات الآتية: الأصناف وضروب الخطاب والأساليب، على مستوى الممارسات الاجتماعيّة. وجوانب المعنى والفئات هذه منفصلة على مستوى التحليل دون أن تكون مُتمايزة، إذ يوجد بينها ترابطٌ منطقيّ جدليّ.

بيّنت لنا الأقسام المركزيّة في الفصل ما يأتي:

1 ـ إنّ ما يحدّد أشكال الفعال والتفاعل في الأحداث الاجتماعيّة هو الممارسات الاجتماعيّة المرتبطة بها والطرق التي ترتبط بها هذه الممارسات ببعضها.

2 ـ يمكن اعتبار التغيّرات الاجتماعيّة التي تحملها «الرأسمالية الجديدة» تغيّرات في شبكة الممارسات الاجتماعيّة، وهي بذلك

(45) Michael Halliday, *An Introduction to Functional Grammar*, 2nd Ed. (London: E. Arnold, 1994).

تغيّرات في أشكال الفعال والتفاعل، ممّا يتضمّن تغيّرات في الأصناف. وتغيّرات الأصناف جزء مهمّ من تغيّرات الرأسمالية الجديدة.

3 ـ إنّ بعض الأصناف «محليّة» نسبياً، ترتبط بشبكات ممارسات اجتماعيّة محدودة نسبيّاً (مثال ذلك: داخل مؤسّسة اقتصاديّة). وهناك أصناف أخرى متخصّصة بالفعال والتفاعل عبر «شبكات» عالميّة نسبيّاً، وتخصّ الحاكمية.

4 ـ إنّ التغيير في الأصناف هو تغير في كيفيّة المزج بين مختلف الأصناف، وفي كيفيّة توليد أصناف جديدة من خلال المزج بين الأصناف الموجودة.

5 ـ قد تتضمّن سلسلة الأحداث سلسلة أو شبكة من النصوص المختلفة والمتّصلة التي تكشف عن «سلسلة» من الأصناف المختلفة. وسلسلات الأصناف مهمّة بالنسبة إلى العلاقات المجدّدة للسياق.

6 ـ عادةً لا ينتمي النص، أو التواصل، المعيّن إلى صنف معيّن، إنّما يستند إلى مزيج من الأصناف المختلفة، إلى تهجين الأصناف. أخيراً، عالجنا منظوراً علائقيّاً بين النصوص والتحليل النصي، يُبيّن العلاقات «الداخليّة» في النصوص (الدلاليّة منها والنحويّة والمفرداتيّة) من حيث ارتباطها بعلاقات النصوص «الخارجيّة» (أي بعناصر أخرى في الأحداث الاجتماعيّة والممارسات الاجتماعيّة والبنى الاجتماعيّة) بوساطة تحليل «بيْخطابيّ» للأصناف وضروب الخطاب والأساليب التي تستند إليها وتُمَفصِلها مع بعضها.

3 ـ التناص والمسلَّمات

مسائل التحليل النصي التناص والكلام المُقتبَس الافتراضات والمعنى المستتر البعد الحواري والاختلاف **مسائل البحث الاجتماعي** الفارق الاجتماعي الهيمنة، العالمي والخاص الأيديولوجية نطاق الحياة العامة

ميّزت في نهاية الفصل الثاني بين العلاقات «الخارجيّة» للنص وعلاقاته «الداخليّة»، وأشرت باقتضاب إلى أحد جوانب العلاقات «الخارجيّة» للنصّ التي أجعلها موضوع هذا الفصل: العلاقات بين نصّ ونصوص أخرى «خارجيّة»، أي تقع خارجه، لكنّها بطريقة ما استُحضِرَتْ إليه، أيّ إنّها ما يحمله النص من علاقات تناص. أتناول التناص من منظور واسع جدّاً. إنّ التناص، في معناه الأكثر وضوحاً،

هو حضور عناصر فعليّة من نصوص أخرى داخل نصّ، أي الاقتباس. لكن توجد طرق أخرى متنوّعة أقلّ وضوحاً لاستيعاب عناصر من نصوص أخرى. إذا فكّرنا، على سبيل المثال، بالكلام المُقتَبَس، المكتوب أو الذي يرد في الفكر، ليس من الممكن فقط اقتباس ما قيل أو كتب في مكان آخر، لكن ما يمكن أيضاً تلخيصه. وهذا هو الفرق بين ما يسمّى تقليديّاً «الاقتباس بالحرف» (الذي يمكن أن ينقل ما هو مكتوب، أو أفكاراً مُفترضة، أو كلاماً. مثال ذلك: قالت «سأتأخّر») وأشكال «الاقتباس بغير الحرف» (مثال ذلك: قالت إنّها ستتأخّر). يعلن النوع الأوّل أنّه تمّ تكرار الكلمات التي استخدمت بالفعل، ولا يزعم النوع الثاني ذلك. قد يعيد التلخيص صياغة ما قيل أو كُتب فعلاً . ينسب الكلام المُقتَبَس الكلامَ المنقول أو الملخَّص، أكان يعبّر عمّا كُتب أو كان موضع تفكير، إلى الأشخاص الذين قالوه أو كتبوه أو فكّروا به. لكن يمكن أيضاً استيعاب عناصر من نصوص أخرى بدون نسبتها إلى أيّ كان. يشمل التناص إذاً مجموعة من الاحتمالات[1].

لكن سأربط أيضاً بين المسلّمات والتناص، وأضع تحت المصطلح العام «المسلّمات» (assumptions) أنماطاً تميّز بينها كتابات الألسنية التداولية[2]، فتتحدّث عن الافتراضات والاستتباع المنطقي أو الاستلزام، والتضمين السياقي. أهتمّ بالدرجة الأولى بالافتراضات،

(1) Norman Fairclough, *Discourse and Social Change* (Cambridge, MA: Polity Press, 1992), and R. Ivanic, *Writing and Identity* (Amsterdam: John Benjamins, 1998).

(2) D. Blakemore, *Understanding Utterances: An Introduction to Pragmatics* (Oxford: Blackwell, 1992); Richard Levins and Richard Lewontin, *The Dialectical Biologist* (Cambridge, Mass.: MIT Press, 1985), and Jef Verschueren, *Understanding Pragmatics* (London: Arnold, 1999).

لكنّني أناقش بإيجاز في آخر هذا الفصل التمييزات المذكورة. لا مفرّ من استناد النصوص إلى ما تعتبره مسلّمات. إنّ ما «يُقال» في أيّ نصّ يستند إلى خلفيّة هي «ما لم يُقلْ» إنّما يُعتبر مُعطًى، كما في حالة التناص، تربط المسلمات النصّ بنصوص أخرى، أو بتعبير آخر «بعالم النصوص». والفرق بين التناص والمسلّمات هو أنّ هذه الأخيرة لا تُنسب عامةً، أو لا يُمكن نسبتها، إلى نصوص معيّنة. إنّها نوع من العلاقة بين النصّ وما قيل أو كُتب أو ورد في الفكر في مكان آخر، حيث يبقى «المكان الآخر» غامضاً. لو أنّني مثلاً بدأت هذا الكتاب بـ «إنّ علاقات التناص في هذا النصّ جزء أساسيّ منه»، لكنت مسلّماً بأنّ النصوص تملك علاقات تناص، متعهّداً بأنّ هذه الفكرة قيلت أو كُتبت في مكان آخر، وبأنّ القرّاء قد قرأوا عنها أو سمعوا بها: لا أشير بهذا التعهّد إلى نصّ معيّن، أو مجموعة نصوص، إنّما إلى عالم النصوص.

يمكن اعتبار التناص والتسليم ضروب إعلان يقوم بها «المؤلّف»، الإعلان أنّ المنقول قيل أو كُتب فعلاً في مكان آخر، وأنّ المسلّم به قيل أو كتب في مكان آخر، وأنّ من يُخاطبهم سمعوه أو قرأوه في مكان آخر. قد تكون ضروب الإعلان هذه مثبتة أو غير مثبتة. يمكن أن يقوم الناس بهذه الإعلانات الضمنيّة عن طريق الخطأ أو عدم الأمانة أو التلاعب: يمكن تقديم جمل تصريحيّة مثلاً على أنّها مسلّمات، ويمكن نسبة أقوال إلى آخرين عن طريق الخطأ أو عدم الأمانة.

يتناول هذا الفصل على وجه الخصوص ثلاثة مواضيع في البحث الاجتماعي. **الأوّل** هو «الاختلاف». أحد الجوانب المهمّة في التغيّرات الحديثة في الحياة الاجتماعيّة هو أنّ الاختلاف الاجتماعي - بروز هويّات اجتماعيّة معيّنة (كهويّة النساء والمثليّات والمجموعات

الإثنيّة، وما إلى ذلك) ـ أصبح أكثر ظهوراً[3]. على سبيل المثال، حلّ مكان السياسات التي تستند إلى وجود تراتبيّة طبقيّة «عالميّة»، إلى حدّ بعيد، صراعات سياسيّة تتمحور حول مصالح وهويّات مجموعات معيّنة. أقترح إطاراً واسعاً لمعالجة تعدّد النزوع إلى الاختلاف في النصوص التي يمكن استخدامها لدراسة الطرق التي تُعتمَد في التشديد على الفارق أو التفاوض عليه أو إهماله أو قمعه (أشير بشكل خاص إلى «نطاق الحياة العامة»).

والموضوع الثاني المرتبط بالأوّل هو: العالمي والخاص[4]. والمسألة هنا هي كيف يتمّ تمثيل الخاص باعتباره عالمي: كيف تتوفر الشروط التي تسمح بإعلان عالميّة هويّات ومصالح وممثّليّات خاصة. ويمكن وضع هذه المسألة ضمن إطار قضيّة الهيمنة، وهي إقامة سيطرة اجتماعيّة تتمتّع بها مجموعات اجتماعيّة معيّنة وتدعيمها، أو مقاومتها: يستلزم تحقيق الهيمنة تحقيقَ نجاح ما في تحويل بعض ما هو خاص إلى عالمي. وذلك، إلى حدّ ما، إنجازٌ نصّي، ويمكن أن يُسهم التحليل النصي في تحسين دراسة هذه المسائل. والموضوع الثالث، المرتبط أيضاً بالموضوعين السابقين، هو الأيديولوجية، ولقد ناقشته في الفصل الأوّل: خاصة المغزى الأيديولوجيّ للمسلّمات التي في النصوص.

(3) Seyla Benhabib, ed., *Democracy and Difference: Contesting the Boundaries of the Political* (Princeton, N. J.: Princeton University Press, 1996); Judith Butler, «Merely Cultural,» *New Left Review* (January-February 1998), pp. 33-44, and N. Fraser, «Heterosexism, Misrecognition and Capitalism: A Reply to Judith Butler,» *New Left Review*, vol. 228 (1998), pp. 140-149.

(4) Judith Butler, Ernesto Laclau and Slavoj Žižek, *Contingency, Hegemony, Universality: Contemporary Dialogues on the Left*, Phronesis (London: Verso, 2000).

الاختلاف والبعد الحواري

يوجد تباين هام بين التناص والمسلمات: يفتح التناص المجال واسعاً أمام الاختلاف بجلب «أصوات» أخرى إلى داخل النص، في حين تختزل المسلّمات الاختلاف مفترضةً وجود أرضيّة مشتركة. وبعبارات أخرى، يقوّي التناص البعد الحواري والاختلاف في النص، الحوار بين صوت المؤلّف والأصوات الأخرى، في حين تُضعف المسلمات هذا البعد. ومصطلح «صوت» يشبه، في استخدامي له، إلى حد مّا استخدامي لمصطلح «أسلوب» (الذي يعني طُرق الوجود، أو الهويّات، في جوانبها اللّسانيّة، وعلى نحو أوسع السيميائيّة)، لكنّه مفيد أيضاً لأنّه يسمح لنا بالتركيز على تزامن حضور «أصوات» أفراد معيّنين في النصوص[5]. يختلف الناس بطرق متنوّعة وكثيرة. والنزوع إلى الاختلاف أساسيّ للحياة الاجتماعيّة. يقول غيدنز (Giddens) في أحد كتبه الأولى: «إنّ إنتاج التفاعل مكوّن من ثلاثة عناصر أساسيّة: تشكيله من حيث إنّه "ذو معنى"، وتشكيله من حيث هو ترتيب أخلاقيّ، وتشكيله من حيث هو عمليّة علاقات سلطويّة»[6]. والنزوع إلى الاختلاف مركزيّ في تفصيله لهذه العناصر الثلاثة. يستلزم إنتاجُ تفاعل ذي معنى تفاوضاً نشطاً ومستمرّاً حول الاختلافات في المعنى. ويعمل القائمون بالفعل الاجتماعي المتنوّعون على تفسير «قواعد» التفاعل، باعتباره ترتيباً أخلاقيّاً، وتوجيهها بطرق مختلفة، ويقومون بالتفاوض عليها. تستند السلطة، بمعناها الواسع - أي «باعتبارها القدرة التغييريّة في الفعل البشري، بالقدرة

---

(5) M. Bakhtin, *The Dialogical Imagination* (Austin: University of Texas Press, 1981); Ivanic, *Writing and Identity*, and James V. Wertsch, *Voices of the Mind: A Sociocultural Approach to Mediated Action* ([Hemel Hempstead: Harvester Wheatsheaf, 1991]).

(6) Anthony Giddens, *New Rules of Sociological Method: A positive Critique of Interpretative Sociologies*, 2nd Ed. (Cambridge: Polity Press, 1993), p. 104.

على التدخّل في سلسلة أحداث والتأثير في مجراها» - إلى «موارد وتجهيزات» لا تتوفر بالقدر نفسه لجميع القائمين بالفعل الاجتماعي. والسلطة بمعناها «العلائقيّ»، حيث هي «القدرة على تأمين النتائج التي يستند تحقيقها إلى فِعل الآخرين»، غير متوفرة أيضاً بالقدر نفسه للجميع.

لكنّ الأحداث الاجتماعيّة والتفاعل تختلف من حيث طبيعة نزوعها إلى الاختلاف، كما هو الأمر بالنسبة إلى النصوص من حيث هي عناصر في الأحداث الاجتماعيّة. ويمكننا، على المستوى العام، وضع الخطوط العريضة لخمس سيناريوهات:

(أ) الانفتاح على الاختلاف، قبوله، الاعتراف به، الخوض في الاختلاف، كما في «الحوار» - في التعريف الأغنى لهذا المصطلح،
(ب) التشديد على الاختلاف والنزاع والجَدل، والصراع على المعنى والقواعد والسلطة،
(ج) محاولة حلّ الاختلاف أو تخطّيه،
(د) تحييد الاختلاف، والتركيز على المشترك والتضامن،
(هـ) الإجماع - تطبيع وقبول الاختلاف في السلطة التي تحيّد الاختلافات في المعنى وقواعد السلوك أو تقمعها.

هذه ليست قائمة بالأنماط الاجتماعيّة وضروب التفاعل الموجودة، لكن يمكن أن تمزج الأحداث الاجتماعيّة والنصوص هذه السيناريوهات بطرق متنوّعة.

قد ارتأى كريس[7] (Kress)، منذ عدّة سنين، أنه من المجدي

(7) Gunther Kress, *Linguistic Processes in Sociocultural Practice* (Geelon, Victoria: Deakin University Press, 1985).

التركيز في معالجة النصوص على النزوع إلى الاختلاف: «الاختلاف هو المحرّك الذي يولّد النصوص». لكنّ رؤية كريس للاختلاف محدودة، تركّز بالدرجة الأولى على السيناريو (ج) أعلاه: حلّ الاختلافات. كما يقول كريس، إن أكثر ما يظهر الاختلاف بشكل مباشر في الحوار، وهو نتاج مشترك يقوم به شخصان أو أكثر. وتقدّم السيناريوهات الخمسة أعلاه أرضيّة للمقارنة بين الحوارات من حيث نزوعها إلى الاختلاف. لكنّ الاختلاف ليس أقلّ مركزيّة في النصوص «غير الحواريّة»، بما في ذلك النصوص المكتوبة. والسبب البيّن لذلك هو أنّ جميع النصوص تتوجّه لمخاطَبين، وتضع في منظورها مخاطَبين وقرّاء معيّنين، وتفترض وجود اختلافات بين «المؤلّف» والمخاطَبين، وتستبقها. يمكن اعتبار النزوع إلى الاختلافات وثيقة الصلة بالقوى المحرّكة للتفاعل نفسه، لكنّها ليست فقط مُلحَقة، أو نتائج محليّة لمواجهات معيّنة، ليست كذلك بالدرجة الأولى. وهذا واضح في تركيز كريس على اعتبار الاختلافات بين الناس اختلافات بين ضروب الخطاب. إنّ هذه الأخيرة كيانات ثابتة تقودنا إلى مستوى أكثر تجريداً هو الممارسات الاجتماعيّة، وعلينا أن نطرح بوضوح مسألة كيفيّة تحقيق ضروب النزوع إلى الاختلاف الطويلة الأمد، الموجودة على مستوى الممارسات الاجتماعيّة، في الأحداث الاجتماعيّة المعيّنة، وكيفيّة التفاعل معها، لأنّ عمليّة الفعل عند المشاركين، والبنى الاجتماعيّة، والممارسات الاجتماعيّة، تقوم، كما سبق وقلت، بلورة الأحداث (وبالتالي النصوص).

يسلّط النزوع إلى الاختلاف الضوء على أشكال ودرجات البعد الحواري والاختلاف في النصوص. وأنا هنا أشير إلى جانب من نظريّة باختين (Bakhtin) حول البعد الحواري والاختلاف في اللغة:

«تصبح الكلمة أو الخطاب، أو اللغة، أو الثقافة، ذا بعد حواري عندما يصبح نسبياً غيرَ محظيّ، في إطار تحديدات متنافسة للشيء نفسه. واللغة التي لا تملك بعداً حوارياً هي لغة سلطويّةٌ أو مُطلقة»[8]. والنصوص حواريّة، لا مفرّ من ذلك، بمعنى «أنّ كلّ مقول (utterance) هو صلة داخل سلسلة منظّمة ومعقّدة من المقولات الأخرى التي ترتبط بها بشكل أو بآخر»[9]. لكن تختلف النصوص، كما يقول هولكيست (Holquist) في ما اقتبسناه، من حيث نزوعها إلى الاختلاف، أي من حيث «بُعدها الحواري». يشير باختين إلى هذه الاختلافات في قوله إنّ أساس العلاقة بين مقول ما ومقولات أخرى يمكن أن يكمن في «استناده» إليها، أو «التجادل» معها، أو مجرّد «الافتراض أنّ المستمع يعرفها»[10]. وكما يقول هولكيست أيضاً، إنّ «اللغة المجرّدة من الحوار» ـ السيناريو (ح) أعلاه ـ هي أحد الخيارات: إقصاء البعد الحواري والاختلاف والاختلاف.

لننظر في بعض الأمثلة. **النصّ الأوّل** (راجع المُلحق) مأخوذ من مقابلة مُعرّفة بالثقافات، شكل من أشكال الحوار. يمكن اعتبار النزوع إلى الاختلاف في ذلك الحوار تحقيقاً معيّناً للسيناريو (د): يتمّ تحييد كلّ الاختلافات بين مُجري المقابلة وضيفها، لأنّ ما يهمّ مُجري المقابلة يقتصر على الاطّلاع على آراء الضيف. لكنّ ضيف

---

(8) Michael Holquist, *[Dialogism: Bakhtin and his World]* (London: Routledge, 1981), p. 427.

(9) M. Bakhtin, «The Problem of Speech Genres,» in: M. Bakhtin, *Speech Genres and other Late Essays*, Translated by Vern W. McGee; Edited by Caryl Emerson and Michael Holquist (Austin: University of Texas Press, 1986), p. 69.

(10) المصدر نفسه، ص 69.

المقابلة، مدير الأعمال، يُظهر شيئاً من الانفتاح على الاختلاف في التناص الذي يتضمّنه كلامه ـ السيناريو (أ). يقتبس من كلام ميكانيكي وكلام «المنتمين للنقابة» (علماً أنه يقتبس من هؤلاء ما يمكن يقولوه، وليس ما قالوه فعلاً). وهو يشدّد على الاختلاف ـ السيناريو (ب) ـ فيورد مختصراً لصوت مديري الأعمال (وهو منهم)، «الذين يدعون إلى اللّيونة، والتنمية الشخصية وتنمية الأعمال»، في مواجهة صوت الميكانيكي المُقتبَس. لكنّ الجدل الأساسي موجّه ضدّ كِبار المديرين، علماً أنّ صوتهم غير ممثّل في النص. وعلى الرغم من أنّ البعد الحواري والاختلاف في النص يطال العلاقات بين كِبار المديرين، والمديرين المتوسّطين (يمثّلهم ضيف المُقابلة)، والعمّال، توجد مسائل أخرى لا يطالها هذا البعد. على سبيل المثال: من المسلّم به في النص أنّ المؤسّسة الاقتصاديّة «ثقافة»، أو يمكن اعتبارها كذلك، ومن المسلّم به أنّ النقابات أضعفت سلطة مديري الأعمال والقوى العاملة، وأنّ كلاًّ من الفئتين كانت تملك سلطةً أكبر (تكشف عن ذلك عبارة «إعادتها»). يحقّق هذا المثال السيناريو (هـ): التسليم بإجماع يَقمع الاختلافات القائمة. هذه هي حال النصوص عامةً: يطال البعد الحواري والاختلاف بعض الأشياء، لكنّه لا يطال أشياء أخرى، هناك نزوع إلى الاختلاف في بعض الجوانب، لكن ليس في جوانب أخرى.

النصّ الرابع مختلف (راجع المُلحق). إنّه مقطع من وثيقة تخطيط أنتجتها المجموعة الاستشاريّة للمنافسة، التابعة للاتّحاد الأوروبي، وهي لجنة من ممثّلين عن أرباب العمل والنقابات وبعض السياسيّين والبيروقراطيّين. والنص هو نسخة نهائيّة سبقتها عدّة مسوّدات. إنّه نصّ تمّ التفاوض عليه، ثمرة سيرورة مفاوضات حذّدت الأصوات التي تضمّنها النص والعلاقة بينها. على سبيل المثال،

الجمل 5 و6 و7 لم تكن موجودة في المسوّدة الأولى. إنّها تمثّل صوت النقابات والتشديد على التماسك، وبشكل مستتر على المخاطر التي تحيق بدولة الدعم الاجتماعيّ، واعتبار هذا الدعم مصدر فعاليّة، وليس حِملاً[11]. لكنّ النصّ الرابع ليس حواريّاً: إنّ سيرورة إنتاج وثيقة تخطيط هي سيرورة انتقاليّة «من النزاع إلى الإجماع» (هذا هو عنوان بحث ووداك Wodak)، إلى نصّ لا يُرجع بالتناص إلى أصوات مختلفة. إنّه يحتوي على أقوال موجبة جازمة (خبريّة وقائعيّة، وفي الجملة التاسعة تَوَقّع) موضوعها العولمة و«ضروب التأقلم» التي «تفرضها»، والتماسك الاجتماعي المستند إلى مجموعة من المسلّمات. والأقوال الموجبة «جازمة» بمعنى أنّها لا تحتوي على تعابير احتماليّة (الفصل العاشر). على سبيل المثال، لدينا في الجملة الرابعة «تفرض العولمة» وليس «قد تفرض»، ولدينا في الجملة الخامسة «التماسك الاجتماعي مُهدَّد»، وليس «قد يكون التماسك الاجتماعي مُهدَّداً». تقول المسلّمات المرتبطة بـ «العولمة» (الممثّلة بالضمير «هي» في الجملة الأولى) بأنّها موجودة، إنّها جزء من الواقع، وهي «سيرورة» (الجملة الأولى)، وتشكّل «تقدّماً اقتصاديّاً» (الجملة الثانية). (لإقامة ترابط بين معنى الجملتين الأولى والثانية، لابدّ من الافتراض أنّ العولمة تقدّم اقتصاديّ). ومن المسلّم به أيضاً في المثال أنّ التماسك الاجتماعيّ أمر واقع، لكنه مُهدَّد. كلّ هذه المسلّمات موضع خلاف: يقول البعض إنّ العولمة أسطورة هدفها التستر على الإمبرياليّة الجديدة، وأنّ التغيّرات الاقتصاديّة التي

(11) المثال مأخوذ من ووداك، حيث يُحلّل تحليلاً مفصّلاً، انظر: Peter Muntigl, Gilbert Weiss and Ruth Wodak, *European Union Discourses on Un/Employment: An Interdisciplinary Approach to Employment, Policy-Making and Organizational Change* (Amsterdam: J. Benjamins, 2000).

تسجّلها ليست أشياء تحصل لوحدها («سيرورة») ولا مفرّ منها، إنّما هي قرارات استراتيجيّة يتّخذها فاعلون مقتدرون، والنتائج بالنسبة إلى أجزاء واسعة من العالم هي التراجع الاقتصادي وليس «التقدّم»، ويقولون إنّ اعتبار «التماسك الاجتماعيّ» قد كان موجوداً في دول الدعم الاجتماعي يعبّر عن أسطورة أخرى. إضافة إلى ذلك تمّ التخفيف من التغاير بين صوت أرباب العمل وصوت النقابات للتوصّل إلى إجماع ظاهر حول وجود المسلّمات المذكورة. يمكن اعتبار ذلك يتّبع السيناريوهَين (ج) و(د): محاولة حلّ الاختلاف والتركيز على المشترك. ويمكن اعتباره يتبع السيناريو (هـ): قمع الاختلاف. قارن بين النصّ الرابع والنصّ الثالث، الذي ناقشناه في الفصل الثاني، حيث يمكن رؤية سيرورة إنتاج نصّ يبدو أنّه يحظى أيضاً بالإجماع.

نطاق الحياة العامة

المثال الثامن مأخوذ من «مُناظرة» (هكذا قُدّم البرنامج) مُتلفزة موضوعها مستقبل الملكيّة في بريطانيا. يمكن اعتبار المُقتَطف الأوّل من المثال الثامن يتّبع بشكل أساسي السيناريو (ب): تشديد جَدلي على الاختلافات بين المشتركين في المُناظرة. غالباً ما تتّخذ المناظرات المتلفزة هذا الشكل[12]، ويتمّ اختيار متكلّمين يمثّلون «وجهات نظر» مختلفة. في المثال الذي ندرسه ينظّم الصحافي روجر كوك (Roger Cook) المناظرة بهدف توليد مواجهة بين «وجهات النظر» المختلفة.

---

(12) Norman Fairclough, *Media Discourse* (London: Edward Arnold, 1995), and Sonia M. Livingstone and Lunt, *Peter K. Talk on Television: Audience Participation and Public Debate* (London: Routledge, 1994).

يمكن النظر في هذه الطريقة التي تتعامل مع الاختلاف ضمن «نطاق الحياة العامة»[13]. إنّ الحياة العامة، استناداً إلى ما يقوله هابرماس[14]، منطقة ربط بين المنظومات الاجتماعيّة و«الحياة في العالم»، أي مجال الحياة اليوميّة، حيث يستطيع الناس التباحث في الشؤون السياسيّة والاجتماعيّة باعتبارهم مواطنين، والتأثير، مبدئيّاً، في القرارات السياسيّة. دارت مناظرات كثيرة تناولت المنزلة المعاصرة لنطاق الحياة العامة، وخاض أكثرها في «أزمة» الحياة العامة وطابعها الإشكالي في المجتمعات المعاصرة حيث يتمّ التضييق على الحياة العامة، بخاصة بواسطة وسائل الإعلام. ويرى منتقدو «المناظرات» المُماثلة للمثال الثامن أنّها لا تتخطّى المواجهة والجدل. يمكن اعتبار المناظرات أو ضروب الحوار التي تتناول الحياة العامة فعليّة عندما تتضمّن عنصراً جدليّاً معقولاً، إضافة إلى عناصر من السيناريوهين (أ) و(ج)، وتسبر الاختلافات، ثمّ تعمل على حلّها للتوصّل إلى اتّفاق وتشكيل تحالفات. ومن دون هذا العنصر يصعب التأكّد من تأثير «المناظرات» في تشكيل التخطيط السياسي. يمكن قول الشيء نفسه بخصوص المقتطف الثاني في المثال الثامن، حيث يجمع الصحافي «وجهات نظر» من الجمهور، لكنّه بطريقة ما يفصلها عن بعضها ويجزّئها، فلا يبقى مجال للحوار بين وجهات النظر تلك. وتحليلنا

---

(13) Hannah Arendt, *The Human Condition* ([Chicago]: University of Chicago Press, [1958]); Craig Calhoun, ed., *Habermas and the Public Sphere* (Cambridge, Mass.: MIT Press, 1992), and Norman fairclough, «Democracy and the Public Sphere in Critical Research on Discourse,» in: Lilie Chouliaraki and Norman Fairclough, *Discourse in Late Modernity* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1999).

(14) Jürgen Habermas, *The Theory of Communicative Action* (London: Heinemenn, 1984).

هذا يوضح كيفيّة إسهام تحليل معالجة الاختلاف في النصوص في مسائل البحث الاجتماعيّ. وسأناقش النصّ الثامن بشكل أكمل، من حيث علاقته بالحياة العامة، في الفصل الرابع.

الهيمنة والعالميّ والخاص

إنّ مفهوم «الهيمنة» مركزيّ في الماركسيّة بحسب صياغة أنطونيو غرامشي[15] (Gramsci). يرى غرامسكي أنّ السياسة صراع هدفه الهيمنة، وهذه طريقة معيّنة في تحديد مفهوم السلطة تشدّد، من ضمن ما تشدّد عليه، على اعتماد السلطة على تحقيق القبول - أو على الأقلّ الإذعان، وليس اللجوء فقط إلى قدرتها على استخدام القوّة - وعلى أهميّة الأيديولوجية في صيانة العلاقات السلطويّة. تمّت حديثاً معالجة مفهوم «الهيمنة» من منطلق إحدى صيغ النظريّة الخطابية، وذلك في نظريّة إرنستو لاكلو (Ernesto Laclau) السياسيّة الـ «مابعد ماركسيّة»[16]. يمكن اعتبار الصراع على الهيمنة بين القوى السياسيّة، إلى حدّ جزئي، خِلافاً على زعمهم أنّ منظوراتهم وممثلياتهم الخاصة عن العالم ذات منزلة عالميّة[17].

والممثليات عن «العولمة»، وبخاصة عن التغيير في الاقتصاد العالمي، مثال جيّد على ذلك. لنعد إلى النصّ الرابع، نص الاتّحاد

---

(15) Antonio Gramsci, *Selections from the Prison Notebooks of Antonio Gramsci*, Edited and Translated by Quintin Hoare and Geoffrey Nowell Smith (London: Lawrence & Wishart, 1971).

(16) Ernesto Laclau and Chantal Mouffe, *Hegemony and Socialist Strategy* (London: Verso, 1985).

(17) Butler, Laclau and Žižek, *Contingency, Hegemony, Universality: Contemporary Dialogues on the Left*.

الأوروبي. إنّه شبيه بنصوص معاصرة كثيرة من حيث تمثيله لِلتغيير الاقتصادي العالمي كسَيرورة من دون فاعلين بشر، يتمّ تمثيل التغيير باسم («العولمة»، راجع الفصل الثامن) فيصبح كياناً له سلوكُ فاعلٍ («يفرِض تأقلماً عميقاً وسريعاً»)، سيرورة في حاضر غير محدَّد ولا تاريخ له وعالميّ من حيث المكان، وسيرورة لا مفرّ منها ويجب التجاوب معها بطرقٍ معيّنة ـ حاضر يفرض أموراً تصبح واجبة[18]. يمكن النظر إلى طموحات الهيمنة في اللّيبراليّة الجديدة باعتبارها، جزئيّاً، تسعى إلى وضع ممثليتها ورؤيتها للتغيير الاقتصادي الخاصتين في منزلة عالميّة. وهذه الرؤية هي بالفعل خاصة وموضِع جدل. توجد ممثليات أخرى تعتبر «العولمة» نتيجة فعل بشري وتخطيط (مثال ذلك: التخطيط لإزالة العوائق أمام حريّة حركة السلع والمال إزالة تدريجيّة، من خلال عقد اتّفاقات بين الحكومات تسيطر عليها الولايات المتّحدة الأميركيّة ودول قويّة أخرى) ذي تاريخ خاص يستبعد مناطق واسعة من العالم (مثال ذلك: معظم أفريقيا)، وتعتبر أنّ «العولمة» ليست سيرورة لا مفرّ منها، ولا حاجة إلى الحدّ من الأفق السياسي باعتبار بعض السياسات ضروريّة.

وتتغيّر طبيعة ممثّليات «العولمة»، ويتراوح ذلك بين استخدامها في قول موجب أو اعتبارها مسلّماً بها. نصّ الاتّحاد الأوروبي قول موجب نسبيّاً، إنّه يحتوي، كما أشرت، على مسلّمات أساسيّة، لكنّ معظم الرؤية التي تتناول الاقتصاد العالميّ ظاهرة في قول موجب. يجد المرء في نصوص كثيرة أنّ مجمل الرؤية المُعتمدة جزء من خلفيّة مسلّم بها ومقبولة سلفاً. لننظر، على سبيل المثال، في هذا

---

(18) Norman Fairclough, «Represenciones del cambio en discurso neoliberal,» *Cuadernos de Relaciones Laborales*, vol. 16 (2000), pp. 13-36.

المُقتطف القصير من منشور أنتجه قسم التربية والتوظيف في الحكومة البريطانيّة، ويتناول فيه التغيير في برنامج التلاميذ الذين تجاوزوا سنّ السادسة عشرة. ويُقدَّم المنشور على أنّه «مُرشد للأهل».

> يتلقّى الكثير من التلامذة الأوروبيّين حملاً دراسياً أكبر، ويلتزمون بجداول زمنيّة متطلّبة أكثر: عادةً ثلاثين ساعة تدريس مقابل ثماني عشرة في المملكة المتّحدة. هؤلاء هم التلامذة الذين يتوجّب على أبنائنا مُنافستهم للحصول على عمل ومقاعد جامعيّة في سوق عالميّ.

نجد الإشارة الوحيدة في المنشور إلى الاقتصاد العالمي في الجملة الثانية، وفيها تسليم بوجود سوق عالمي وبأنّ على أبناء البريطانيّين المنافسة في هذا السوق للحصول على عمل ومقاعد جامعيّة (يذكر النص في قول موجب الجهة التي يتنافسون معها: «التلامذة الأوروبيّين»). وأحد مقاييس نجاح عولمة هذه الممثّليّة الخاصة هو مدى ظهورها كما هي كخلفيّة مسلّم بها (ويمكن القول: باعتبارها أيديولوجية ـ راجع ما نذكره لاحقاً) في نصوص كثيرة متنوّعة.

اقترحتُ في الفصل الثاني، عند مناقشة الأصناف والحاكمية، أنّه يمكن اعتبار النصّ الأوّل مُتموْقعاً في سلسلة أصناف تسهّل الانتقال من المحلّي إلى العالمي: يتمّ إنتاج مبادئ سلوكيّة عامة لمديري الأعمال يمكن تطبيقها في أيّ مكان (في «تنظيم قدرات إدارة الأعمال» في ملحق كتاب واطسون (Watson)) استناداً إلى تجربة مديري أعمال محلّيّين في شركة معيّنة. ويمكن النظر إلى ذلك، في الوقت عينه، من منطلق الهيمنة باعتباره عولمة الخاص: تحويل منظور واحد في إدارة الأعمال من مجمل المنظورات، إلى مزاعم عالميّة.

وبالعودة إلى ممثليّات العولمة في النصّ الرابع، يمكننا صقل ما أعلنته سابقاً من أنّ التناص يتيح الاختلاف، بينما المسلّمات تقلّصه. وأكثر الخيارات حواريّة هو التصريح بمصادر الممثليات، بهويّة «الأصوات» التي صدرت عنها، وتضمين النص معظم الأصوات الموجودة فعلاً. والخيار الأقلّ حواريّة من ذلك هو ما أشرت إليه باختصار سابقاً: القول الموجب المتضمّن موقفيّة احتمال(*) (الفصل العاشر). لو تمّ مثلاً التعبير عن الجملة الرابعة في نصّ الاتّحاد الأوروبي كالآتي: «قد يفرض ذلك تعديلات عميقة وسريعة»، أي لو دلّ المقول على احتمال بدل أن يدلّ على وقائع، لكان هناك على الأقلّ انفتاح حواريّ على الاحتمالات الأخرى. والخيار الأقلّ حواريّة من السابق هو التصريحات الجازمة، الخالية من موقفيّة الاحتمال، التي تجدها في النص المذكور، والتي لا تترك مجالاً لأيّ احتمالات أخرى. والخيار الأقلّ حواريّة هو التسليم، أي اعتبار منظور الاقتصاد العالمي مسلّماً به، كما في المقتطف من منشور قسم التربية والتوظيف الذي ذكرته أعلاه[19]. نبيّن ذلك في الجدول الآتي:

(*) إنّ مصطلح (Modality) يُرجع إلى درجة الواقعيّة التي توصف بها الإشارة، أي موقف المتكلّم من محتوى نصّه، أو جملته. قد يعتبر المتكلّم مثلاً أن المحتوى غير معقول أو ممكن او أكيد أو مسموح به أو واجب، وما إلى ذلك؛ كأن يقول «ربّما كان حاضراً» أو «يجب أن يحضر». وقد استخدمتُ كمُعادل لـ Modality «وجهة القول» عندما لا تعبّر في سياقها عن درجة أو كمّ، إنّما عن مجمل معنى المُصطلح. لا تسمح بنية النصّ العربيّ باستخدام «وجهة القول» للتعبير عن درجة من وجهة القول يتصّف بها النصّ، لذلك استخدمتُ في هذه الحالة مصطلح «الموقفيّة» (إشارةً إلى موقف المتكلّم من محتوى نصّه)، واستخدمته أيضاً عندما لا يتيح تركيب الجملة العربيّة استخدام «وجهة القول».

(19) انظر أيضاً: P. White, «An Introductory Tour through Appraisal Theory,» Appraisal Website: www.grammatics.com/appraisal

الأكثر حوارية: إسناد القول، الاقتباس قول موجب ذو موقفية احتمال قول موجب خال من موقفيّة احتمال الأقلّ حوارية: المسلمات

التناص (*)

نبدأ بالقول إنه مقابل كلّ نصّ، أو نمط نصوص، معيّن توجد نصوص أخرى ومجموعة أصوات قد ترتبط به، وقد يتمّ دمجها فيه. قد لا يكون من الممكن تحديد هذه المجموعات بدقّة كبيرة، وقد تكون واسعة ومعقّدة. لكنّه من المفيد أن نحصل ولو على فكرة عامة عنها، لأنّ أحد الأسئلة المهمّة هو: ما هي النصوص والأصوات التي يتضمّنها النص، وما هي التي يُقصيها، وأيّ غيابات عنه ذات شأن؟ ذكرت أعلاه مثلاً، في ما يخصّ النصّ الأوّل ـ المقابلة المُعرّفة بالثقافات، أنّ مدير الأعمال لا يورد صوت كبار مديري الأعمال مع أنّه يتحدّث بشكل أساسي عنهم: يمثّل في كلامه ما يفعل كبار المديرين، لكنّ ليس ما يقولونه. وهو من ناحية أخرى يورد صوت عامل وصوت النقابيّين (علماً أنّه يورد ما يفترض أنّ النقابيّين يقولونه).

عندما تُدمَج، بالتناص، نصوصٌ أخرى في نصّ، قد يتمّ أو لا يتمّ إسنادها. نجد ذلك في **النصّ الخامس** ـ مقتطف من خطاب طوني بلير (Tony Blair) بعد اعتداءات أيلول/سبتمبر 2001 على

(*) يُشتقّ المصدر «تناصّ» من الفعل «تناصّ» (تناصص)، على وزن تفاعل. وبذلك يشير «التناصّ» إلى علاقة تفاعل بين النصوص.

مركز التجارة العالمي - الذي يتضمّن الكثير من التناص غير المُسند، وينطبق ذلك ايضاً على مجمل خطابه. مثال ذلك:

في عالم الإنترنت وتقانة المعلوماتيّة والتلفاز، ستوجد العولمة لا محالة. والمشكلة في التجارة ليست وجودها أكثر من اللازم، بل أقلّ من اللازم. ليست المسألة هي كيفيّة الحدّ من العولمة، إنّما كيفيّة استخدام سلطة المجتمع للجمع بين العولمة والعدالة.

يتضمّن مقطع بلير طرازاً يتكرّر، يرد فيه تصريح إنكاريّ ثمّ تصريح موجب: عبارة نافية تتبعها عبارة موجبة. ويستلزم الإنكار أن يكون المنفي قد ذُكر موجباً «في مكان آخر»: يستلزم المقطع المذكور أن يكون أحدهم قد صرّح بأنّه توجد عولمة تجاريّة أكثر من اللازم، وأنّ المسألة هي كيفيّة إيقاف العولمة. يتضّح من السياق الذي اقتطفنا منه مقطع بلير أنّ هذا الأخير يُرجَع إلى الذين «يحتجّون ضدّ العولمة». يفترض كلامه أنّ هؤلاء يعبّرون عن هذه الأشياء بقول موجب، لكنّه في واقع الأمر لا يُسنِد هذه الأقوال الموجبة إليهم. في الواقع، كثيرون ممّن «يحتجّون ضدّ العولمة» لا يقولون إنّه يجب التخفيف منها في التجارة، أو يجب «إيقافها»، إنّما يقولون إنّه توجد حاجة لإصلاح غياب توازن السلطة في الطريقة التي تزداد بها التجارة العالميّة.

عند إسناد التناص، يمكن أنّ يتمّ الإسناد إلى أشخاص معيّنين، أو غير معيّنين (إسناد غير محدَّد). في مكان آخر في الخطاب نفسه، على سبيل المثال، يقول بلير:

يقول لنا البعض لا تبالغوا في ردّة الفعل. نحن لا نفعل. نحن لم

نضرب على حين غرّة. لم نُطلق صواريخ في اللّيلة الأولى سعياً وراء التأثير، ليس إلاّ.

لا تقتلوا الأبرياء. لسنا نحن من أعلن الحرب على الأبرياء، نحن نبحث عن المذنبين.

ابحثوا عن حلّ ديبلوماسي. ليس من ديبلوماسيّة مع ابن لادن أو الطالبان.

وجّهوا إنذاراً نهائيّاً وانتظروا الإجابة. فعلنا ذلك، ولم يجيبوا.

افهموا أسباب الإرهاب. نعم، يجب أن نجرّب، لكن ليكن الأمر الآتي واضحاً من الناحية الأخلاقيّة: ليس من شيء يبرّر أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، وليس ادّعاء عكس ذلك سوى قلب لمفاهيم العدالة.

هذا حوار مُختلَق، لا يمثّل فيه بلير صوتاً نقديّاً بقدر ما يقدّم حواراً دراميّاً مع ذلك الصوت، ويظهر ذلك في سلسلة نصائح (نحويّاً، جُمَل أمريّة ـ راجع الفصل السادس). لكنّه يُسند الكلمات إلى مُحاور خياليّ، وإن بشكل غامض: إلى «البعض». يمكن أن يعتبر المرء هذا الغموض بمثابة إذنٍ لبلير بتقديم ما يقوله منتقدو الحرب بطريقة غامضة تحاشياً لأيّ تحديد أكبر في الإسناد يجعل التحقّق ممّا يقتبسه أسهل. والجملة الأخيرة هي الأهمّ في هذا المضمار: تبدأ بموافقة ـ يصحبها تحديد ـ على طلب «فهم أسباب الإرهاب» (يجب أن «نجرّب»)، لكن يتبع ذلك اعتراض يستند إلى تضمين سياقيّ مفاده أنّ الذين يدعون إلى فهم الأسباب يسعون إلى تبرير أحداث الحادي عشر من أيلول. من المُلاحظ، كما في المثال السابق، وجود إنكار: «لا شيء يمكن أن يبرّر الحادي عشر من أيلول/سبتمبر»، ممّا يستلزم وجود قول موجب في «مكان آخر» مفاده أنّ «الإرهاب» يمكن أن يُبرّر بـ «أسباب». بالطبع إنّ الدعوة

إلى تفهّم أكبر لسبب لجوء الناس إلى الإرهاب لا يستلزم، ولم يستلزم عند منتقدي سياسات بلير وبوش (Bush) حينها، اعتبار الإرهاب مبرّراً بأسباب متراكمة.

عندما يُقتَبَس ما قاله شخص آخر، أو ما كتبه أو فكّر به، يتمّ إنشاء حوار بين نصّين مختلفين وصوتين مختلفين، ومن المحتمل أن يتمّ ذلك بين منظورين مختلفين وأهداف ومصالح مختلفة، وما إلى ذلك[20]. من المرجّح دائماً وجود توتّر بين ما تتمّ صياغته في نصّ الذي يقتبس، بما في ذلك التأثير الذي يُحدِثه داخل النص اقتباس نصوص أخرى، وما جرى في النص المُقتَبَس. بيّنتُ سابقاً وجود تغاير كبير بين التناصّ والمسلّمات: الأوّل منفتح على الاختلاف والحوار، والثانية ليست كذلك. إنّ شكل التناص الذي كنت أشير إليه هو، بالدرجة الأولى، الاقتباس المباشر الشفويّ أو المكتوب (راجع أدناه). لكن، ما إن ندخل في تفاصيل كيفيّة اقتباس ما يقوله الآخرون أو يكتبونه أو يفكّرون به، والأشكال المختلفة التي يمكن أن يتّخذها الاقتباس، حتى يصبح من الواضح أنّ الأمر أكثر تعقيداً: الاقتباس، باعتباره أحد أشكال التناص، يتضمّن جزءاً كبيراً من التوجّهات إلى الاختلاف التي لخّصتُها في السيناريوهات الخمسة أعلاه.

من التغايرات المهمّة بين ضروب الاقتباس ذلك الذي يقوم بين الاقتباسات «المخلصة» نسبيّاً إلى المُقتبَس، تنقله بالحرف ـ معلنةً أنّها تعيد ذكر ما قيل أو كتب فعلاً، والاقتباسات التي ليست كذلك، وبعبارات أخرى، التغاير الذي يقوم بين الاقتباسات التي تحتفظ إلى

(20) V. N. Volosinov, *Marxism and the Philosophy of Language*, Translated by Ladislav Matejka and I. R. Titunik (Cambridge: [Harvard University Press], 1973).

حدّ بعيد نسبيًا بخط فاصل واضح بين المُقتبَس - الشفوي أو المكتوب أو الذي خطر كفكرة، والنص الذي يستحضر الاقتباس، والاقتباسات التي ليست كذلك[21]. هذا هو الفرق بين الاقتباس المباشر وغير المباشر. يمكننا التمييز بين أربع طرق اقتباس[22]:

- **الاقتباس المباشر**

اقتباس بالحرف، يُفترض أنّه ينقل الكلمات التي استخدمت فعلاً، بين مزدوجين، ضمن عبارة تستحضر المُقتبَس (مثال ذلك، قالت: «سيصل قريباً»).

- **الاقتباس بغير الحرف**

تلخيص، يتمّ نقل مضمون ما قيل أو كتب، وليس الكلمات التي استخدمت فعلاً، من دون مزدوجين وضمن عبارة تستحضر المقتبَس (مثال ذلك: «قالت إنّه سيصل إلى ذلك المكان عند ذلك»، حيث تمّت زيادة «إنّه» و«إلى ذلك المكان»، وأصبحت «قريباً» «عند ذلك»).

- **الاقتباس الحرّ بغير الحرف**

وسط بين الاقتباس بالحرف والاقتباس بغير الحرف، يملك بعض التغيّرات في أزمنة الأفعال والتعابير الإشاريّة الموجودة عادة في الاقتباس بغير الحرف، لكنّ تغيب عنه العبارة التي تستحضر الاقتباس.

---

(21) المصدر نفسه، و Norman Fairclough, «Discourse Representation in Media Discourse,» *Sociolinguistics*, vol. 17 (1988), pp. 125-139.

(22) للحصول على شرح مفصّل، انظر: Geoffrey N. Leech and Michael H. Short, *Style in Fiction: A Linguistic Introduction to English Fictional Prose* (London: Longman, 1981).

وهو مهمّ بشكل أساسي في اللغة الأدبيّة (مثال ذلك: حدّقت ماري من النافذة. يكون قد وصل إلى ذلك المكان عند ذلك. ابتسمت لنفسها).

- **نقل سردي لفعل كلامي**

يُخبر عن نوع الفعل الكلاميّ من دون اقتباس مضمونه (مثال ذلك: توقّعت أمراً).

يتضمّن النصّ الثاني («بلدة المهرجانات تزدهر») صوتين، كِلاهما لرسميَّيْن محليّين، يمثّلان على التوالي الحكومة المحليّة وأصحاب الأعمال (رئيس البلديّة، والمدير الإداري للمركز المحلّي لأصحاب المشاريع). كان يمكن أن يتضمّن النص أصواتاً أخرى أيضاً (تمثّل مثلاً المجتمع الثقافي أو سكّان من البلدة يتحدّثون عن تجربة العيش هناك)، لكنّه ليس كذلك. يبدو أنّ النصّ كُتب بالاستناد إلى مقابلات مع المسؤولَين المذكورَين. بعض المعلومات عن البلدة ترد في ما يقوله الكاتب، وبعضها في المنسوب إلى المسؤولَين، أحياناً بالاقتباس المباشر (بالحرف)، وأحياناً بالاقتباس غير المباشر (تلخيص). وبما أنّ معظم المعلومات في النص مصدرها، على الأرجح، المقابلات، يمكن أن يتساءل المرء عن سبب توزيع تلك المعلومات بين كلام المؤلّف والاقتباس المباشر والاقتباس غير المباشر. يبدو أنّ سبب ذلك هو صنف النص. النصّ الثاني فيه «مزج» للأصناف، كما ذكرتُ في الفصل الثاني، وهذا التناص فيه موجود عادةً في التقارير الصحافيّة. إنّه طراز فيه تناوب بين ما يورده المؤلّف والاقتباس غير المباشر، يساند ذلك أو يدعمه اقتباس بالحرف. يبدو في النصّ الثاني أنّ كلّ المعلومات عن البلدة مصدرها أصوات أخرى، لكنّ صنف التقرير الصحفيّ يحبّذ هذا التوزيع للمعلومات بين صوت المؤلّف والأصوات التي يُسند إليها اقتباسات.

إنّ العلاقة بين كلام المؤلّف والكلام المُقتبس مباشرة في المثال الثاني، فلا يظهر التوتّر الذي أشرت إليه سابقاً، أو مسائل التوجّه إلى الاختلاف الذي أشرت إليها سابقاً. لكنّ هذه المسائل تظهر في المُقتطف الآتي من الوثيقة الخضراء التي صدرت عن الحكومة البريطانيّة اللّيبراليّة الجديدة، وتتناول فيها إصلاح نظام الدعم الاجتماعيّ (1988):

سيُصار إلى تقييم المرحلة الأولى من الاتّفاق الجديد حول الأهل المنفردين تقييماً كاملاً ومستقلاً، يصبح جاهزاً في خريف 1999. الإشارات الأولى مشجّعة. **منظّمات الأهل المنفردين، والأهل المنفردون أنفسهم، كلّهم رحّبوا بالاتّفاق الجديد، وفريق العمل المسؤول عن إيصال الخدمات متحمّس جداً. رحّب الفريق بفرصة التزامه إيصال المساعدة والرأي العمليّين. تستقطب المرحلة الأولى من الاتّفاق الجديد اهتماماً كبيراً: يسأل الأهل المنفردون في المناطق الأخرى من البلاد إن كان يمكنهم المشاركة.**

تسترعي الوثيقة التي اخترنا منها هذا المثال الانتباه، خاصةً بسبب غياب البعد الحواري والاختلاف عنها. وأحد مؤشّرات ذلك ندرة المقتبَس الشفوي والمكتوب في كلّ الوثيقة. تكاد الأصوات الأخرى لا توجد. والمُقتطف هنا أحد الاستثناءات القليلة. ولقد كتبتُ بخطّ مائل الأجزاء التي أعتبرُ أنّها تمثّل أصواتاً أخرى (الأهل المنفردين، فريق العمل... إلخ). هناك جملة واحدة في المثال من البيّن أنّها كلام مقتبس، هي الجملة الأخيرة، حيث الاقتباس غير مباشر («يسأل الأهل المنفردون في المناطق الأخرى من البلاد إن كان يمكنهم المشاركة»). تستلزم الأمثلة الأخرى وجود أشياء قيلت أو

كُتبت لكنّها غير مذكورة: إذا كانت منظّمات الأهل «رحبّت بالاتّفاق الجديد»، فذلك يفترض أنّها قالت أو كتبت أشياء إيجابيّة عنها، لكن ما يتمّ تمثيله في النص لا يتخطّى مواقف عامة (الترحيب، الحماس) استُخلصت من مقولات وتقييمات معيّنة. إنّ ذلك تمثيل للتفكير، وليس تمثيلاً لما قيل أو كُتب، لكن لا يمكن إلاّ أن يستند على ما قيل أو كُتب. يتمّ جلب أصوات أخرى إلى داخل الوثيقة، لكن بطريقة تستبعد التنوّع المؤكّد في ما قيل أو كُتب، ممّا يختزل الاختلاف. يمكن أن يتساءل المرء عمّا تستند إليه هذه الممثليات المعمَّمَة التي تتناول المواقف. ليس هناك ما يشير إلى ذلك، لكن من المرجَّح أنّها تستند إلى استطلاع للرأي. من المؤكّد أنّه لو ذكرت نتيجة الاستطلاع لاتّخذت شكل نِسب مئويّة. لكن ذلك يلغي الانطباع بوجود إجماع (السيناريو «د»). إنّ الدوافع الإستراتيجية والبلاغيّة الكامنة وراء هذا الشكل من أشكال الاقتباس واضحة بما يكفي، ويستطيع المرء أن يكتشف حضوره الواسع في عمل «الرأي العام» في السياسة والحاكمية المعاصرتَين[23].

يُظهر المثالان الأخيران أنّ التناص هو تجديد للسياق (تحدّثنا عن هذا الأفهوم في الفصل الثاني): انتقال من سياق إلى آخر، ممّا يعني تغيّرات معيّنة ناتجة من كيفيّة حضور المادّة المنقولةِ المُجدِّدِ سياقَها، في السياق الجديد. توجد إذاً، في ما يخصّ الاقتباس، من مكتوب أو من خاطر بالبال، مسألتان مترابطتان لابدّ من دراستهما:

---

(23) للمزيد عن هذا الموضوع، انظر: Norman Fairclough: «Discourse, Social Theory, and Social Research: The Discourse of Welfare Reform,» *Journal of Sociolinguistics*, vol. 4, no. 2 (2000), pp. 193-195, and *New Labour, New Language?* (New York: Routledge, 2000).

(أ) العلاقة بين المقتبَس والأصل (الحدث الذي تمّ نقله)،
(ب) العلاقة بين المقتبَس وبقيّة النص الذي اقتُبس منه: كيف يظهر المُقتبَس في النص، ما هو الدور الذي يقوم به.

يبيّن المثالان المذكوران طبيعة العلاقة بين المسألتين: أحد أدوار الاقتباس في نص «بلدة المهرجانات تزدهر» هو دعم ما يعلنه الكاتب، ممّا يفسّر التشديد على الاقتباس بالحرف والإعلان المستتر عن الإخلاص للأصل. في مقابل ذلك، تسهم الاقتباسات في الوثيقة الخضراء في شرعنة سياسة معيّنة، لذلك يتمّ التشديد على توليد انطباع بالإجماع عن طريق التعميم انطلاقاً من مقولات وتقييمات معيّنة بطريقة تختزل الاختلاف.

والنص السادس[24] تقرير مأخوذ من برنامج إذاعيّ (Today, BBC Radio 4, 30 September 1993) يتناول تسليم ليبيّين متّهمين بالضلوع في تفجير لوكربي في العام 1988، حيث انفجرت طائرة قرب بلدة لوكربي (Lockerbie) في إسكوتلندا وقُتل كلّ ركّابها[25].

«**في العناوين**»: قارئ الأنباء: أبلغت ليبيا الأمم المتّحدة أنّها وافقت على تقديم الرجلين المشتبه فيهما في تفجير لوكربي كي يُحاكما في إسكوتلاندا، لكنّها لا تستطيع تسليمهما في الموعد المحدّد.
قارىء الأنباء: أبلغت ليبيا الأمم المتحدة أنها وافقت على السماح للرجلين المشتبه فيهما في تفجير لوكربي بأن يجيئا إلى سكوتلاندا كي يُحاكما. هذا ما صرّح به في نيويورك، مساء أمس، وزير

(24) انظر الملحق للاطّلاع على اصطلاحات كتابة النصوص.
(25) انظر: Norman Fairclough, *Media Discourse* (London: Edward Arnold, 1995).

خارجية ليبيا عند خروجه من اجتماع مع الأمين العام، الدكتور بطرس غالي.

وزير الخارجيّة: إنّ الإجابات التي حصلنا عليها من المملكة المتّحدة والولايات المتّحدة بوساطة الأمين العام مقبولة جدّاً بالنسبة إلينا، ونحن نعتبرها إيجابيّة (أ) وضمانات كافية لتأمين محاكمة عادلة (.) للمشتبه فيهما عندما يَمْثُلان أمام (أ) المحكمة.

قارئ الأنباء: قال المسؤولون الليبيّون في الأمم المتّحدة، وهم يواجهون التهديد بزيادة العقوبات، إنّهم يحتاجون لمزيد من الوقت لتحديد تفاصيل التسليم. ويقوم أقرباء الـ 270 شخصاً الذين قتلوا على متن الرحلة 103 في كانون الأوّل/ ديسمبر 1988 بدراسة تصريح اللّيبيّين بحذر. من الأمم المتّحدة، مُراسلنا جون ناين (John Nian).

المُراسِل: لايزال السياسيّون الغربيّون يعتقدون أنّ ليبيا تحاول هدر الوقت. لكن، بحسب ظاهر الأمور، يبدو أنّ ليبيا تقترب رويداً من مرحلة تسليم المشتبه فيهما. إذا كانت هذه المبادرة مجرّد وسيلة تأخير، هدفها إقناع المتردّدين في مجلس الأمن بعدم تأييد العقوبات الجديدة في تصويت يُرجّح أن يكون متقارباً. لكن جاءنا أنّ الأمين العام للأمم المتّحدة كان متشدّداً مع ليبيا، فطالبها بتعيين دقيق لوقت يتمّ فيه تسليم المشتبه فيهما. ووعد وزير خارجيّة ليبيا بالإجابة عن هذه النقطة اليوم في وقت لاحق، لكنّه طلب مزيداً من الوقت لتدبير أمر التسليم. استمرّ الغرب أثناء ذلك في الضغط على ليبيا. كرّر وزير خارجيّة بريطانيا دوغلاس هارد (Douglas Hurd) ووزير الخارجيّة الأميركي وارين كريستوفر (Warren Christopher) تهديدهم ليبيا بالعقوبات. وقال دبلوماسيّون غربيّون إنّه إذا لم يتمّ تسليم المشتبه فيهما فوراً فسيوضع قرار جديد على جدول أعمال الغد.

الأصوات الأساسيّة الممثّلة في هذا المثال هي: الحكومة الليبيّة (رسميّون ليبيّون ووزير خارجيّة ليبيا)، والحكومات الغربيّة، وسياسيون ودبلوماسيّون غربيّون (المملكة المتّحدة، والولايات المتّحدة الأميركيّة، ودبلوماسيّون غربيّون، ووزير خارجيّة المملكة المتّحدة، ووزير خارجيّة الولايات المتّحدة)، والأمين العام للأمم المتّحدة، وأقرباء الذي قُتلوا. هناك أيضاً صوتا الصحافيّين، قارئ الأنباء والمُراسِل. وباستثناء تصريح وزير الخارجيّة اللّيبي المُسَجَّل، اقتُبس الكلام والأفكار بالأسلوب غير المباشر. قد تبدو إقامة «توازن» سطحي إيجابيّة جداً: يبرز صوت وزير الخارجيّة بقدر ما يبرز صوت الحكومات الغربيّة. لكن إذا نظرنا إلى النصّ من منطلق تجديد السياق، وبخاصة من منطلق كيفيّة جمع الأصوات المختلفة معاً في نسيج النص، سيظهر أنّ التقرير أكثر إثارة للجدل، وأقلّ تساهلاً مع الحكومة الليبيّة.

إحدى المسائل المرتبطة بذلك هي «التأطير». عندما يتمّ دمج صوت آخر في النص، توجد دائماً خيارات تخصّ كيفيّة تأطيره ـ تجديد سياقه ـ انطلاقاً من الأجزاء الأخرى في النص، أي إنّها تخصّ العلاقات بين الاقتباس وما يخبره المؤلّف. على سبيل المثال، يرد اقتباس مفاده أنّ الليبيّين قالوا «إنّهم يحتاجون لمزيد من الوقت لتحديد تفاصيل التسليم»، ويتمّ تأطيره بـ «وهم يواجهون التهديد بزيادة العقوبات». يمكن اعتبار هذا التأطير نوعاً من التوجيه إلى تفسير سلبي للمُقتبس من كلام الرسميّين الليبيّين، إلى اعتباره «خدعة» ـ لاحقاً في النص يطرح المراسل فرضيّة اعتماد «وسيلة تأخير».

إليكم **مثال آخر**: «جاءنا أنّ الأمين العام للأمم المتّحدة كان متشدّداً مع ليبيا، فطالبها بتعيين دقيق لوقت يتمّ فيه تسليم المشتبه

فيهما». كلمة «طالَبها» جزء من التأطير، باعتبارها الفعلَ الذي يستحضر المُقتَبَس ـ من غير المرجَّح إلى حدّ بعيد أن يكون الأمين العام قد قال «أُطالِبُ بـ. . .»، فاستخدام «أطالب» بدل «أسأل» مثلاً، هو تأطيرٌ يوجّه إلى تفسير يضع اللّيبيّين في موقع إدانة: إذا كانت الأمم المتّحدة، التي نفترض أنها غير منحازة، تتشدّد مع ليبيا، فلابدّ أن تكون هذه الأخيرة على خطأ. وفي هذا المثال تمّ تأطير اقتباس باقتباس آخر: تأطير «المطالبة» باقتباسٍ مفاده أنّ «الأمين العام للأمم المتّحدة كان متشدّداً مع ليبيا». إذاً هناك تراكم أُطر يوجّه بإلحاح إلى تفسير للموقف يدين ليبيا.

تقود دراسة التأطير إلى التساؤل حول كيفيّة تسلسل الأصوات في النص. لكن لطرح هذه المسألة نحتاج أن ننظر في أحد جوانب الاقتباسات، وهي غير مباشرة في معظمها. إنّ هذا الجانب هو كيفيّة تمثيل عمليّة التسليم (أو، بلغة حياديّة أكثر، انتقال المتّهمين من ليبيا إلى إسكوتلندا للمحاكمة). في تصريح وزير الخارجيّة الليبي المُسَجّل، الانتقال «مثول أمام المحكمة». في الخبر الذي يورده قارئ الأنباء قبل التصريح، يمثّل الانتقال على أنّه «مجيء» الرجلَين «إلى إسكوتلندا للمحاكمة». في بقيّة النص يمثّلان، ستّ مرّات، على أنهما الرجلان اللّذان سيتمّ «تسليمهما» (أو موضوع «التسليم»). يلقي هذا التمثيل ضوءاً مختلفاً وسالباً على ليبيا وعلى المتّهمين: «يسلّم» بلد ما مثلاً هارباً أو سجيناً وليس مواطنين. وتسلّم جهة ما أشخاصاً ـ أو أشياء ـ مكرهةً وليس، على سبيل المثال، تأدية لواجباتها القانونيّة. تظهر هذه الممثّليّة في الاقتباسات غير المباشرة من أقوال الدبلوماسيّين الغربيّين وأقوال اللّيبيّين والأمين العام للأمم المتّحدة، كما تظهر في كلام المُراسِل (وصوته). فهي الممثّليّة التي يتبنّاها التقرير عامةً، تلك التي تتصوّر أنّ الممثليات الأخرى حوّلت

إليها. من صاحب هذه الممثّلية؟ يصعب الحصول على إجابة أكيدة، لكن من الواضح أنها ممثّلية «غربيّة» وليست ممثّلية ليبيّة.

بالعودة إلى التأطير، لاحظ أنّ هذه الممثّلية ترد في موقع بارز هو العنوان (في هذا النمط من التقارير الإخبارية تُقرأ كلّ العناوين في بداية الأنباء)، كما ترد في الموقع البارز الذي يُسمّى أحياناً «الخاتمة» (الجزء الأخير من الخبر، الذي يعيدنا إلى الحاضر، والذي يبدأ بـ «استمرّ الغرب أثناء ذلك»). أضف أنّنا إذا نظرنا في كيفيّة ترتيب الأصوات من حيث علاقتها ببعضها في تقرير المُراسل، يتبيّن أنّ هناك بنية فيها «مناصرون وأخصام» تضع «أشخاصاً جيّدين» (الدبلوماسيّين والسياسيّين الغربيّين) في مواجهة «أشخاص سيّئين» (اللّيبيّين). تطغى أصوات اللّيبيّين أكثر في النصف الأوّل من التقرير، أمّا في النصف الثاني، حيث يتكلّم المُراسل، فيطغى صوتا الغرب والأمم المتّحدة، ويظهر أنّهما ينتقدان ليبيا. أما الجمل الثلاث الأخيرة، التي تبدأ بـ «استمرّ الغرب أثناء ذلك»... فتختم التقرير بأصوات غربيّة. وتلخّص الجملة الأخيرة بشكل مستتر نبذ الانفتاح اللّيبي، كما تحتوي على تهديد. إنّ أدوات الربط بين الجُمل («لكنّ»، «أثناء ذلك») وداخل الجمل («لكنّ») هي واسمات تنظيم الأصوات في تقرير مُراسل الإذاعة البريطانيّة. تربط «لكنّ» بين الجملتين الأولى والثانية. يُنشئ ذلك تغايراً بين ما يعتقد الدبلوماسيّون الغربيّون أنّ ليبيا تفعل، وما يبدو أنّها تفعل.

والجملتان الثانية والثالثة مهمّتان: الجملة الثانية هي صوت المُراسل، وليست ممثّليّة صوت آخر. تكون مقولات المراسلين مؤكّدة عامة، لكنّ الجملة المذكورة مخفّفة مرّتين («بحسب ظاهر الأمور»، «يبدو»)، معبّرة بذلك عن ضعف الاعتقاد أنّ ليبيا تعمل

باتّجاه «التسليم». والجملتان الثانية والثالثة هما أيضاً في علاقة تغاير، مع أنّه لا يوجد واسم يدلّ على ذلك، هناك انتقال مستتر في الجملة الثالثة يعود بنا إلى صوت الدبلوماسيّين الغربيّين في تحديد «هدف» ليبيا («إقناع المتردّدين في مجلس الأمن بعدم تأييد العقوبات الجديدة»). تمهّد «لكن» في بداية الجملة الرابعة لصوت الأمين العام للأمم المتّحدة المتشدّد في مواجهة «الهدف» التلاعبي المُفترض الذي تقوم به ليبيا. والجملة الخامسة هي الوحيدة في تقرير المراسل التي تمثّل صوتاً ليبيّاً، مع أنّ «لكن» في الجملة تقيم بشكل مستتر تغايراً بين الجانب الإيجابي والجانب السلبي في ردّ وزير الخارجيّة اللّيبي على الأمين العام: «يعد» ويطلب مزيداً من الوقت. في نهاية التقرير تقيم «أثناء ذلك» خطاً فاصلاً بين تحرّكات وزير الخارجيّة الدبلوماسيّة وما يفعله «الغرب»: يستخدم المراسل ما يفعله «الغرب» لتأطير تحرّكات وزير الخارجيّة والتقليل من شأنها.

إنّ تمثيلَ انتقال المتّهمَين من ليبيا إلى إسكوتلندا للمحاكمة كـ «تسليم»، يعني اختيار خطاب معيّن علّقتُ عليه بعض الشيء أعلاه. هناك مسألتان مهمّتان تتعلّقان بذلك. **أوّلاً**، قد يكون أحد أسباب الفرق بين الأصوات المقتبس عنها في نصّ ما أنّ الأصوات المختلفة تستند إلى ضروب خطاب مختلفة. **ثانياً**، يمكن تمثيل الأصوات بدرجات مختلفة من المحسوسيّة أو التجريد. ويتدرّج ذلك من الاقتباس المباشر لما قيل أو كُتب فعلاً في حدث معيّن محسوس، إلى تقديم تلخيص غير مباشر لما قيل أو كُتب في ذلك الحدث، إلى تمثيل عام لما تقوله عادة مجموعة من الناس (أو من المفترض أنها تقوله)، بشكل منفصل عن أحداث معيّنة ـ تحدّثنا عن ذلك في مناقشتنا لخطبة بلير أعلاه ـ، إلى الاكتفاء بالتذكير بصوت ما من خلال الاستناد إلى خطاب من المعروف أنّه يرتبط بالصوت

المذكور. نجد في المقتطف من منشور قسم التربية والتوظيف، الذي ناقشناه أعلاه، مثالاً على الحالة الأخيرة المذكورة: «هؤلاء هم التلامذة الذين يتوجّب على أبنائنا مُنافستهم للحصول على عمل ومقاعد جامعيّة في سوق عالمي». قلت سابقاً إنّ النص يسلّم بوجود سوق عالمي. لكن لا يقتصر الأمر على ذلك: ينتمي تعبير «سوق عالمي» إلى الخطاب الاقتصادي والسياسي الليبرالي الجديد المُسيطر الذي يرتبط بالأصوات المسيطرة على صعيد الوطن والعالم في حقول الاقتصاد والسياسة، ويذكّر بهذه الأصوات الحضور المتقطّع لذلك الخطاب في النص.

أريد أخيراً أن أشدّد على أنّ التناص انتقائيّ، لا مناص من ذلك، في ما يقبل وما يستبعد في تمثيله للأحداث والنصوص. لننظر مثلاً في الجملة الآتية من نشرة الأخبار الإذاعيّة: «هذا ما صرّح به في نيويورك، مساء أمس، وزير خارجيّة ليبيا عند خروجه من اجتماع مع الأمين العام، الدكتور بطرس غالي». تتضمّن الجملة مكان الحدث، وزمانه، وتَموْقعه بالنسبة إلى حدث آخر (اللّقاء مع أمين عام الأمم المتّحدة). ليس من اقتباس آخر في النص يرافقه هذا القدر من التفاصيل. يقول أحد التفسيرات إنّ هذه التفاصيل مهمّة عندما تكون التصريحات مهمّة سياسيّاً وينطق بها أشخاص مهمّون، لكنّها ترتبط أيضاً بالصنف المُستخدَم. إنّ احتمال تحديد كيفيّة النطق أكبر بقدر كبير عندما يتمّ تمثيل كلام في رواية (مثال ذلك: قلت «اصعد وانظر بنفسك»، وأنا أحاول أن أخفي الألم في صوتي. رايموند تشاندلر (Raymond Chandler)، **وداعاً يا حبيبي**) منه عندما يتمّ تمثيل كلام في تقرير إخباري، حيث من المرجّح أن يقتصر التركيز أكثر على المعنى الممثّل للكلام، أو على المضمون، أو ما يقوله الناس.

المسلّمات

وجود المستتر خاصيّة منتشرة في النصوص، وهي ذات أهميّة اجتماعيّة كبيرة. كلّ أشكال الألفة والارتباط بالجماعة والتضامن تستند إلى معانٍ مشتركة ويمكن اعتبارها معطاة، ولا يمكن تصوّر أيّ شكل من أشكال التواصل أو التفاعل الاجتماعي من دون هذا النوع من «الأرضيّة المشتركة». من ناحية أخرى تتضمّن القدرة على ممارسة السلطة الاجتماعيّة، والسيطرة والهيمنة، القدرة على تشكيل طبيعة «الأرضيّة المشتركة» ومضمونها إلى درجة ذات شأن. ويجعل ذلك من المعنى المستتر والمسلّمات مسألة ذات أهميّة من حيث ارتباطها بالايديولوجية.

يمكننا التمييز بين ثلاثة أنماط أساسيّة من المسلّمات:

مسلّمات وجودية: مسلّمات موضوعها ما هو موجود.
مسلّمات خبرية: مسلّمات موضوعها ما الحال عليه، أو ما يمكن أن يكون أو ما سيكون.
مسلّمات قيمية: مسلّمات موضوعها الجيّد أو المطلوب.

ويمكن أن «يُطلق» كلُّ نمط من هذه المسلّمات(26) سماتٌ لسانيّة يحتوي عليها النص، لكن ليس هناك دائماً ما «يُطلق» المسلّمات. على سبيل المثال، يُطلق المسلّمات الوجودية واسماتُ الإرجاع المحدّد، ككَلام التعريف وأسماء الإشارة (الـ، هذا، ذاك، هذه، تلك. . .). ويُطلق المسلّماتِ الوقائعيّةَ بعضُ الأفعال (أفعال «وقائعيّة»)، على سبيل المثال، إذا قلنا «تبيّن لي (نسيت، تذكرتُ)

(26) Stephen C. Levinson, *Pragmatics*, Cambridge Textbooks in Linguistics (New York: Cambridge University Press, 1983).

أنّ مديري الأعمال يجب أن يكونوا مرنين»، نسلّم أنّ مديري الأعمال يجب أن يكونوا مرنين، ويمكن أن يُطلق المسلّماتِ القيمية بعضُ الأفعال، أيضاً، على سبيل المثال باستخدام «ساعَدَ» في «يمكن أن يساعد برنامج التدريب الجيّد على تطوير المرونة»، نسلّم بأنّ تطوير المرونة مطلوب.

لنعد إلى النصّ الرابع، وهو مُقتطف من إحدى الوثائق الذي يحدّد فيها «الاتّحاد الأوروبي» سياسته، لتوضيح أنماط التسليم المذكورة:

1 - لكن هي (العولمة) أيضاً سيرورة متطلّبة، وغالباً ما تكون مؤلمة.
2 - يصاحب التطوّر الاقتصادي دائماً تدميرٌ للأنشطة المندثرة وتوليدُ أنشطة جديدة.
3 - أصبح معدّل التقدّم سريعاً، واتخذت اللّعبة أبعاداً عالميّة.
4 - إنّ ذلك يفرض على جميع الدول، بما في ذلك الدول الأوروبيّة حيث ولدت الحضارة الصناعيّة، تأقلماً عميقاً وسريعاً.
5 - يهدّد التماسكَ الاجتماعي انتشارُ الشعور بالانزعاج، وغياب المساواة، والاستقطاب.
6 - يحيق بالناس خطر الانفصام بين آمالهم وطموحاتهم من جهة، ومتطلّبات الاقتصاد العالميّ من جهة أخرى.
7 - ومع ذلك لا يقتصر التماسك الاجتماعي على كونه هدفاً اجتماعيّاً وسياسيّاً قيّماً، فهو ايضاً مصدر فعاليّة وتأقلم في اقتصاد أساسه المعرفة ويزداد اعتماده على نوعيّة العاملين والقدرة على العمل ضمن فريق.
8 - إنّه من واجب الحكومات والنقابات وأرباب العمل، أكثر من أيّ وقت مضى، العمل معاً على:

- وصف المسائل المهمة وإقصاء عدد من الأخطاء،
- التشديد على أنّ بلداننا يجب أن ترفع من مستوى طموحاتها، وأنّه يمكن تحقيق هذه الطموحات،
- إحداث الإصلاحات الضروريّة بشكل مترابط ومن دون تأخير.

9 - ينتج من الإخفاق في التحرّك سريعاً وبشكل حاسم خسارةٌ في الموارد البشريّة ورؤوس الأموال، وستغادر هذه الموارد إلى أصقاع واعدة إذا كانت الفُرَص في أوروبا أقلّ جاذبيّة.

تتضمّن المسلّمات الوجودية التسليم بوجود عولمة (يُشار إليها بالضمير «هي» في الجملة الأولى)، وتماسك اجتماعيّ (الجملة الخامسة)، وشعور بالانزعاج مُنتشر، وعدم مساواة، واستقطاب (الجملة الخامسة)، وعولمة اقتصاديّة (الجملة السادسة) واقتصاد أساسه المعرفة (الجملة السابعة). وتتضمّن المسلّمات الخبرية التسليم بأنّ العولمة سيرورة (يتمّ في الجملة الأولى التصريح بنوعيّة السيرورة: «متطلّبة»)، وبأنّ العولمة تشكّل تقدّماً اقتصاديّاً (الجملة الأولى والثانية)، وبأنّ الناس لديهم آمال وتوقّعات، وأنّ الاقتصاد العالميّ يفرض متطلّبات (الجملة السادسة)، وبأنّ التماسك الاجتماعيّ هدف سياسيّ واجتماعيّ قيّم، وبأنه يزداد اعتماد الاقتصاد الذي أساسه المعرفة على نوعيّة العاملين والقدرة على العمل ضمن فريق (الجملة السابعة)، وبأنّ الإصلاحات ضروريّة (الجملة الثامنة). إنّ التسليم بأنّ العولمة تشكّل تقدّماً اقتصاديّاً مثالٌ على العلاقة بين المسلّمات والترابط الدلاليّ: يمكن التحدّث عن «مسلّمات واصلة»، وهي مسلّمات ضروريّة لإيجاد ترابط أو «جسر» بين أجزاء النص، فيكون النصّ «ذا معنى». في المثال الذي ندرسه، تشكّل المسلمة المذكورة في الجملة السابقة مسلّمة واصلة تسمح بإقامة ترابط دلاليّ بين الجملتَين الأولى والثانية. كذلك توجد مسلمة خبرية في قوله

«الأنشطة المندثرة» في الجملة الثانية: يمكن أن تصبح الأنشطة الاقتصادية مندثرة.

يمكن أن تتضمّن النصوص تقييماً علنيّاً («هذا مُدهش/ ممتاز!»)، لكن معظم التقييم في النصوص مسلّمٌ به[27]. في الجملة الخامسة تُطلق «يهدّد» المسلّمات التقييميّة، وكذلك تطلقها «خطر» في الجملة السادسة. إذا قلنا إنّ «أ» يهدّد «ب» (يشكّل تهديداً له)، فنحن نسلّم أنّ «أ» غير مرغوب فيه و«ب» مرغوب فيه، وبشكل مُماثل، إذا قلنا إنّ الأمر «أ» يشكّل خطراً، فنحن نسلّم أنّ الأمر «أ» غير مرغوب فيه. من المسلّم به في المثال الذي ندرسه أنّ التماسك الاجتماعي مرغوب فيه، أمّا الشعور المُنتشر بالانزعاج وغياب المساواة والاستقطاب، فغير مرغوب فيه. وكذلك بالنسبة إلى الانفصام بين الآمال والطموحات. لكن ليس من الضروري وجود ما يُطلق المسلّمات القيمية. لا حاجة لوجود مُنبّه مثل «يهدّد» لكي يكون «الانزعاج، وغياب المساواة، والاستقطاب» ضمنيّاً أموراً غير مرغوب فيها، يمكن أنّ يفسّرها المرء على هذا النحو بالاستناد إلى معرفته بالمنظومة القيميّة المستترة في النصّ، وتعرّفه إليها. من الواضح في الجملة السابعة أنّه يتمّ، ضمن منظومة النصّ القيميّة، تمثيل التماسك الاجتماعي على أنّه مرغوب فيه، باعتباره يرفع من مستوى «الفاعليّة والتأقلم». ويجب التنبّه إلى أنّ قارئ النص يمكن أن يتعرّف إلى المنظومة القيميّة، ومن خلالها إلى المعنى المُسلّم به، من دون أن يقبله أو يوافق عليه: لا يقبل نقّاد «الاقتصاد العالمي» الجديد باعتبار الفعاليّة والتأقلم سلعتين مرغوب فيهما في جميع الأحوال، لكن من المرجّح أنّ يتمكّنوا من التعرّف إلى المسلّمة التي يدخلان فيها. ويعني ذلك أنّ تفسير المرء للنصوص من منطلق قيميّ يستند إلى

(27) الفصل العاشر لمناقشة شاملة تتناول القيم.

معرفته بالمنظومات القيميّة والتعرّف إليها في النص.

تقودنا مسألتا المستتر والمسلّمات إلى ما يُعتبر تقليديّاً مجال الألسنية التداولية أو البراغماتية[28]. وهذه الأخيرة هي دراسة «اللغة من حيث علاقتها بمستخدميها»[29]. إنّها تركّز على المعنى، لكن بالتحديد على صناعة المعنى في التواصل الفعليّ، في مقابل ألسنيّة علم المعاني التي تهتمّ بالعلاقات الدلالية التي يمكن نسبتها إلى اللغة في حدّ ذاتها وبشكل مجرّد عن التواصل الفعليّ. ألقت الألسنية التداولية إضاءات قيّمة على المسلّمات (الافتراضات، والتضمينات السياقيّة)، والأفعال الكلاميّة، وما إلى ذلك. لقد استفاد تحليل الخطاب من هذه الإضاءات[30]، لكنّ التداولية محلّ إشكال أحياناً، لأنّها تضخّم دور الفاعل الاجتماعيّ (على الأقلّ في صيغها البريطانيّة الأميركيّة، في مقابل صيغها الأوروبيّة) وتنزع إلى تناول مقولات منعزلة، وغالباً مخترعة[31].

الأيديولوجيات والمسلّمات

عند دراسة أيّ منظومات قيميّة والمسلّمات التي ترتبط بها، يمكن اعتبارها تنتمي إلى ضرب خطابيّ معيّن - ينتمي التسليم بأنّ كلّ ما يحسّن «الفاعليّة والتأقلم» مرغوب فيه إلى الخطاب السياسيّ والاقتصاديّ الليبراليّ الجديد. يمكن أن تكون المسلّمات الوجودية

(28) D. Blakemore, *Understanding Utterances: An Introduction to Pragmatics* (Oxford: Blackwell, 1992); Levinson, Ibid; Jacob L. Mey, *Pragmatics: An Introduction* (Oxford, UK: Blackwell, 1993), and Jef Verschueren, *Understanding Pragmatics* (London: Arnold, 1999).

(29) Mey, *Pragmatics: An Introduction*

(30) مثال ذلك: Fairclough, *Discourse and Social Change*.

(31) Fairclough, *Language and Power*.

والخبرة هي أيضاً خاصة بخطاب معيّن، يتضمّن الخطاب المعيّن مسلّمات موضوعها الموجود وحالته، والممكن والضروري، وما سيكون، وما إلى ذلك. وفي بعض الحالات يمكن البرهنة على أنّ المسلّمات، وضروب الخطاب التي ترتبط بها، أيديولوجيّة. والمعاني المسلّم بها ذات أهميّة أيديولوجيّة كبيرة. يمكن القول إنّ العلاقات السلطويّة تدعمها بشدّة معانٍ تُعتبر، على نحوٍ واسع، معطيات. ويرتبط مفعول النصوص الأيديولوجي بما قلته سابقاً عن الهيمنة والعالميّة. والسعي وراء الهيمنة هو سعي لجعل معانٍ خاصةٍ عالميّةً، في سبيل تحقيق السيطرة وصيانتها. وما هذا سوى عمل أيديولوجيّ. فعلى سبيل المثال، يمكن اعتبار النصوص تقوم بعمل أيديولوجيّ عندما تسلّم بوجود اقتصاد عالمي وتعتبره واقعاً لا شكّ فيه ولا يمكن تحاشيه (كالتسليم بوجود «سوق عالميّ» في الجملة المشار إليها عند مناقشة الهيمنة: «هؤلاء هم التلامذة الذين يتوجّب على أبنائنا مُنافستهم للحصول على عمل ومقاعد جامعيّة في سوق عالميّ»). كذلك في نصّ الاتّحاد الأوروبيّ، يمكن اعتبار كلّاً من التسليم بأنّ العولمة واقع، والتسليم بأنّها تقدّم اقتصاديّ يقومان بعمل أيديولوجيّ.

لكن للتوصّل إلى هذه الطروحات لابدّ من تخطّي التحليل النصي. لنأخذ مثالاً مختلفاً جدّاً. أحد الأبراج الفلكيّة (Lancaster Gardien, 23 November 2001).

برج العذراء

لبضعة أسابيع، سيكون النموّ الروحي أهمّ بالنسبة إليك من الطموح الخارجيّ. تفضّل النظر إلى داخلك، وتحبّ أن تشعر أنّك على اتّصال أكبر بروحك. إذا كان بإمكانك في العمل استبعاد

الأعمال الروتينيّة الثقيلة لبضعة أسابيع، فإنّ ذلك سيساعدك. قد لا يكون ذلك سهلاً، لأنّك ستكون مضطرّباً بشأن بعض المسائل. فكّرْ بالغضب وكأنّه امتناع عن إثبات وجودك، فيمكنك أن ترى لماذا من الأفضل أن توضح باستمرار ما تحتاجه وما لا تحتاجه. إذا لم تثبت وجودك بطرق صغيرة، يتراكم الانزعاج وفجأة ينفجر الغضب.

يمكن التعرّف في هذا النص إلى عدد من المسلّمات الإخباريّة:

أوّلاً، هناك المسلمة «الثنائية» والدينية، التي تقول إنّ «الروح» مُغايرة للجسد، وداخل الأنا مغاير «لخارجها». **ثانياً**، من المسلّم به أنّ التركيز على «النموّ الروحي» يعني «النظر إلى الداخل» و«إحساس المرء بأنّه على اتّصال بروحه»، وهذه مسلّمة واصلة، ضروريّة لعلاقة دلاليّة مترابطة بين الجملتَين الأولى والثانية. يحتوي النص أيضاً على مسلّمة وجوديّة تقول بوجود ما يسمّى «الروح»، أو بأنّ الناس لهم أرواح. **ثالثاً**، يوجد مسلّمة تقول إنّه إذا كان المرء «مضطرباً»، يصعب أكثر «استبعاد الأعمال الروتينيّة الثقيلة». **رابعاً**، إنّ التفكير بالأمور بطرق معيّنة يسمح بفهمها، وإنّه من الأفضل أنّ يوضح المرء ما يحتاجه وما لا يحتاجه. **خامساً**، عندما يتراكم الانزعاج عند الإنسان، قد ينفجر غاضباً.

يعتبر البعض أنّ التسليم الديني «الثنائي» بتغاير بين الداخل، الأنا الروحيّة، والأنا الخارجيّة، تسليم أيديولوجيّ. هذه هي الحجّة الكلاسيكيّة التي تعتبر الدين أيديولوجيّة، «أفيون الشعوب» كما يقول ماركس (Marx) في تعبيره الشهير. لكن لاعتبار المسلّمة المذكورة أيديولوجيّة، نحتاج إلى البرهنة على أنّها تُسهم فعلاً، مع عبارات خبريّة ومعتقدات أخرى، في مساندة علاقات سلطويّة. يجب أن

يستند ذلك إلى تحليل علميّ اجتماعيّ معقّد للعلاقات بين المعتقدات الدينيّة والعلاقات السلطويّة، ويبقى مع ذلك موضع جدل. يجب أن يتخطّى التحليلُ النصوصَ، مع أنّ التحليل النصي يُظهر لنا أنّ الثنائيّة الدينيّة المذكورة مسلّم بها، وتعتبر بديهيّة، على نحو واسع، ويمكن اعتبار ذلك جزءاً مهمّاً من التحليل. بالطبع لا يمكن أن يتناول الدارسُ النصَّ فقط، فيحدِّد المسلّمات، ويقرِّر بالاستناد إلى النصّ فقط أيّ المسلّمات أيديولوجيّة.

أنماط أخرى من المسلّمات

إنّ ما أسمّيه «مسلّمات» هو أحد أنماط الاستتار التي تميّز بينها الألسنية التداولية عامةً، إنّها «الافتراضات». يميّز فارشوارن[32] (Verschueren) بين أربعة أنماط (عدّلتُ في المصطلحات إلى حدّ ما):

الافتراضات (ما أسمّيه «المسلّمات»)
المستلزمات المنطقية التضمينات السياقية الحوارية المُعتادة
التضمينات السياقية الحوارية غير المعتادة.

إنّ المستلزمات المنطقية معانٍ مستترة يمكن استنتاجها منطقياً من سمات لغويّة. على سبيل المثال، يستلزم المقول «أنا متزوّج منذ عشرين سنة» أنّني لا أزال متزوّجاً (بسبب استخدام المضارع)، ويستلزم المقول «هو فقير، لكنّه شريف» أنّه يمكن التوقّع ألاّ يكون الفقراء شرفاء (بسبب استخدام «لكن» التي تفيد الاستدراك). أمّا التضمينات الحواريّة المعتادة، فهي معان مستترة يمكن استنتاجها وفق

(32) Verschueren, *Understanding Pragmatics*.

اصطلاحات بالاستناد إلى مسلّمة طبيعيّة تقول إنّ الناس يتبنّون ما يسمّيه غريس[33] (Grice) «قواعد سلوكية عامة» (maxims)، وهي أربعة:

قاعدة الكمّ: أعطِ من المعلومات الكمّ الذي يتطلّبه السياق، ليس أكثر من ذلك.
قاعدة النوع: حاول أن تقول الحقيقة.
قاعدة الملاءمة: قل ما يُلائم.
قاعدة الأسلوب: كُن واضحاً.

على سبيل المثال، إذا سألتُ: «هل هناك ما يستحقّ المشاهدة في لانكاستر؟»، يمكن أن تستنتج بالاستناد إلى القاعدة الثانية (قاعدة النوع) أنّني لا أعرف الكثير عن لانكاستر.

إنّ النمط الذي يلي الافتراضات في الأهميّة هو النمط الرابع، التضمينات السياقية الحوارية غير المعتادة. والتغاير الأساسي بين الافتراضات والتضمينات المذكورة هو أنّ الأولى تُعتبر المسلّم به - المعروف أو المعتقد به - مُعطى، في حين ترتبط الثانية بالدرجة الأولى باستراتيجيّات تحاشي الإفصاح. لكنّ ما يجعل هذا التغاير أقلّ بساطة ممّا يبدو هو استخدام استراتيجيّة تقديم أمر ما على أنّه مسلّم به، باعتباره معروفاً أو معتقداً به، على الرغم من علم المتكلّم أنّه ليس كذلك. على سبيل المثال، يمكن تصوير أمر على أنّه مبتوت، على الرغم من أنّه ليس كذلك (كقول أحدهم «لم أدرك عندها أنّ فريد يتقاضى أجراً من الاستخبارات الأميركيّة»، في محاولة لحمل

(33) H. P. Grice, «Logic and Conversation,» in: P. Cole and J. Morgan, eds., *Syntax and Semantics 3: Speech Acts* (New York: Academic Press, 1975).

المُستمع على الاعتقاد أنّ فريد يقوم بذلك). التضمينات السياقية الحوارية استراتيجيّة في طبيعتها، أما المسلّمات فقد تكون كذلك وقد لا تكون.

يتأتى نمط التضمينات السياقية الحوارية غير المعتادة من «تجاوز» إحدى القواعد الأساسيّة، تجاوز قاعدة في الظاهر مع المحافظة عليها على مستوى دلاليّ مستتر. لنأخذ مثالاً كلاسيكيّاً: إذا لم أكتُب في رسالة توصية لدعم مرشّح لمنصب أكاديمي سوى «إنّه لائق المظهر ودقيق في مواعيده»، سيبدو أنّ ذلك يتجاوز قاعدة الكمّ (لا يقدّم ذلك ما يكفي من المعلومات) وقاعدة الملاءمة (المعلومات المُقدّمة غير مُلائمة). لكن إذا افترض قارئ التوصيّة أنني أتعاون، ولست أحمقاً، فسيَستنتج أنّ المرشّح لا يملك الإمكانيات أو الصفات التي تؤهّله للمَنصب، وهذا يقدّم معلومات كافية (وإن فظّة) وملائمة.

تلخيص

نبدأ بالتمييز بين خمس اتّجاهات في الاختلاف الذي يظهر في التفاعل الاجتماعي وفي النصوص من حيث هي جزء من التفاعل الاجتماعي. ونستخدم ذلك كأساس لتقييم درجة حضور «البعد الحواري» في النص، ولمناقشة تحديد اتّجاه الاختلاف الذي يتّصف به «نطاق الحياة العامة». نتبع رأي لاكلو (Laclau)، فنرى أنّه يمكن اعتبار الهَيمنة محاولةَ تحويل الخاص إلى عالمي (ممثّليات خاصة عن التغيير الاقتصادي)، مما يستلزم تقليص البعد الحواري. ننظر في سلّم قياس حِواريّ، حيث الخيار الأكثر حِواريّة هو إدراج أصوات أخرى ضمن النص والاقتباس ممّا قاله أصحابها (هذا شكل من أشكال التناص). والخيار الأقلّ حِواريّة

هو استخدام المسلّمات، اعتبار الأشياء بديهيّة. ونتحدّث في بقيّة الفصل عن فئتين: التناصّ والمسلّمات. تبدأ مناقشة التناصّ بمسألة تحديد النصوص والأصوات «الخارجيّة» التي يستوعبها النص، وتحديد تلك التي من المُلفت أنه يستبعدها، ومناقشة مسألة إيضاح مصدر ما يستوعبه النص، ودرجة ذلك. نميّز بين بضعة أنواع من الاقتباس، بخاصة الاقتباس بالحرف الذي يفترض شيئاً من الإخلاص لما قيل أو كُتب في الأصل، والاقتباس بغير الحرف الذي لا يفعل ذلك. أعتبر أنّه توجد مسألتان أساسيّتان تتعلّقان بالاقتباس: علاقة المُقتبس بالأصل المقتبس منه، وكيفيّة تجديد سياق النصوص والأصوات المُقتبَسة داخل نصّ المُقتبِس، أي كيفيّة مَوْقعة تلك النصوص والأصوات وتأطيرها بعضها بالنسبة إلى بعض، وإلى صوت المؤلّف. ونميّز بين ثلاثة أنماط من المسلّمات (الوجوديّة والخبريّة والتقييميّة)، ونرى أنّه قد يوجد في النص «ما يُطلق» المسلّمات وقد لا يوجد، وأنّ هذه الأخيرة مرتبطة بضروب الخطاب، وأنّ لها مكانة خاصة في العمل الأيديولوجيّ الذي تقوم به النصوص. أخيراً، نميّز بين المسلّمات وأنماط المعنى المستتر الأخرى.

القسم الثاني

الأصناف والفعال

4 ـ الأصناف والبنية العامة

مسائل التحليل النصي
الأصناف وسمات النصوص اللّسانيّة
ممهدات الأصناف، الأصناف الطليقة، الأصناف المقيمة
الأشكال العامة
التحليل الصنفي: النشاط، العلاقات الاجتماعيّة، تقنية (تكنولوجيا) التواصل
البنية العامة
الحوار
المُحاجة
السرد
مسائل البحث الاجتماعي
العولمة وإطلاق الأصناف
الفعال التّواصلية والإستراتيجية
تخطّي الرسميّات الاجتماعيّة
نطاق الحياة العامة
التغيير الاجتماعي والتغيير التّقني (التكنولوجي)
الأيديولوجية
الأنباء

الأصناف، على وجه الخصوص، هي الجانب الخطابيّ من طُرق الفِعل والتفاعل في مسيرة الأحداث الاجتماعيّة: يمكن القول إنّ الفعل والتفاعل لا يقتصران على الخطاب فقط، إنّما هما غالباً، وفي أساسهما، خِطابيّان. نحن، إذاً، عندما نحلّل نصاً أو تفاعلاً من حيث هو صنف، نتساءل عن كيفيّة حضوره ضمن الفعال والتفاعل الاجتماعيّين في الأحداث الاجتماعيّة، وإسهامه فيهما بخاصة، نظراً لتوجّه هذا الكتاب، عندما يتعلّق الأمر بالتغيّرات المتعلّقة بالرأسمالية الجديدة. ولقد سبق وناقشتُ بعض جوانب الأصناف في الفصل الثاني. أورد هنا تلخيص ذلك النقاش:

1 ـ تُحدِّد أشكال الفعال والتفاعل في الأحداث الاجتماعيّة وفق الممارسات الاجتماعيّة وطرق ربط هذه الممارسات بعضها ببعض.

2 ـ يمكن اعتبار التغيّرات الاجتماعيّة في الرأسمالية الجديدة تغيّراتٍ في شبكة الممارسات الاجتماعيّة، فتكون تغيّرات في أشكال الفعل والتفاعل، وتتضمّن هذه الأخيرة تغييراً في الأصناف. إنّ التغيّر الصنفي جزء مهمّ من التغيّرات التي تحملها الرأسمالية الجديدة.

3 ـ بعض الأصناف «محليّة» نسبيّاً، ترتبط بشبكات محدودة نسبيّاً من الممارسات الاجتماعيّة (مثال ذلك: ضمن مؤسّسة اقتصاديّة). أمّا بعض الأصناف الأخرى فمجالها فعلٌ وتفاعلٌ بين الشبكات «عالميّين» نسبيّاً (مثال ذلك: أصناف «الحاكمية»).

4 ـ إنّ التغيير في الصنف هو تغيير في كيفيّة المزج بين أصناف مختلفة. يتمّ الحصول على أصناف جديدة عن طريق مزج أصناف موجودة.

5 ـ قد تتضمّن سلسلة الأحداث سلسلةَ ـ أو شبكة ـ نصوص مختلفة ومترابطة تُعرب عن سلسلة أصناف مختلفة.

6 ـ لا ينتمي النصّ، أو التفاعل، المعيّن إلى صنف بعينه. فغالباً ما يتضمّن مزجاً لأصناف مختلفة.

يمكننا أن نستنتج من البَنْدَين 5 و6 أنّ التحليل الصنفي يتبع المراحل الآتية:

(أ) تحليل «سلسلات الأصناف».
(ب) تحليل ضروب مزج الأصناف في نصّ معيّن.
(ج) تحليل أصناف فرديّة في نصّ معيّن.

نركّز في هذا الفصل على البند الأخير[1].

أبدأ بملاحظتَين عن الصنف: **أوّلاً**، إنّ الأصناف تختلف إلى حدّ كبير في ما بينها من حيث درجة تكريسها وثباتها وتجانسها. بعض الأصناف، كصنف كتابة البحوث في بعض مجالات العلوم[2]، محدّدة جيّداً، إلى درجة أنّها أصبحت أشبه بطقوس. وهناك أصناف

---

(1) بالنسبة إلى الأصناف، انظر: M. Bakhtin, «The Problem of the Text in Linguistics,» in: M. Bakhtin, *Speech Genres and other Late Essays*, Translated by Vern W. McGee; Edited by Caryl Emerson and Michael Holquist (Austin: University of Texas Press, 1986), pp. 60-102; C. Bazerman, *Shapping Written Knowledge: The Genre and Activity of the Experimental Article* (Madison, Wis.: University of Wisconsin Press, 1988); Lilie Chouliaraki and Norman Fairclough, *Discourse in Late Modernity* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1999); S. Eggins and J. Martin, «Genres and Registers of Discourse,» in: Teun A.Van Dijk, ed., *Discourse as structure and Process: Discourse Studies: A Multidisciplinary Introduction* (London: Sage Publications, 1997); J. Martin, *English Text* (Amsterdam: John Benjamins, 1992), and John M. Swales, *Genre Analysis: English in Academic and Research Settings* (Cambridge: Cambridge University Press, 1990).

(2) Swales, *Genre Analysis: English in Academic and Research Settings.*

أخرى، كالإعلان عن المراكز الأكاديميّة، متغيّرة جداً ومتقلّبة. في هذه المرحلة من التحوّل الاجتماعي السريع والعميق، هناك ضغوط باتّجاه التكريس، كجزء من تدعيم الترتيب الاجتماعيّ الجديد (على سبيل المثال، أصناف التسويق المُتلفز الجديدة - راجع أدناه)، وضغوط أخرى باتّجاه التقلّب والتغيير.

ثانياً، ليس هناك مصطلحات راسخة للأصناف. تملك بعض الأصناف أسماء راسخة جيداً، إلى حدّ ما، ضمن الممارسات الاجتماعيّة التي تُستخدم فيها، وبعضها ليس له ذلك. وحتى عندما توجد تسميات راسخة جيّداً، علينا أن نتعامل معها بحذر، لأنّ نسق التصنيف الذي تستند إليه قد يقدّم صورة مضلّلة عمّا يجري فعلاً. على سبيل المثال، لا يُستخدم في أيامنا مصطلح «حلقة دراسيّة» في التربية فقط، لكن أيضاً في مجال الأعمال، ويشير إلى أنشطة وأصناف متنوّعة.

الأصناف والنصوص

أتبنّى في هذا الكتاب معالجة عامة تقوم بدراسة التفاعل الخطابيّ في النص (مزج الأصناف وضروب الخطاب والأساليب بطريقة معيّنة) كما يظهر في سماته الدلاليّة والنحويّة والمعجميّة (المفردات) على مستويات مختلفة من التنظيم النصّي. تتحقّق الأصناف في المعاني والأشكال النصيّة التي تكوّن فِعالاً، وتتحقّق ضروب الخطاب في المعاني والأشكال المُمثّلة، والأساليب في المعاني والأشكال التي تحدّد الهويّة (راجع الفصل الثاني للاطلاع على هذه الأنماط الأساسيّة الثلاثة من المعاني والأشكال النصيّة). ويعني ذلك أنّ العلاقات الدلاليّة المعيّنة، أو الفئات والعلاقات النحويّة، مرتبطة بالدرجة الأولى بالأصناف أو ضروب الخطاب أو

الأساليب. نقول «بالدرجة الأولى»، لأنّه لا توجد علاقة بين طرفين فقط، على سبيل المثال. تُعتَبر الموقفية مرتبطة، بالدرجة الأولى، بالأساليب، لكن على صلة أيضاً بالأصناف وضروب الخطاب (راجع الفصل العاشر). نذكّر بمناقشة الطبيعة الجدليّة للعلاقات بين جوانب المعنى الثلاثة من جهة، والأصناف وضروب الخطاب والأساليب من جهة أخرى.

توجد جوانب من التنظيم النصي متنوّعة، وسمات نصيّة متنوّعة أيضاً، على مستويات مختلفة يُبلورها الصنف بالدرجة الأولى وتستند إليه. نلخّص هذه الأمور كالآتي (أشير إلى الفصل الذي يهتمّ بكلّ مسألة):

بنية النص العامة أو تنظيمه العام (الفصل الرابع). العلاقات الدلاليّة (المنطقيّة، الزمنيّة... إلخ) بين العبارات والجُمل، وبين أجزاء نصيّة أكبر أيضاً (الفصل الخامس). العلاقات الشكلانية، بما فيها العلاقات النحويّة، بين الجُمل والعبارات (الفصل الخامس). على مستوى العبارة (الجملة البسيطة)، أنماط التبادل، والوظيفة الكلاميّة، صيغة الفعل (الفصل السادس). صيغة التناص في النص، والطريقة التي يستوعب بها النصوص والأصوات الأخرى (الفصل الرابع).

يقيم هذا الفصل الصلة بين تحليل الأصناف وعدد من مواضيع البحث الاجتماعيّ. **الموضوع الأوّل** هو تحليل غيدنز[3] (Giddens)

(3) Anthony Giddens, *Modernity and Self-Identity: Self and Society in the Late Modern Age* (Cambridge: [Polity Press], 1991).

للعولمة باعتبارها تتضمن إطلاق المادة الاجتماعيّة من سياقات وممارسات اجتماعيّة خاصة، لتجعلها متوفّرة في عدّة حقول وعلى عدّة مستويات باعتبارها ما يسمّى «تِقانات اجتماعيّة» (Social technologies). أرى أنه يمكن، بهذا المعنى، إطلاق الأصناف. **والموضوع الثاني** هو التمييز الذي يقيمه هابرماس[4] (Habermas) بين الفعال التواصلية والفعال الإستراتيجية. وهذا الموضوع يتناسب برأيي مع العلاقة المفترضة عامةً بين الأصناف والأغراض والأهداف الاجتماعيّة. **والموضوع الثالث** هو تجاوز الرسميّات[5]، والابتعاد عن الهَرَميّة الظاهرة. ويمكن اكتشاف ذلك في النصوص من منطلق دراسة انتشار المُحادثة في خطاب الحياة العامة[6]. **الموضوع الرابع** هو مسألة نطاق الحياة العامة[7] والحوار، أي معالجة مسائل البحث التي تتناول وضع نطاق الحياة العامة، النطاق الذي يتصرّف فيه الناس كمواطنين، وذلك من منطلق تحليل السمات الحوارية في النصوص، وقد تحدّثت عن شيء من ذلك في الفصل الثالث. **والموضوع**

---

(4) Jürgen Habermas, *The Theory of Communicative Action* (London: Heinemenn, 1984), vol. 1: *Reason and the Rationalization of Society*.

(5) B. Mitzal, *Informality: Social Theory and Contemporary Practice* (London: Routledge, 2000).

(6) Norman Fairclough, *Discourse and Social Change* (Cambridge, MA: Polity Press, 1992).

(7) Hannah Arendt, *The Human Condition* ([Chicago]: University of Chicago Press, [1958]); Jürgen Habermas, *The Structural Transformation of the Public Sphere: An Inquiry into a Category of Bourgeois Society*, Translated by Thomas Burger with the Assistance of Frederick Lawrence (Cambridge: Polity Press, 1989), and Norman Fairclough, «Democracy and the Public Sphere in Critical Research on Discourse,» in: R. Wodak and C. Ludwing, eds., *Challenges in a Changing World: Issues in Critical Discourse Analysis* (Vienna: Passagen Verlag, 1999).

الخامس هو العلاقة بين التغيير الاجتماعي والتغيير التقاني (أقترح اعتبار تقانات التواصل الجديدة مرتبطة بظهور أصناف جديدة). **الموضوع السادس** هو مناقشةُ أوسع تتناول الأيديولوجية (راجع الفصلين الأوّل والثالث)، بخاصّة في ما يتعلّق بالاحتجاج والمُحاجّة كمجموعة أصناف. وأخيراً، **الموضوع السابع** هو مناقشة ضروب رواية الأنباء.

أقوم أوّلاً بوضع الخطوط العريضة لإطار عام يتناول تحليل الأصناف، ثمّ أنظر، على وجه الخصوص، في ثلاثة أنماط من الأصناف (يمكن اعتبار كلّ واحد منها «عائلات» مكوّنة من عدّة أصناف معيّنة. راجع مناقشة مستويات التجريد، أدناه مباشرة): الحوار والمُحاجّة والسّرد. وأناقش هذه المسائل مع إيلاء اهتمام خاص، على التوالي، لمَسألتَين في البحث الاجتماعيّ، مساحة الحياة العامة والمواطَنة، وللأيديولوجيّات، وللأنباء.

ممهدات الأصناف والأصناف المُختَلَقة والأصناف القائمة

إحدى الصعوبات التي يحملها مفهوم الصنف هي أنّه يمكن تعريفه على عدّة مستويات من التجريد. على سبيل المثال، يمكن اعتبار «السّرد» صنفاً. وعليه يمكننا اعتبار «التقرير» أيضاً صنفاً، لأنّه يحتوي على سرد وقائعي عن أحداث فعليّة، و«تقرير الأنباء المُتلفزة» صنفاً، وهو شكل خاص من أشكال التقرير تتميّز به الأنباء المُتلفزة. إذا كان السرد والمُحاجّة والوصف والمُحادثة أصنافاً، فهي أصناف على مستوى عالٍ من التجريد. إنّها فئات تتخطّى الشبكات المعيّنة من الممارسات الاجتماعيّة، فيوجد مثلاً عدّة أنماط مختلفة من أصناف السرد التي تنتمي إلى مقام معيّن من حيث هي ممارسات اجتماعيّة (كضروب السرد الحواري، «القصص الإخباريّة» الكثيرة في الصحافة

وعلى التلفاز، «القصص» التي يرويها زبائن المُرشد أثناء العلاج... إلخ). إذا قلنا إنّ الصنف يرتبط بممارسة اجتماعيّة معيّنة، أو بشبكة من الممارسات الاجتماعيّة، فيتوجّب علينا إطلاق تسمية أخرى على السرد والحوار والاحتجاج. يقترح سوايلز[8] (Swales) «ممهّدات الأصناف»، وأتبنّى هذه التسمية.

لكنّ ذلك لا يحلّ المشكلة بشكل حاسم، لأنّ هناك فئات أخرى، كالمُقابلة والتقرير، أقلّ تجريداً من السرد والمُحاجّة، إنّما من الواضح أنّها تتخطّى شبكات الممارسات الخاصة. يجب أن نوضح أنّ الأمر يتضمّن سيرورة اجتماعيّة تاريخيّة، وهذا ما يسمّيه غيدنز[9] (Giddens) «الإعتاق» (disembedding). ويعني ذلك الارتفاع بالأصناف، «إعتاقها» من شبكات الممارسات الاجتماعيّة الخاصة التي نشأت فيها، لتصبح متوفّرة باعتبارها نوعاً من «التقانة الاجتماعية» التي تتخطّى الفروق بين شبكات الممارسات والفروق بين المستويات. تشمل المقابلة، على سبيل المثال، أنماطاً عديدة مختلفة تخصّ ممارسات اجتماعيّة معيّنة (المقابلة مع طالب عمل، المقابلة المتلفزة مع أحد المشاهير، المقابلة السياسيّة... إلخ)، وحتى بعض الأشكال الخاصة جداً، كالمقابلة السياسيّة، تتخطّى الفروق في المستوى لتصبح أشكالاً مستخدمة عالميّاً. إنّ إعتاق الأصناف جزء من إعادة بناء الرأسماليّة، وإعادة الترتيب في مستوياتها. على سبيل المثال، يستلزم وجود صنف الترويج الدعائي الذي تستخدمه البلدات والمُدن لجَذب توظيف الأموال (راجع النص الثاني في المُلحَق) إعتاقَ الترويج الدعائي التعاوني من ممارسات مؤسّسات الأعمال (إذ

(8) Swales, *Genre Analysis: English in Academic and Research Settings.*

(9) Anthony Giddens, *Modernity and Self-Identity: Self and Society in the Late Modern Age* (Cambridge: [Polity Press], 1991).

أصبحت الحكومة المحليّة أشبه بمؤسّسة أعمال)، لكنّ هذا الصنف المتخصّص، وهو ترويج دعائيّ للذات، يتخطّى فروق المستوى (ممّا يدلّ على ذلك تبنّيه مؤخّراً في الدول الشيوعيّة سابقاً، كالمجر، وهي مصدر النصّ الثاني. يدلّ النصّ أيضاً إلى أيّ مدى تشكّل الإنجليزيّة «عالميّاً» جزءاً من إعتاق الأصناف من حيث المستويات).

أعتقد أنّه من المفيد تحديد المصطلحات بإتقان في هذه المرحلة لتحاشي الالتباس بين المستويات المختلفة لاحقاً. أستخدمُ «ممهّد الصنف» (pre-genre)، كما أقترح أعلاه، كتسمية لأكثر الفئات تجريداً، كالسرد، وتسمية «أصناف معتقة» (disembedded genre) لفئات أقلّ تجريداً، كالمقابلة، وتسمية «صنف قائم» (situated genre) للأصناف المرتبطة بشبكة معيّنة من الممارسات، كـ «المقابلة المُعرّفة بالثقافات» (راجع النصّ الأوّل في المُلحق).

ويزيد من تعقيد الأمور مسألةٌ ناقشتها في الفصل الثاني: يمكن أنّ تجدّد النصوص في الأصناف، أي يمكن أن تمزج بين أصناف مختلفة بطُرق جديدة. لذلك لا يمكن التسليم المُسبق بوجود أيّ تطابق مباشر بين الأصناف القائمة والنصوص والتفاعلات الفعليّة. هذه الأخيرة منفتحة على الإبداع والتخطّي الذي يقوم به الفاعلون الأفراد، مثلها مثل أيّ شكل من أشكال النشاط الاجتماعي. لهذا السبب لا أوافق سوايلز عندما يعرّف الصنف بأنّه «نوع من أحداث التواصل»[10]: لا تنتمي الأحداث الفعليّة (النصوص والتفاعلات) إلى صنف معيّن، لا تحقّق صنفا معيّناً، إنّما تستند إلى الموارد الصنفيّة المتوفّرة على الصعيد الاجتماعي بطرق يمكن أن تكون شديدة التعقيد وخلّاقة. تشكّل الأصناف المرتبطة بشبكة معيّنة من الممارسات

---

(10) Swales, Ibid.

الاجتماعيّة مخزوناً يُستخدم بطرق مختلفة في النصوص والتفاعلات الفعليّة. لكن يبقى صحيحاً أنّ بعض أنواع النصوص بمجملها أقلّ تعقيداً من غيرها. لذلك قد يصحّ تعريف سوايلز للصنف في المقالات الصحافيّة التي تتناول علوم الطبيعة، على سبيل المثال، لكنّه لا يصحّ كتعريف شامل للعلاقة بين النص والصنف.

بالإضافة إلى نوع المزج بين الأصناف الذي ناقشناه في الفصل الثاني، يتّخذ مزج الأصناف في النصوص شكلاً يمكن تسميته ظهوراً لـ «أشكالٍ عامة»: نحصل على نصوص في حقيقتها تجميعات لنصوص مختلفة تمثّل أصنافاً مختلفة. مواقع الشبكة الإلكترونيّة مثال جيّد على الأشكال العامة. على سبيل المثال، «استرداد الشارع» (Reclaim the Streets) موقع مُناهض للعولمة مخصّص لأشكال من العمل السياسيّ هدفها «استرداد» الشارع باعتباره مكان الحياة العامة، والرأسماليّة العالميّة متّهمة بسلب الشارع من الناس. يقدّم الموقع القائمة الآتية: مستجدّات (What's up)، الأرشيف، نشر الدعوة (Propaganda)، كيفيّة التحرّك، أين، صور، أفكار. وتُنجز أشياء مختلفة ومتنوّعة في أجزاء الموقع المختلفة، فيتمّ الجمع بين عدّة أصناف. على سبيل المثال، «نشر الدعوة» عرضٌ احتجاجيّ يدعم الإستراتيجية السياسيّة التي تتبعها حركة «استرداد الشارع»، في حين «كيفيّة التحرّك» (مثال: كيف تنظّم تجمّعاً في الشارع) «وصفة» من عشر نقاط لتنظيم تحرّك[11]. هناك أيضاً طريقة أخرى للمزج بين الأصناف في النصوص: قد توجد عدّة أصناف مرتبطة في ما بينها هرميّاً. نجد ذلك في النصّ الأوّل، إذ يمكن القول إنّ الصنف الأساسي هو «مقابلة التعريف بالثقافات»، لكنّ إجابات المدير تستند

(11) انظر: Gail E. Hawisher and Cynthia L. Selfe, eds., *Global Literacies and the World-Wide Web* (London: Routledge, 2000).

إلى أصناف أخرى. في الإجابة الأولى، في بداية المُقتطف يوجد سرد موضوعه تاريخ ليفربول، كذلك يعرض المدير في المُقتطف مُحاجَة. يمكننا، إذاً، التمييز بين صنف أساسي وما يمكن تسميته «أصنافاً فرعية».

دراسة الأصناف الفرديّة

يمكن تحليل الأصناف الفرديّة للنصّ أو التفاعل (مثال ذلك الصنف الأساسي والأصناف المتفرّعة منه في النصّ الأوّل، والمقابلة المعرّفة بالثقافات، والاحتجاج الإيضاحي، والسرد الحواري) من حيث هي نشاط وعلاقات اجتماعيّة وتِقانة تواصل: ما الذي يفعله الناس، وما هي العلاقات الاجتماعيّة بينهم، وما هي تِقانة التواصل (إن وُجدت) التي يستند إليها نشاطهم؟

النشاط

إنّ التساؤل عمّا يفعله الناس يعني هنا على وجه الخصوص التساؤل عمّا يفعله الناس خطابياً. عندما نفكّر في الأحداث الاجتماعيّة نهتمّ بالأنشطة عامةً، في جانبها غير الخطابي وفي جانبها الخطابيّ، لكنّ التركيز في هذا الكتاب هو على الخطاب. من الضروري التمييز بين الحالات التي يكون النشاط الأوّل فيها خطابياً (المحاضرة مثلاً)، والحالات التي للخطاب فيها دور تابع (إصلاح محرّك سيّارة، أو لعب كرة القدم). في ما يخصّ المحاضرة، يوجد نشاط خِطابيّ بامتياز له خصائصه التنظيميّة، ويمكن دراسته بمعزل عن عناصر غير خطابيّة لها دور ثانويّ نسبياً في مجمل النشاط. ومن هذه العناصر استخدام مِسلاط صورعلى شاشة، أو مِسلاط إلكتروني. في حالة لعبة كرة القدم، من الصعب القول إنّه يوجد نشاط خطابيّ مميّز عن مجمل النشاط. إنّ اعتبار الخطاب أساسياً أو تابعاً مسألة درجات.

من الشائع تحديد الأصناف من حيث أهداف النشاط. على سبيل المثال، وبحسب سوايلز[12]، «يتضمّن الصنف نوعاً من أحداث التواصل، ويوجد بين أعضائه مجموعة من الأهداف التواصلية المشتركة». وقد يكون للصنف الواحد مجموعةٌ من الأهداف. على سبيل المثال، يمكن أن يعتبر المرء أنّ الهدف الأوّل من النص الثاني هو جذب الأموال لتوظيفها في بيكيسكسابا (Békéscsaba)، لكن يبدو أيضاً أنّ له أهدافاً أخرى، كإقناع الناس بأنّ البلدة المذكورة مكان جيّد للعيش، وأنّ سلطتها المحليّة (وبخاصة رئيس بلديّتها) ديناميكيّة وربّما «صاحبة مبادرة». ويدلّ ذلك على أنه يمكن ترتيب الأهداف هرمياً: يمكن اعتبار جذب الأموال هو الهدف العام، وأنّ الأهداف الأخرى وسائل للوصول إلى ذلك. وقد تكون الأهداف مستترة وظاهرة بدرجات مختلفة.

يمكن اعتبار أهداف النصّ الأوّل منظّمة تراتبيّاً: هناك هدف ظاهر نسبيّاً، هو الكشف عن كيفيّة نظر مديري الأعمال إلى أنفسهم وما يقومون به، وهناك هدفان «أعلى» مستتران، يرتبط الأوّل بالممارسات الأكاديميّة («الكشف عن التفكير النظريّ الموجود في خلفيّة النشاط العمليّ لإدارة الأعمال»)، والثاني بممارسات المؤسّسات الاقتصاديّة (لإنتاج مقول موضوعه الكفاءات في إدارة الأعمال). يبيّن النص الأوّل أنّ دراسة تراتبيّة الأهداف هي إحدى الطرق التي تكشف لنا عن كيفيّة حضور النصّ أو تفاعل شبكات من الممارسات. إنّ الهدف المُعلن من ممارسة البحث الاجتماعي وصِنف مقابلة التعريف بالثقافات هو اكتشاف الطريقة التي يرى بها مديرو الأعمال الأشياء، أمّا الأهداف الأخرى فهي المشاركة في صنع

(12) Swales, Ibid.

التغيّرات التي تطال شبكات الممارسات الاجتماعيّة (مبحث الثقافات، الكتابة الأكاديميّة، الأعمال) وسلسلة من الأصناف (المقابلة، الاحتجاج الإيضاحي، القائمة المختصرة) يعرفها مُجري المقابلة بالتأكيد، وقد يكون مدير الأعمال غير مطّلع عليها.

لكن عند التعريف بالصنف، يطرح إيلاء الهدف الكثير من الأهميّة، بعض المشاكل. يصحّ القول إنّ الكثير من الأصناف هادفة، أي مرتبطة بوضوح بأهداف اجتماعيّة واضحة ومعروفة على نحو واسع، لكن ليست كلّ الأصناف كذلك. ما هو الهدف مثلاً من الدردشة مع صديق؟ بالطبع يمكن التعرّف إلى أهداف حتى في الدردشة مع صديق، لكن يبدو لي أنه من الخطأ جداً اعتبار هذه الأخيرة هادفة في أساسها، كما أنّ المقابلة مثلاً هادفة. يمكن النظر إلى مصدر مشكلة المبالغة في إيلاء الأهميّة للهَدف من منطلق تمييز هابرماس بين الفعال «التواصلية» والفعال «الإستراتيجية»[13]، تفاعل موجّه إلى الوصول إلى تفاهم، مقابل تفاعل موجّه إلى الحصول على نتائج. يستلزم تحديث الحياة الاجتماعيّة ظهور منظومات اجتماعيّة متزايدة التعقيد ذات تسويغ «أداتيّ» (وليس تواصليّاً)، والتفاعل فيها ذو طابع استراتيجيّ، أي أنّها موجّهة بطريقة فعالّة إلى الحصول على نتائج. والأصناف الهادفة التي تتميّز ببنية محدّدة هي جزء مهمّ من تلك المنظومات الاجتماعيّة الأداتيّة. ولكن، كما يقول هابرماس، يغلب على «العالم الحيّ» طابع التسويغ التواصلي والتفاعل التواصلي (مع أنه واقع تحت تهديد المنظومات المذكورة)، وترتبط به أصناف لا تملك البنية المحدّدة التي تحدّثنا عنها. ويكمن المُشكل في الخلط بين نزعة التحديث التي تجعل

(13) Habermas, J. (1984) *The Theory of Communicative Action.*

الأصناف هادفة والأصناف باعتبارها أصنافاً. يمكننا حتى أن نعتبر الأمر أيديولوجياً، بمعنى أنّ هذا الخلط يُجيز ما اعتبره هابرماس توسّعاً «مرضياً» للمنظومات والتسويغ الأداتيّة، أي أنّ هذه الأخيرة «تستوطن» العالم الحيّ.

ليس التمييز بين الإستراتيجي والتواصليّ جليّاً بالقدر الذي يوحي به ما قلناه. يمكن أن يمتزجا بطرق مختلفة. على سبيل المثال، من الشائع في التفاعل الإستراتيجي التظاهر بأنّ التواصل تفاعليّ، فالدردشة، التي تبدو خالية من الرسميّات، في التواصل بين العاملين في قطاع الخدمات (كالفنادق والمَحال) والزبائن، يحرّكها، ولو جزئيّاً، ومن منطلق إستراتيجيّ، ما عند مؤسّسات الأعمال من أهداف أداتيّة. يمكن اعتبار هذه الأخيرة مستوى أعلى، أي أهدافاً مستترة. من ناحية أخرى، حتّى دردشة الأصدقاء لا تستبعد الإستراتيجيات الهادفة، المهمّ في الأمر هو أنّه لا يمكن اعتبارها تقتصر على هذه الإستراتيجيات.

وخلاصة هذه التحفّظات، بخصوص المُبالغة في إيلاء الأهميّة للهدف، ليست الدعوة للاستغناء عن اعتبار الصنف ذا هدف، لكن علينا تحاشي حصر رؤيتنا للصنف في هدفه. نستطيع بدل ذلك القول، بتعابير أقلّ تطرّفاً، إنّ الأصناف تختلف من حيث طبيعة النشاط الذي تشكّله أو تشكّل جزءاً منه، وإنّ بعض الأنشطة فقط، من دون غيرها، إستراتيجيّة وهادفة. لنقُل إنّ بعض الأنشطة أكثر استراتيجيّة (وأقلّ تواصليّة، بالمعنى الذي يستخدمه هابرماس) من الأنشطة الأخرى، فالمسألة مسألة درجات.

البنية العامّة

إنّ إيلاء الأهميّة للهدف يتوافق مع منظورٍ يعتبر تحليل الصنف يرتبط أوّلاً بـ «السّقّالة» (staging)، أي بالتمييز بين الأصناف بالاستناد

إلى بنيتها العامة. إنّ تحليل البنى العامة مهمّ في التخطيط لأصناف هادفة أكثر وفيها المزيد من الإستراتيجية. لكن، بالاستناد إلى ما ذكرته أعلاه عن مزج الأصناف، ليس من الممكن، ولا من المُجدي دائماً التعرّف إلى «سقّالة» واضحة، أو بنية عامة، في النص أو التفاعل الفعليّين. وكلّما كان النشاط ذا طابع طقسيّ، كان البحث عن بنية عامة مُلائماً أكثر. على سبيل المثال، تبدو المعاملات التجاريّة اليوميّة في السوق، التي يصفها ميتشل (Mitchell) في المغرب وحسن (Hasan) في أستراليا[14]، ذات طابع طقسي قويّ: يمكن توقّع عناصرها والترتيب التي تظهر فيه، فمن المفيد تحليل بنيتها العامة. لكن حتّى في هذه الحالة توجد تعقيدات: بعض العناصر تظهر دائماً (كأن يطلب الزبون السلَع، ويقدّمها البائع، ويدفع الزبون العملة. . . إلخ)، بينما لا تظهر عناصر أخرى سوى أحياناً (كبَدء البائع عمليّة البيع بأن يسأل: «ماذا يمكنني أن أعطيك؟»)، ويكون تتابع بعض العناصر ثابتاً، بينما يكون تتابع عناصر أخرى متغيّراً (مثال ذلك: يمكن أن يظهر تبادل التحيّة قبل أو بعد بدء البائع بعمليّة البيع).

أخلصُ إلى القول إنّنا نحتاج إلى دراسة «السقّالة» عند تحليل النصوص والتفاعلات، لكن يجب ألاّ نتوقّع أن تكون منظّمةً وفق بنية عامة واضحة، وعلينا ربط أيّ تحليل مماثل بمسألة طقوسيّة النص[15]. إنّ إحدى نقاط التوتّر في التحوّل الاجتماعيّ في الرأسمالية

---

(14) Jürgen Habermas and T. Hasan, *Language, Context and Text: Aspects of Language in a Social-Semiotic Perspective* (Oxford: Oxford University Press, 1989), and T. F. Mitchell, «The Language of Buying and Selling in Cyrenaica: A Situational Statement,» *Hesperis*, vol. 26 (1957), pp. 31-71.

(15) Paul Connerton, *How Societies Remember* (Cambridge: Cambridge University Press, 1989).

الجديدة تقع بين الضغوط باتّجاه عدم التكريس والتغيير والمرونة. . . من جهة، والتحكّم بالمجتمع والتكريس والطقوسيّة. حتى في مرحلة التغيّر الاجتماعي السريع حيث تكون «المرونة» إحدى الكلمات المتكرّرة، من مصلحة المؤسّسات تأسيس التحكّم وصيانته من خلال إضفاء الطقوسيّة. ويتمّ ذلك على شكل واسع من خلال التدريب. وأحد الأمثلة الجيّدة على ذلك في مجال المعاملات التجاريّة هو تدريب العمّال في «مراكز اتّصال» حيث يتّصلون بالناس للبيع أو يجيبون عن أسئلة الزبائن. يورد كاميرون (Cameron) المذكّرة الآتية الموجّهة إلى المستخدَمين في مركز للخدمات الماليّة:

اعتماد نموذج اتّصال

يجب أن تكونوا قد أدركتم أنّنا نسعى إلى اعتماد نموذج اتّصال واحد. وتوجد عدّة أسباب لاعتماد نموذج واحد وتحسين تقنيّات الاتّصال، أهمّها إعطاء الزبون ما يتوقّعه وزيادة. إن لم نفعل ذلك، سيقوم به آخرون. وإليكم أيضاً أسباب أخرى:

- إيجاد صورة مِهنيّة.
- تحسين نوعيّة المُتابعة.
- السماح لكم بإدارة تتابع الاتّصالات وترتيبها.

على كلّ عامل هاتف أن يستخدم نموذج الاتّصال الموَحّد، لا توجد استثناءات.

يتحدّث كاميرون عن مراكز اتّصال «تزوّد مستَخدَميها بنصّ يتضمّن تقريباً كلّ حركة محتملة أثناء التواصل، وتفرض قواعد أسلوبيّة تفصيليّة عن كيفيّة الكلام، وتراقب مدى التزامهم بها عن كثب». ولا يتضمّن ذلك فقط تحديد تسلسل صارم في المحادثات

عبر الهاتف، لكن يحدّد أيضاً كيفيّة تكلّم عامل الهاتف (أجب على الهاتف وأنت تبتسم، يجب أن تبدو مليئاً بالحيويّة... إلخ). إنّ مراكز الاتّصال، كما يقول كاميرون، «مصانع تواصل» يُحوّل فيها التواصل إلى سلعة ويُصنّع. ويتمّ ربط ذلك بالتركيز الكبير على «المهارات» في التربية والتدريب، بما في ذلك التركيز على «مهارات التواصل» المطلوبة من عمّال الهاتف.

لننظر معاً في مثل أو مثالين على البنية والتنظيم العامّين. المثال الأوّل تقرير عن حادث ورد في جريدة محليّة:

رجال الإطفاء يواجهون الحريق

توجّب إخلاء إحدى مجموعات عمّال التغليف في مؤسّسة نارن (Nairn) للتغليف، رصيف سان جورج في لانكاستر (Lancaster)، عندما اندلع حريق في أحد الأفران، مساء يوم الأربعاء. هرعت إلى المكان أربع آليّات إطفاء وكافح رجالُ إطفاء، يرتدون أجهزة تنفّس، النيرانَ التي اشتعلت عندما اندلع الحريق في محوّل مرتبط بحرارة تحت الحمراء. تسبّبت النيران بتضرّر 20 متراً من القنوات المعدنيّة، وبإتلاف آلة وغرفة التغليف. لكن، صباح الخميس كانت المؤسّسة تعمل مجدّداً.

(Lancaster Guardien, 7 October 1986)

إنّ هذا النوع من التقارير يملك بنية عامة محدّدة جيداً ويمكن توقّعها، نلخّصها كالآتي: العنوان + مقطع الافتتاح (المقطع الذي يفتتح القصّة) + المقاطع التابعة (المقطعان 2 و3) + الخاتمة (المقطع 4). تضيف المقاطع التابعة تفاصيل: يكون ترتيب المقاطع التابعة مرناً عادةً، فيمكن تغيير ترتيب المقاطع بحريّة إلى حدّ ما بدون التأثير في القصّة. يقدّم الختام حصيلة الأحداث المنقولة (الحادث والفعال التي

تبعته)، وغالباً، كما في المثال، ما يشرح كيف عادت الأمور إلى طبيعتها. ويستطيع المرء الربط بين هذه البنية العامة المعتادة والطريقة التي تنقل فيها الأنباء، ليس فقط ما يطرأ على الوضع الطبيعي من خلل، إنّما كيفيّة تصحيحه أيضاً.

المثال التالي مأخوذ من مناقشة المعاملات التجاريّة التي أشرنا إليها أعلاه، وكما أوردها حسن[16]:

الزبون: أريد عشر ليمونات وكيلو موز، إذا سمحت.
البائع: نعم، أيّ شيء آخر؟
الزبون: لا، شكراً.
البائع: دولار وأربعين سنتاً.
الزبون: إليك دولارَين.
البائع: ستّون، ثمانون، دولاران. شكراً.

هنا أيضاً توجد بنية عامة متوقّعة (Generic Structure) وواضحة نسبيّاً. يبدأ الزبون بطلب سلعة، ثمّ يقوم البائع بالاستجابة له (يتضمّن ذلك في الواقع، وبالدرجة الأولى، فعلاً غير لسانيّ: التقاط السلع وتغليفها، كما يتضمّن عنصراً لسانيّاً اختياريّاً، «نعم» في المثال) ويسأله إذا كان يريد سلعة أخرى، يجيب الزبون في المثال أعلاه بـ «لا»، ثمّ يطلب البائع الثمن فيدفع الزبون (هنا أيضاً الفعل غير لسانيّ بالدرجة الأولى: إعطاء البائع ثمن السلعة، وإن كان يرافقه عنصر لسانيّ). يعطي البائع الفكّة (في المثال يستخدم اللغة لعدّها)، ثمّ يشكر الزبون.

(16) Habermas and Hasan, *Language, Context and Text: Aspects of Language in a Social-Semiotic Perspective*.

حتى عندما توجد بنية عامة واضحة ومتوقّعة نسبياً، كما في المثالين المذكورين، نجد تنوّعاً كبيراً في واقع النصوص. هناك حدود للحديث عن البنية بمعناها الضيّق، أي باعتبارها مؤلّفة من عناصر إلزامية في ترتيب إلزامي. قد تكون بعض المراحل، مثلاً، مفقودة (لا نجد الخاتمة في كلّ التقارير عن الأحداث، ولا سؤال البائع الزبون إذا كان يريد سلعة أخرى في كلّ المعاملات التجاريّة). لكن هناك أكثر من ذلك: من غير المجدي، بالنسبة إلى الكثير من النصوص، الحديث عن أيّ «بنية» عامة. لننظر في النص الثاني من المُلحق («بلدة المهرجانات تزدهر»). يمكننا اعتبار النص يتألّف من أجزاء عامة مختلفة: «التقرير» الأساسي، «الوقائع» الأساسيّة المُدرجة، الصور يرافق كلّ منها تعليق، صورة «القائد» + اقتباس مُبرَز. يتألّف التقرير الأساسي من عنوان + سلسلة من الأقوال الإبلاغيّة التي تصف وقائع، تتخلّلها أقوال مُقتبسة. ترد العناصر المتتابعة في متن النص ضمن مواضيع. يبدأ النص بنوع من الكلام المتوقّع في الكتابات التي تُعنى بالسياحة، إذ يتناول أوّلاً المنطقة، ثمّ البلدة وخصائصها البارزة. سرعان ما يُصبح الموضوع المُختار في معظم النص هو ما يُعتبر أنّه يجعل أيّ بلدة جذّابة عند المستثمرين. يوجد في ذلك درجة من التنظيم، لكنّها غير كافية للإقرار بوجود بنية.

وأعود إلى مسألة البنية العامة لاحقاً، عندما أناقش تحليل الحوار والسرد والمُحاجّة.

العلاقات الاجتماعية

تشكّل الأصناف، باعتبارها أشكال تفاعلٍ، ضروباً خاصةً من العلاقات الاجتماعيّة بين المشاركين في التفاعل. فهذه العلاقات تقوم بين فاعلين اجتماعيين، ويمكن أن تكون متعدّدة الأنماط: منظّمات

(كالحكومة المحليّة والمؤسّسة الاقتصاديّة)، أو مجموعات (كالمجموعات الناشرة لدعوة، مثل مجموعة استعادة الشارع)، أو أشخاصاً. يمكن أن يكون التواصل بين منظّمات أو مجموعات أو أشخاص، أو يمزج بين عدّة أنماط من الفاعلين الاجتماعيين. تقترح دراسة في علم الاجتماع، ذات تأثير واسع، قام بها براون (Brown) وجيلمان (Gilman)[17]، اعتبار العلاقات الاجتماعيّة تتغيّر وفق بُعدين، «السلطة» و«التضامن»، أو الهرميّة والمسافة الاجتماعيّتين. وإحدى القضايا ذات الأهميّة الخاصة في عالمنا المُعاصر هي العلاقة بين ما يقوله تحليل شبكات الممارسات والمؤسّسات، تحليلاً اجتماعيّاً، بشأن الهرميّة والمسافة الاجتماعيّتين، وبين كيفيّة ظهور هذين العنصرين في الأصناف.

لننظر مثلاً في التواصل بين المنظّمات والأشخاص، وهو ضرب منتشر في الحياة الاجتماعيّة المعاصرة، في الإعلان وهيئات الحكم وما إلى ذلك. يمكننا القول، من منظور تحليليّ اجتماعيّ، إنّ تواصل المنظّمات مع الأشخاص يتّجه من أعلى إلى أسفل من حيث الهرميّة الاجتماعيّة (تنزع المنظّمات إلى ممارسة سلطتها على الأفراد) ومن حيث المسافة الاجتماعيّة (تعمل المنظّمات على المستوى الوطني والإقليمي والعالمي، أمّا الأفراد فيتواجدون في أماكن محدودة). وبالفعل، تتميّز الرأسمالية الجديدة بتزايد سلطة منظّماتها، التي تؤثّر في الأفراد على مستوى يزداد عالميّة. لكنّ ذلك يفتح الاحتمال أمام مشاكل خطيرة تتعلّق بالشرعيّة والانسلاخ، كما يتبيّن من ردّات فعل المجتمعات المحليّة في وجه ما تفرضه عليها سياسات

(17) R. Brown and A. Gilman, «The Pronouns of Power and Solidarity,» in: Pier Paolo Giglioli, *Language and Social Context: Selected Readings* (Harmondsworth: Penguin, 1960).

المنظّمات، كصندوق النقد الدوليّ. ومن المهمّ التنبّه إلى أنّ الأصناف المعاصرة المُستخدمة «للعمل عن بُعد»، أي أصناف ممارسة الحكم (راجع الفصل الثاني) التي من خلالها تتواصل المنظّمات مع الأفراد، تتميّز على نحو واسع بعلاقات اجتماعيّة ظاهريّة يمكن القول إنّها تنزع إلى إخفاء الهرميّة والمسافة الاجتماعيّتين.

يوضح النصّ السابع (راجع المُلحق) ذلك على مستوى الشكل العام. قام المُنتدى الاقتصادي العالمي، ربّما لقلقه بسبب تزايد الانتقادات ضدّ العولمة الليبراليّة الجديدة التي يدافع عنها، وضدّ تأثيره كمنظّمة غير ديمقراطيّة، بإعداد موقع تفاعليّ على الشبكة الإلكترونيّة يدعو الأفراد إلى المساهمة في مُداولاته بإرسال رسائل إلكترونيّة تنشر المنظمّة منها على الموقع ما تنتقيه. يمزج الموقع الإلكتروني، إذاً، بين صوت المنظمة (تلخيص المُداولة، كما في النص السابع) وأصوات أفراد من جميع أنحاء العالم، على شكل مختارات من رسائل إلكترونيّة أرسلوها (لم يرد ذلك في النصّ السابع). لكنّ التساؤل الأساسي هو الآتي: هل يشكّل ذلك تغيّراً فعلياً في العلاقات الاجتماعيّة بين المنظّمة العالميّة القويّة من جهة، والأفراد والمجتمعات المحليّة التي ينتمون إليها من جهة أخرى.

والنص الخامس (راجع المُلحق) مُقتطف من خطاب توجّه به رئيس الوزراء طوني بلير مباشرة إلى حزب العمّال، وذلك في مؤتمر عقدوه، لكنّه، لا مناص، توجّه أيضاً، في استباقٍ لتقارير الإعلام، إلى جمهور أوسع. هنا أيضاً يكشف تحليل السياسة والحكومة البريطانيّتين تحليلاً اجتماعيّاً عن وجود عدم مُساواة في السلطة ومسافة أساسيّين بين الحكومة (المنظّمة التي يتحدّث بلير باسمها) والأفراد الذين يستمعون إلى التقارير أو يقرؤونها في وسائل الإعلام. ومن الشائع حاليّاً، في التواصل السياسي، أن يبدو القادة

السياسيّون وكأنّهم يتحدّثون باسم أنفسهم وليس فقط باسم حكوماتهم (مثال ذلك: «أفهمُ لِمَ يحتجّ الناس على العولمة»)، وهذا ما يمكن أن نعتبره تواصلاً بين مؤسّسات وأفراد يتّخذ في ظاهره شكل تواصل بين فرد وآخر (قد سمّيته «التحوّل الحواري» في خطاب الشأن العام)[18]. يبدأ النصّ الحادي عشر (راجع الملحق ص 462 ـ 464) بـ «نحن» الجامعة التي تقلّل من الهرميّة والمسافة، إذ توحي بأنّنا «جميعاً» نعيش الوضع نفسه، ويحتوي على تعابير («طُرُق القيام بالأشياء»، «أنماط الأعمال التي نقوم بها») تذكّر بالتجربة واللغة اليوميّتين.

ويمكن إبداء ملاحظات مُشابهة بشأن النص الأوّل. إنّ من يعتبر المقابلة المعرّفة بالثقافة صنفاً مفيداً، قد يرى أنّها مصدر جيّد لتقليل المسافة بين الحياة العمليّة للناس موضوع الدراسة وبين المجال الأكاديميّ. لكن إذا اعتبرنا البحث الأكاديمي جزءاً من جهاز الحكم، كما ورد في الفصل الثاني، يمكن أن نرى أنه يضفي غشاوة على الهرميّة والمسافة. وقد يكون من المعقول أكثر التحدّث عن ازدواجيّة ما.

تِقنيات التواصل

يمكن وسم الخطاب من حيث ارتباطه بتِقنيات التواصل (communication technologies)، وذلك بالاستناد إلى تمييزَين[19]:

---

(18) Norman Fairclough, *Discourse and Social Change* (Cambridge, MA: Polity Press, 1992).

انظر أيضاً الكتابات التي تتناول «تجاوز الرسميّات» الاجتماعيّة والابتعاد عن الهرميّات البيّنة، مثال ذلك: Mitzal, *Informality: Social Theory and Contemporary Practice*.

(19) قارن بـ: J. Martin, «Beyond Exchange: Appraisal System in English,» in: Susan Hunston and Geoff Thompson, eds., *Evaluation in Text: Authorial Stance and the Construction of Discourse* (Oxford: Oxford University Press, 2000), pp. 142-175.

اتّجاهان في التواصل إزاء واحد، وتواصل بوساطة إزاء تواصل بغير وساطة. يعطينا ذلك بالإجمال أربعة احتمالات:

اتّجاهان بدون وساطة: التحاور وجهاً لوجه. اتّجاهان بوساطة: الهاتف، البريد الإلكتروني، المحاضرة بالفيديو. اتّجاه واحد بدون وساطة: المحاضرة. . . الخ. اتّجاه واحد بوساطة: الطباعة، الراديو، التلفاز، الشبكة الإلكترونيّة، الفيلم.

إنّ تزايد التعقيد في ترابط الممارسات الاجتماعيّة في المجتمعات المعاصرة يرتبط بتِقنيات التواصل الجديدة (التلغراف، الهاتف، الراديو، التلفاز)، والأكثر حداثة تِقنية المعلوماتيّة (مثال ذلك: شبكة المعلوماتيّة) التي حسّنت جدّاً من التواصل بوساطة في اتّجاه واحد واتّجاهين. إحدى الطرق التي نفرّق بها بين الأصناف هي تِقنيات التواصل التي تخصّ كلّ صنف، وأحد العوامل في تغيّر الأصناف هو التطوّر الذي يطرأ على تِقنيات التواصل: يرافق التوصّل إلى تِقنيات تواصل جديدة تطوّر أصناف جديدة.

مثال ذلك إنشاء «أشكال عامة» على شبكة المعلوماتيّة، كما سبق وذكرت. النص السابع مأخوذ من موقع على الشبكة يجمع بين عدّة أصناف، منها المُحاجّات الإيضاحيّة التي تقدّم تلخيصاً للمُداولات في الاجتماع السنوي للملتقى الاقتصادي (كما في النصّ المُقتطف)، ورسائل إلكترونيّة أرسلها إلى الملتقى أناس من أنحاء العالم كردّ على المداولات (كلاهما نصوص مكتوبة)، ومختارات من المُداولة (نصّ شفوي) - إنّه «شكل عام» بالمعنى الذي ذكرته أعلاه. يجمع الشكل العام بين أصناف مأخوذة من تِقنيات أخرى (مثال

ذلك: الطباعة في ما يخصّ المُحاجَات الإيضاحيّة في النصّ السابع) وأصناف نشأت كجزء من التغيير التقني (التكنولوجي) (مثال ذلك: البريد الإلكتروني). تكمن جِدّة الشكل العام، جزئياً، في «تعدّد وجهات التعبير فيه»[20]، يمزج عدّة وجُهات سيميائيّة، منها الصور الشمسيّة والأشكال المرئيّة (منها شعار الملتقى الاقتصادي الدولي)، والفيديو (يمكن رؤية مقتطفات من المُداولات)، واللغة. يطرح تحليل الأصناف المسألة العامة الآتية: ما هي الوجهات السيميائية التي يتمّ الاستناد إليها؟ وكيف يتمّ مزجها؟ وليس الشكل العام تتابعياً: أمام المرء مجموعة خيارات تسمح له باتّباع سبل مختلفة وكثيرة انطلاقاً من الموقع على شبكة المعلوماتية. لذلك إنّ الشكل العام تفاعلي، بمعنى أنّ زائر الموقع يستطيع أن يقرّر ما الذي يريد ـ أو لا يريد ـ الاطّلاع عليه، وبأيّ ترتيب، لكن أيضاً بمعنى أنّ المُداولات في دافوس (Davos) «ليست محجوبة» عن الزوّار. ويستطيع هؤلاء المشاركة عبر الرسائل الإلكترونيّة التي يتمّ اختيار بعضها لإدخاله الموقع. لكن يجب أن لا نبالغ في الحديث عن «التفاعل»: إنّ تصميم الموقع يتيح أموراً ويمنع أخرى، أي أنه يقدّم خيارات، لكنّه يحدّ منها بقوّة.

إنّ التغيّرات التي تحملها الرأسمالية الجديدة، وإعادة بناء وترتيب شبكة العلاقات بين الممارسات الاجتماعيّة، كلاهما يعتمد على تقنيات جديدة[21]. يمكن أن يُسهم تحليل الأصناف إسهاماً كبيراً

---

(20) Gunther Kress and Theo van Leeuwen, *Multimodal Discourse: The Modes and Media of Contemporary Communication* (London: Arnold, 2001).

(21) للاطّلاع على أحد المصادر التي تصف ذلك، انظر: M. Castells, *The Information Age*, 3 vols. (Cambridge: Blackwell, [1996-1998]).

في دراسة العلاقة بين التغيّر التقني، والتوسّط[22] والتغيّر الاقتصادي، والتغيّر الاجتماعي الأوسع، وذلك من ناحيتين: كيف ينتج من دمج التقنيات الجديدة في السيرورات الاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة أصنافٌ جديدة، وكيف يتمّ استيعاب سلسلات الأصناف في نسيج «مجتمع المعلومات». وتوجد مسألة أخرى، هي إعادة بناء العلاقات بين مختلف أشكال التواصل المرتبطة بمختلف التّقنيات. على سبيل المثال، قلّل البريد الإلكتروني من استخدام النص المطبوع (المذكّرة، ... الخ)، والتواصل وجهاً لوجه، إلى حدّ ما (المحادثة)، في العلاقات بين المؤسّسات، مع أنّ ضروب التواصل هذه متواجدة وبينها علاقات خاصة. وعلى سبيل المثال أيضاً، إنّ الحوار في الحياة اليوميّة يزداد تداخلاً مع أشكال التواصل بوساطة، كالتلفاز، على أنواعه، كما أنّه يعتمد على هذه الأخيرة وتقوم هي ببلورته.

الحوار ونطاق الحياة العامة

لنبدأ بالمحادثة، «الدردشة»[23]. يمكن اعتبار المحادثة غير الرسميّة تناوباً لأدوار كلاميّة من دون قيود. يتساوى المشاركون من حيث حقّهم في القيام بدور كلاميّ، ونوع الدور الذي يجوز لهم (مثال ذلك حقّهم في طرح الأسئلة والإجابة عنها)، وتوقّع القدرة على الكلام من دون مقاطعة، وما إلى ذلك. معظم المحادثات غير الرسميّة تملك مواصفات تقترب ممّا ذكرناه، لكن لابدّ من أن نضيف فوراً أنّه حتى المحادثة غير الرسميّة فيها عناصر عدم مساواة يمكن

(22) Roger Silverstone, *Why Study the Media?* (London: Sage, 1999).

(23) بما يخصّ الحوار التحادثي، انظر: D. Cameron, *Working with Spoken Text* (London: Sage, 2001).

تعليل وجودها بالعلاقات الاجتماعيّة بين المشاركين. على سبيل المثال، يُظهر مبحث اللغة وجنس المرء(24) أنّ الأدوار في المحادثة لا تتوزّع بالتساوي بين المرأة والرجل، ومن المحادثات التي يطالها ذلك تلك التي تتضمّنها العلاقاتُ الحميمة (ينزع الرجال إلى مقاطعة النساء أكثر ممّا يفعل النساء، ويبدي الرجال دلائل أقلّ على الاستماع الفعليّ ممّا تبدي النساء. . . وما إلى ذلك).

تقوم إحدى المعالجات لتحليل الحوار بمقارنة الحوارات الفعليّة بقائمة من سمات التعاون والمُساواة التي لا نقترب من تحقيقها إلاّ في بعض الحوارات. تتميّز هذه القائمة باعتبار المشاركين متساوين، على سبيل المثال، من حيث حقّهم في(25):

1 ـ الحصول على دورهم الكلاميّ. **2** ـ استخدام دورهم بطرق مختلفة: طرح أسئلة، التقدّم بطلب، التذمّر. . . الخ. **3** ـ التكلّم من دون توقّف. **4** ـ اختيار المواضيع وتبديلها. **5** ـ تقديم تفسيرات لما قيل وتلخيصات عنه.

غالباً ما يحتوي الحوار في السياقات المؤسّساتيّة المختلفة على ما يحدّ من المساواة في «حقوق» التحادث. في المقابلة مثلاً من المرجّح أن يتولّى مُجري المقابلة تحديد أوان كلام الضيف، فلا يكون هذا الأخير صاحب القرار في ذلك، وحقُّ طرح الأسئلة محصور بالمُضيف، أمّا الضيف فعليه أن يجيب، وعادةً ما يقاطع

(24) Mary Talbot, *Gender and Language* (Cambridge: Polity Press, 1996).

(25) Fairclough, «Democracy and the Public Sphere in Critical Research on Discourse,» in: Wodak and Ludwing, eds., *Challenges in a Changing World: Issues in Critical Discourse Analysis*.

المُضيف الضيفَ، وليس العكس، ويعود لمُجري المقابلة، بشكل أكبر، تحديد المواضيع، وتفسير ما قيل وتلخيصه، أو «إصلاح» ما قاله الضيف. لكنّ هذا التعريف ينطبق ربّما على بعض أنواع مقابلات طلب العمل أكثر منه على المقابلة المعرّفة بالثقافات. مثلاً: النص الأوّل، حيث يوجد توزيع غير متساوٍ للأسئلة والإجابات، وحيث يتحدّث الضيف طويلاً بدون مُقاطعة ويقوم باختيار المواضيع وتبديلها، وما إلى ذلك.

إنّ المسائل التي تتعلّق بالحوار ذات أهميّة مُعاصرة كبيرة وذلك لدورها في تأثير الرأسمالية الجديدة بالديمقراطيّة و«نطاق الحياة العامة». وقد ناقشت ذلك باختصار في الفصل الثالث. وما يدعو إلى القلق هو أنّ إعادة بناء الرأسماليّة تحدّ من الديمقراطيّة ونطاق الحياة العامة. ويدخل هذا، جزئيّاً، ضمن تأثيرات الرأسماليّة في الدولة القوميّة ونُظُمها السياسيّة: يزداد الإجماع، في الاتّجاه السائد في السياسة، على أنّ العولمة الليبراليّة الجديدة أمر قائم يجب على الدول أن تتنافس ضمنها لأجل النجاح، وينجم عن ذلك تضييق مجال النقاش السياسيّ حول المسائل الأساسيّة. ويظهر ذلك في تهميش المجالس النيابيّة تهميشاً نسبياً لصالح لجان متخصّصة، وفي محدوديّة تأثير البرلمان الأوروبي في صنع السياسة، وكذلك في تراجع أهميّة النقاش في اللّقاءات العامة ووسائل الإعلام تراجعاً بيّناً، وما إلى ذلك.

ما علاقة ذلك بالحوار؟ يكثر الحديث في السياسات المعاصرة عن «الحوار» و«التشاور» و«الاستشارة» وما إلى ذلك، هذا بالإضافة إلى انتشار تأييد «العمل المُشترك» على أنواعه، ممّا يفترض تبنّي الديمقراطيّة بقوّة. لكنّ الاعتبارات المذكورة في المقطع السابق تجعل

هذا التبنّي مشكوكاً في أمره[26]. بالاستناد إلى رأي منظّري نطاق الحياة العامة[27]، يمكن تعريف هذه الأخيرة من منطلق نوعيّة الحوار الذي يجري داخلها. ويعني ذلك أنّه يمكن تقييم نوعيّة الأشكال الديمقراطيّة وحدودها تقييماً مثمراً، إن نحن نظرنا في خصائص ما يُعتبر «حواراً» سياسيّاً واجتماعيّاً وصفاته. على سبيل المثال، تجري الكثير من الاختبارات الساعية إلى تطوير أشكال فعّالة من التشاور والاستشارة العامّين ـ جماعة استشاريّة، هيئات «مواطنين»، وما إلى ذلك. كيف يمكننا تقييم هذه العناصر باعتبارها تشكّل حواراً في نطاق الحياة العامة؟

أستخدمُ المعالجة القائلة بمقارنة الحوار القائم بقائمة من المعايير بالإشارة، على وجه الخصوص، إلى نطاق الحياة العامة كما حدّدته في بحث سابق[28]، وقد أعدت صياغة تحديدي كمجموعة مواصفات تميّز «الحوار الحقيقيّ»[29]. في ما يلي سمات معياريّة يجب أن يمتلكها الحوار ليكون فعّالاً في نطاق الحياة العامة:

أ ـ يقرّر الناس المشاركة في الحوار، ويمكنهم متابعته في مناسبات أخرى.

(26) Norman Fairclough, *New Labour, New Language?* (New York: Routledge, 2000).

(27) مثال ذلك: Habermas, *The Structural Transformation of the Public Sphere: An Inquiry into a Category of Bourgeois Society*, and Arendt, *The Human Condition*.

(28) Fairclough, «Democracy and the Public Sphere in Critical Research on Discourse,» in: Wodak and Ludwing, eds., *Challenges in a Changing World: Issues in Critical Discourse Analysis*.

(29) Fairclough, *New Labour, New Language?*.

ب ـ إمكانيّة المشاركة مفتوحة لكلّ من يريد، وفُرص المشاركة مُتاحة لجميع الناس بالتساوي. ج ـ يحقّ للناس تقديم رأي مخالف، ويتمّ الاعتراف بالاختلافات. د ـ يُتاح المجال أمام التوصّل إلى إجماع، أو إقامة تحالفات. هـ ـ التحادث هو الذي يتيح التغيير، ويمكن أن يُنتِجَ فِعالاً (كَتغيير السياسة القائمة).

لنأخذ مثالاً على ذلك النصّ الثامن (راجع الملحق)، وهو مقتطف من «مناظرة» على محطّة تلفاز بريطانيّة، ولقد علّقتُ عليه في الفصل الثالث عند الحديث عن الاختلاف. تأخذ مقدمّة «المناظرة» في الاعتبار واقع البرنامج الذي يتيح للمشاهدين التصويت في «استفتاء» بالهاتف بعد أن يزنوا بعقولهم الدلالات والمُحاجآت التي يقدّمها البرنامج، علماً أنّ ذلك لم يكن ممكناً لأنّ المطلوب التصويت خلال البرنامج. ولقد أوحت المقدّمة بأنّ الاستفتاء يمكن أن يؤثّر فعلاً في مستقبل الملكيّة، وهذا طبعاً مشكوك فيه. يبدو أنّ البرنامج يعتبر نفسه مؤسّساً لنطاق حياة عامة، يجذب إليه المواطنين ليتكلموا ويفعلوا. لكنّ نوع «الحوار» الذي يقدّمه هو موضع إشكال إن اعتُبر صالحاً للحياة العامة، يشترك الناس فيه كمواطنين، وذلك من عدّة نواحٍ. **أولاً** كان المشاركون من المدعوّين فقط، في حين يجب أن يكوّن الحوار المرتبط بالحياة العامة مفتوحاً لكلّ مهتمّ بموضوع النقاش. **ثانياً**، كان البرنامج حدثاً استثنائياً ضمن وقت محدود، فلم يكن هناك متّسع من الوقت لسيرورة يتمّ فيها طرح الاختلافات بالطريقة المناسبة، وربّما تخطّي الاختلافات للوصول إلى إجماع أو تحالفات. وهذه الأمور مطلوبة ليكون الحوار مناسباً لنطاق الحياة العامة. **ثالثاً**، لم يكن الحوار في البرنامج بين متساوين: كان الصحافيّون يتحكّمون بالحوار من حيث إعطاء الدور للكلام، وتسلسل الأدوار، ومدّة كلّ دور، واختيار الموضوع وتبديله... إلخ

(في الواقع أصبح الحوار بين أعضاء هيئة «الخبراء» أكثر انفتاحاً خلال البرنامج، لكن فقط لأنّهم تجاهلوا أحياناً محاولات رئيس الجلسة السيطرة عليهم). إنّ رغبة محطات التلفزة في تأسيس نطاق حياة عامة يحدّ منها دائماً ضغوطات إعلانيّة تدعو الصحافيّين إلى تحقيق ما يسمّونه «التلفاز الجيّد» ـ الذي يتضمّن التحكّم عن قرب بسير الحوار(30).

ويوجد مجال آخر موضع إشكال من منطلق المواطنيّة والحياة العامة، هو مجال سيرورات «الاستشارات» بخصوص قضايا خلافية كالتخلّص من النفايات النووية وإجراء تجارب زراعة الحبوب المبدّلة جينياً (راجع النص الخامس عشر في المُلحَق). على الرغم من وجود بعض التدابير الرسميّة للـ «تشاور» مع الجمهور حول هذه القضايا، من المستبعد نموّ حوار فعّال يصلح للحياة العامة، أو تمكّن الناس من التحرّك كمواطنين تجاه هذه القضايا (علماً أنهم قد يفعلون ذلك في منتديات أخرى تنظّمها مجموعات تنشر دعواها، كأصدقاء الأرض). على وجه العموم، تُعتبر الاجتماعات العامة رسميّاً «مشاورات» بمعنى يقلّص جداً معناها الحقيقيّ: يعطي الرسميّون معلومات ويجيبون عن الأسئلة. وهذه ليست مشاورات بالمعنى الحقيقيّ. وعندما يظهر حوار حقيقيّ خلال هذه اللّقاءات يكون ذلك نتيجة توسيع المنتمين إلى الجمهور «قواعد» الصنف أو تخطّيها. وأنا أناقش النصّ الخامس عشر في الفصل العاشر، عند الحديث عن المواطِنيّة والاختصاص.

---

(30) انظر: Fairclough, «Democracy and the Public Sphere in Critical Research on Discourse,» in: Wodak and Ludwing, eds., *Challenges in a Changing World: Issues in Critical Discourse Analysis.*

الاحتجاج والمسلّمات والأيديولوجيّات

من منظور عام حول البنية العامة للمُحاجّة[31]، تتضمّن هذه الأخيرة ثلاث مراحل: الأساسات والحجَج والطروحات[32].

الأساسات هي مقدّمات المُحاجّة، أمّا الحجَج فهي ما يبرّر استنتاج الطروحات من الأساسات. يمكن أيضاً زيادة الدعامات التي تساند الحجَج. لنعالج النصّ السابع (راجع المُلحق). يبدو أنّه يحتوي على مُحاجّتَين أساسيتين تتخالطان. يمكن تلخيص **الأولى** كالآتي: غالباً ما لا تقدّم العولمة ما يجب أن تقدّمه للجنوب (الأساس)، ستقدّم العولمة ما يجب إن أُدخلتْ تعديلات على عمليّة الحكم الوطنيّة والعالميّة (الحجّة)، تستطيع العولمة تقديم ما يجب (الدعامة)، لابدّ من تعديل عمليّة الحكم الوطنيّة والعالميّة (الطرح). أمّا **الثاني** فهو: غالباً ما يُنظر في الجنوب إلى العولمة من منطلق التحدّيات الاجتماعيّة، وليس من منطلق الفُرَص الاقتصاديّة (الأساس)، يمكن تبديل رؤية الأمور من خلال التغيير في التنظيم (في الحاكمية) (الحجّة)، لابدّ من تعديل الحاكميّة الوطنيّة والعالميّة (الطرح). يؤدّي مزج هاتين المُحاجّتين إلى ازدواجيّة: هل يتعلّق الأمر بالتوصّل إلى طريقة تجعل العولمة فعّالة في الجنوب، أم

---

(31) بالاستناد إلى: Stephen Edelston Toulmin, *The Uses of Argument* (Cambridge: University Press, 1958).

(32) S. Gieve, «Discourse Learning and «Being Critical,» (PhD, Lancaster University, 2000), and F. Van Eemeren [et al.], «Argumentation,» in: Van Dijk, Teun A., ed., *Discourse as structure and Process: Discourse Studies: A Multidisciplinary Introduction* (London: Sage Publications, 1997), vol. 1: *Discourse as Social Interaction: Discourse Studies: A Multidisciplinary Introduction*, and vol. 2: *Discourse as Structure and Process: Discourse Studies: A Multidisciplinary Introduction*.

أنه يتعلّق بجعلها تبدو فعّالة («تبدو أكثر إنسانيّة»)؟

من الملاحظ أيضاً أنّ الدعامة في المُحاجّة الأولى مسلّم بها وليست مصرّحاً بها. في الواقع، يفترض العنوان أنّ العولمة تستطيع تقديم ما يجب. يتضمّن تحليل المُحاجّات صعوبة عامة، هي أنّه يمكن أن تكون بعض عناصرها مستترة، تُعتبر بديهيّة، مسلّماً بها (تذكّرْ مناقشة المسلّمات في الفصل الثالث). من الملفت أنّ التسليم بأنّ العولمة تستطيع تلبية الحاجات (في «الجنوب») هو تسليمٌ بمسألة خلافيّة جداً ومرتبطة بخطاب اقتصادي خاص، خطاب الليبراليّة الجديدة، كما هو حال الطروحات والمسلّمات التي ندرسها هنا (القول إنّ النموّ يحصل إذا تمّت بعض التعديلات البنيويّة والسياسيّة، وإنّ منافع النموّ «يجب أن» تطال الكلّ، وإنّ الشفافيّة تقلّل من عدم المساواة). غالباً ما يكون لكلّ مُحاجّة حجَجها ودعاماتها الخاصة بها، وغالباً ما تكون مسلّماً بها، غير ظاهرة[33]. وحيث يكون ذلك، يمكن دراسة الوظيفة الأيديولوجيّة التي يقوم بها النص، أي الدور الذي يؤدّيه اعتبار الممثليات الخلافيّة، والمُتَموقعة، والمرتبطة بمصالح معيّنة، جزءاً من العام «المتّفق عليه». من منظور آخر، يمكن اعتبار محاولة الإقناع، بالاستناد إلى مسلّمات خلافيّة ومشكوك فيها، مُحاجّةً غير مكتملة.

لكنّ هذا التحليل مجرّدٌ جدّاً، إذ إنّه يمثّل البنية المنطقيّة للمُحاجّات الأساسيّة، لكن ليسَ نسيج المُحاجّات، ليس طريقة ظهورها في النصوص، التي تتضمّن أيضاً ما يمكن أن نسمّيه «محاجّات فرعيّة»، إضافة إلى المحاجّات الأساسيّة. لذلك من المفيد إضافة تحليل التشكيل النصّي لهذه المُحاجّات إلى تحديدها تحديداً

(33) المصدر نفسه.

مجرّداً. و«الصوت» هو أحد التعقيدات الممكنة: هل ينقل النصّ المُحاجّات المستخدمة في مُناظرة (كما يوحي العنوان: «وجهة نظر الجنوب»، ص 354)، أيوسّع محاجّة «يتبنّاه»، أم يقوم بالأمرين معاً؟ أعتقد أنّه يقوم بالأمرين معاً، ممّا يعني أنّ النص مزدوج من حيث صنفه الأساسي: هل هو تقرير أو نصّ إيضاحي؟

لنعالج عن قرب النصف الثاني من المقطع الرابع من نصّ «إقامة التجانس الثقافي». ينقل النص محاجّتين ترتبطان بالتجانس الثقافي، الأوّل منسوب إلى «كثيرين»، والثاني إلى «الآخرين». يصف النصّ المحاجّة الأولى بأنّها «خوف»، ويستخدم ثلاث جمل لتوسيع الثانية، يتمّ نسبة الجملة الأولى منها فقط إلى مصدر («آخرون يخالفونهم الرأي»). لاحِظ، على وجه الخصوص، مضمون الجملة الثالثة («في عالم يسهل التواصل فيه. . .»)، فهي تعبّر عن المُقترَح («يجب أن يتنبّه الحكّام، فلا يضعوا التنوّع على مسالك الماضي الهدّامة»). من يقول ذلك؟ يوجد ازدواجيّة مُماثلة عن الأغنياء والفقراء في المحاجّة التي تلي القول المذكور. فهو يحتوي على طروحات فقط من دون أساسات (أو حجج). الجملة الأولى من جملتَي المُحاجّة تنسب الطروحات بغموض عن طريق اعتبارها «قلقاً» ما (أحدهم قلق. لكن من؟)، في حين أنّ الطَّرْحَيْن في الجملة الثانية غير منسوبين لأحد («يجب أن يستفيد الجميع من النموّ الإجمالي»، «تنزع النظم الاقتصاديّة الأكثر شفافيّة إلى تقديم أجورٍ أقرب إلى المساواة»). من يقول ذلك؟

يمكن أن تتخذ المُحاجّة شكل حوار، أي شكل مُحاجّة بين شخصين أو أكثر. لكن من المفيد أيضاً تحليل المحاجّات الصادرة عن جهة واحدة، كالمحاجّة المذكورة، وكأنّها حواريّة. تملك بعض المُحاجّات، بدرجات متفاوتة من الاستتار والظهور، تنظيماً يدلّ على وجود «مساندين ومعارضين». هذه هي، برأيي، حال المحاجّة

المذكورة، وإن كانت هويّة مصدر الطروحات غير معروفة. يستخدم مُساند الطروحات محاجّات مضادة للردّ على «خوف» و«قلق» المعارضين. يبدو العنوان («وجهة نظر الجنوب») وكأنه يوحي بأنّ المعارض هو أحد الجنوبيّين، يمثّل وجهة نظر الجنوب ومحاجّاته. لكن يبدو النص هنا، وفي أماكن أخرى، منظّماً من منظور مُساندٍ غير محدّد (ربّما شخص يتحدّث باسم الهيئة التنفيذيّة للملتقى الاقتصادي الدولي) يردّ على وجهات نظر جنوبيّة. ويتركني ذلك متسائلاً: هل النص تلخيص لوجهات نظر جنوبية، أم هو مُحاجّة ضدّها؟

تظهر الازدواجيّة نفسها في المحاجّة المتعلّقة بغانا في المقطع الخامس. تعبّر الجملة الثانية في المقطع (التي تبدأ بـ «غانا») عن الأساسات. وتقيم الجُمل التي تليها مواجهةً بين المعارضين والمساندين بشأن طروحات معيّنة، بين الطرح «المنتشر» القائل إنّ العولمة مسؤولة عن التدهور وما «يقوله البعض»، يتمّ توسيع «ما يقوله البعض» في الجملة الأخيرة من المقطع («لا بدّ أوّلاً من إقامة. . . البنى المؤسّسة لاقتصاد السوق»). عقيدة الليبراليّة الجديدة مستترة (وغير محدّدة المصدر) في محاجّة المساندين: على البلدان أن تتنافس لأجل التوظيف والنموّ، وأن تتّبع توصيات المنظّمات العالميّة، كصندوق النقد الدولي (International Monetry Fund، IMF) لكي تنجح. في المقطع الأخير، يبدو أنّ النصّ يتوجّه بالطرح الآتي إلى «الجنوب»: «إنّ القادة يسهّلون الأمور إذا سعوا إلى تحسين الحاكمية»، وتعيد الجملة التي تلي هذه صياغة الفكرة نفسها. لكن من غير الواضح من يقول ذلك، من هم مساندو هذا الرأي؟ لعلّنا يجب أن نعتبره مقولة بعض الناس في الجنوب. ليس هذا واضحاً. القادة هم المعارضون في هذه الحالة، مع أنّ النص لا يعلمنا بمُحاجّاتهم (لعلّ سبب ذلك الإشكالات التي تطرحها زيادة

«الشفافيّة» . . . إلخ). يحتوي المقطعان الأخيران اللّذان نتحدّث عنهما أوضح صياغات لطروحات المُحاجّتَين الأساسيّتين، الأولى والثانية على التوالي، لذلك يمكن اعتبار النصّ بمجمله يقود إلى الطروحات الأساسيّة المذكورة.

يمكن ربط هذه المسائل بمناقشة الاختلاف في الفصل الثالث: يوجد في النصّ السابع تعتيم على الاختلاف، وربّما جدل مُبطَّن ينتج منه عدم توضيح هويّات الطرفَين.

السَّرد

ينطلق بال[34]، في تحليله للنصوص الروائية، من التمييز التحليليّ بين مادة الحكاية والحكاية (الشكلانيّة الروسيّة Russian Formalism) هي مصدر هذا التمييز) والنصّ السرديّ[35]. ومادّة الحكاية هي «المادة أو المضمون الذي تمّ تحويله إلى حكاية»، إنّها «سلسلة من الأحداث المرتبطة منطقياً والمتتابعة زمنياً. والحكاية مادة تمّ «تقديمها بطريقة معيّنة»، يتضمّن ذلك، على سبيل المثال، ترتيب الأحداث في تتابع يمكن أن يكون مختلفاً عن ترتيبها الزمنيّ الفعليّ، وتحديد فاعلين اجتماعيّين يُنجزون الأحداث الفعليّة، ووسم الفاعلين «بميزات خاصة» تحوّلهم إلى «شخصيات»، و«تركيز» الحكاية عن طريق ربطها بـ «وجهة نظر» معيّنة. ويمكن أن تظهر الحكاية نفسها

---

(34) Mieke Bal, *Narratology: Introduction to the Theory of Narrative*, 2nd Ed. (Toronto: University of Toronto Press, 1997).

(35) انظر أيضاً: E. Ochs, «Narrative,» in: Van Dijk, ed., *Discourse as Structure and Process: Discourse Studies: A Multidisciplinary Introduction*, vol. 1: *Discourse as Social Interaction: Discourse Studies: A Multidisciplinary Introduction*, and Michael Toolan, *Narrative: A Critical Linguistic Introduction* (London: Routledge, 1998).

في عدد من النصوص السرديّة، نصوص يقصّ فيها الراوي الحكاية بوسيلة اتّصال معيّنة، على سبيل المثال حكاية في مُحادثة، أو في قصّة إخباريّة بالراديو، أو في قصّة إخباريّة مُتلفزة، أو في وثائقي، أو في فيلم.

أستخدمُ هذا الإطار العام لأناقش، على وجه الخصوص، القِصص التي نجدها في نشرات الأخبار. لنعد أوّلاً إلى القصّة الإخباريّة القصيرة التي ناقشتها أعلاه:

رجال الإطفاء يواجهون الحريق
توجبَ إخلاء إحدى مجموعات عمّال التغليف في مؤسّسة نارن (Narin) للتغليف، رصيف سان جورج في لانكاستر (Lancaster)، عندما اندلع حريق في أحد الأفران، مساء يوم الأربعاء.
هرعت إلى المكان أربع آليّات إطفاء وكافح رجالُ إطفاء يرتدون أجهزة تنفّس النيرانَ التي اشتعلت عندما اندلع الحريق في محوّل مرتبط بحرارة تحت الحمراء.
تسبّبت النيران بتضرّر في 20 متراً من القنوات المعدنيّة، وبإتلاف آلةِ وغرفة التغليف. لكن صباح الخميس كان المؤسّسة تعمل مجدّداً.
(Lancaster Guardian, 7 October 1986)

يمكن اختصار مادة الحكاية بالأحداث في ترتيبها الزمني الفعلي (الذي يمكن استنتاجه من الحكاية، بدرجات مختلفة): نَشبَ حريق (اشتعل محوّل في أحد الأفران، تعرّضت غرفة تغليف للتلَف، تضرُّرت قنوات معدنيّة وآلة تغليف)، تمّ إخلاء العمّال، كافح رجال الإطفاء النيران، صباح اليوم التالي كانت المؤسّسة تعمل مجدّداً. تضع الحكاية الأحداث في ترتيب يختلف عن ترتيبها الزمني. يركّز

العنوان على عمل رجال الإطفاء (يتمّ تمثيل الحريق بصياغة اسميّة - «النيران» - هي مفعول به لـ «كافح»). يتحدّث المقطع الافتتاحيّ عن إخلاء العمّال قبل ذكر الحريق (نجد هذا الأخير في عِبارة تابعة). في المقطع الذي يليه، يُمثَّل عمل رجال الإطفاء قبل تمثيل الحريق (هذا الأخير في عِبارة تابعة أيضاً). التتابع هو، إذاً، كالآتي: الضرر الذي تسبّب به الحريق، عودة المؤسّسة إلى العمل. سمات التتابع هذه تجعل مركزَ القصّة التحرّكُ لإخماد الحريق (الإخلاء، مكافحة رجال الإطفاء الحريق)، وليس الحريق بالذات. ليس الأمر مجرّد مسألة تتابع: يحتوي صنف التقرير الإخباري (يتناول الأحداث) على مواقع إبراز معيّنة تُترجَمُ بعمليّة التركيز المذكورة. يتمّ التركيز في العنوان والمقطع الافتتاحي، وكذلك في المقطع الختامي حيث يتمّ إبراز «عودة العمل إلى طبيعته»: التركيز الصحافي على التعامل مع الحدث وعودة الأمور إلى طبيعتها. النصّ السرديّ تقريرٌ مكتوب، والراوي هو بالطبع صحافي.

يقوم التقرير الإخباري بتحويل التسلسل المنطقيّ والزمنيّ للأحداث المترابطة إلى قِصَص. وإحدى الطرق التي يمكننا رؤية التقرير الإخباري من خلالها هي اعتباره شكلاً من أشكال الضبط الاجتماعي، أو حتى من أشكال العنف: يحوّلُ التقريرالإخباري تسلسلاً معقّداً من الأحداث، قد تكون العلاقة بينها غير واضحة بما يكفي، إلى قِصَص، فيفرض عليها ترتيباً سرديّاً. ولا تنحصر المسألة في العلاقة بين التسلسل الفعليّ للأحداث في ترتيب معيّن والقصّة التي تتناولها. يتمّ إنتاج القصص الإخباريّة، بشكل أساسيّ، عن طريق تقديم ما قد يكون وقائعَ مفتّتة وغير محدّدة وكأنّها أحداث متمايزة ومنفصلة، والاحتفاظ ببعض الوقائع واستبعاد أخرى، وترتيب علاقات معيّنة بين الأحداث التي تشيّدها. إنّ صناعة الأنباء

سيرورةٌ تفسيريّة وتشييديّة إلى حدّ بعيد، وليست مجرَّد نقل «للوقائع». لكن لا يعني ذلك أنّ الأنباء باعتبارها مرويّات مماثلةٌ للمرويّات الخياليّة: تحمل المرويّات الإخباريّة، كالمرويّات التاريخيّة[36]، «نيّةً إرجاعيّة» (referential intention)، ممّا يجعل العلاقة بين القصّة والأحداث الحقيقيّة موضع تساؤل، تساؤل حول حقيقتها. يمكن القول أيضاً إنّ للمرويّات الإخباريّة «نيّة تفسيريّة» يمكن تشبيهها «بعمليّة مَركزَة» (Focalization): إضفاء معنى على الأحداث عن طريق وضعها ضمن علاقة تقوم على وجهة نظر معيّنة. إذا اعتبرنا الأنباء جزءاً من الحاكمية (راجع الفصل الثاني)، فسيتّضح لنا معنى أن يكون الغرض من القصّص الاخباريّة ضبط الأحداث والتحكّم بها وبتعامل الناس معها[37].

ناقشتُ النصّ السادس في الفصل الثالث من منظور التناص، أي تمثيل الأصوات والكلام. فالنصّ السادس قصّة تتكوّن الحكاية فيها من أحداث هي بالدرجة الأولى أحداث كلاميّة، كما هو الحال غالباً في القصص الإخباريّة. ويؤدّي هذا بالضرورة إلى طرح مسألة الانتقاء: ما يقوم به الصحافيّون هو نقل بعض الأشياء التي قيلت واستبعاد أخرى (ممّا يعني دائماً استبعاد بعض الأصوات)، أي اختيار أجزاء معيّنة ممّا قيل، وبشكل عام ترتيب كلام شفويّ أو مكتوب، يكون غالباً متنافراً، لجعله أحداثاً كلاميّة مستقِلّة. أشيرُ في تعليقي على النص السادس في الفصل الثالث إلى الطريقة التي يعمل فيها تتابع الأحداث وتأطيرها في القصّة على إنتاج مَرْكَزَة معيّنة تقيم علاقة مساند ـ معارض ضمنيّة بين الغرب وليبيا.

---

(36) Alex Callinicos, *Theories and Narratives: Reflections on the Philosophy of History* (Durham: Duke University Press, 1995).

(37) Stuart Allan, *News Culture* (Buckingham: Open University Press, 1999).

أودّ أنْ أعلّق باختصار على النصّ السادس من منطلق النشاط والعلاقات الاجتماعيّة وتقنيات التواصل. تملك القصص الإخباريّة الإذاعيّة بنية عامة محدّدة جيّداً إلى حدّ ما، تشبه القصص الإخباريّة في الصحف (فيها مثلاً عنوان ومقطع افتتاحي)، لكن تختلف عنها من حيث الطريقة التي ترتبط بها بوسيلة الاتّصال وتقنية التواصل، مثال ذلك الانتقال من الراوي الأساسيّ (قارئ الأنباء) إلى الراوي الفرعي (المُراسل)، وتضمين النصّ مختارات مسجّلة (ممّا قاله وزير الخارجيّة الليبيّ). أمّا مسألة الغرض من النصّ فمعقّدة وخلافيّة. بكلام أوضح، إنّ الغرض من القصص الإخباريّة هو إعلام الناس بالأمور المهمّة التي تحدث في العالم، لكن إذا فكّرنا في هذا الأمر من منطلق هرميّة الأهداف، والعلاقة بين حقول أنباء وسائل الاعلام والسياسة والأعمال وما إلى ذلك، نجد أنفسنا أمام تساؤلات تعتبر أنباء وسائل الإعلام جزءاً من جهاز الحاكمية، بالنسبة إلى النصّ السادس. هل من المنطقيّ أن نعتبر أنّ للقصّة الإخباريّة أهداف عالية المستوى تربطها بالسياسة الدوليّة؟ وتُطرح القضايا نفسها عندما يتعلّق الأمر بالعلاقات الاجتماعيّة: هل تقوم العلاقات الاجتماعيّة المرتبطة بالأنباء بين الصحافيين والجمهور فقط (علاقات إيصال معلومات. ممّا يطرح تساؤلات حول سلطة الصحافيين، وما إلى ذلك)، أم أنّ العلاقات الاجتماعيّة المرتبطة بالقصص الإخباريّة هي بشكل مستتر علاقات اجتماعيّة بين حكّام ومحكومين، بين الحكومة ومؤسّسات الأعمال وما إلى ذلك من جّهة، والناس من جهة أخرى؟ يمكننا أن نتساءل: مَركَزَة من، ووجهة نظر من تنقل القصّة الإخباريّة؟ أخيراً، أثرت التغيّرات التي طالت تقنيات التواصل بشكل أساسيّ في الأنباء. يتّضح ذلك أكثر عندما نفكّر بالأنباء المُتلفزة، حيث تحوّل مجمل التوازن بين الجزء الكلاميّ من القصّة الإخباريّة والجزء الفيلميّ المصوّر إلى حدّ أصبح من الممكن أن لا توجد قصة إخباريّة إذا لم

يتوفّر تصوير جيّد. هنا من المفيد أن نتساءل ما إذا كان التمييز بين المرويّات الإخباريّة والمرويّات الخياليّة أمراً محسوماً: يبدو أنّ أهميّة جماليّة القصص الإخباريّة في ازدياد، وأحياناً على حساب استجابتها للأحداث الحقيقيّة ولمسائل الحقيقة، وفي الحين نفسه تقوم الأنباء التي تقدّم «تفسيرات شاملة» بدور نفسيّ اجتماعيّ (كانت تتولاّه الأديان)، هو «حمايتنا من الجَزَع، من ضروب القلق المُضني التي تحيط بعالم كثير المخاطر»[38].

مُلخّص

رأينا أنّ التحليل الصنفي يبدأ بدراسة سلسلات الأصناف، ثمّ يتناول خلط الأصناف، ثمّ خصائص الأصناف المُفردة. يمكن التعرّف إلى الأصناف على عدّة مستويات من التجريد: ممهّدات الأصناف، والأصناف المُعْتَقَة (لها مكانتها ضمن الإعتاق الذي يشكّل إحدى سمات «العولمة»)، والأصناف المرتبطة بمقام. ويمكن أن تمزج النصوص بطرق مختلفة بين عدّة نصوص، تمزجها أو تهجّنها، تخلطها ضمن «أشكال عامة»، أو تقسّمها إلى أصناف وأصناف تابعة. ويمكن تمييز الأصناف المُفردة من حيث النشاط والعلاقات الاجتماعيّة وتقنية التواصل (من حيث ما يفعله الناس، والعلاقات الاجتماعيّة بينهم، وتقنية التواصل ـ إن وُجدت ـ التي يعتمد عليها نشاطهم). أما بالنسبة إلى النشاط، بعض الأصناف فقط محدّدة جيّداً من حيث هدفها وبنيتها العامة (مقسّمة إلى مراحل واضحة)، وهي تنزع إلى أن تكون مخصّصة للفعل «الإستراتيجي» (وليس «التواصليّ») ضمن المنظومات الاجتماعيّة. يمكن اعتبار بعض الأصناف بأنها تعتّم على حقيقة

---

(38) Silverstone, *Why Study the Media?*.

العلاقات الاجتماعيّة من خلال «التحول الحواري»: ادّعاء التبادل الحواري في السياقات العامة، كجانب من «تخطّي الرسميّات» الاجتماعيّة. فالتغيير في الأصناف (بما في ذلك سلسلة الأصناف) جانب مهمّ من التغيير التقني وتقنيات الإعلام الجديدة. نناقش ثلاثة ممهّدات أصناف: الحوار، بخاصة في ما يتعلّق بمسألة مفهوم الحوار المناسب لنطاق الحياة العامة أو الفعّال فيه، والمَحاجة، وذلك انطلاقاً من المغزى الأيديولوجي للمسلّمات المستترة فيها، والسرد، بخاصة في ما يتعلّق بالأنباء.

5 ـ العلاقات الدلاليّة بين الجُمل والعبارات

مسائل التحليل النصي العلاقات الدلاليّة بين الجُمل والعبارات: سببيّة، شرطيّة، زمنيّة، إضافيّة، إسهابيّة، تباينيّة. العلاقات الدلاليّة بين العبارات: نظيرية، تبعية. **مسائل البحث الاجتماعي** الشرعنة، الهَيمنة والتساوي والاختلاف الظاهر والواقع.

يتمّ التركيز في هذا الفصل على علاقات المعنى، والعلاقات الدلاليّة بين الجُمل وبين العبارات (أو «الجُمل البسيطة») داخل الجُمل. نعالج، على سبيل المثال، العلاقات السببية، أو المنطقيّة، بين الجُمل والعبارات (مثال ذلك: علاقات غائيّة، كما في جملة «سنزِنُك لنتمكّن من تقييم زيادة وزنك لاحقاً»، من نصّ عن ماقبل الولادة أناقشه أدناه)، أو علاقات تباينيّة (كما في جملة «تنظر إلى مجموعة من العناصر، يراها كلّ امرئ، لكن بعد ذلك تجمع القطع الصغيرة العائمة ضمن احتمال جديد جذّاب»، من النصّ التاسع، «مُرشد إدارة الأعمال»، الذي سأناقشه لاحقاً). ندرس أيضاً كيفيّة «تحقيق» العلاقات الدلاليّة في بِنى نحويّة مختلفة. وتكمن العلاقة بين

هذا الفصل والفصل الرابع في أنّ نمط العلاقات الدلاليّة بين الجُمل والعبارات التي نجدها في النص مرتبطة بصنفه.

يمكن توضيح عدد من قضايا البحث الاجتماعي عن طريق التركيز على هذه العلاقات الدلاليّة. وإحدى هذه القضايا هي الشرعنة[1]. بحسب فيبر[2] (Weber)، «تحاول كلّ منظومة سلطويّة تأسيس الاعتقاد بشرعيّتها وتكريسه»، وبحسب برغر (Berger) ولوكمان[3] (Luckmann)، «تشرح الشرعنة العناصر البارزة في التقليد المؤسّساتي وتبرّر وجودها». والتغيّرات التي تطال الشرعنة، أي طريقة شرح الترتيب الجديد وتبريره، هي إحدى مسائل البحث الذي يتناول التغيّرات في الرأسماليّة الجديدة. يهتمّ الناس دائماً بالحياة الاجتماعيّة، وبما يقولون أو يكتبون، وبدعم الفعال المستجدّة أو التشكيك فيها، والإجراءات الموجودة في المؤسّسات، وما إلى ذلك. ويعني ذلك أنّ التحليل النصي مصدر مهمّ من مصادر دراسة الشرعنة.

القضيّة الثانية هي **التساوي والاختلاف**، ما يعتبره لاكلو (Laclau) وموف[4] (Mouffe)، في حديثهما عن سياسة

---

(1) Jürgen Habermas, *Legitimation Crisis* (London: Heinemann, 1976); T. Van Leeuwen, «The Grammar of Legitimation,» Working Paper (London: College of Printing, [n. d.]), and «Legitimizing Immigration Control: A Discourse-Historical Analysis,» *Discourse Studies*, vol. 1, no. 1 (1999), pp. 83-118.

(2) Max Weber, *The Theory of Social and Economic Organization* (New York: The Free Press, 1964).

(3) P. Berker and T. Luckmann, *The Social Construction of Reality* (Harmondsworth: Penguin, 1966).

(4) Ernesto Laclau and Chantal Mouffe, *Hegemony and Socialist Strategy* (London: Verso, 1985).

الهيمنة، عمليّة يتزامن فيها «منطق الاختلاف» و«منطق التساوي». وهما نزعتان، تعمل الأولى منهما على توليد الاختلافات بين الموجودات والكينونات ومجموعات الناس... ونشرها، وتعمل الثانية على محوِ الاختلافات أو «تقويضها» عن طريق تمثيل الموجودات والكيانات ومجموعات الناس... كَمُساوية بعضها لبعض. قد تبدو هذه المسألة نظريّة مجرّدة، لكنّها جانب من سيرورة اجتماعيّة مستمرّة هي **التصنيف**. وللتصنيف تأثيرات أساسيّة، منها أن يتمّ تمثيل السيرورات السياسيّة والعلاقات بالدرجة الأولى انطلاقاً من تقسيمها إلى «يساريّة» و«يمينيّة»، وفهمها واعتمادها في الممارسة على أنّها كذلك، ومنها أيضاً الطريقة التي يتمّ بها إدراج الظواهر والتغيّرات الاقتصاديّة والاجتماعيّة المتنوّعة ضمن «العولمة» واعتبارها حالات مساوية لبعضها أو جوانب من العولمة.

ينتج من ذلك أنّ التصنيف والتبويب يُبلوران طُرق الناس في التفكير والعمل كَفاعلين اجتماعيّين. التساوي والاختلاف هما جزئيّاً علاقات نصيّة، ومن المفيد إعطاء التمييز النظريّ بينهما «بعداً عمليّاً» في التحليل النصي، وذلك بالنظر في كيفيّة التفريق في النصوص بين الكيانات المختلفة على أنواعها (الناس، الموجودات، المنظّمات... وما إلى ذلك)، وفي كيفيّة محوِ الاختلافات بينها بوساطة نسج علاقات تساوٍ داخل النص. في ما يخصّ العلاقات الدلاليّة بين العبارات والجُمل، تتّخذ إقامة الاختلاف شكل علاقات تبايُن (يمكن أن توسم في الشكل بحضور أداة الربط «لكن»، أو «بدلاً من»، أو «إنّما»)، وتتّخذ إقامة التساوي شكل علاقات إضافة وإسهاب، كَجعل الكيانات متساوية عن طريق وضعها في قوائم. ويمكن التعبير عن ذلك بطريقة أخرى: العملُ على التصنيف أمر مستمر داخل النصوص،

بالتفريق بين الكيانات، أو إقامة تقابل بينها، أو مساواتها بعضها ببعضٍ.

وهناك قضيّة ثالثة نستخدم للحديث عنها تعبيراً خلافياً هو: الظاهر والواقع. ينتقد التقليد الماركسيّ التحليلَ الاجتماعيّ (الاقتصاديّ، السياسيّ) الذي لا يتخطّى «السطح» الظاهر للولوج إلى ضروب الواقع «التحتيّة»، ويرى الأشياء كما تبدو بدل أن يعتبرها نتائج تتسبّب بها البنى الموجودة. لقد حدّدتُ موقفي من هذه القضيّة في الفصل الثاني، فدافعت عن اعتبار الأحداث نتائج لقوى، هي البنى والممارسات الاجتماعيّة، ولعمليّة الفعل التي يقوم بها المُشاركون فيها. في سياق الرأسماليّة، تتخذ هذه القضيّة شيئاً من الأهميّة عندما ننظر مثلاً في ممثّليات التغيرات الاقتصاديّة والاجتماعيّة الحاصلة، كوثائق السياسيات بجميع أنماطها. أقيم تغايراً بين «منطق التفسير» و«منطق الظاهر» ـ غالباً ما لا تتخطّى الممثليات المذكورة تقديم قائمة بالأمور الظاهرة والتغيير البيّن، بدل أن تقدّم تفسيراً للتغيير انطلاقاً من العلاقات المُسبّبة للأمور الظاهرة.

أعرضُ باختصار الفئات والتمييزات التحليليّة، ثمّ أستخدمها في نقاش يتناول مسائل البحث الاجتماعيّ.

العلاقات الدلاليّة

لخّصتُ أدناه العلاقات الدلاليّة بين الجُمل والعبارات. وضعتُ الأمثلة بين قوسين، وكتبتُ بخطّ مائل أدوات الربط (مثال ذلك: «لأنّ»، واو العطف، «لكن») التي تَسِم هذه العلاقات. من المُلاحظ عدم وجود أداة ربط لعلاقات الإسهاب: لا تملك هذه الأخيرة دائماً وسماً ظاهراً. ميّزتُ بين عدد محدود نسبيّاً من العلاقات الدلاليّة الأساسيّة، ويمكن طبعاً إضافة تمييزات أخرى. (تستند

التمييزات الآتية إلى تمييزات مُشابهة ذكرها هاليداي[5] (Halliday) ومارتن[6] (Martin)).

علاقة سببية

الموجِب (تأخّرنا لأنّ القطار لم يأتِ في موعده)

النتيجة (لم يأتِ القطار في موعده، فتأخّرنا)

الغاية (تركنا البيت باكراً لكي نركب أوّل قطار)

علاقة شرطية

(إذا لم يأتِ القطار في موعده، سنتأخّر)

علاقة زمنية

(عندما تأخّر القطار اعترانا القلق)

علاقة إضافة

(يا لهذا اليوم! لم يأتِ القطار في موعده، وكان الكلب مريضاً)

علاقة إسهاب

(بما في ذلك إعطاء أمثلة وإعادة الصياغة)

(لم يأتِ القطار في موعده. كان يجب أن يصل السابعة والنصف ووصل التاسعة)

علاقة تباين/ استدراك

(لم يأتِ القطار في موعده، لكن ذلك لم يتسبّب بتأخيرنا)

في ما يلي أمثلة قصيرة على عدد من هذه العلاقات الدلاليّة:

لقد حدّدتُ داخل زاويتَين (< >) نوع العلاقة بين الجمل، أو العبارات، المرتبطة بعضها ببعضٍ، ووضعت خطّاً تحت أدوات الربط

(5) Michael Halliday, *An Introduction to Functional Grammar*, 2nd Ed. (London: E. Arnold, 1994).

(6) Martin, *English Text*.

التي تَسِم العلاقات، عند ورودها (أحياناً لا تَرِد).

رجال الإطفاء يواجهون الحريق توجبَ إخلاء إحدى مجموعات عمّال التغليف في مؤسّسة نارن (Nairn) للتغليف، رصيف سان جورج في لانكاستر (Lancaster)، <زمنيّة> عندما اندلع حريق في أحد الأفران، مساء يوم الأربعاء.
هرعت إلى المكان أربع آليّات إطفاء <إسهاب> وكافح رجالُ إطفاء يرتدون أجهزة تنفّس النيرانَ <إضافة> التي اشتعلت <زمنيّة> عندما اندلع الحريق في محوّل مرتبط بحرارة تحت الحمراء.
<إضافة> تسبّبت النيران بتضرّر في 20 متراً من القنوات المعدنيّة، <إضافة> وبإتلاف آلةٍ وغرفة التغليف. <تباين> لكن صباح الخميس كانت المؤسّسة تعمل مجدّداً (Lancaster Guardian, 7 October 1986).

فحص طبّي
يتمّ وزنكِ <غائيّة> لكي يتمّ تقييم الزيادة التي تطرأ عليه لاحقاً. <إضافة> ويتمّ قياس طولكِ <مُوجِب> لأنّ حوض النساء القصيرات بالإجمال أصغر قليلاً من حوض الطويلات ـ <إسهاب> ليس ذلك مفاجئاً. <زمنيّة> ثمّ تخضعين لفحص طبيّ عام <إسهاب> يتضمّن فحص ثَديَيكِ وقلبكِ ورئتيكِ وضغط دمك وبطنك وحوضك. <غائيّة> والهدف من ذلك تحديد أيّ خلل قد يكون موجوداً، <تباين> لكن لم يسبّب لكِ بعد أيّ مشكلة بعد. <إضافة> يسمح الفحص المَهبلي بتقييم وضع الحَوض <غائيّة> ليصبح بالإمكان معرفة وضع الرحم وعنق الرّحم والمَهبِل. <إضافة> غالباً ما يتمّ

أيضاً في هذه المرحلة فحص رقبة الرحم مجهرياً < غائيّة > لـ استبعاد أيّ بداية تغيير سرطاني مُبكر نادراً ما يكون موجوداً[7].

يسمح لنا هذان المثالان القصيران بالبدء بتبيّن الصلة بين العلاقات الدلاليّة والصنف. **المثال الأوّل** تقرير مُقتطف من صحيفة محليّة، وبتعبير أدقّ: تقرير عن حادث. وقد ناقشتُ بنيته العامة في الفصل الرابع. التقرير الإخباريّ نَمطٌ سرديّ، لذلك يتوقّع المرء تحديد العلاقات الزمنيّة بين الأحداث («حصل هذا، ثمّ حصل ذاك»). علاقات الإضافة والإسهاب متوقّعة أيضاً، تجمع التقارير تفاصيل عن الأحداث. يمكن إجراء اختبار أوّلي لتحديد ما إذا كانت العلاقة بين العبارات والجُمَل علاقة إضافة أم إسهاب، وذلك بمحاولة قلب ترتيبها. من الملاحظ مثلاً أنّه يمكن في المثال الأوّل وضع المقطع الثالث («تسبّبت النيران. . .» ـ يشكّل كلّ مقطع جملة واحدة) قبل المقطع الثاني، والعبارة الثانية في المقطع الثالث («وبإتلاف. . .») في المقطع الثالث قبل الأولى. هذا هو حال علاقات الإضافة، تتمّ ببساطة إضافة شيء إلى آخر، لا تتخطّى العلاقة ذلك. في المقابل، توجد علاقة إسهاب بين العبارتين الأولى والثانية في المقطع الثاني: تحدّد العبارة الثانيّة («كافح رجال إطفاء. . .») أكثر المعلومة التي ترد في الأولى وتكملها، فلا يمكن قلب ترتيب العبارتين. كذلك من المتوقّع في هذا الصنف أن ترد في نهاية النصّ علاقة تباين دلاليّ: تحقّق هذه العلاقة ما سمّيته في الفصل الرابع «طيّ الحدث»، وهو طريقة تنزع بها هذه التقارير إلى احتواء خاتمة ترجع فيها الأمور إلى نصابها «الطبيعي».

أمّا المثال الثاني فمُقتطف من كُتيّب يُوزّع في عيادات التحضير

(7) P. Morris, *The Baby Book* (London: Newbourne, 1986).

للولادة. ويمكن اعتباره أيضاً نوعاً من السرد، بالمعنى الواسع للكلمة، الذي يمثّل الأحداث في تتابع زمني. لكنّه بدل أن يُخبر عن أحداث فعليّة يصف إجراءً[8]. كما في المثال الأوّل، توجد علاقات زمنيّة وعلاقات إضافة وإسهاب، لكنّ المُلفِت هو بروز علاقة غير موجودة في المثال الأوّل: علاقة غائيّة. يحتوي المثال الثاني، وهو مُقتطف صغير، على أربع علاقات غائيّة. لماذا؟ لأنّ النصوص من هذا النوع تشدّد على الشرعنة. يمكن صياغة ذلك بعبارات بديهيّة: إذا كان المطلوب من النساء الحبالى إجراء كلّ هذه الفحوصات، وما إلى ذلك، فمن المرَجّح أن يقبلنَ بإجرائها إنْ هنّ فهِمنَ الغاية منها. فالشرعنة ليست فقط حاضرة في النصّ، لكنّها أيضاً، كما قُلتُ، «بارزة»، إنّه يحتوي على وَسَمات ظاهرة تدلّ على العلاقة الغائيّة، وترتصف فيه الكلمات بطريقة تُبرز تسويغ الإجراءات.

المستوى الأعلى من العلاقات الدلاليّة

إلى جانب العلاقات الدلاليّة «المحليّة» بين العبارات والجُمل، يمكننا تحديد علاقات دلاليّة «أعمّ» أو ذات مستوى أعلى يشمل أجزاء نصيّة أطول، أو نصوصاً بأكملها. أحد الأمثلة الشائعة على هذه العلاقة علاقةُ «مشكلة ـ حلّ»[9]. يتمحور الكثير من الإعلانات حول هذه العلاقة: تكون «المشكلة» هي الحاجات، أو الرغبات، المنسوبة إلى المستهلكين المحتملين، و«الحلّ» هو السلعة (قد يكون «الجلد الجاف» هو «المشكلة»، والكريم من الماركة «أ» هو «الحلّ»). توجد أيضاً علاقة أخرى مهمّة هي علاقة الهَدف ـ تحقيقه، وهي مُعتادة في

(8) للمزيد عن هذا التمييز، انظر: Martin, *English Text*.

(9) Michael Hoey: *On the Surface of Discourse* (London: George, Allen & Unwin, 1983), and *Textual Interaction: An Introduction to Written Discourse Analysis* (London: Routledge, 2001). [Winter 1982].

وصفات تحضير الطعام، على سبيل المثال، حيث للوصفة هدف (تحضير طبق معيّن) وفيها طريقة تحقيق الهدف[10].

وتنتشر علاقة «مشكلة - حلّ» في نصوص توضيح السياسات على أنواعها، مثال ذلك النصّ السابع. يعبّر العنوان عن التسليم بوجود مشكلة وحلّ (من دون تحديد طبيعة هذا الأخير): «كيف يمكن أن تكون نتائج العولمة جيّدة؟». يعني هذا العنوان أنّ نتائج العولمة ليست جيّدة، هذه هي المشكلة، لكنّ طرح سؤال الكيفيّة يعني أنّ هناك طُرقاً لحلّها. تظهر العلاقة «مشكلة - حلّ» مجدّداً في المقطع الافتتاحيّ: تُعبّر الجملتان الأولى والثانية عن المشكلة. تفترض الجملة الثالثة أنّ استثناءات نصف الأرض الجنوبيّ يمكن مُعالجتها، أي يمكن حلّ «المشكلة». يتبع ذلك ورود معقّد لعلاقات «مشكلة - حلّ» في بقيّة النص.

كما ذكرتُ في الفصل الرابع، النصّ السابع ازدواجيّ بطرق مختلفة: هل المشكلة أنّ العولمة غير صالحة؟ أم المشكلة في أنّ البعض يعتبرها كذلك؟ يبدو أنّ بعض «الحلول» تجيب عن السؤال الأوّل (على وجه الخصوص، التغيير الذي يدعو إليه النص في المقطع ماقبل الأخير: إنشاء «البنى الأساسيّة لسوق اقتصاديّ»)، وبعضها الآخر (تلك التي تشير ضمناً إلى ضرورة «الاستماع» إلى «أصوات» «الدول النامية») يجيب عن السؤال الثاني. بالطبع قد يقول البعض إنّ النصّ لا يتناول المشاكل الحقيقيّة للعولمة ولا يقدّم أيّة «حلول».

العلاقات النحويّة

تتحقّق العلاقات الدلاليّة من خلال مجموعة من السمات النصيّة

(10) Hoey, *Textual Interaction: An Introduction to Written Discourse Analysis.*

النحويّة والمفرداتيّة (مفردات)، أو بعبارة أخرى: توجد مجموعة من الوسوم النصيّة التي تعبّر عن هذه العلاقات. لنبدأ بالحديث عن العلاقات النحويّة بين العبارات داخل الجُمل: علاقات نظيرية (paratactic)، وتبعية (hypotactic)، واحتواء. يتمّ الوصل بين العبارات بعلاقة نظيرية أو تبعية[11].

- **النظيرية**

العبارات «متساوية» نحوياً أو «معطوفة» (مثال ذلك: «كانت العصافير تغنّي والسمك يقفز». حرف العطف بخطّ أسود).

- **التبعية**

توجد عبارة «مُلحقة» تابعة لعبارة أخرى «رئيسيّة» (مثال ذلك: «تغنّي الطيور لأنّ الشمس مشرقة». العبارة الثانية، التي تبدأ بـ «لأنّ»، هي العبارة المُلحقة).

توجد علاقة أخرى:

- **الاحتواء(*)**

يمكن أن تكون العبارة عنصراً ذا وظيفة ضمن عبارة أخرى (فاعل فيها مثلاً)، أو عنصراً في رُكن (مثال ذلك:

---

(11) Suzanne Eggins, *Introduction to Systemic Functional Linguistics* (London: Pinter, 1994); Michael Halliday, *An Introduction to Functional Grammar*, 2nd Ed. (London: E. Arnold, 1994); Randolph Quirk [et al.], *A Grammar of Contemporary English* ([London]: Longman, 1972), and *A Comprehensive Grammar of the English Language* (London: Longman, 1995).

(*) نستخدم احتواء لترجمة (Embedding)، لكن نلجأ إلى مُضمّنة (Embedded) للإشارة إلى العبارة التي تحتويها العبارة الرئيسيّة لتجعلها فاعلها أو مفعولها، أو ما إلى ذلك، وفق تعريف المصطلح أعلاه. ويعود ذلك، في هذا السياق، إلى صعوبة استخدام اسم مفعول من المصدر «احتواء».

«الرجل» في «الرجل الذي حضر إلى العشاء»).

نستخدم المثالَين المذكورَين سابقاً لتوضيح هذه التمييزات. لكنّني هذه المرّة أوردُ العلاقات النحويّة داخل زاويتَين (< >) بين العبارات المرتبطة بعضها ببعض، ووضعتُ خطّاً تحت العبارات المُضمَنة، كذلك أدوات العطف وأدوات الربط الأخرى تحتها خطّ:

رجال الإطفاء يواجهون الحريق

توجبَ إخلاء إحدى مجموعات عمّال التغليف في مؤسّسة نارن (Nairn) للتغليف، رصيف سان جورج في لانكاستر (Lancaster)، <تبعية> عندما اندلع حريق في أحد الأفران، مساء يوم الأربعاء.

هرعت إلى المكان أربع آليّات إطفاء <نظيرية> وكافح رجالُ إطفاء يرتدون أجهزة تنفّس النيران <تبعية> التي اشتعلت <تبعية> عندما اندلع الحريق في محوّل مرتبط بحرارة تحت الحمراء.

تسبّبت النيران بتضرّر في 20 متراً من القنوات المعدنيّة، <نظيرية> وبإتلاف آلةٍ وغرفة التغليف. <نظيرية> لكن صباح الخميس كان المؤسّسة تعمل مجدّداً.

(Lancaster Guardian, 7 October 1986)

فحص طبّي يتمّ وزنكِ <تبعية> لكي يتمّ تقييم الزيادة التي تطرأ عليه لاحقاً. ويتمّ قياس طولك <تبعية> لأنّ حوض النساء القصيرات بالإجمال أصغر قليلاً من حوض الطويلات <تبعية> ليس ذلك مفاجئاً. ثمّ تخضعين لفحص طبّيّ عام <تبعية> يتضمّن فحص ثديَيكِ وقلبك ورئتيكِ وضغط دمك وبطنك وحوضك. والهدف من ذلك تحديد أيّ خلل قد يكون

موجوداً، <نظيرية> لكن لم يسبّب لك بعد أيّ مشكلة بعد. يسمح الفحص المَهبلي بتقييم وضع الخوض <تبعية> ليصبح بالإمكان معرفة وضع الرّجم وعنق الرّحم والمَهبل. غالباً ما تُفحص أيضاً في هذه المرحلة رقبة الرحم مجهرياً <تبعية> لاستبعاد أيّ بداية تغيير سرطاني مُبكر نادراً ما يكون موجوداً.
(P. Morris, *The Baby Book* (London: Newbourne, 1986).

من المُلاحَظ أنّ العبارات التي تحتوي على «اسم موصول» (مضمر إذا لم يكن عائده معرّفاً، وقد يقوم اسم الإشارة مقامه كـ «ذلك» في نصّ «فحص طبّي») تُعتبر أحياناً في علاقة تبعية وأحياناً مُضمَّنة. يتمّ اصطلاحيّاً التميز بين نمطَين من العبارات الموصولة[12]: عبارات «للحصر» أو «للتعريف»، وعبارات «لغير الحصر» أو «لغير التعريف». النمط الأوّل يعرّف الاسم داخل الركن الاسميّ أو يعيّنه أو يحدّده (مثال ذلك: «أيّ خلل قد يكون موجوداً»: الاسم الموصول مستتر لأنّ «خلل» نكرة)، أمّا النمط الثاني فيمكن التعبير عن الاسم الموصول فيه بـ «وهذا» (يمكن القول «ما لا يُفاجئ» أو «وليس هذا مفاجئاً»)، وعباراته جزء من جملة وليس من ركن اسميّ.

وبالإضافة إلى العلاقات النحويّة بين العبارات داخل الجُمل المذكورة، يوجد في المثالَين المذكورَين عدد من وسوم العلاقات الدلاليّة التي تدلّ على التماسك بين الجُمل. نجد في أوّل الجملة الأخيرة من المثال الأوّل «لكن»، وفي المثال الثاني «ثمّ» و«الهدف من ذلك» و«أيضاً». وتذكر الكتابات التي تتناول «التماسك»[13] عدداً من

(12) Halliday, *An Introduction to Functional Grammar*, and Randolph Quirk [et al.], *A Grammar of Contemporary English*.

(13) Eggins, *Introduction to Systemic Functional Linguistics;* Halliday and T. Hasan, *Cohesion in English*, and Martin, *English Text*.

العلاقات الدلاليّة المختلفة المرتبطة بالتماسك بين الجُمل:

(أ) علاقات الإرجاع: ألف ولام التعريف، وأسماء الإشارة («هذا»، «ذاك»...)، والضمائر الظاهرة والمضمرة («هو»، «هي»، «هم»...)، وكلّها وسوم تُرجِع إلى جُمل سابقة أو لاحقة في النص.
(ب) العلاقات المفرداتيّة (بين المفردات): تشكّل الطُّرُز المتوقّعة لورود الكلمات مع بعضها (مثال ذلك ورود «وزن» وقياس» في بداية المثال الثاني أعلاه) «سلاسل» مفرداتيّة داخل النصّ.
(ج) تَسِم علاقات الربط بين الجُمل أدوات ربط، كـ «لكن» في الجملة الأخيرة من المثال الأوّل، وكـ «الذلك» و«إنّما».

منطق التفسير إزاء منطق الظاهر

لنعالج الآن النص الحادي عشر من الوثيقة الخضراء الصادرة عن الحكومة البريطانيّة (وثيقة استشاريّة)، «عصر التعلّم»، استناداً إلى التمييزات المُبيّنة أعلاه. أورد هنا المقطع الأوّل، وأذكر العلاقات الدلاليّة بين الجُمل والعبارات فيه داخل زاويتَين، وأضع خطّاً تحت وسوم العلاقات الدلاليّة:

نحن في عصر جديد، عصر المعلومات والتنافس العالميّ. <إسهاب> ضروب اليقين المألوفة والطرق القديمة في القيام بالأشياء تتلاشى <إضافة>. أنماط العمل الذي نقوم به تتغيّر، <إضافة> كذلك الأمر بالنسبة إلى الصناعات التي نعمل فيها والمهارات التي تتطلّبها. <إضافة> وفي الوقت نفسه، تظهر فُرص جديدة <إضافة> في حين نختبر احتمال أن تغيّر التقانات الجديدة حياتنا إلى الأفضل. <إضافة> (<نتيجة>؟) لا خيار

أمامنا سوى التهيّؤ للعصر الجديد حيث سيكون مفتاح النجاح التعلُّم وتطوير الفكر والمخيّلة البشريّين باستمرار.

يمكن اعتبار ما يلي الجملة الأولى إسهاباً لها، والعلاقات بين الجمل والعبارات في هذا الإسهاب علاقات إضافة (علماً أنني تساءلتُ ما إذا كان يمكن اعتبار الجملة الأخيرة تدخلُ في علاقة نتيجة مع ما يسبقها. راجع أدناه). يتمّ تمثيل «العصر الجديد» والتغيّرات التي يستلزمها بقائمة غير منظّمة من الأمور الظاهرة ـ «غير منظّمة» بمعنى أنّه يسهل ترتيبها بشكل آخر (مثال ذلك: يمكن أن تسبق الجملة الثالثة الجملةَ الثانية). إضافة إلى ذلك، إنّ الأمور الظاهرة، أو الدلائل، المذكورة كثيرة ـ تحوّلات في الصناعات، في ضروب العمل، في المهارات، في التوقّعات (أمور يعتبرها النصّ «يقينيّة»). ويمكن أن تتضمّن إحدى الطرق الأخرى لتمثيل هذه التغيّرات علاقاتٍ سببيّةً بين التغيّرات في نطاق معيّن من جهة، والتغيّرات في المجالات الأخرى من جهة ثانية (مثال ذلك: «توجد حاجة لمهارات جديدة لأنّ الصناعات تغيّرت»، «إنّ ضروب اليقين المألوفة تتبدّد، لأنّ الطرق القديمة للقيام بالأمور تتلاشى»).

نُظهر هنا التغاير بين «منطق الظاهر» و«منطق التفسير» الذي، باعتباره تحليلاً متقدّماً للتغيير الاجتماعيّ، يمكن أن يكون تحديداً مُتقناً للعلاقات السببية مع أنواع أخرى من التغيير، فقد يكون هذا الأخير مثلاً اقتصادياً أو تربوياً أو نفسياً اجتماعياً. ويمكن رؤية هذا التغاير من منظور الاختلاف الصنفيّ: الصنف هنا، كما يقول مارتن، هو «التقرير» (وصف عام ـ ليس وصفاً للأحداث أو السيرورات المحسوسة، لكنّه وصف لسيرورات على مستوى عالٍ من التجريد،

بعيداً عن المحسوس)[14]، أمّا أنا فأقول إنّ الصنف المستخدم كان يمكن أن يكون «النص الإيضاحي» (تفسيري، وليس فقط وصفياً، وشكل من أشكال المحاجّة. راجع الفصل الرابع). وعلاقات الإضافة والإسهاب الدلاليّة متوقّعة في صنف التقرير.

نجد في الكثير من نصوص السياسات المُعاصرة نزوعاً إلى تفضيل منطق الظاهر على المنطق الإيضاحيّ والتفسيريّ، ومن المهمّ التساؤل عن سبب ذلك. يستلزم تحليل «العصر الجديد» تحليلاً اجتماعيّاً اقتصاديّاً بلورة مُحاجّة تفسيريّة وشارحة للأسباب وإيضاحيّة. لا يمكن أن يوجد فهم حقيقي لِـ «العصر الجديد»، ولا إدراكٌ لكونه عرضيّاً، من دون تحليل. يجب توضيح كيف أنّ إحداث تغيير على مستوى معيّن يمكن أن يولّد احتمالات مختلفة. يضيف التحليل أيضاً عمقاً زمنيّاً، وإدراكاً للطريقة التي يمكن أن تترتّب بها نتائج معيّنة على التغيّرات التي تستمرّ لفترة معيّنة. يمكن اعتبار أن الكثير من هذه النصوص يحدّ من السياسات الممكنة، لأنّه يصوّر الترتيب الاجتماعيّ الاقتصاديّ على أنّه، بكلّ بساطة، مُعطى ـ أفق لا مفرّ منه، ولا يمكن إعادة النظر فيه، ولا يتأثّر بخيارات التخطيط السياسيّ والقيود الضيّقة، وجوهريّ وليس عرضيّاً، ومن دون عمق زمنيّ. زد على ذلك أنّ هذه النصوص غالباً ما تبدو ترويجيّة وليس تحليليّة، هدفها الأوّل إقناع الناس بأنّ السياسات التي تقدّمها هي السياسات الوحيدة الممكنة، ولا يهمّها فتح حوار. هذا النوع من التقارير هو ما يمكن تسميته «تقريراً توجيهيّاً»: إنه وصفٌ ذو هدف توجيهيّ خفيّ، الغرض منه جعل الناس يتصرّفون بطرق معيّنة بالاستناد إلى ممثّليات عن الواقع. أتطرّق إلى هذه المواضيع في الفصل السادس.

---

(14) Martin, *English Text*.

«التقرير التوجيهيّ» صنفٌ مُعاصر مُنتشر ليس فقط في مجال بلورة السياسات الحكوميّة، بل أيضاً، على سبيل المثال، في كتابات «المُرشِدين في إدارة الأعمال»، التي تقدّم تقارير مقنعة تتناول التغيّرات الاقتصاديّة والاجتماعيّة وفي مجال الأعمال، وهدفها التوجيه ـ تزويد مديري الأعمال ببرنامج لتغيير ممارساتهم. النصّ التاسع (أدناه) مقتطف من كتاب حديث مؤلّفه «مُرشد» معروف في مجال إدارة الأعمال، هو روزابث موس كانتر (Rosabeth Moss Kanter) من مدرسة هارفرد لإدارة الأعمال. بيّنتُ في النصّ العلاقات الدلاليّة بين الجُمل والعبارات (وعلاقات مماثلة بين التعبيرات في حالتَين) كما سبق وفعلتُ أعلاه.

> إنّ الشركة الناجحة في مجال شبكة المعلوماتيّة تعمل بشكل مختلف عن الشركات المتقاعسة. <إسهاب> وجدت في استِطلاعٍ إلكترونيّ عالميّ قُمتُ به، أنّ الشركات التي تعتبر نفسها أفضل بكثير من منافساتِها في استخدام شبكة المعلوماتيّة غالباً ما تمتلك تنظيماً مرِناً وداعماً وتعاونيّاً. <إضافة> ويوجد احتمال أكبر أن تؤكّد الشركات الجيّدة ـ والنتيجة الإحصائيّة حاسمة ـ الأمور الآتية:
>
> - يتعاون بعض الأقسام مع بعض (<تبايُن> بدل أن ينطوي كلّ قسم على نفسه). <إضافة>
> - يُعتبر النزاع مصدر إبداع (<تبايُن> بدل أن يعتبر شالاً للحركة) <إضافة>.
> - يمكن للعاملين أن يفعلوا كلّ ما لم يُعلن عن منعِه (<تبايُن> بدل أن يفعلوا فقط ما يُعلن أنه مسموح). <إضافة>.
> - يتخذ القرارات العاملون الأوسع معرفةً (<تبايُن>

بدل أن يتخذها الأعلى مرتبةً).
<إضافة> لا فرق بين ما يقوله المتقاعسون والقدوة بشأن الكدّ في العمل (في إجابة عن سؤال عمّا إذا كان العمل ينحصر في أوقات العمل أو يتخطّاها ليشغل الأوقات الخاصة)، <تبايُن> لكنّ الفرق بين الجهتين يكمن في ما يقولونه عن مدى التعاون في العمل.
إنّ العمل في نطاق الثقافة الإلكترونيّة يتطلّب أن تكون المؤسّسة جماعة صاحبة هدف. <إسهاب> تذكّر العناصر المكوّنة للجماعة، المُبيّنة في الفصل الأوّل. <إسهاب> تُشعر الجماعةُ المنتمين إليها أنّهم أعضاء فيها، وليسوا مجرّد موظّفين ـ أعضاء يملكون امتيازات ـ لكن عليهم أيضاً مسؤوليّات تتخطّى وظيفتهم المباشرة وتصل بينهم وبين زملائهم في مجالات العمل الأخرى.
<إضافة> ويكون بين المنتمين إلى الجماعة أشياءُ مشتركة، فيفهمون بالطريقة نفسها مجموعة من الأمور التي تتخطّى حقولاً معيّنة. <إسهاب> يسمح الاشتراك في طريقة الفهم بتقدّم السيرورات بدون عائقٍ تقريباً، فيمكن أن ينوب الأشخاص عن بعضهم، ويمكن بسهولة تشكيل فِرَق تعرف كيف تعمل بعضها مع بعضٍ حتى وإن لم تلتقِ أبداً من قبل، ويمكن نقل المعلومات بسرعة. <إضافة> سنرى في هذا الفصل كيف تُطَبّق مبادئ تشكيل الجماعة داخل المؤسّسات وأماكن العمل، وقد تُسهّل التقنية (التكنولوجيا) ذلك، وقد لا يكون لها علاقة بالأمر. <إضافة> وأتناول التحدّيات التي يجب تخطّيها لتوليد جماعات مؤسّساتيّة.
<إضافة> يختلف التكامل الأكبر الذي يشكّل جزءاً أساسيّاً من الثقافة الإلكترونيّة عن المركزيّة في المجالات السابقة. <إسهاب> يجب أن يصحب التكامل مرونة وتفويض

<غائيّة> لأجل الحصول على استجابة سريعة وإبداع وتجديد يعتمد على الارتجال. <إضافة> يستلزم النجاح في مجال شبكة المعلوماتيّة العمل كجماعة وليس كبيروقراطيّة. <إسهاب> وهذا تمييز دقيق ولكنّه مهمّ. <إسهاب> تستلزم البيروقراطيّة تحديداً صارماً لطبيعة العمل، وتراتبيّة للتوجيه والتحكّم، وتجميعاً للمعلومات <إسهاب> التي توزّع من أعلى إلى أدنى بالاستناد إلى درجة الحاجة إلى الاطّلاع. <إضافة> يستلزم وجود الجماعة القبول بالانصياع لإجراءات موحّدة تحكم مجمل المؤسّسة، نعم، لكن تستلزم أيضاً تعاوناً تطوّعيّاً أكثر غنىً بكثير ويكاد لا يكون مبرمجاً. <إضافة> يمكن تنظيم الجماعات وفق منهج معيّن، <تباين> لكنها تملك أيضاً معنىً عاطفياً، إحساساً بالارتباط. <إسهاب> تملك الجماعات بنيةً وروحاً.

هذا المثال تقرير عن أنماط الشركات، بينما المثال السابق تقرير عن الحياة الاجتماعيّة المُعاصرة في «العصر الجديد». لكن في هذا المثال أيضاً يمكن استبدال منطق الإيضاح والتفسير بالتقرير وبمنطق الظاهر اللّذين يتميّز بهما النص. من الناحية الدلاليّة، لدينا طراز الإسهاب والإضافة نفسها في ما يخصّ العلاقات بين العبارات والجُمل في المثالَين. بالنسبة إلى العلاقات النحويّة، تطغى العلاقات النظيرية، أمّا علاقات التبعية فنادرة (توجد علاقة غائيّة واحدة، أي علاقة تبعية). يتألّف المثال أعلاه بالدرجة الأولى من أقوال تُبلغ عن واقع الحال، بالإضافة إلى عدد قليل من الأقوال الإبلاغيّة المعياريّة (مثال ذلك: «يجب أن يصحب التكامل مرونة وتفويضاً»). يوجد هنا ايضاً عنصر إرشادي مستتر وليس ظاهراً: لا يأمر النصّ القرّاء مُباشرة باتّباع سلوكات معيّنة. يستند ذلك إلى المسلّم به، القِيَم المستترة

(راجع الفصلَين الثالث والعاشر) الكامنة في ما يبدو أنّه أقوال إبلاغيّة عن واقع الحال، مثال ذلك: في المقطع الثاني، لا يُعلن النصّ أنّ «نقل المعلومات بسرعة» أمر مرغوب فيه، لكنّه يسلّم بذلك، فهو شرط النجاح، الرسالة المستترة هي «إذا كنت تريد النجاح فاجعل مؤسّستك جماعةً تقوم على فهم مجموعة من الأمور بالطريقة نفسها!». والعنصر الإرشادي مرتبط أيضاً بالسياق: عندما يقرأ مديرو الأعمال والمسؤولون الإداريّون هذا النوع من الكتب ينتبهون بالدرجة الأولى إلى الطرق الممكنة لتحسين شركاتهم.

الشرعنة

ناقشتُ أعلاه مقتطفاً من نصّ عن مرحلة ماقبل الولادة، تبرز فيه العلاقة الدلاليّة الغائيّة. كان ذاك مثالاً على الشرعنة بطريقة ظاهرة جدّاً: تمّت شرعنة إجراءات ماقبل الولادة بتحديد دوافعها بوضوح على شكل علاقات دلاليّة غائيّة موسومة بأدوات ربط ظاهرة («لكي»، «الهدف من ذلك»، «ليصبح بالإمكان»). تمّ إبراز تسويغ الإجراءات بقوّة.

لكن ليس ذلك سوى إحدى إستراتيجيّات الشرعنة. يميّز فان ليوين (Van Leeuwen) بين أربع استراتيجيّات[15]:

- **التفويض (Authorization)**

الشرعنة بالاستناد إلى سلطان التقليد والعادات والقانون والأشخاص الذين أُعطوا نوعاً من السلطة المؤسّساتيّة.

---

(15) T. van Leeuwen, «The Grammar of Legitimization,» Working Paper (London: College of Printing, [n.d.]), and R. Wodak and C. Ludwing, eds., *Challenges in a Changing World: Issues in Critical Discourse Analysis* (Vienna: Passagen Verlag, 1999).

• التسويغ (Rationalization)

الشرعنة بالاستناد إلى المنفعة من الفعال المؤسساتيّة، وإلى ضروب المعرفة التي صاغها المجتمع لاعتبار تلك الفعال صالحة معرفياً.

• التقييم الأخلاقي

الشرعنة بالاستناد إلى منظومات التقييم.

• التحويل الحكائي (Mythopoesis)

الشرعنة بواسطة السرد.

النص الذي يتحدّث عن فترة ماقبل الولادة مثالٌ على التسويغ يُشدّد على منفعة إجراءات ماقبل الولادة. يصف هابرماس[16] (Habermas) التحديث بأنّه سيرورة تنفصل فيها المنظومات المتخصّصة، التي تستند إلى تسويغ «أداتي» أو «يربط بين الوسيلة والهدف»، عن بقيّة الحياة الاجتماعيّة. والدولة إحدى هذه المنظومات، بما في ذلك دولة الدعم الاجتماعي أو الدولة التي تقدم خدمات اجتماعيّة، كالعناية الصحيّة. يفترض التسويغ الأداتي وجود غاياتٍ متّفق عليها، ويُشرعن الفعال أو الإجراءات أو البنى انطلاقاً من إسهامها في تحقيق هذه الغايات. ويعني ذلك أنّ التسويغ والتقييم الأخلاقي يتداخلان، أي إنّ الموجبات والغايات، التي تبرّر الإجراءات، تُرجع إلى منظومات قيميّة تُعتبر بديهيّة وتشكّل الدوافع «المعمّمة» التي تُستخدم الآن، بحسب هابرماس[17]، على نطاق

(16) Habermas, *The Theory of Communicative Action*, vol. 1: *Reason and the Rationalization of Society*.

(17) Habermas, *Legitimation Crisis*.

واسع «التأمين ولاء شامل». في المثال المذكور، ترتبط القِيَم المُرجع إليها باستخدام الطبّ للاستعداد لوضع الطفل: يتمّ التشديد على تفادي الأخطار والمجازفة ـ فيُقدَّم مثلاً الإجراء الذي يهدف إلى اكتشاف «تغيير مُبكِر ماقبل سرطاني» مُحتمل على أنّه مبرِّر في ذاته. لكنّ إحدى سِمات هذا التصنيف لاستراتيجيّات التبرير، المُضلّلة نوعاً ما، هي أنّها جميعها تتضمّن «تقييماً أخلاقيّاً»، أي تُرجع إلى منظومات قيميّة، لذلك يجب التنبّه إلى معالجة الإستراتيجية المسمّاة بـ «التقييم الأخلاقي» بشكل مُنفصل عن التفويض والتسويغ والتحويل الحكائي. وهذا في الواقع مُماثل لما ناقشته في الفصل الثالث وسمّيته «القِيَم المُسلّم بها».

والتسويغ هو أوضح أشكال الشرعنة وأكثرها وضوحاً. لكن الشرعنة من المسائل التي يمكن طرحها أيضاً عند مناقشة المثالَين اللذين ذكرتهما في الفقرة السابقة، وإن كان ذلك غير ظاهر تماماً. وصفتُ المثالَ الأوّل، المقتطف من الوثيقة الاستشاريّة «عصر التعلّم»، كـ «تقرير، كوصف عام. في الواقع، يربط هذا المثال بين «الكائن» (الذي «سيكون») و«ما يجب»[18]، بين الوضع الحالي للعصر الجديد وما يجب أن نفعله للتجاوب معه. يرتبط هذا بمناقشتي في الفقرة السابقة أسباب نزوع وثائق التخطيط السياسي لأنْ تكون تقاريرَ بدل أن تكون نصوصاً إيضاحيّة: من الشائع أن يكون الكثير من وثائق التخطيط السياسي، في حقول اجتماعيّة متنوّعة، يصوّر سياسات معيّنة وكأنّها لامفرّ منها لِما عليه العالم من حال في أيامنا[19]، كما تقول رئيسة الوزراء البريطانيّة السابقة مارغريت تاتشر

(18) انظر المقتطف بأكمله في المُلحق، النص II.

(19) Philip Graham, «Space: Irrealis Objects in Technology Policy and their Role in a New Political Economy,» *Discourse and Society*, vol. 12 (2001), pp. 761- =

(Margaret Thatcher)، في عبارة شهيرة لها: «لا يوجد بديل آخر» (يُشار إلى هذه العبارة عامةً بمبدأ «تينا» TINA). من المُلاحظ أن التقرير ينزلق من الوصف إلى التوقّع. ينتقل التقرير مراراً من الطروحات حول الوضع القائم إلى توقّع ما سيحدث لاحقاً. تنطبق الشرعنة هنا على السياسات، على ما «يجب» أن نفعله، وما يُشرعن هذه السياسات هي الطروحات المتعلّقة بـ «العصر الجديد». ولربط هذه التحوّلات في «العصر الجديد» بإستراتيجيّات الشرعنة المذكورة أعلاه، يمكن القول إنّها شكل من أشكال التحويل الحكائي، مع أن ذلك يجعلنا نوسّع التحديد الذي وضعه ليوين لهذه الإستراتيجية: ليس سرداً بالمعنى الدقيق، إنه بناء تدريجي لصورة عن «العصر الجديد». هو شبيه بالمرويّات التي يصفها فان ليوين: يملك خصائصَ تتميّز بها «الحكاية الأخلاقيّة» وأخرى مرتبطة بـ «الحكاية التحذيريّة»، مما يعني أنّ أموراً جيّدة ستحصل إن «نحن» وضعنا السياسات التي «لا مفرّ منها» موضع التنفيذ (مثال ذلك: ستظهر «فرص جديدة»)، وأموراً سيّئة ستحصل إن «نحن» لم نفعل (مثال ذلك: لن نتمكّن من «منافسة» الآخرين). هنا أيضاً التقييم الأخلاقي جزء من الصورة: «أن نكون من قادة العالم» و«المنافسة» و«تشجيع التخيّل والتجديد» أمر مرغوب فيه في المنظومة التقييميّة المُرجع إليها. من المُلاحظ أيضاً وجود مثال على التسويغ (والعلاقة الدلاليّة الغائيّة)، وذلك في المقطع الرابع من النصّ: «لكي نستمرّ في المنافسة علينا تجهيز أنفسنا...».

والمثال الثاني الذي ناقشته في الفقرة الأخيرة مُقتطف من نصّ كانتر (Kanter) عن إدارة الأعمال. اقترحتُ أعلاه اعتبار المثالَين من

788, and «Contradictions and Institutional Convergences: Genre as Method,» = *Journal of Future Studies,* vol. 5, no. 4 (May 2001).

نوع «التقرير التوجيهي»، لأنهما يدعوان إلى فعال معيّنة بناءً على وصفهما للأمور. إنّهما شبيهان من حيث إستراتيجيّات الشرعنة. يمكن أيضاً اعتبار ذلك في المثال الثاني تحويلاً حكائيّاً بالدرجة الأولى، يبني صورة الشركة الناجحة، مع أنّ الفعال المشرعنة (التغيير في إدارة الشركات) تبقى مستترة إلى حدّ بعيد. ويقوم نصّ كانتر، بقدر كبير، باستخدام استراتيجيّة يمكن اعتبارها تمزج بين التحويل الحكائي (النصّ مملوء بمرويّات قصيرة كتلك المذكورة أدناه)، بحسب تحديد ليوين، والتفويض - مع أنّ ذلك غائب عن المقتطف المذكور في المُلحق. على سبيل المثال:

> يجد أساتذة التغيير طرقاً كثيرة للتحكّم بالواقع الخارجي. يصبحون كشّافة أفكار، متنبّهين لأيّ إشارات مُبكرة عن وجود ثغرة أو تعطيل أو تهديد أو فرصة. يمكنهم إقامة مواقع خاصة للاستماع، كإنشاء مكتب تابع لهم في الأماكن الواعدة بالنجاح، أو التحالف مع شريك خلّاق، أو الاستثمار في مؤسّسات تصنع المستقبل. بدأ جون تايسوم (John Taysom)، مؤسّس دفيئة رويترز (Reuters Greenhouse)، رؤية ما تحمله تقانة جديدة من إمكانيّات، عندما كان يعمل في البحرَين. أدرك أنّ خصوصيّات تحويل معلومات ماليّة (عَصَب رويترز) تحتوي على مشكلات يمكن أن تحلّها التقنية، فدخل مُعترك المعلوماتيّة وراح يتأقلم معها. وبعد عدد من الاستثمارات الإستراتيجية، فتح صندوقُ دفيئة رويترز أبوابه للأعمال معتمداً الفلسفة القائلة إنّ معرفة ما يجري داخل عدد من الشركات الخلّاقة أفضلُ طريقة لمعرفة ما يوشك أن يَحصل، وليس فقط ما تمّ إبداعه.

نجد في كلّ كتاب كانتر هذه الشرعنة للطروحات، عبر سرد

مرويّات قصيرة عن شخص أو شركة موثوق بقدرتهما («جون تايسوم، مؤسّس دفينة رويترز»)، مازجاً بين التحويل الحكائي والتفويض.

ضروب المتساوي والفوارق

يرى لاكلو (Laclau) وموف (Mouffe) في نظريّتهما عن السيرورة السياسيّة (و«الهَيمنة»)، أنّ هذه الأخيرة تعتمد «منطقين» مختلفَين: منطق «الفارق» الذي يولّد الفوارق والانقسامات، ومنطق «التساوي» الذي يُلغي الفوارق والانقسامات.

أريد **أوّلاً** أن أقول إنّه من المفيد اعتبار اعتماد المنطقَين خاصيّة عامة تتّسم بها سيرورات التصنيف الاجتماعيّة: يقوم الناس باستمرار، في جميع المُمارسات الاجتماعيّة، بالتجزئة والمزج - يُنتجون الانقسامات والفوارق (ويعيدون إنتاجها)، ويقوّضونها. التفاعل الاجتماعي، كما يقول لاكلو وموف، عملٌ مستمرّ من المَفصلة وفكّ التمفصُل. وأرى، **ثانياً**، أنّه يمكن تطبيق ذلك على وجه الخصوص على المرحلة النصّية في الأحداث الاجتماعيّة. نقوم دائماً في النصوص بمزج العناصر (الكلمات، التعبيرات... إلخ) وتجزئتها، نقوّض دائماً ضروب المزج والانفصال السابقة. من البيّن أنّ النصوص تقوم دائماً بمزج بعض العناصر وتجزئة أخرى، لكن ما أقترحه هو اعتبار هذه السيرورات جزءاً من المرحلة النصيّة في سيرورة التصنيف الاجتماعيّة.

بيّنتُ أعلاه أنّ العلاقات الدلاليّة بين العبارات والجُمل في النصين التاسع والحادي عشر هي في الأغلب علاقات إضافة وإسهاب تحقّقُها بالدرجة الأولى علاقات نظيرية. في ما يخصّ المُقتطف من النصّ الحادي عشر، «عصر التعلّم»، بيّنتُ أعلاه

العلاقات الدلاليّة في الفقرة الأولى. إذا عالجنا هذا المثال من منظور السيرورة، انطلاقاً من العلاقات الموضوعة في النصّ، يمكننا القول إنّ النصّ يقيم علاقات ضمّ دلالي (المصطلح المُستخدم في علم الدلالة هو «التفرع الدلالي»): يتمّ توسيع فكرة «نحن في عصر جديد» انطلاقاً من «ضروب اليقين المألوفة والطرق القديمة في القيام بالأشياء تتلاشى»، «أنماط العمل الذي نقوم به تتغيّر»، «الصناعات والمهارات تتغيّر»، «تظهر فرص جديدة». يمكن اعتبار أن هذه العبارات تدخل في علاقة قرابة دلاليّة في ما بينها تتفرّع من «نحن في عصر جديد»، أي أنّ هذ العبارة تحوي العبارات السابقة، فتكون هذه الأخيرة مُساوية لبعضها في النص (تتساوى من حيث إنّها تتفرّع دلاليّاً من «نحن في عصر جديد»). ويعني ذلك أنّ الفوارق في المعنى بين هذه التعابير مُهملة - اعتبِرت ثانويّة في السياق المذكور، وأنّ المعاني بُنِيَت حول فكرة «العصر الجديد» الذي يتضمّن بالدرجة الأولى اعتباره، في الحين نفسه، زمن المجازفة وزمن «الفُرَص». هذه السيرورة النصيّة في صناعة المعنى عنصر مهمّ في السيرورة السياسيّة التي تسعى إلى تحقيق هَيمنة الليبراليّة الجديدة، إذ إنّها تسعى إلى إلغاء الفصل بين المُجازفة والفُرَص، والإيجابي والسالب[20]. وبالطبع إنّ فاعليّة هذه الهَيمنة في صناعة المعنى غير مضمونة، إنّها جزء من صراع على المعنى، ويرتبط نجاحها على سبيل المثال بمدى انتشار تكرار العلاقات الدلاليّة التي تتبنّاها في أنماط النصوص المختلفة، ومدى نجاحها في إبعاد الاحتمالات الأخرى.

(20) انظر بورديو (Bourdieu) وواكانت (Wacquant) 1992 لقراءة شرح للعلاقة بين الرؤية الموحّدة والفصل أو التصنيف.

يوجد في نصّ كانتر (Kanter) عدد لا بأس به من علاقات الاختلاف، إلى جانب علاقات التساوي: توجد أمثلة على علاقة التباين الدلاليّة، بخاصة في قائمة الأربع نقاط حيث ترد أداة الوصل «بدل أن» أربع مرّات. يتمّ في هذه القائمة إنشاء علاقات التساوي والاختلاف في الحين نفسه. توجد من ناحية علاقة تساوٍ (قرابة دلاليّة) بين «يتعاون بعض الأقسام مع بعض» و«يُعتبر النزاع مصدر إبداع» و«يمكن للعاملين أن يفعلوا كلّ ما لم يُعلن عن منعه» و«يتخذ القرارات العاملون الأوسع معرفةً»، فكلّ هذه العبارات تتفرّع دلاليّاً من النجاح «في مجال شبكة المعلوماتيّة». وعلاقة تساوٍ أيضاً بين «ينطوي كلّ قسم على نفسه» و«يعتبر النزاع شالاً للحركة» و«أن يفعلوا فقط ما يُعلن أنّه مسموح» و«يتّخذ القرارات العاملون الأعلى مرتبة»، فكلّ هذه العبارات تتفرّع دلاليّاً من «أن تكون الشركة مُتقاعسة». تقوم من ناحية أخرى بين قائمتَي الدلالات المتقاربة علاقة اختلاف تبايُنيّة.

وسيرورة «نسج» التساوي والاختلاف في النص أوضح في الحوار حيث يمكن أحياناً مُشاهدة «العمل» المُشترك الذي يقوم به المتحاورون لإنشاء علاقات دلاليّة جديدة و«صناعة المعنى». ويمكن تطبيق هذه الفكرة في تحليل النصّ العاشر(*).

بن (Ben): اعتقدنا أنّكم تعلمون أنّني ربّما ـ ربّما ـ عليّ أن أكون مُيسّر النشاط في مجموعة غريس (Grace) أو جزءاً من أمر آخر يجعلني بعيداً عن الناس قليلاً و. . . آم. . .
سالي (Sally): نعم.

(*) وضعت الأصوات التي لا تشكّل كلاماً، والكلام المُكرّر، بين قوسين مربّعين [. . .]. تشير «آم» إلى وقفات صوتيّة، أي يتوقّف المتكلّم، لكنّه يُصدر بعض الأصوات.

بن: احصلي فقط على فكرة عامة عمّا يحصل، لتتمكّني من إبقائهم على الطريق الصحيح، ثمّ دعيهم. عليهم بعد ذلك الاعتماد بالفعل على بعضهم بعضاً بدل أن يعتمدوا على المُشرِف لإنجاز العمل.

غريس: بالفعل. أعتقد أنّ شيئاً من هذا القبيل يجب أن يَحصل داخل المجموعات التي ستؤلَّف. أعني أنّني أعرف المجموعات الأولى التي بدأت تعمل. أعتقد أنّ علينا أن نسلك هذا الطريق ونحاول توجيه العاملين عليه، فنكون بذلك مسؤولين نوعاً ما عن الاجتماع، وعلينا عندها أن نجعل العاملين يؤسّسون فرقهم الخاصة ونكون نحن نوعاً من ميسّري النشاط وليس

جيمس (James): رؤساء الفريق

[...] نعم

غريس: أعني أنّه من الصعب على المرء أن يبدأ، أعتقد أنّه عند ذلك يجد الناس أنفسهم في مأزق، لذلك فإنّهم يتطلّعون إليك يا بن لتكون إلى جانبهم. أنت تعرف أموراً مُشابهة لذلك

بيتر (Peter): لستُ الوحيد الذي يُواجه مشكلات في ذلك

[...] نعم

بيتر: المسألة هي أنّني لا أستطيع حاليّاً المُحافظة عليه. تدركون ذلك. ليُعرّج أحدكم يومَين، نعم يومَين، علينا هناك، وستعرفون كميّة العمل التي تتراكم. وهذا أمر يتجدّد. أمر فظيع

جيمس: إذاً ما تريده فعلاً هو... آم... لديك مجموعة ما ـ ما ـ تبدأ بمجموعة، وتريد أن يوافيك أحدُ هؤلاء و[...] يُيسّر نشاط المجموعة.

بيتر: فقط للحفاظ على المجموعة، لاستمراريّتها، لاستمرار العمل

بن: ما أريد أن أوضحه

بيتر: لأنّ
بن: هو أنّني قريب جداً من أولئك الناس، لأنّ
[. . .] نعم
بن: عليّ أن أخرج من المجموعة، وعندها أكون مُشرفاً عليها، في الخارج، على ـ على ـ الأرض، حيث لو كنتُ أقوم بتيسير نشاط مجموعة أخرى لستُ ـ لستُ ـ أعلى منها، كما تعلمون، لستُ مشرفاً عليها، أو ما شابه. . . آم. . . .، ويُمكنني العودة إلى عملي وأفراد المجموعة إلى عملهم، ويبقون. . . آم. . . .، تعلمون، يكون ذلك فريقهم أكثر منه
سالي: فريقك

يركّز النقاش في هذا المقتطف على «تيسير النشاط»، كجزء من الخطاب الإداري الجديد الذي تحاول الشركة استيعابه. يمكن أن نكتشف في المقتطف سيرورة الاستيعاب ـ يتمّ استيعاب «تيسير النشاط» من خلال إدخاله في علاقات تساوٍ واختلاف مع عناصر من ضروب الخطاب المألوفة (وعلى وجه الخصوص التجريبيّة والمُتعارف عليها). ويمكننا اختصار هذه العلاقات كالآتي:

التيسير/ ميسّر النشاط	قائد الفريق
إبقاؤهم على الطريق الصحيح	الاعتماد على المُشرِف
جعلُ بعضهم يعتمد على بعض	توجيههم إلى الطريق الصحيح
جعل العاملين يؤسّسون فرقهم الخاصة	الإمساك بالأمور
الحفاظ على المجموعة	المُشرِف
الحفاظ على استمرار العمل	

نجد في **العمود الأوّل** قائمة بالتعابير التي تدخل في علاقة تساوٍ مع «تيسير النشاط»، وذلك من خلال علاقتَين دلاليّتَين: الإضافة

والإسهاب. أمّا **العمود الثاني**، فهو قائمة بتعابير أخرى تدخل في علاقة تساوٍ مع «قيادة الفريق». وتقوم بين المجموعتَين علاقة اختلاف، من خلال علاقة دلاليّة هي التَّبائن (تتحقّق من خلال أدوات وصل، كـ «بدل أن» و«وليس»). وكيفيّة توزيع التعابير من مثل «نوع من» و«نوعاً ما» (تعبيران تخفيفيّان) مُلفِتة: يمكن ربطهما بنقاط في الحوار تتمّ فيها إقامة علاقات التساوي والاختلاف. يمكن من ناحية اعتبار أنّ ما يجري هو قيام خطاب إدارة الأعمال الجديد بـ «استيطان» لغة إدارة الأعمال المحليّة. لكن، بعد النظر في عمليّة إقامة علاقات التساوي والاختلاف في النص، يتبيّن أنّ منتمين إلى مجتمع الأعمال المحلّي يقومون بـ «الاستيلاء» على الخطاب الجديد، وذلك باستيعابه عن طريق ربطه بالموجود قبله. بعبارة أخرى، هناك جدليّة استيطانيّة واستيلائيّة تفعل فعلها، وجدليّة عالميّة/ محليّة: سيرورة تلقٍّ فاعلة تتبنّى استيطان خطاب «العولمة»، وقد يكون لذلك نتائج متنوّعة[21].

مُلخّص

حدّدنا عدداً صغيراً من العلاقات الدلاليّة الأساسيّة بين الجُمل والعبارات (سببيّة ـ يدخل فيها الموجب والنتيجة والغاية، شرطيّة، وزمنيّة، وإضافيّة، وإسهابيّة، وتباينيّة/ استدراكيّة)، وتحدثنا عن تحقيقاتها بواسطة علاقات النظيرية والتبعية النحويّة. ناقشنا أيضاً باختصار علاقات دلاليّة أكثر تجريداً، كعلاقة مشكلة ـ حلّ. واستخدمنا هذا الإطار للمُغايرة بين المنطق التفسيري ومنطق

(21) Lilie Chouliaraki and Norman Fairclough, *Discourse in Late Modernity* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1999).

الظاهر. ويستلزم الأوّل صِنفاً إيضاحياً تسيطر فيه علاقات دلاليّة سببيّة وعلاقات تبعية نحويّة، بينما يستلزم الثاني (كما تبيّن الأمثلة التي ناقشناها) صِنفاً تقريرياً تسيطر فيه علاقات الإضافة والإسهاب الدلاليّة وعلاقات نحويّة نظيرية، وذلك في نصوص وصفناها بأنّها «تقارير توجيهيّة». وربطنا بين هذا التمييز وأشكال الشرعنة، واعتبرنا أنّ التقارير التوجيهيّة تعتمد الشرعنة بواسطة أحد أشكال التحوّل الحِكائي، على وجه الخصوص، ولا تعمد أكثر أشكال الشرعنة وضوحاً وتوضيحاً، أي التسويغ. أخيراً نظرنا في إمكانيّة اعتبار ما يسميّه لاكلو (Laclau) وموف (Mouffe) منطِقَي التساوي والاختلاف الاجتماعيّين المتزامنَين يصلحان لمعالجة النصوص، حيث يُعربُ عن علاقات التساوي بعلاقتَين دلاليّتين هما الإضافة والإسهاب (وفي مستوى أدنى بعلاقَتَي الترادف والتفرّع الدلالي)، بينما يُعرب عن علاقات الاختلاف بعلاقات التباين الدلاليّة.

6 ـ العبارات. أنماط التبادل والوظائف الكلاميّة والصيغ النحوية

مسائل التحليل النصي أنماط التبادل (تبادل معرفي، تبادل أدائي) الوظائف الكلاميّة (أقوال خبرية، أسئلة، مطالب، عروض) الصيغ النحوية (تصريحيّ، استفهاميّ، أمريّ) **مسائل البحث الاجتماعي** فِعال تواصليّة وإستراتيجيّة ثقافة ترويجيّة سياسات الشأن العام مُقابلات بحثيّة

أتابع في هذا الفصل التركيز على المعاني الأدائيّة، إنّما على مستوى العبارة أو الجملة البسيطة. أبدأ بالحوار، فأُميّز بين نمطَين أساسيّين من التبادل الحواري: «التبادل المعرفيّ» حيث التركيز على تبادل المعلومات واستيضاحها وتقديمها والإعلان عن طروحات ووصف الوقائع وما إلى ذلك، و«التبادل الأدائيّ» حيث التركيز على النشاط، على ما يفعله الناس أو ما يجعلون غيرهم يفعله. بالاستناد إلى هذا التمييز، أحدّد عدداً قليلاً من الوظائف الكلاميّة الأساسيّة،

وهي فئات كُبرى تصنّف ما يفعله الناس بواسطة الكلمات، وتتضمّن الأقوال الخبرية والأسئلة والمطالب والعروض. ترتبط الوظائف الكلاميّة بـ «الفعال الكلاميّة» التي نُوقِشت وتُناقش مطوّلاً في فلسفة الألسنية والألسنية التداولية[1]، لكنّني أركّز على عدد قليل من الوظائف العامة وليس على الفعال الكلاميّة الكثيرة التي نجدها في الحقلَين المذكورَين. وأستندُ إلى معالجة مارتن[2] (Martin)، مع بعض التعديل. أتناول أخيراً الصيغ النحوية، أي تحقيق معاني الوظائف في «أنماط الجُمل» الأساسيّة: الجُمل التصريحيّة والاستفهاميّة والأمريّة.

وتتضمّن مسائل البحث الاجتماعي التي نتطرّق إليها في هذا الفصل عودةً إلى تمييز هابرماس (Habermas) بين الفعال التواصلية والفعال الإستراتيجية التي ناقشتها في الفصل الرابع عندما تناولتُ الصنف والغاية. ما أركّز عليه في هذا الفصل مختلف: تتضمّن الفعال الإستراتيجية في النصوص إظهار التبادل الأدائي بمظهر تبادل معرفي محض. أناقش أيضاً من منظور نصّي المقولة التي تعتبر الثقافة المُعاصرة **ثقافةً ترويجية** أو «ثقافة استهلاكيّة»[3]، فأستخدم مفهوم وارنيك (Wernick) «المرسلة الترويجية» (Promoting Message)، من

---

(1) J. L. Austin, *How to Do Things with Words*, The William James Lectures, 1955, (Oxford: Clarendon Press, 1962); Stephen C. Levinson, *Pragmatics*, Cambridge Textbooks in Linguistics (New York: Cambridge University Press, 1983); Jacob L. Mey, *Pragmatics: An Introduction* (Oxford, UK: Blackwell, 1993); John R. Searle, *Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language* (London: Cambridge U.P., 1969), and Jef Verschueren, *Understanding Pragmatics* (London: Arnold, 1999).

(2) Martin, *English Text*.

(3) Mike Featherstone, *Consumer Culture and Postmodernism* (London: Sage Publications, 1991), and Andrew Wernick, *Promotional Culture: Advertising, Ideology, and Symbolic Expression* (London: Sage Publications, 1991).

حيث ارتباطه بالتعتيم على الفصل بين الأقوال الخبرية الوقائعية والخبرية التقييمية، وبين الأقوال الخبرية الوقائعيّة والتوقّعات. يظهر ذلك في طبيعة تشكيل السياسات المعاصرة في مجالات متنوّعة، وفي خواصّ نصوص السياسات(4). أخيراً أستند إلى التمييز بين الوظائف الكلاميّة والصيغ النحوية لأنظر في بعض جوانب المقابلات البحثيّة في العلوم الاجتماعيّة.

التبادلات

«التبادل» هو تتابع من «دورَين» أو «نُقلَتين» تحادثيَّتين يرافقها تناوب المتكلّمين، وحيث يُؤدّي ورود النُقلة 1 إلى توقّع ورود النُقلة 2، وهكذا دوالَيك، علماً أنّه ليس كلّ ما هو متوقّع يحصل. لننظر مجدّداً في الحوار البسيط الآتي(5)، كمثال على ذلك:

1 ـ الزبون: كأس بيرة، إذا سمحت!
2 ـ الساقي: كم عُمرك؟
3 ـ الزبون: اثنتان وعشرون.
4 ـ الساقي: حسناً، حالاً.

أميّز بين فئتي تبادل، يوضحهما المثال الآتي:

أ ـ تبادل أدائي (غالباً ما يهدف إلى فِعال غير نصيّة)

---

(4) Philip Graham, «Space: Irrealis Objects in Technology Policy and their Role in a New Political Economy,» *Discourse and Society*, vol. 12 (2001), pp. 761-788.

(5) مـن: Cameron, *Good to Talk? Living and Working in a Communication Culture*.

الزبون: كأس بيرة، إذا سمحت!
الساقي: حسناً، حالاً.
ب ـ تبادل معرفي
الساقي: كم عُمرك؟
الزبون: اثنتان وعشرون.

من المُلاحَظ أنّ التبادل الثاني في المثال داخلٌ ضمن التبادل الأوّل ـ يتمّ تأخير الجزء الثاني من التبادل الأدائيّ إلى حين استكمال التبادل المعرفيّ. وغالباً ما تهدف التبادُلات الأدائيّة، كما في هذه الحالة، إلى فِعال غير نصيّة ـ القيام بالأشياء أو جعلِ آخرين يقومون بها، وليس فقط قولها، علماً أنّ الحال ليس دائماً كذلك: «أجِب عن السؤال!» جزءٌ أوّل من تبادل أدائي يُتوقّع أن يكون جزؤه الثاني فِعلاً نصياً: تقديم إجابة. فيكون التركيز في هذه الحالة على الإجابة كفِعل، وليس فقط على الإجابة كمَعلومة.

يوجد نمطان أساسيّان من التبادل الأدائيّ، في واحد منهما يُبادر إلى البدء بالتبادل الشخصُ القائم الأساسيّ بالفعل في الفعال المعنيّة، وفي الآخر يبدأ الشخص الذي ليس القائم الأساسيّ بالفعل. (في الوقت الحاضر، أتحدّث فقط عن أبسط الحالات حيث الحوار بين مُشارِكَين).

تبادل أدائي (يبدأه القائم بالفعل)
هل تريد كأس بيرة؟ (استهلال)
شكراً (إجابة)
(أهلاً بك) (مُتابعة)
تبادل أدائي آخر
(لا يبدؤه القائم بالفعل)

الزبون: كأس بيرة، إذا سمحت! (استهلال)
الساقي: حسناً، حالاً (إجابة)
(شكراً) (مُتابعة)

في الحالة الأولى يبدأ التبادلَ شخصٌ يعرض القيام بفِعل، أمّا في الحالة الثانية فالبادئ يطلب من شخص آخر (الساقي) أن يقوم بفعل. وتكون النُّقلات استهلالاً أو إجابة، وتوجد في المثالَين «نُقلة» ثالثة اختياريّة (وضعتُها بين قَوسَين)، وهي «مُتابعة» يقوم بها المتكلّم الأوّل بعد إجابة المتكلّم الثاني.

ويمكن أيضاً إقامة توازٍ بين نمطَين من التبادل المعرفيّ - الأوّل يبدأه من يملك المعرفة («العارف»)، والثاني من يطلبها:

تبادل معرفي (يبدأه العارف)
بلغتُ الثانية والعشرين يوم عيد ميلادي الأخير. (استهلال)
حقّاً؟ (إجابة)
تبادل معرفي آخر
(يبدأه غير العارف)
الساقي: كم عُمرك؟ (استهلال)
الزبون: اثنتان وعشرون. (إجابة)
(فهمتُ) (مُتابعة)

الوظائف الكلاميّة

يتمّ تحديد الوظائف الكلاميّة الأساسيّة بالاستناد إلى النُّقلات المختلفة في مختلف أنماط التبادل.

- **تبادل أدائي**

يبدأه القائم بالفعل:

هل تريد كأس بيرة؟ (عرض)

شكراً (استجابة)

يبدأه غير القائم بالفعل:

الزبون: كأس بيرة، إذا سمحت! (مطلب)

الساقي: حسناً، حالاً. (عرض)

- **تبادل معرفي**

يبدأه العارف:

بلغتُ الثانية والعشرين يوم عيد ميلادي الأخير. (قول خَبَرِيّ)

حقّاً؟ (استجابة)

يبدأه غير العارف:

الساقي: كم عُمرك؟ (سؤال)

الزبون: اثنتان وعشرون. (قول خَبَرِيّ)

أميّز بين الوظائف الكلاميّة الأساسيّة الآتية: مطلب، عرض، سؤال، قول خبريّ - الاستجابة وظيفة ثانويّة نسبيّاً. أحد الأمور الذي يجب ذكره بشأن هذه المصطلحات هو أنّني أميّز فقط بين مصطلحات أساسيّة على مستوى عام: يتضمّن «المطلب» مثلاً أموراً ليست مطالب بالمعنى العادي للكلمة. فمع أنّه يُمكن قول عبارة «كأس بيرة، إذا سمحت!» بطريقة يمكن اعتبارها «مطلباً» - يجعل تعبير «إذا سمحت!» ذلك غير مُحتَمل، فمن المُرجّح اعتبار العبارة «تمنّياً»، أو «طلباً» بمعنى «طلبَ» طعام أو شراب في المطاعم أو الحانات.

ويمكن التوسّع في الحديث عن هذه الوظائف الكلاميّة العامة والتمييز بينها بالاستناد إلى عدد كبير من «الفعال الكلاميّة» المختلفة. يتضمّن العرضُ مثلاً الوعدَ والتهديد والاعتذار والشكر، ويتضمّن المطلبُ الأمرَ والطلب والاستجداء وما إلى ذلك. لكنّني لا أنوي في هذا الكتاب الانتقال باتّجاه «نظريّة الفعل الكلاميّ» - قد يودّ القرّاء الاطّلاع على مؤلّفات الألسنية التداولية التي تتناول الفعال الكلاميّة[6].

يوجد عدد من أنماط الأقوال الخبرية التي من المفيد التمييز بينها. وأستند في التحاليل اللاحقة إلى التحديدات الآتية:

- قول خبريّ وقائعيّ

قول يُخبر عن واقع الحال، وما كان عليه أو ما زال (مثال: التقيتُ فيوليتا البارحة مساءً).

- قول خبري غير وقائعيّ

توقّعات (مثال: «سألتقي فيوليتا غداً») (توقّع)، وأقوال خبرية افتراضيّة (مثال: «قد ألتقي فيوليتا - إذا جاءت إلى إنجلترا -»).

- تقييمات (مثال: «فيوليتا شخص جيّد»)

يمكن أيضاً أن يحقّق التقييمات تعجّبٌ، كقولنا: «يا لها من شخص جيّد!».

ويمكن أن توسم الأقوال الخبرية بالذاتيّة، ويمكن أن لا توسم بذلك. هذه مسألة تتعلّق «بوجهة القول» (راجع الفصل العاشر):

(6) على سبيل المثال: Austin, *How to Do Things with Words*; Levinson, *Pragmatics*; Mey, *Pragmatics: An Introduction*; and Jef. *Understanding Pragmatics*.

يمكن أن يبدأ كلّ مثال من الأمثلة المذكورة بعبارة تحتوي على فعل يدلّ على «سيرورة عقليّة» (راجع الفصل الثامن)، كـ: «أظنّ» أو«أعتقد» (مثال: «أظنّ أنّ فيوليتا شخص جيّد»).

بدأت بالكلام عن الحوار وأعطيتُ مُحادثةً كمثال، لكنّني أعتبر أنّ أنماط التبادل المختلفة والوظائف الكلاميّة تنطبق على جميع أنواع النصوص، بما في ذلك النصوص المكتوبة. يقوم التبادل في حالة النصوص المكتوبة بين كتابة النص وقراءته، فيمكن أن توجد فُسح زمانيّة ومكانيّة كبيرة بين نُقْلات الاستهلال والإجابة. إضافة إلى ذلك، يدخل النصّ المكتوب، بخاصةً إذا كان يصل بالوساطة (كَالكِتاب)، في عدد كبير من التبادلات يساوي عدد المرّات التي يُقرأ فيها. غالباً ما تكون النصوص المكتوبة في ذاتها أقوالاً خبريّة فقط، وقد تبقى الإجابات عنها في ذهن القارئ؛ لذلك قد يبدو الإلحاح على أنّها موضع تبادل أمراً غير مبرّر. لكنّ كلّ النصوص تقتضي ضمناً وجود حوار بالمعنى الواسع للكلمة. حتّى اليوميّات التي أكتبها لِنَفسي تستلزم حتماً خيارات موضوعها نوع القارئ المُتَخَيَّل (أو ذاتي المتخيَّلة) الذي أخاطبه، وتعميم مفهوم التبادل هو إحدى الطرق للتعبير عن ذلك.

الفعال الإستراتيجية والتواصليّة

قدّم هابرماس(7) تصوّراً موسّعاً عن الحداثة يركّز على التواصل والفصل بين «منظومات» (على وجه الخصوص، الدولة والمنظومة الاقتصاديّة ـ السوق) من جهة، و«العالم اليَوميّ» من ناحية أخرى (في أحد معاني هذه الكلمة: عالم التجربة العاديّة) أساسيّ في

(7) Habermas, *The Theory of Communicative Action*, vol. 1: *Reason and the Rationalization of Society*.

سيرورة التحديث. ويستند هذا التخصّص في المنظومات إلى تطوير وتحسين «تسويغ أداتيّ» حيث لِلفعال فيه مكانة إستراتيجيّة. يقوم الناس بفعالهم (ويؤثّرون في غيرهم) بِطرق هدفها الحصول على نتائج، والوصول إلى فعاليّة وتأثير أكبر، وما إلى ذلك. ويقابل هابرماس بين الفعال الإستراتيجية و«الفعال التواصلية». وهذه الأخيرة فعال هدفها التوصّل إلى تفاهم، وهي صيغة الفعال البارزة في «العالم اليوميّ». ويمكن للمرء أن يفكّر في نمطَي الفعال هذين من منطلق نصّي: يتكلّم الناس ويكتبون بطريقة تواصليّة أو بطريقة إستراتيجيّة، أو يمزجون بين الطريقَتَين. ولا يرى هابرماس أنّ هذا في ذاته مشكلةٌ، فتطوير الأنظمة اللغوية والفعال الإستراتيجية، بما في ذلك الطرق الإستراتيجية في إنشاء النصوص، وتحسينها جزء من الحياة الحديثة. ما هو محلّ إشكال، ويمكن أن يصبح «مرضياً»، هو التوسّع الكبير لنطاق الفعال الإستراتيجية كجزء من «استيطان» المنظمات في العالم اليوميّ.

يمكن أن يرفع التحليل النصي من مستوى هذه الطروحات النظريّة، أو بعبارة أخرى: يمكننا «تفعيل» منظور يعتمد هابرماس في التحليل النصي. وأحد المستويات التي يمكن أن يفضي فيها هذا المنظور إلى نتائج هو أنماط التبادل والوظائف الكلاميّة في العِبارات. لنُعالج النص الثاني («مدينة المهرجانات تزدهر») (راجع المُلحَق) من هذا المنطلق. في ظاهره هو نصّ يسيطر فيه التبادل المعرفيّ، بخاصة التبادل الذي يبدأه عارف، ويحوي أقوالاً خبريّة، بخاصة خبريّة وقائعيّة، إضافة إلى بعض التوقّعات («قريباً ستُقام في البلدة القنصليّة العامة للجمهوريّة السلوفاكيّة») وبعض التقييمات («بيكيسكسابا (Békéscsaba) خيار ممتاز في المنطقة للتوظيف...»). لكنّ النصّ جزء من سلسلة أحداث قائمة ومتوقّعة تأمل من خلاله السلطة

المحليّة التي أنتجت النص استقطابَ التوظيف إلى البلدة. وهذا النص على وجه الخصوص يهدف بوضوح إلى جذب التوظيف، أي هو بالدرجة الأولى تبادل أدائي يبدأه غير القائم بالفعل، ومجموعة مطالب توجّهها السلطة المحليّة إلى الشركات لتقوم بالتوظيف في البلدة، ومجموعة عروض من المتوقّع أن تجذب الشركات (مثال: قوى عاملة قادرة ومرنة). يمكن أن يتصوّر المرء نصّاً مكتوباً بطريقة أخرى، يكون فيه التبادل الأدائيّ ظاهراً. على سبيل المثال، يمكن كتابة الجملة الآتية من النص الثاني:

«تتوفّر في البلدة قوى عاملة قادرة ومرنة وبنى تحتيّة جيّدة. إضافة إلى ذلك، يقدّم نظام التعليم المحلّي محترفين مؤهلّين ويتقنون عدّة لغات» كالآتي:

هل تحتاجون إلى قوى عاملة قادرة ومرنة وبنى تحتيّة جيّدة ومحترفين مؤهلّين يتقنون عدّة لغات؟ استثمروا في بيكيسكسابا وسنقدّم لكم كلّ ذلك!

ويشبه الفرقُ بين التبادل الأدائيّ غير الظاهر والتبادل الأدائيّ الظاهر الفرقَ بين «الإعلانات المُباشرة» و«الإعلانات غير المباشرة»، ومّما يميّز بينهما أنه في الثانية يتمّ التوجّه بشكل مباشر إلى الزبون (كما في إعادة الكتابة أعلاه)، بينما في الأولى يكون التوجّه إليه بشكل غير مباشر[8]. لاحظ مثلاً استخدام الفعل «يقدّم»: ليست الجملة في شكلها الأصليّ عرضاً ما، إنّما هي قول خبريّ وقائعيّ عن الموجود كتقديمات، في حين أنّ الصياغة الجديدة للجملة هي في تركيبتها عرضٌ.

---

(8) انظر: Greg Myers, *Ad Worlds: Brands, Media, Audiences* (New York: Arnold, 1998).

يمكن أن يتساءل المرء عن علّة وجود نصّ يمكن اعتباره أنه يهدف بالدرجة الأولى إلى إقامة تبادل أدائي، إنّما مكتوب كما لو أنّ الهدف منه هو التبادل المعرفيّ، أو إعطاء معلومات، فهو لا «يسوّق» البلدة ويحثّ على الاستثمار فيها. في الواقع إنّ هذا النوع من النصوص شائع جداً في الحياة الاجتماعيّة المُعاصرة. فمن المرجّح أن تُنتج الجامعات التي تحاول تسويق نفسها بين الطلّاب المحتملين وجذبهم، والعيادات الطبيّة التي تحاول تسويق نفسها بين المرضى وجذبهم، نصوصاً من النوع المذكور وليس إعلانات «مباشرة»، وهذا الأمر صحيح بالنسبة إلى حقول كثيرة أخرى، حتى في مجال بيع السلَع، مثل مساحيق الصابون. يمكن أن يفهم المرء سبب نزوع السلطات المحليّة أو الجامعات، على سبيل المثال، إلى تحاشي إعلان أكثر وضوحاً. فالجامعات والعيادات تعتمد التسويق أكثر فأكثر، أي أنّها تزداد ارتباطاً بطريقة عمل السوق التي تصعب مُقاومتها لكنّها ليست مثلها مثل المؤسّسات التي تتبع نمط السوق، فمن الصعب عليها الاختيار بين التصرّف بحسب نمط السوق أو نمط المؤسّسات الحكوميّة والتربويّة. ويمكن اعتبار التواصل في هذه الحالة إستراتيجيّاً، ولأسباب مؤسّساتيّة بالدرجة الأولى، يُقدّم التبادل الأدائي (العروض، المطالب، «التسويق»، اجتذاب «الزبائن») وكأنّه تبادل معرفي. يمكن القول، على مستوى مُعيّن، إنّ نصّ «مدينة المهرجانات تزدهر» هو بالفعل تبادل معرفي، لكن من الواضح أنّ هذا ليس المُراد الوحيد منه، إنّه يعطي معلومات لأجل أمر أساسيّ هو النجاح في «تسويق» البلدة وجذب التوظيف (أذكّر بالنقاش في الفصل الرابع، بما في ذلك التعليقات على هذا النصّ، والتدرّجات الهرميّة في الأهداف، والأهداف الظاهرة أو المستترة بحدود مختلفة).

قلت سابقاً إنّ النصّ الثاني هو بالدرجة الأولى مجموعة أقوال خبرية وقائعيّة، إضافة إلى عدد قليل من التوقّعات والتقييمات. لكن من الواضح أنّ القِيَم والتقييم أساسيّة. ويوحي ذلك بأنّ التمييز بين الأقوال الخبرية الوقائعيّة والتقييمات قد لا يكون واضحاً إلى الحدّ الذي يبدو عليه للوهلة الأولى(9). المُلفت في النصّ الثاني أنّ الأقوال الخبرية الوقائعيّة في النصّ الثاني تقييميّة بشكل واسع، لكن بطريقة مستترة. نجد أنفسنا في داخل نطاق القِيَم المسلّم بصحّتها (راجع الفصل الثالث). يكفي أن نسأل «لماذا اختيار هذه الوقائع عن بيكيسكسابا وليس غيرها؟»، لندرك أنّ الوقائع المختارة تحمل معها قيماً معيّنة تدخل في منظومة قيميّة مستترة (تنتمي إلى عالم المال والأعمال الدوليّين). «تبعد البلدة 200 كلم عن بودابست، باتّجاه الجنوب الشرقي. ويسهل الوصول إليها من العاصمة بالسيارة وبالقطار في غضون ثلاث ساعات» ليست فقط قولاً خبرياً وقائعياً، إذ إنّها تقيّم البلدة بطريقة مستترة، إذ إنّ المستثمرين يرغبون بموقعها ضمن شبكات المُواصلات.

تساعد ملاحظة المضمون القيميّ للأقوال الخبريّة الوقائعيّة على الربط بين العمل على التبادل المعرفيّ في ظاهره وما اعتبرته سعياً أعمق إلى التبادل الأدائيّ. يمكن اعتبار التقييمات، أكانت ظاهرة أم مستترة، في موقع وسط بين الأقوال الخبرية والطلبيّة. القِيَم تحفّز على الفعال. ومع أنّه يوجد فرق واضح بين الأقوال الطلبيّة («استثمروا في بيكيسكسابا») والتقييمات («بيكيسكسابا مدينة تصلح للاستثمار»)، تدعو التقييمات، بمعنى من المعاني، بشكل مستتر إلى

---

(9) Graham, «Space: Irrealis Objects in Technology Policy and their Role in a New Political Economy», and Jay L. Lemke, *Textual Politics: Discourse and Social Dynamics* (London: Taylor & Francis, 1995).

القيام بفِعال ما، بطريقة لا نجدها في الأقوال الخبرية الوقائعيّة المحضة. وبذلك يصبح أساس النص التوجيهيّ المستتر أكثرَ ظهوراً.

تحدّثتُ، عند مناقشتي المنطق التفسيري ومنطق الظاهر في الفصل الخامس، عن «التقارير التوجيهيّة»، ومن الواضح أنّ تلك المناقشة، التي ركّزت على العلاقات الدلاليّة بين العبارات والجُمل، على صلة بما أنا في صدده الآن، ذلك أنّ التقارير التوجيهيّة هي أيضاً نصوص هدفها الظاهر التبادل المعرفيّ لكنّها في حقيقتها، وفي الوقت نفسه، تهدف إلى التبادل الأدائي حيث الأقوال الخبرية الوقائعيّة هي إلى درجة مهمّة تقييمات مستترة. ونجد سِمات التبادل نفسها والتقييم المستترِ نفسه في المختار من «عصر التعلم» (النصّ الحادي عشر) ونص «المُرشد» في إدارة الأعمال (التاسع) اللّذين ناقشتهما في الفصل الخامس. ويمكن أيضاً اعتبار المثال الذي ناقشته في هذه الفقرة، النصّ الثاني، تقريراً توجيهيّاً. وهو، كالنصّين التاسع والحادي عشر، يتميّز على وجه الخصوص بعلاقات الإسهاب والإضافة الدلاليّة.

ويمكن اعتبار هذه العلاقات بين التبادل المعرفيّ في ظاهره ـ وفي الوقت نفسه أدائيّ في حقيقته، وبين الأقوال الخبرية الوقائعيّة في ظاهرها، وفي الوقت نفسه تقييميّة في حقيقتها، يمكن اعتبار هذه العلاقات شكلاً من أشكال الاستعارة بالمعنى الواسع للكلمة. يمكن وضعها ضمن ما يسمّيه هاليداي[10] «الاستعارة النحويّة»، علماً أنّه من الأفضل تسميتها بـ «الاستعارة التداولية»، بمعنى أنّ المسألة تتعلّق بمقول ذي وظيفة كلاميّة مختلفة عن تلك التي يدلّ عليها ظاهره. وأناقش «الاستعارة النحويّة» بشكل أوسع في الفصل الثامن.

---

(10) Halliday, *An Introduction to Functional Grammar.*

الثقافة الترويجية

يمكن إعطاء تصوّر هابرماس (Habermas) التجريدي عن العلاقة بين التواصل الإستراتيجي والتواصل الأداتيّ بعداً ملموساً بوساطة مفهوم «الترويج» واعتبار الثقافة المعاصرة «ثقافة ترويجيّة»[11]. يلخّص وارنيك كيفيّة فهم الثقافة المعاصرة على أنها ترويجيّة كالآتي: «في أيامنا، أصبحت مجموعة الظواهر الثقافيّة التي تهدف، في إحدى وظائفها على الأقلّ، إلى إيصال مرسلة ترويجية، في حكم المنتشرة في كلّ العالم الرمزيّ الذي تُنتجه». بعبارة أخرى: كلّ ضروب النصوص (كالمنشورات المُعرّفة بالجامعات، ومختلف أنماط التقارير، كالتقرير السنويّ في الشركات) التي قد يكون الغرض منها بالدرجة الأولى أمر آخر (الإبلاغ مثلاً)، هي في أيامنا ترويجيّة في الوقت نفسه. ويعتبر وارنيك (Wernick) أنّ «المرسلة الترويجية» تمثّل (تنوب عن) ما تُرجع إليه، وتدافع عنه (تتحرّك لأجله) وتستبقه (تتحرّك بشكل سابق له).

يمثّل النص المذكور «بلدة المهرجانات تزدهر» البلدةَ، ويدافع عن البلدة كمكان للتوظيف، ويمكن القول إنّه «يستبق» البلدة، بمعنى أنّه يربط بين وضعها الحالي وتحولّها المستقبلي إلى مركز لتوظيف دوليّ كبير:

> قال باب (Pap) إنّ بيكيسكسابا تقع على تقاطع طرق داخل شبكة المواصلات التي تصل المجر بأوروبا، فهي مدخل الجزء الجنوبيّ الشرقيّ من المجر إلى الجزء الأوسط والشرقيّ من أوروبا. وأضاف: «بيكيسكسابا خيار ممتاز في هذه المنطقة للاستثمار

---

(11) Wernick, *Promotional Culture: Advertising, Ideology, and Symbolic Expression.*

وتأسيس الأعمال التي تسعى إلى دخول السوق في هذا الجزء من العالم، وذلك بسبب موقعها الجغرافيّ».

يتمّ تخيّل البلدة، من خلال اعتبارها «مدخل» الأعمال الآتية من وسط أوروبا وشرقيّها إلى «السوق» في المجر، كمركز مستقبليّ محليّ لأنشطة الأعمال.

إنّ اعتبار وارنيك أنّ «المرسلة الترويجية» تمثّل ما تُرجع إليه وتدافع عنه في الحين نفسه، يعكس انتشار الأقوال الخبرية الوقائعيّة ذات المضمون التقييمي المستتر، واختيار هذه الأقوال بشكل مدروس لأجل القيَم التي توحي بها. أما اعتبار «المرسلة الترويجية» لا تمثّل ما تُرجِع إليه وتدافع عنه فقط، إنّما في الوقت نفسه تستبقه أيضاً، فيشير إلى سمة أخرى منتشرة في النصوص المعاصرة هي التعتيم على التمييز بين الأقوال الخبرية والتوقّعات. ويمكننا الربط بين ذلك وما اعتبره بورديو وواكانت[12] سمة مهمّة في نصوص الرأسمالية الجديدة، وهي «قدرة النصوص الإنجازيّة»، حيث إنّها توجِد ما تدّعي أنّها تصفه.

لننظر في المقتطف الآتي من المثال الخامس، خطبة بلير بعد الاعتداء على مركز التجارة العالمي في نيويورك والبدء بـ «الحرب على الإرهاب».

سنتسخدم الآن، أكثر من أيّ وقت مضى، كلّ التخطيط والتفكير الممكنَين لنؤلّف تكتّلاً، بمحاذاة التكتّل العسكريّ، يقدّم المأوى

---

(12) Pierre Bourdieu and Loïc Wacquant, «New Liberal Speak: Notes on the New Planetary Vulgate,» *Radical Philosophy*, no. 105 (January - February 2001), pp. 2-5.

والطعام خلال أشهر الشتاء للاجئين المتنقلين داخل أفغانستان وخارجها حتى قبل الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، وعددهم أربعة ملايين ونصف تركوا بيوتهم.

على المجتمع الدولي أن يُظهر قدرته على الرحمة وعلى استخدام القوّة. سيقول النقاد: كيف يمكن للعالم أن يكون جماعة واحدة؟ تتصرّف كلّ أمّة بحسب مصالحها. بالطبع ستفعل. لكن ما هو الدّرس الذي تقدّمه لنا الأسواق الماليّة أو التغيّر المناخيّ أو الإرهاب الدوليّ أو انتشار التكنولوجيا النوويّة أو التجارة العالميّة؟ مصالحنا الخاصّة ومصالحنا المشتركة متشابكة إلى حدّ بعيد.

هذه هي سياسة العولمة. أعلم لِمَ يحتجّ الناس ضدّ العولمة. نشاهد جوانب منها ونشعر بالذعر. نشعر بالعجز، كما لو أنّ قوى تتخطّى قدراتنا تدفعنا في كلّ اتّجاه. وقد يستسلم بعض القادة السياسيّين عندما تواجههم تظاهرات الشارع، بدل أن يبحثوا عن حلول. المتظاهرون محقّون عندما يتحدّثون عن غياب العدالة والفقر والتدهور البيئي.

لكنّ العولمة أمر واقع، وهي بشكل عام من صنع الناس. ولا ينطبق ذلك فقط على التمويل، إنّما أيضاً على التواصل، والتكنولوجيا، وبشكل متزايد على الثقافة، وعلى الاستجمام. في عالم الإنترنت وتقانة المعلوماتيّة والتلفاز، ستوجد العولمة لا محالة. والمشكلة في التجارة ليست وجودها أكثر من اللازم، بل أقلّ من اللازم.

ليست المسألة هي كيفيّة الحدّ من العولمة، إنّما المسألة هي كيفيّة استخدام سلطة المجتمع للجمع بين العولمة والعدالة. إذا كانت العولمة لا تفيد سوى القلائل فستفشل، وتستحقّ أن تفشل. لكن إذا اعتمدنا المبادئ التي استفدنا منها كثيراً في بلدنا، وتقول إنّ السلطة والثروة والفُرص يجب أن تكون ملكَ الكثيرين وليس

القلائل، وجعلناها النور الذي يقودنا في العولمة الاقتصاديّة، فستكون هذه الأخيرة قوّة خيّرة وحركة دوليّة نفخر بقيادتها. ذلك أنّ بديل العولمة هو العزلة.
أمام هذا الواقع، يقوم تقارب عفويّ بين الأمم في أنحاء العالم. تعمل الآن في كيبيك (Quebec) دول أميركا الشماليّة والجنوبيّة على إقامة منطقة ضخمة للتجارة الحرّة تنافس أوروبا. في آسيا، منظمة دول جنوبيّ شرقيّ آسيا. نحن الآن في أوروبا خمس عشرة أمّة بلغ التكامل بيننا درجة لا مثيل لها. وهناك اثنا عشر بلداً آخر تفاوض على الانضمام، ويوجد المزيد.

من المُلاحظ أنّ النصّ يحتوي على مزيج من الأقوال الخبرية الوقائعيّة والتوقّعات التي تتناول العولمة (في المقطعين الرابع والخامس). تقدّم الأقوال الخبرية الوقائعيّة العولمة على أنّها «واقعة» والناس يصنعونها (لكنّها موجودة «أقلّ من اللازم» في التجارة). هي «واقعة» عندما يتعلّق الأمر بـ «التقنية»، لكنّها متوقّعة في ما يخصّ «تقنية المعلوماتيّة» («عندها توجد العولمة»). ومن المتوقّع أن تفشل («ستفشل، وتستحقّ أن تفشل») إذا كانت لا تفيد سوى القلائل، لكن إذا كان يمكن أن تفشل العولمة، فيستلزم ذلك أن تكون مشروعاً أو مخطّطاً وليس «واقعة». ويوجد بديل من العولمة، هو العزلة، ممّا يناقض اعتبارها «واقعة».

تتّصف لغة بلير (Blair) السياسيّة بالتعتيم على التمييز بين الواقعة والمتوقّع (المشروع، المخطّط)[13]. ونجد الشيء نفسه هنا في حديثه عن «المجتمع الدوليّ»، فالنصّ يسلّم بوجود «المجتمع

(13) Fairclough, *New Labour, New Language?*

الدولي» (الجملة الأولى من المقطع الثاني) وقدرته على التصرّف بطرق معيّنة، ثمّ يتحدّث عن وجوده كأمر ممكن (يوجد تسليم في المقطع الثاني بأنّ العالم «يمكنه» أن يكون مجتمعاً)، ثمّ يُقدّمه على أنّه في طور التشكيل («يقوم تقارب عفويّ بين الأمم»: المقطع الأخير).

يرى غراهام[14] (Graham) أنّ سِمَتَي «المرسلات الترويجية» اللّتين ناقشتهما هنا: الانزلاق من الوقائع إلى القِيَم ومن الوقائع إلى التوقّعات، وعكس ذلك، هما سمتان عامّتان تتّصف بهما نصوص السياسات المُعاصرة. يقول بشأن السمة الثانية إنّ «صانعي السياسات يتلاعبون كثيراً بمنظومة الصيَغ الفعليّة، ربّما بطريقة مستترة، لتصوير المستقبل والأوضاع المتخيّلة وكأنّها فعلاً موجودة في الزمان والمكان الحاضر». يحدّد أيضاً، بالنسبة إلى السمة الأولى، الصلة التي ناقشتها سابقاً بين القِيَم وما سمّيته «الأقوال الطلبيّة»، والقِيَم المستترة التي تحملها الأقوال الخبرية الوقائعيّة باعتبارها أقوالاً طلبية مستترة: «إنّ المطالب في السياسات المعاصرة غالباً ما تكون ضمنيّة، مقنّعة، مدفونة تحت كَومة ممّا يبدو وقائع غير قيميّة وموضوعيّة وشبه علميّة».

ويمكننا أيضاً الربط بين هذه المسائل المتعلّقة بـ «المرسلة الترويجية» و«تجميل الحياة اليوميّة»[15] الذي ارتبط بثقافة «الترويج»

---

(14) Graham, «Contradictions and Institutional Convergences: Genre as Method».

(15) Fairclough, «Democracy and the Public Sphere in Critical Research on Discourse,» in: Wodak and Ludwing, eds., *Challenges in a Changing World: Issues in Critical Discourse Analysis*, and Featherstone, *Consumer Culture and Postmodernism*.

أو «الاستهلاك». يتضمّن ذلك «تجميل» الأحداث والنصوص كجزء من الأحداث. وهذا جانب مهمّ من عنصر «الدفاع» عن «المرسلات الترويجية»، فالخطبة السياسيّة التي ألقاها طوني بلير حدثُ تمّ الاعتناء بجماليّته[16]، وغالباً ما تكون نصوص السياسات مُنتجات «مصقولة»، مثلها مثل سيرة ذاتيّة ذات لغة ترويج للذات يصحبها اعتناء دقيق بسمات النص الظاهريّة (حجم الحروف وترتيب الأجزاء وما إلى ذلك).

الصيغ النحوية

ترتبط الوظائف الكلاميّة بالتراكيب اللّغويّة، بالتمييز بين «أنماط الجُمل» الأساسيّة (التصريح والاستفهام والأمر)، علماً أنّ هذه العلاقة ليست مُباشرة (راجع أدناه)(*).

- **التصريح**

لا يحتوي أدوات استفهام، وعندما تحتوي الجملة فعلاً يكون في صيغة الماضي أو المضارع، كقولنا: «ذهب رجاء إلى الحقل». في الإنجليزيّة، يرد الفاعل قبل الفعل، كما في (The Book is on the Table) (حرفيّاً: الكتاب يوجد على الطاولة).

- **استفهام لطلب التصديق**

يحتوي أداة الاستفهام «هل» أو الهمزة في واحد من استعمالَين، كما في «أجاء زيدٌ؟». في الإنجليزيّة، يرد الفعل المُساعد قبل

(16) انظر: Fairclough, *New Labour, New Language?*

انظر أيضاً الفصل العاشر.

(*) ما سيرد في هذه الفقرة عن اللّغة العربيّة هو زيادة من المُترجم.

الفاعل، كما في (Is the Book on the Table?) (حرفياً: يوجد الكتاب على الطاولة؟).

● **الاستفهام لطلب التصوّر**

يبدأ بأداة استفهام غير «هل» والهمزة لطلب التصديق، أي بأداة لطلب التصوّر (من، أين، كيف، متى، كم . . .)، كما في «أذهب رجاء أم جاء إلى الحقل؟»(*)، «أين الكتاب؟».

● **الأمر**

الفاعل مستتر وجوباً، كما في «ضَع الكتاب على الطاولة».

لنعالج العلاقة بين الوظائف الكلاميّة والتراكيب اللّغويّة في الحوار القصير الآتي الذي نستعيره من هودج (Hodge) وكريس[17] (Kress):

ماكس (Max): سؤالان تسهل الإجابة عنهما في برنامجنا. السؤال الأوّل هو: «**ما هي اللغة برأيكِ؟**»
المرأة: اللغة . . . حسناً، هي الحوار الذي ينطق به الناس في البلدان المختلفة.
ماكس: جيّد. **ومِمّ هي مكوّنة برأيكِ؟**
المرأة: (**توقف 8 ثوانٍ**) مكوّنة من (**تنغيم مُرتَبك**). . .
ماكس: نعممم.

(*) تُعتبر الهمزة في المثال المذكور، من منظور النحو العربيّ التقليديّ، لطلب التصوّر، لكنّني أفضل اعتبارها لطلب الانتقاء، انسجاماً مع معناها في هذا السياق.

(17) Robert Hodge and Gunther Kress, *Social Semiotics* ([Cambridge: Polity Press], 1988).

المرأة: حسناً، لا أعرف. أنت قُل لي ممّ هي **مكوّنة**... هي **تعبير** الشخص، أفترض، أليس كذلك؟
ماكس: لا أملك الأجوبة، أملك فقط الأسئلة (**يضحك**).
المرأة: (**تضحك قليلاً، في الوقت نفسه**).
سيد (Sid): ليست إجابتك **سيئة**.
المرأة: حسناً، هي **تعبير**، لعلّها تعبير الشخص، **أليس كذلك؟**
سيد: إجابة صحيحة.
ماكس: شكراً جزيلاً.

في هذا المثال عدد من الجُمَل التصريحيّة (مثال: «إجابة صحيحة»)، وعدد من جُمل الاستفهام (مثال: ما هي اللغة برأيك؟). بما أنّنا نتحدّث الآن عن تمييز نحويّ، فالفرق موجود في الشكل النحويّ. الجُمل التصريحيّة خالية من أدوات الاستفهام، وفي الإنجليزيّة يرد الفعل بعد الفاعل (وترد بعده عناصر أخرى، كالمفعول به). في أحد نمَطي عبارات الاستفهام (تسمّى الاستفهام لطلب التصديق، لأنّه من المتوقّع أن يُجاب عنها بـ «نعم» أو «لا») ترد «هل» أو الهمزة لطلب التصديق، كما في «هل هذه الإجابة صحيحة؟»، في الإنجليزيّة يتمّ قلب ترتيب الفاعل والفعل المساعد، فيرد هذا الأخير قبله. ويوجد نمط آخر من جُمل الاستفهام (استفهام لطلب التصوّر) تبدأ باسم استفهام («من»، «ما»، «ماذا»، «متى»، «أيّان»، «أين»، «كيف»، «أنّى»، «كم»، «أيّ») أو بالهمزة - تؤخّر «من» وجوباً إذا كان ما قبلها اسم غير مضمر وفي الجملة اسمَين لهما مدلول واحد: «أبو من أنتَ؟»، وفي الإنجليزيّة غالباً ما نجد فيها القلب نفسه المذكور أعلاه: يسبق الفعل المساعد الفاعل. في «ما هي اللغة برأيك؟» تبدأ الجملة باسم الاستفهام «ما».

والجُمل التي من البيّن أنّها تصريحيّة أقوال خبرية من منظور

الوظائف الكلاميّة، وتلك التي من البيّن أنّها استفهاميّة تكون أسئلة من المنظور نفسه. لكن بِمَ نَصِفُ جملة «هي تعبير الشخص، أعتقد، أليس كذلك؟» وجملة قد تكون تعبير الشخص، كذلك؟». إنّهما جملتان تصريحيّتان أضيفَ إلى كلّ منهما سؤال ـ ما يسمّى عادةً في الإنجليزيّة «سؤالاً تثبّتياً» (Tag Questions). علينا الانتباه إلى كيفيّة الإجابة عن السؤالَين التثبّتيين ودلالَة ذلك في ما يخصّ تفسير المتلقّي لهما: يفسّر ماكس الأوّل على أنّه سؤال (هذا ما يستلزمه قوله إنّه لا يملك الأجوبة)، أمّا الثاني فيعتبره سيد (Sid) «إجابة صحيحة»، أي يعتبره قولاً خبرياً. ويعني ذلك أنّ الأسئلة التثبّتيّة هي، كما يوحي شكلها النحويّ، أقوال خبرية وأسئلة: تقدّم معلومات وفي الوقت نفسه تطلب تأكيداً.

إلى جانب الجمل التصريحيّة والاستفهاميّة والتصريحيّة المرفقة بسؤال تثبّتي، يوجد نمط جمليّ آخر في المثال أعلاه يُطلق عليه هاليداي[18] (Halliday) اسم «العبارات الصغرى» «minor clauses»، وهي عبارات «غير مكتملة» نحوياً، وهي، على وجه الخصوص، لا تملك فعلاً في الإنجليزيّة. ترد العبارات الصغرى في بداية المُقتطف، فالفعل «سأطرح» لا يظهر في الجملة الأولى: «سؤالان تسهل الإجابة عنهما في برنامجنا». ويبدو أنّ الوظيفة الكلاميّة لهذه الجملة هي قول خبريّ: يبدو أنّ مُجري المُقابلة يقول للمرأة إنّه سيطرح عليها بعض الأسئلة. النمط الجُمَليّ الأساسيّ غير الممثّل في المُقتطف هو الأمر: لا نجد جملةً كـ «أجيبي عن السؤال!»، الجملة الأمريّة مميّزة عن الأشكال النحويّة الأخرى: لا يظهر فاعلُها. من المُلاحظ أنّ جملة «عليكَ أن تجيب عن السؤال» ليست أمريّة بل تصريحيّة، هي نحوياً مختلفة عن قولنا «أجب عن السؤال!»، علماً

(18) Halliday, *An Introduction to Functional Grammar*.

أنه يمكن أن يكون لهما الوظيفة الكلاميّة نفسها (قول طَلَبي). يُستخدم في الجملة الأمريّة المخاطبُ عادة، أي تُعتبر «أنت/ أنتم/ أنتنّ» مستترة فيها. لكن يمكن ايضاً اعتبار جملةٍ كـ «لِنُجب عن السؤال!» جملة متكلّم أمريّة.

إنّ العلاقة بين التراكيب اللّغويّة والوظائف الكلاميّة علاقة توجّه عام وليست مسألة تطابق. تقوم العلاقة الأقوى بين العبارات التصريحيّة والأقوال الخبرية، لكن كما ذكرت للتوّ، يمكن أيضاً أن تكون العبارات الصغرى أقوالاً خبريّة. تكون الأسئلة عادةً استفهاميّة، لكن يوجد أيضاً أسئلة تصريحيّة (قارن بين «كم عمرك؟» و«تخطيتَ الثامنة عشرة؟»: الجملة الأولى استفهاميّة، أمّا الثانية فتصريحيّة على الرغم من وجود علامة الاستفهام). يمكن أن تكون العروض استفهاميّة («أتريد كأس بيرة؟») أو أمريّة (تناول كأس بيرة!) أو تصريحيّة (هذه كأس بيرة لك). ومع أنّ الأقوال الطلبيّة أمريّة في معظم الأحيان («أعطني كأس بيرة»)، يمكن ايضاً أن تكون استفهاميّة في حالة ما يُسمّى «الأسئلة الطَلَبيّة» («أيمكنني أن أحصل على كأس بيرة؟»)، أو تصريحيّة («أريد كأس بيرة»). توجد وَسَمات تتّصف بها الوظائف الكلاميّة تضيّق الفجوة بين هذه الأخيرة والتراكيب اللّغويّة. على سبيل المثال، يكون الاستفهام لطلب التصديق المصحوب بـ «إذا سمحت» (مثال: «أيمكنك فتح النافذة إذا سمحت؟») قولاً طلبيّاً (سؤالاً طلبيّاً) وليس سؤالاً. لكنّ تحديد وظيفة العبارة الكلاميّة يتطلّب أخذ العوامل السياقيّة الاجتماعيّة بعين الاعتبار.

الوظيفة الكلاميّة والصيغة النحوية والمقابلات البحثيّة

المثال الذي استخدمته في الفقرة السابقة مُقابلة قصيرة، نظّمت المقابلة لبرنامج إذاعيّ. من الواضح أنّ المقابلات تتميّز، من منظور

الوظائف الكلاميّة، يتعاقب الأسئلة والأجوبة بالتناوب ـ وهذا جانب من شكلها العام. وبشكل عام، تكون الأجوبة أقوالاً خبريّة، ويقوم مُجري المقابلة بطرح الأسئلة، والضيف بالإجابة. المقتطف القصير في الفقرة السابقة لا ينسجم مع النمط البدئيّ المذكور، فالسؤال التثبيتي يتطابق جزئياً فقط مع النمط البدئي للإجابات، يتطابق مع النمط من حيث هو قول خبريّ، ولا يتطابق معه من حيث هو سؤال. ويمكن اعتبار إجابة مُجري المقابلة عن أحد السؤالين التثبيتيين ـ «لا أملك الأجوبة، أملك فقط الأسئلة» ـ تذكيراً للضيف بالقواعد المُعتمدة التي تتحكّم بشكل مستتر بمُساهمات الضيوف في المُقابلة. من منظور الصيغ النحوية، السؤالان في المقتطف المذكور عبارتان استفهاميّتان.

تختلف المُقابلات من حيث مدى التزامها بالنمط البدئيّ لمُجري المقابلات وضَيفها والوظائف الكلاميّة فيها، وأيضاً، على وجه الخصوص، من حيث كيفيّة تحقّق الأسئلة في صيغ نحوية. لِننظر في النصّ الأوّل، وهو مُقتطف من المقابلة البحثيّة الهادفة إلى التعريف بالثقافات. لا يوجد سوى استفهام واحد في أسئلة مُجري المقابلة («كيف تربط بين ذلك وما يحدث هنا؟»). من الملاحظ أنّه استفهام بـ «كيف» لطلب التصوّر وليس استفهاماً لطلب التصديق، فالأسئلة لطلب التصوّر تعطي عامةً حريّة أكبر في الإجابة، وهي بهذا المعنى «مفتوحة» وليست «مغلقة» كالاستفهام لطلب التصديق. الأسئلة الأخرى عبارات صغرى («إلى القاع؟»، «والعمل الجيّد الذي ذكرتَه؟»، «والتغيّرات الأخرى؟»)، وعبارة تصريحيّة فيها حذف («ممّا يعني؟»). يمكن الربط بين سمات الصيغ النحوية، التي تتّصف بها هذه الأسئلة، والطبيعة الخاصة لهذا النمط من المقابلة البحثيّة حيث ما يهمّ مُجري المقابلة بالدرجة الأولى هو تشجيع الضيف على

الاستمرار في الكلام والتوسّع في ما يقول، وليس الإجابة عن سلسلة من الأسئلة محضَرة مسبقاً. بشكل أساسيّ، الأسئلة في النمط المذكور كلماتُ تذكير. والطبيعة الخاصة لهذا النمط من المقابلة البحثيّة تفسّر مساهمات مدير الأعمال. ومع أنّ هذه المساهمات أجوبة، بمعنى أنّها تتناول أسئلة مُجري المقابلة، من الواضح أنّها أيضاً أكثر من ذلك: يقدّم مدير الأعمال تقريراً ومُحاجّة موسّعين عمّا يحصل في الشركة، وغالباً ما يتابع الكلام بعد الإجابة عن السؤال المطروح. في أنماط أخرى من المقابلات تُعتبر المساهمات المذكورة محلّ إشكال لأنّها «لا تلتزم بالأسئلة»، أمّا في نمط النصّ الأوّل فلا تُعتبر كذلك. ربّما يمكننا أن نقول إنّه يوجد سؤال شامل تتمّ الإجابة عنه في كلّ المُقابلة، يمكن أن يكون كالآتي: «ما هي تجربتك ورأيك بشأن ما يجري في الشركة؟».

ملخّص

يبدأ الفصل بالتمييز بين نمطَين من التبادل الكلاميّ: التبادل المعرفيّ والتبادل الأدائيّ، ويتمّ الربط بين هذين النمطَين والوظائف الكلاميّة الأساسيّة، وهي: القول الخبريّ والسؤال والقول الطَّلبيّ والعَرض. وميّزنا بين أنماط متنوّعة من القول الخبريّ: القول الخبريّ الوقائعيّ والتوقّعات والقول الخبريّ الافتراضيّ والتقييمات. وعالجنا فكرة وضع تمييز هابرماس (Habermas) بين «الفعال الإستراتيجية» و«الفعال التواصلية» موضع التطبيق في نطاق «الاستعارة النحويّة»، مركّزين بخاصةٍ على التبادل المعرفيّ في ظاهره والأدائيّ في حقيقته، والأقوال الخبرية الوقائعيّة في ظاهرها والتقييميّة في حقيقتها، وربطنا كلّ ذلك بأصناف «التقرير التوجيهيّ» الذي ناقشناه في الفصل السابق. ويمكن التوسّع في ذلك، بخاصةٍ من المنظور الذي يرى في

الثقافة المُعاصرة «ثقافة ترويجيّة» ووفق مفهوم «المرسلة الترويجية» المرتبط بالخلط بين الواقعة والقيمة والواقعة والتوقّع. تتحقّق الوظائف الكلاميّة بـ «صيغ نحوية»، علماً أنّ العلاقة بينهما معقّدة. ميّزنا بين ثلاثة صيغ نحوية أساسيّة (التصريح والاستفهام والأمر)، وأضفنا إليها «العبارات الصغرى». ويمكن التمييز بين أنماط المقابلات البحثيّة وغيرها من حيث توزيع الوظائف الكلاميّة بين مُجري المقابلة وضيفها، واستناداً إلى كيفيّة تحقيق أسئلة المقابلة في صيغ نحوية (باعتبارها مثلاً «أسئلة تصريحيّة» وليست استفهاماً).

القسم الثالث

ضروب الخطاب والممثليات

7 ــ ضروب الخطاب

مسائل التحليل النصي
ضروب الخطاب في عدّة مستويات من التجريد
التبادل المنطقي «البَيْخطابي» لتَمَفْصُل ضروب الخطاب في النصوص
التساوي والاختلاف
العلاقات الدلاليّة بين الكلمات (الترادف والتفرع الدلالي والتضاد)
التوارد
مسائل البحث الاجتماعي
«روح الرأسمالية الجديدة»
التصنيف

إنّ تحديد ضروب الخطاب وتحليلها مسألة تشغل العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة في أيامنا. ولقد كان لفوكو[1] (Foucault) تأثير

---

(1) Michel Foucault: *The Archaeology of Knowledge*, Translated from the French by A. M. Sheridan Smith (New York: Pantheon, 1972), and Michel Foucault, «The Order of Discourse,» in: Michael J. Shapiro, ed., *Language and Political Understanding: The Politics of Discursive Practices* (Oxford: Blackwell, 1984).

كبير في هذا المجال. كتب في تعليق له على استخدامه لكلمة «خطاب» الآتي:

أعتقد أنني أضفتُ معاني جديدة على مفهوم «الخطاب»: اعتبرته أحياناً المجال العام لكلّ الأقوال الخبرية، وأحياناً مجموعة من الأقوال الخبرية الفرديّة، وأحياناً أخرى ممارسة منظّمة تحمل عدداً من الأقوال الخبرية[2].

إنّ تحليل الخطاب عند فوكو هو تحليل مجال «الأقوال الخبرية» - أي النصوص والمقولات باعتبارها عناصر مكوّنة للنصوص. لكنّ ذلك لا يعني الاهتمام بتحليل تفصيليّ للنصوص، إنّما بالقواعد التي «تحكم» مجموعات من النصوص والمقولات. ويستخدم مصطلح «خطاب» بشكل مجرّد (كاسم مجرّد) للتحدّث عن «مجال الأقوال الخبرية»، وبشكل محسوس كاسم «يُجمع» («خطاب»، «عدّة خطابات») للتحدّث عن مجموعات من الأقوال الخبرية أو عن «الممارسة المنظّمة» (القواعد) التي تتحكّم بإحدى هذه المجموعات. قامت عدّة نظريّات ومجالات اختصاص مختلفة بالاستناد إلى أعمال فوكو، فأنتجت حول «الخطابات» مجموعة من عمليّات التنظير والتحاليل المُربكة والمتداخلة والمُتغايرة[3].

أرى أنّ ضروب الخطاب طُرق مختلفة في تمثيل العالم: السيرورات والعلاقات والبنى في العالم المحسوس، و«العالم العقلي»

---

(2) Foucault, «The Order of Discourse».

(3) Tim Dant, *Knowledge, Ideology, and Discourse: A Sociological Perspective* (London: Routledge, 1991); Diane Macdonell, *Theories of Discourse: An Introduction* (Oxford: B. Blackwell, 1986), and Sara Mills, *Discourse* (London: Routledge, 1997).

الذي يحوي الأفكار والمشاعر والمعتقدات وما إلى ذلك، والعالم الاجتماعيّ. يمكن تمثيل جوانب معيّنة من العالم بطرق مختلفة، فعلينا عامّةً النظر في العلاقة بين ضروب الخطاب المختلفة. وهذه الأخيرة منظورات مختلفة موضوعها العالم، ومرتبطة بالعلاقات المختلفة بين الناس والعالم، علماً أنّ هذه العلاقات تستند إلى مواقع الناس في العالم وهويّاتهم الاجتماعيّة والشخصيّة والعلاقات الاجتماعيّة التي تربطهم بالآخرين. لا تقوم ضروب الخطاب بتمثيل العالم كما هو (والأصحّ أن نقول «كما يبدو لنا») فقط، لكنّها أيضاً إسقاطيّة ومتخيّلة وتمثّل عوالم محتملة تختلف عن العالم القائم ومرتبطة بمشاريع هدفها تغيير العالم في اتّجاهات معيّنة. والعلاقات بين ضروب الخطاب المختلفة أحد العناصر الداخلة في العلاقات بين مختلف الناس: قد يتكاملون أو يتنافسون أو يسيطر بعضهم على بعض، وما إلى ذلك. وتشكّل ضروب الخطاب جزءاً من الموارد التي يستخدمها الناس في العلاقات بينهم، لكي يبقوا منفصلين عن بعضهم، أو لكي يتعاونوا، أو يتنافسوا، أو يسيطروا، وفي سعيهم لتغيير الطرق المعتمدة في إقامة العلاقات بينهم.

مُستويات التجريد

عندما نقول إنّ ضروب الخطاب طُرقٌ مختلفة في التمثيل، نفترض أنّها تملك درجة من التكرار، والجماعيّة - بمعنى أنّها مشتركة بين مجموعات من الناس - والثبات عبر الزمن. من المرجّح أن نجد في أيّ نصّ عدّة ممثّليات مختلفة لجوانب من العالم، لكنّنا لا نسمّي كلّ ممثّليّة نجدها خطاباً مفرداً، ذلك أنّ ضروب الخطاب تتخطّى الممثليات المحسوسة والمحليّة، وفق الطرق التي بيّنتها سابقاً، ولأنّه يمكن القول إنّ الخطاب المعيّن يولّد الكثير من الممثليات الخاصة.

لكنّ ضروب الخطاب تختلف من حيث درجة التكرار والجماعيّة والثبات عبر الزمن، ومن حيث ما يمكن تسميته بـ «مداها»، أي حجم ما تحتويه من العالم، وبالتالي حجم مجموعة الممثليات التي تولّدها. عند التحدّث عن ضروب الخطاب، من المفيد التمييز بين مستويات مختلفة من التجريد أو التعميم، كما فعلنا عند تناول الأصناف[4]. على سبيل المثال، توجد طريقة في تمثيل الناس باعتبارهم عقلانيّين بالدرجة الأولى، وأفراداً منفصلين عن بعضهم، وكلّ منهم وحدة في ذاته، وباعتبار هويّتهم، ككائنات اجتماعيّة، ثانويّة، إذ إنّه يُنظر إلى الفرد على أنّه يوجد قبل الحياة الاجتماعيّة ثمّ يدخلها. وهناك عدّة أسماء يمكن أن نطلقها على هذا الخطاب ـ على سبيل المثال، خطاب الفرديّة عن الأنا، أو الخطاب الديكارتيّ عن الذات. لهذا الضرب من الخطاب تاريخ طويل، وكان في فترات معيّنة «بديهيّاً» لمعظم الناس، وهو أساس نظريّات وفلسفات، ويمكن متابعته في نصوص ومقولات ترتبط بمجالات كثيرة من الحياة الاجتماعيّة، و«مداه» كبير جدّاً، إنّه يولّد عدداً كبيراً من الممثليات. ويمكن، على مستوى أقلّ تجريداً، لكن لايزال مجرّداً جدّاً، أن نحدّد في مجال السياسة خطاباً ليبراليّاً، وفي مجال الاقتصاد خطاباً تايلوريّاً (نسبة إلى تايلور Taylor) عن إدارة الأعمال. في المقابل، ناقشتُ في كتاب آخر[5] الخطاب السياسيّ ذا «الطريقة الثالثة»، أي خطاب «حزب العمل الجديد»، وهو يرتبط بموقع معيّن داخل حقل السياسة في زمن معيّن (من المؤكّد أنّ عمر هذا الضرب من الخطاب أقلّ من عشر سنوات).

---

(4) انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب.

(5) Norman Fairclough, *New Labour, New Language?* (New York: Routledge, 2000).

النصّ التاسع مقتطف من كتاب «مُرشد» في إدارة الأعمال، وكان هذا الكتاب موضوع بحث وضعه شيابلّو وفاركلوف(6). ويستند البحث المذكور إلى تحليل قام به بولتانسكي وشيابلّو(7) تناول ما يسمّيانه «روح الرأسماليّة الجديد»، أو أيديولوجيّة ما سميّته «الرأسمالية الجديدة». يقوم تحليلهما على نصوص في إدارة الأعمال، شبيهة بالنصّ التاسع. وكان الهدف من البحث الذي قمتُ به مع شيابلّو معرفةَ كيفيّة تحسين «علم اجتماع الرأسماليّة الجديد»، الذي يقترحه بولتانسكي وشيابلّو، بواسطة التحليل النقديّ لِلخطاب، فأتاح ذلك تقديم دراسة مفصّلة عن كيفيّة نسج «روح الرأسماليّة الجديد» في نصوص إدارة الأعمال. يمكننا اعتبار «روح الرأسماليّة الجديد» خطاباً جديداً ظهر نتيجة المزج بين ضروب خطاب أخرى. إليكم مثال صغير (لا يتضمنّه النصّ التاسع) عن كيفيّة نسج هذا المزج في النصوص:

يتطلّب التجديد والتغيير سبع مهارات كلاسيكيّة: التأقلم مع المحيط، وتنويع التفكير، ورؤيا موجِّهة، وتكوين ائتلاف، وتنمية فريق عمل، والاستمرار على الرغم من الصعوبات، والافتخار بمن يستحقّ ذلك والاعتراف له بالجميل. ليست هذه مهارات متمايزة عن بعضها فقط، لكّنها تعبّر أيضاً عن منظور، عن أسلوب، أساسيّ في الثقافة الإلكترونيّة.

---

(6) Eve Chiapello and Norman Fairclough, «Understanding the New Management Ideology: A Transdisciplinary Contribution from Critical Discourse Analysis and New Sociology,» *Discourse and Society*, vol. 13, no. 2 (2002), pp. 185-208.

(7) Luc Boltanski and Eve Chiapello, *Le Nouvel esprit du capitalisme* ([Paris]: Gallimard, 1999).

يحدّد «الأسلوب» المُعبّر عنه في هذه القائمة كيفيّة تمثيل "روح الرأسماليّة الجديد» لـ «قائد» في مؤسّسات الأعمال. تقوم داخل القائمة علاقة بين تعابير متساوية مصدرها ضروب خطاب مختلفة، وتوحي هذه التعابير بتلك الضروب. وإعداد قائمةٍ هو وسيلةُ نسج نصّي لإنجاز مزج بين ضروب من الخطاب بهدف تشكيل خطاب جديد. ويمكن اعتبار سيرورة المزج هذه تراكمَ طبقات. يقترح بولتانسكي وشيابلّو[8] اعتبار «روح الرأسماليّة الجديد» يجمع بين ضربين من الخطاب: «المُلهَم» و«الترابطيّ» (أو ما يسمّيانه «الخطاب التجميعي» أو «النظم التسويغية») ـ بعبارة أكثر جرأة: يمزج القادة بين الرؤيا وشبكة ارتباطات جيّدة. تنبع العناصر الثلاثة الأولى في القائمة («التأقلم مع المحيط، وتنويع التفكير، ورؤيا موجِبة») من الخطاب «المُلهَم»، في حين ينبع الرابع («تكوين ائتلاف) من الخطاب «الترابطيّ». ويمكن أيضاً اعتبار العناصر الثلاثة الأولى نابعة من ضروب خطاب مختلفة. «التأقلم مع المحيط» تعبير فيه شيء من الاستعارة ومصدره خطاب تقنيّ يتناول العلاقات الشخصيّة، وربّما خطاب إرشاديّ يقوم التركيز فيه على نوعيّة الاستماع للآخر، ولعلّ «تنويع التفكير» يرتبط بنصوص علم النفس الشعبيّ الذي يتناول الابتكار. يمكن، إذاً، اعتبار الخطاب «المُلهم» مركّباً من ضروب خطاب.

نجد في النصّ التاسع النسج النصّي نفسه بين ضروب الخطاب، لكنّه يحتوي على علاقات تساوٍ ضمن «روح الرأسماليّة الجديد»، وعلاقات اختلاف بين هذا الأخير والخطاب «القديم» (راجع نقاش علاقات التساوي والاختلاف في الفصل الخامس).

---

(8) المصدر نفسه.

يتحقّق النسيج النصّي لعلاقة الاختلاف من خلال مجموعة من البنى والتعابير العلائقيّة التباينيّة أو التضاديّة: «أ» بدل «ب»، «أ» وليس فقط «ب»، «أ» لكن أيضاً «ب»، تختلف «أ» عن «ب»، من المرجّح وجود «أ» وليس «ب». وأوضح مثال على ذلك القائمةُ في وسط المُقتطف، حيث يتمّ تمثيل ما يمكن تسميته الخطاب «المؤيّد» («روح الرأسماليّة الجديد») قبل القوسين في مواجهة الخطاب «المُعارض» بين القوسَين. في الوقت نفسه، تمّ نسج العناصر الموجودة في القائمة قبل القوسَين باعتبارها في علاقة تساوٍ، كذلك الأمر بالنسبة إلى العناصر في القائمة داخل القوسَين، ويتمّ بذلك مَفْصَلة ضروب الخطاب المختلفة بعضها مع بعضٍ، تلك الضروب التي تنبع منها العناصر المذكورة.

ما أن ننظر في تفاصيل أيّ من ضروب الخطاب التي ذكرتها يصبح مغزى الإرجاع إلى مستويات مختلفة من «التجريد» واضحاً. فكلّ الضروب المذكورة فيها تبدّل داخليّ. عمليّاً، على سبيل المثال، من المرجّح أن تحدّد أيّ معالجة لِلّيبراليّة بعض الأمور العامة التي تشكّل جزءاً من الممثليات الليبراليّة في الحياة السياسيّة، لكنّها تنتقل بعد ذلك إلى التمييز بين أنواع من اللّيبراليّة. حتّى خطاب «الطريقة الثالثة» ليس متجانساً: أحد المواضيع التي يتناولها التحليل الذي أشرتُ إليه هو بالتحديد كيفيّة تغيّر ذلك الخطاب وتحوّله في مدّة تُعتبر قصيرة. لماذا نعتبر أصلاً هذه الكيانات المتغايرة «ضروب خطاب»؟ لا يمكن تأسيس الإجابة فقط على القول إنّ هناك جزءاً مشتركاً واستمراريّة في طريقة تمثيل العالم، وإنّ هناك تنوّعاً. إنّها تستند أيضاً إلى العلاقة المنطقيّة الجدليّة بين الخطاب وعناصر أخرى من الحياة الاجتماعيّة. تميّز هذه العلاقة بين «ضروب خطاب» عندما توجد طُرق مختلفة لتمثيل العالم ذات مغزى اجتماعيّ، ربّما من

حيث فعاليّة الخطاب، أي من حيث «ترجمته» إلى جوانب غير خطابيّة في الحياة الاجتماعيّة. يمكن، إذاً، النظر إلى ضروب الخطاب ليس باعتبارها فقط طُرق تمثيل بينها نسبة معيّنة من الأمور المشتركة والثابتة، إنّما تشكّل أيضاً روابط مهمّة في العلاقة المنطقيّة الجدليّة بين اللغة وعناصر أخرى في البعد الاجتماعيّ.

ويوجد تعقيد أكبر في كون ضروب الخطاب، باستثناء ما هي عليه في أدنى مستويات التعميم - مستوى الخطابات الأكثر خصوصيّة ومحليّة، يمكن أن تكون مزيجاً من ضروب أخرى تتمفصل بعضها مع بعضٍ بطُرق معيّنة. هكذا تنشأ ضروب جديدة من الخطاب، من خلال مزج ضروب موجودة بعضها مع بعضٍ بطُرق معيّنة. مثال ذلك: أرى في تحليلي لخطاب «الطريقة الثالثة» السياسيّ أنّ هذا الأخير تمفصلٌ خاص لضروب أخرى من بينها ضربان من الخطاب السياسيّ هما الخطاب الديمقراطيّ الاجتماعي وخطاب «اليمين الجديد» (التاتشري، نسبة إلى تاتشر Thatcher). يتكوّن الجديد من تمفصل جديدٍ للقديم.

النصوص وضروب الخطاب

إنّ النصوص المختلفة التي تقع ضمن تسلسل الأحداث نفسه، أو التي تتحدّد من خلال علاقتها بشبكة الممارسات الاجتماعيّة نفسها، والتي تمثّل عموماً الجوانب نفسها من العالم، تختلف من حيث ضروب الخطاب التي تستند إليها. على سبيل المثال، إنّ النص الثالث عشر مُقتطف من كتاب ألّفه عضوان قديمان في حزب العمل البريطاني، ويتناول منظور «حزب العمّال الجديد» بشأن «الاقتصاد العالميّ» وما يسمّيانه «العولمة الرأسماليّة». وإنّ أحد الاختلافات بين تمثيل التغيير في الاقتصاد العالميّ في خطاب الجناح الأيسر للحزب

(المُقتطف) والخطاب السياسيّ لحزب العمّال الجديد. خطاب «الطريقة الثالثة» يكمن في الإشارة إلى «الشركات العابرة للبلدان» بأنّها الفاعلة المسيطرة على التغيير الاقتصاديّ: هي تتبع سياسة «فرّق تسد». في المقابل، إنّ هذه الشركات غير ممثّلة أبداً في خطاب حزب العمّال الجديد عن التغيير الاقتصاديّ العالميّ، فيتمّ تمثيل التغيير الاقتصاديّ («العولمة» وما إلى ذلك) على أنّه سيرورة من دون فاعلين اجتماعيين، كشيء يحصل لوحده، وليس أمراً يقوم به الناس أو الشركات أو الحكّام[9]. وإحدى السمات المهمّة التي يستعيرها المُقتطف من خطاب الجناح الأيسر للحزب هي العلاقات الدلاليّة التي تقوم داخل النصّ. تُلفت الانتباه إلى مختلف التعابير المستخدمة لتمثيل الهيئات العابرة للبلدان: «الشركات العابرة للبلدان»، «الرأسمال العابر للبلدان»، «الرأسمال العالميّ». من خلال إعادة الصياغة، يتمّ نسج علاقة تساوٍ، أو ترادف، بين «الشركات» و«الرأسمال»، بين المحسوس والمجرّد. وينمّ هذا النوع من الربط بين الأشكال المحسوسة والظاهرة («الشركات») وبين الكيانات المجرّدة البنائيّة («الرأسمال») عن حضور عنصر ماركسيّ داخل خطاب الجناح الأيسر لحزب العمل يميّزه عن خطاب الجناح الأيمن (وحزب العمّال الجديد). زيادة على ذلك، يتمّ تمثيل العلاقة بين الحكومات الوطنيّة (والاتّحاد الأوروبيّ) مع الشركات العابرة للبلدان ـ الرأسمال ـ وكأنّها علاقة مواجهة محتملة («تستخدم القوّة» ضدّها، وتتصرُّف كـ «ردّة فعل» عليها). وهذا أيضاً من خواصّ الخطاب السياسيّ اليساريّ: يجب الاحتجاج ضدّ الرأسمال ومحاربته. وتمثّل الحكومات الوطنيّة على أنّها مرشّحة للتعاون مع المنظّمات النقابيّة

---

(9) انظر فاركلوف: Fairclough, *New Labour, New Language?*, لقراءة تحليل مُقارن لنصوص حزب العمل الجديد.

(وكذلك مع المنظّمات غير الحكوميّة بشكل أعمّ) على أساس عالميّ وفق تقاليد «عالمانيّة» (internationalist). ـ تعني «العالمانيّة» هنا تضامن العمّال، بينما تشير في خطاب حزب العمل الجديد إلى «التعاون» بين الدول ـ الأمم في «المجتمع العالميّ» (مثال ذلك: قصف يوغسلافيا). من الملاحظ أيضاً استخدام مفهوم «الزبائنيّة» (Clientism) في علاقة تضاد مع «استخدام السلطات في مواجهة الرأسمال أو «المُقايضة» معه، ويغيب ذلك عن خطاب حزب العمل الجديد السياسيّ.

تقيم النصوص أيضاً علاقات حواريّة وجداليّة بين ضروب خطابها وضروب خطاب الآخرين. يوجد في المُقتطف المذكور نقد لما يقوله حزب العمل الجديد عن «الشراكة» و«التعاون». وفي هذا، إلى حدّ ما، انتقاد للمعاني التي تتخذها هذه الكلمات في خطاب حزب العمّال الجديد. يقدّم المقتطف خطاباً مختلفاً، حيث تتمفصل «الشراكة» و«التعاون» مع «الثقة» و«الانفتاح» و«الاحترام». وهو يعلن، إلى حدّ ما (في ما يبدو أنّه إشارة إلى العلاقات المفضّلة عند حزب العمّال الجديد، أساسها: «ليس فقط، لكن أيضاً»، مثال ذلك: «الشراكة والتنافس أيضاً»)، أنّ هناك تراتبيّة مستترة في خطاب حزب العمّال الجديد: يتمّ دائماً تقديم «مؤسّسة الأعمال» و«التنافس» على «الشراكة» و«التعاون».

إنّ العلاقة الحواريّة/ الجدليّة هي إحدى الطُرُق التي تستخدمها النصوص للمزج بين ضروب خطاب مختلفة، لكنّ هذه الأخيرة غالبًا ما تكون أيضاً مزيجاً أو ناتجاً هجيناً. ويهتمّ تحليل التبادل المنطقي في النص (راجع الفصل الثاني)، جزئيّاً، بتحديد ضروب الخطاب التي يستند إليها النصّ وبكيفيّة تمفصلها بعضها مع بعض (يمكننا إيجاد نصّ ما يستند إلى ضرب خطاب، حتّى ولو كان تحقيق هذا

الخطاب في النصّ تمّ في حدّه الأدنى: ربّما لا أكثر من كلمة واحدة).

لنعالج النصّ الرابع من هذا المنطلق: يوضح ووداك (Wodak)، في المقالة التي منها أخذ المثال، التحوّلات التي لحقت بالنصّ في سلسلة صياغات له خلال اجتماعات مجموعة الاتّحاد الأوروبيّ للتوجيه من أجل التنافس. زيدت الجمل 5 ـ 7 في الصياغات الأخيرة كـ «تنازل للنقابات». يمكننا اعتبار هذه الزيادة تهجيناً لِلخطاب. وضربا الخطاب الرئيسيّان هنا هما: **أوّلاً** خطاب الليبراليّة الجديدة الذي يتناول التغيير الاقتصاديّ ويقدّم «العولمة» على أنّها واقعة تتطلّب «ضروب أقلمة» و«إصلاحات» لتحسين «الفعاليّة والتكيّف» بهدف القدرة على التنافس، **وثانياً** خطابٌ سياسي يمثّل المجتمع انطلاقاً من اعتبار «التماسك الاجتماعيّ» هدفاً ومن التهديدات التي يتعرّض لها هذا التماسك. ويستلزم كلٌّ من الخطابَين المذكورين أوّليات مختلفة على مستوى السياسة المتّبعة: سياسات تدعم التنافس من ناحية، وسياسات تدعم التنافس الاجتماعيّ من ناحية أخرى. يقدّم خطاب التماسك الاجتماعيّ الناس بطُرقٍ غير مألوفة في خطاب الليبراليّة الجديدة، من حيث أحاسيسهم («الإحساس بالانزعاج وعدم المساواة والاستقطاب») و«آمالهم» و«طموحاتهم». لكنّ الجملة السابعة مهمّة على وجه الخصوص نظراً للطريقة التي تُمفصل فيها هذين الخطابَين معاً، إذ إنّها تعقد علاقات دلاليّة بين فئات أساسيّة مأخوذة من ضربَي الخطاب. تتمّ إعادة بناء «التماسك الاجتماعيّ» وفق تعابير اقتصاديّة كـ «النوعيّة البشريّة» و«القدرة على العمل كفريق» و«مصدر» «الفاعليّة والتكيّف». في حين أنّ خطاب «التماسك الاجتماعي» هو في أساسه خطاب إنساني واجتماعي يتوجّه إلى الذين يملكون «إحساساً» بالانتماء إلى

الجماعة، يتحوّل الناس في مفهوم «النوعيّة البشريّة»، على وجه الخصوص، إلى قوى إنتاج تنضمّ إلى القوى الأخرى كتقنية المعلوماتيّة. وعلى الرغم من أنّه يمكن اعتبار ضَربَي الخطاب المذكورين متنافرَين من حيث تمثيلهما للناس وتخيّلهما لهم، نحن أمام إستراتيجيّة تسويغ لخطاب التماسك الاجتماعيّ عن طريق اللّجوء إلى لغة خطاب اللّيبراليّة الجديدة.

تحديد ضروب الخطاب وخصائصها

كيف نقوم بتحديد مختلف ضروب الخطاب في النصّ؟ يمكن النظر إلى الخطاب على أنه (أ) يمثّل جزءاً معيّناً من العالم و(ب) يتمّ التمثيل من منظور معيّن. وبناء على ذلك يمكن أن نقوم في التحليل النصي بـ:

(1) تحديد الأجزاء الأساسيّة للعالم (بما في ذلك مجالات الحياة الاجتماعيّة) التي يمثّلها النصّ ـ «المواضيع الأساسيّة».
(2) تحديد المنظور أو الزاوية أو وجهة النظر التي منها يتمّ تمثيل تلك الأجزاء.

على سبيل المثال، تتضمّن مواضيع النصّ السابع (راجع المُلحق): السيرورات الاقتصاديّة والتغيير الاقتصاديّ، وسيرورات الحكم (العالميّة والوطنيّة)، والاحتجاج السياسيّ (المسمّى خطأً بالاحتجاجات «المُقاومة لِلعولمة»)، ووجهات نظر حول العولمة (في «الجنوب»). وكلّ واحد من هذه المواضيع مفتوح مبدئيّاً على مجموعة من وجهات النظر المختلفة، والممثليات المختلفة، وضروب الخطاب المختلفة. في النصّ السابع يتمّ تمثيل السيرورات الاقتصاديّة والتغيير الاقتصاديّ (على سبيل المثال، المقطع ما قبل

الأخير عن غانا) بواسطة مصطلحات خطاب تحرير السوق «الكلاسيكيّ الجديد» «المُجمَع عليه في واشنطن» - في مقابل الخطاب الاقتصاديّ الكاينزيّ (نسبة إلى كاينز Keynes). ويتمّ تمثيل الحكم كـ «الحاكمية»، وهذا التعبير جزء مهمّ من الخطاب اللّيبراليّ المُسيطر حول الحكم. ويمثّل هذا الخطاب الحكمَ من ناحية على أنّه ليس فقط عملَ الحكومات، إنّما أيضاً «إطار الحاكمية العالميّة (الوكالات العالميّة، كمنظّمة التجارة العالميّة والبنك الدّوليّ، التي كان لها دور أساسيّ في فرض «إجماع واشنطن»)، ويطلب من ناحية أخرى إجراء تغييرات في الحكم بالاستناد إلى «الشفافيّة» و«المُحاسبة» وما إلى ذلك. ويمكن إقامة تضاد بين هذا الخطاب وضروب خطاب تقليديّ أكثر تركّزاً على دور الدولة في الحكم.

أشرتُ إلى أنّ ضروب الخطاب تتميّز بطُرقها في التمثيل وبعلاقتها بالعناصر الاجتماعيّة الأخرى. ويمكننا، بالتركيز على طُرق التمثيل، تحديد هذه الأخيرة انطلاقاً من مجموعة من السمات اللّسانيّة يمكن القول إنّها تحقّق الخطاب.

ومن المتوقّع أن تكون سمات الخطاب المميّزة الأكثر بروزاً سماتُ مفرداتيّة - تحوّلُ ضروبُ الخطاب العالمَ إلى «كلمات» أو مفردات» وفق طرقها الخاصة. لكن بدل التركيز فقط على الطرق المختلفة في التعبير عن جوانب العالم نفسها، من المنتج أكثر التركيز على الفوارق بين كيفيّة بناءِ مختلف ضروب الخطاب للعالم، وبالتالي على العلاقات الدلاليّة بين الكلمات. وأحد الأمثلة على ذلك هو العلاقة بين «الشركات العابرة للبلدان» و«الرأسمال العابر للبلدان» في النصّ الثالث عشر الذي ناقشته أعلاه: يعيد التعبير الثاني صياغة التعبير الأوّل في النصّ. ويمكن اعتبار ذلك نسجاً نصّياً دلاليّاً لعلاقات دلاليّة - يُقيم النصّ علاقات دلاليّة جديدة، وهذا جزء من

دور الفاعل الاجتماعيّ (والنتائج التي يتسبّب بها الفاعل، راجع الفصل الثاني) في صِناعة المعنى.

لكن تبيّن مقارنة النصوص التي تنتمي إلى التقليد السياسي المذكور، ومنها نصوص لمؤلّفي النصوص المذكورة أنفسهم، أن إعادة الصياغة، في النصّ الثالث عشر، تستند إلى طريقة بناء العالم وفق خطاب معيّن وتوحي بها، ولا تكشف عن وجود علاقة جديدة. يمكن القول إنّه يوجد في النصّ المذكور مقولٌ مسلّم به ومفترض يمكن أن نجده مبيّناً ومُدافعاً عنه في نصوص أخرى تستند إلى الخطاب نفسه، ومفاده أنّ الشركات (العابرة للبلدان) تشكّل ظاهرة مهمّة من ظواهر الرأسمال (العابر للبلدان). من الناحية الدلالية، يمكن القول إنّ «الشركات» تفرّع دلاليّ من «الرأسمال»، وتملك «قرابة دلاليّة» مع «الاتّحادات الاحتكاريّة» و«الأسواق الماليّة». هذا البناء المُفترض للعالم والعلاقة الدلاليّة المُفترضة يسمحان لكتاب النصّ بإعادة صياغة «الشركات» بـ «الرأسمال» من دون الحاجة إلى إظهار العلاقة بين العبارتين، ويسمحان للقرّاء بإضفاء معنى على النصّ.

والعلاقة بين «العولمة» و«التقدّم الاقتصاديّ»، في الجملتين الأولى والثانية من النصّ الرابع، مثال آخر على العلاقة الدلالية المستترة: يعتمد ترابط النصّ على علاقة تفرّع دلالي بين العبارتين، إذ إنّ «التقدّم الاقتصاديّ» يتفرّع دلالياً من «العولمة».

يتمّ في النصّ الأوّل تصنيف العاملين إلى ثلاث فئات: «كبار مديري الأعمال» و«مرتبة العمّال الأدنى» و«نحن» التي تعني مديري الأعمال من المرتبة الوسط. يمكن القول إنّ بين هذه الفئات قرابة دلاليّة، وهي تشكّل تصنيفاً، على الرغم من أنّ مصدر التفرّع (أي الكلمة التي منها تتفرّع الفئات دلالياً) غير واضح: قد يكون تعبير

«القوى العاملة» الذي يرد في تفسير مدير الأعمال عندما سُئل عن معنى «المرتبة الأدنى». لكنّ «القوى العاملة» على تضاد مع «مديري الأعمال» في قول المدير «لتأخذ السلطة من النقابات وتردّها إلى مديري الأعمال وإلى القوى العاملة، وقد تكون مرادفة لـ «المرتبة الأدنى». ليست هذه علاقات دلاليّة يمكن أن نجدها في القواميس، ذلك أنّها تخصّ ضروب خطاب بعَينها. وتتضمّن هذه العلاقات، بالإضافة إلى التفرع الدلالي («معنى مشتركاً») والترادف («تماثلاً في المعنى»)، والتضاد («إقصاء في المعنى»). على سبيل المثال، في خطاب التماسك الاجتماعي، الذي يستند إليه النصّ الرابع، تتضمّن أضداد «التماسك الاجتماعي» «الاستقطاب» (في النصّ) و«الاستبعاد الاجتماعي» (ليس في النصّ).

إنّ موضوع النقاش هنا هو التصنيف والأنساق المركّبة مسبقاً أو منظومات التصنيف، أي «مركّبات مسبقة تمّ تطبيعها... لكن لا تؤخذ حقيقتها بعين الاعتبار، ويمكن أن تعمل كأدوات بناء غير واعية»[10] مبنيّة مسبقاً، وتُعتبر تقسيمات مسلّماً بها يستند إليها الناس باستمرار لتوليد رؤى حول العالم. لنقل إنّه عندما يقوم صراع بين ضروب خطاب مختلفة وتصبح ضروب خطاب معيّنة خلافيّة، يكون موضع الخلاف بالدرجة الأولى هو قدرة هذه المنظومات الدلاليّة المركّبة مسبقاً على توليد رؤى معيّنة للعالم تملك القدرة العمليّة على إعادة بناء العالم، أو دعم بنائه القائم، وفق تحديداتها.

يمكن أن يكون بين مجموعات المفردات المرتبطة بضروب خطاب مختلفة، في حقل معيّن من الحياة الاجتماعيّة، اختلاف

---

(10) Pierre Bourdieu and Loïc Wacquant, *An Invitation to Reflexive Sociology* (Chicago: University of Chicago Press, 1992).

جزئيّ، لكن من المتوقّع أن يكون بينها نقاط مشتركة متداخلة كثيرة. يمكن أن تستخدم ضروبُ خطاب مختلفة الكلماتِ نفسها (على سبيل المثال، يستخدم خطاب اللّيبراليّة الجديدة، وكذلك خطاب «مُناهضة العولمة»، كلمة «عولمة»)، لكن كلّ منهما يمكن أن يستخدمها بطريقة مختلفة، ولا يمكن تحديد هذه الفوارق من دون التركيز على العلاقات الدلاليّة. تعتمد إحدى الطرق للوصول إلى الفارق العلائقي معالجةَ علاقة التلازم، أي طُرُز توارد الكلمات في النصوص: لا يتعدّى الأمر تحديد كلمة والبحث عن الكلمات التي ترد، أكثر من غيرها، قبلها أو بعدها مباشرة، أو بعد كلمة أو كلمتين أو ثلاث أو أكثر. تُدهشنا أحياناً علاقات التلازم في نصوصٍ معيّنة. على سبيل المثال، تقوم في النصّ السابع علاقة تلازم بين كلمة «عولمة» و«ازدياد القوّة» («يوجد تخوّف من أنّ ازدياد قوّة العولمة سيقضي على الثقافات الوطنيّة والتقاليد»). هذا نصّ أنتجته منظّمة تؤيّد بشدة اللّيبراليّة الجديدة، لكنّه يعبّر عن قلق البعض من النتائج السلبيّة «للعولمة»، مستنداً إلى أكثر من ضرب خطاب، كما تبيّن علاقة التلازم المذكورة، والتي من غير المتوقّع أن توجد في نصوص لِلّيبراليّة الجديدة أكثر التزاماً. وتكمن أنجع طريقة لدراسة طُرز علاقات التلازم في تحليلِ عيّنة يستخدم الحاسوب ويشمل عدداً من النصوص الكبيرة[11]. على سبيل المثال: يتبيّن بوضوح من تحليل عينيّ لنصوص من خطاب حزب العمّال الجديد وخطاب حزب العمّال «القديم» (أي نصوص من مراحل سابقة في تاريخ حزب

(11) Tony McEnery and Andrew Wilson, *Corpus Linguistics* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2001), and Michael Stubbs, *Text and Corpus Analysis: Computer-Assisted Studies of Language and Culture* (Oxford: Blackwell Publishers, 1996).

العمّال) أنّ كلمة «عمل»، على الرغم من استخدامها في الخطابَين، لا تملك فيهما طُرز علاقة التلازم نفسها. تكشف تعابير «العودة إلى العمل»، «إلى العمل»، «الرغبة بالعمل»، «فُرص العمل»، «إنعاش العمل» عن علاقات تلازم في عيّنة حزب العمّال الجديد، في حين تكشف تعابير «من دون عمل»، «مباشرة إلى العمل»، «الديمقراطيّة في الممارسة»، «الصحّة والأمن في الممارسة» عن طُرز منتشرة في عيّنة حزب العمّال القديم. وللتعميم انطلاقاً من هذه النتائج، نقول إنّ حزب العمّال الجديد يركّز على دفع الناس إلى التخلّي عن الإنعاش الاجتماعيّ والعودة إلى العمل، في حين أنّ التركيز في حزب العمّال «القديم» هو على تحسين شروط العمل والعلاقات ضمنه، وعلى البطالة باعتبارها تعدٍّ على «الحقّ بالعمل» ومسؤوليّة منوطة بالحكومة[12].

وتتميّز ضروب الخطاب عن بعضها بالاستعارة أيضاً، بمعناها الاعتياديّ كـ «استعارة مفرداتيّة»: تكون الكلمات تمثّل عامة جزءاً من العالم، فيتمّ توسيعها ليشمل التمثيل جزءاً آخرَ، وبمعنى آخر أُطلقُ عليه في الفصل التالي تسمية «الاستعارة النحويّة» (مثال ذلك: تمثيل السيرورات كـ «أشياء»، كيانات، بوساطة «التحويل الاسمي»). إليكم بعض التعليقات على الاستعارة المفرداتيّة[13]. يتمّ في النصّ التاسع تمثيل التنافس بين الشركات استعاريّاً كَسِباق. «أفضل» الشركات هي التي «تحدّد نمط العدو»، كالعدّاء الذي يكون في الطليعة ويحدّد نمط السباق. «أسوأ» الشركات هي «المتقاعسة»، التي تجرّ أذيالها في المؤخّرة. بخلاف «تحديد نمط السباق»، ليست كلمة «التقاعس» على

(12) Fairclough, *New Labour, New Language?*.

(13) انظر: Andrew Goatly, *The Language of Metaphors* (London: Routledge, 1997).

وجه الخصوص جزءاً من مفردات السِباق، إنّها توسّع التمثيل الاستعاري للشركات فتصبح كالناس يمكن وصفها بنشاطات أخرى يقيّم بها الناس ويحدّد فيها مستواهم بالاستناد إلى أدائهم (مثال ذلك: توجد قاعات تدريس «متقاعسة»). يتمّ في النصّ التاسع أيضاً بلورة تمثيل استعاريّ للشركات باعتبارها «جماعات» فيها «أعضاء» (وليس فقط «مُستخدَمون») بينهم «تفاهم مشترك» و«إحساس بالتواصل»، وما إلى ذلك. وتختلف الاستعارات المُماثلة من خطاب إلى آخر: الاستعارة أحد المصادر المتوفّرة لإنتاج ممثّليات مختلفة عن العالم. لكن قد يكون المزج المعيّن بين مختلف الاستعارات هو الذي يميّز ضروب الخطاب: تشكّل الاستعارتان اللّتان ذكرتُهما طريقتَين شائعتَين في تمثيل الشركات، وتظهران في عدّة ضروب خطاب، وقد يكون المزج بين هاتَين الاستعارتَين واستعارات أخرى هو الذي يساعد على التعرّف إلى خطاب إدارة الأعمال المذكور سابقاً. ومن المفيد هنا الإشارة إلى مؤلّف لاكوف (Lakoff) وجونسون[14] (Johnson)، الواسع التأثير، عن الاستعارات الراسخة الحضور في الثقافات (مثال ذلك: التمثيل الاستعاري للجِدال باعتباره قِتالاً).

أشرتُ أعلاه إلى العلاقات الدلاليّة المفترضة مسبقاً. في الواقع، يمكن بصورة أعمّ اعتبار الافتراضات والمسلّمات مرتبطة ارتباطاً نسبيّاً بالخطاب - كما يمكن اعتبار فئات المسلّمات التي ناقشتها في الفصل الثالث (المسلّمات الوجودية، المسلّمات الخبرية، المسلّمات القيمية) مسلّمات تحمل إمكانيّة الارتباط بضروب خطاب معيّنة، وتنويعات تميّز هذه الضروب بعضها عن بعض. نقول «تحمل إمكانيّة الارتباط»

(14) George Lakoff and Mark Johnson, *Metaphors we Live by* (Chicago: University of Chicago Press, 1980).

لأنّ هنالك الكثير من المسلّمات المنتشرة في المجتمعات أو المجالات الاجتماعيّة أو المؤسّسات. بيّنتُ في الفصل الثالث، عند مناقشة النصّ الرابع مثلاً، أنّ المسلّمات مرتبطة بطبيعة الخطاب، فلن أكرّر تفصيل الحجج هنا. كذلك بيّنت في الفصل الرابع، عند مناقشة المُحاجّة باعتبارها صنفاً، أنّ المحاجّات تسند غالباً إلى مسلّمات تخصّ ضرب خطاب وترتبط بطبيعته[15].

أشرت سابقاً إلى ضربَي الخطاب الأساسيَّين في النصّ الرابع: خطاب اللّيبراليّة الجديدة وخطاب التماسك الاجتماعيّ. على الرغم من التضادّ بينهما، يوجد أمر مشترك: إنّهما يمثّلان السيرورات والأحداث الاجتماعيّة الحقيقيّة بطريقة مجرّدة جدّاً. وعلى الرغم من أنّه يمكن القول إنّهما في نهاية المطاف يُشيران بالعودة إلى أحداث محسوسة ومعيّنة ـ وقد تكون مجموعات وسلسلات معقّدة جدّاً من الأحداث، فإنّهما يمثّلان العالم بطريقة تُمعن في التجريد بعيداً عن المحسوس. ينجم عن ذلك استبعاد الكثير من العناصر المكوِّنة لأحداث محسوسة. يتمّ تمثيل سيرورات («العولمة»، «التقدّم») وعلاقات («التماسك الاجتماعيّ») وحتّى أحاسيس («آمال»، «طموحات») ـ أستخدم «السيرورات» بمعنى عام لتشمل كلّ هذه الفئات، لكنّ الأناس المعنيّين مستبعدين معظم الأحيان («الناس» في الجملة السادسة استثناء، والممثّليّة التي تدخل فيها عامة، حتّى إنّها «شاملة» ـ راجع الفصل الثامن)، وكذلك الأمر بالنسبة إلى عناصر أخرى من أحداث اجتماعيّة وموجودات ووسائل وأزمنة وأماكن. وتخضع السيرورات في النصّ لـ «التحوّل الاسميّ»، فلا يُعبّر عنها

---

(15) انظر: S. Gieve, «Discourse Learning and «Being Critical»,» (PhD, Lancaster University, 2000).

بأفعال كما هي الحال عادةً، إنّما بكيانات تشبه الأسماء، وتسمّى «محوّلات اسميّة» («عولمة»، «تماسك»)، أو بما يمكن تسميته «أسماء سيرورات»، أي أسماء تشبه الأفعال، إذ تمثّل سيرورات وعلاقات وما إلى ذلك («تقدّم»، «أمل»). نحوياً، تعمل هذه التعابير السيروريّة كالأسماء، مثال ذلك: «التماسك الاجتماعيّ» في الجملة الخامسة مفعول به تقدّم على الفاعل. وعندما يتمّ تحويل السيرورات إلى أسماء أو التعبير عنها بأسماء سيرورات، يُنزع إلى استبعاد فواعلها النحويّة ومفعولاتها وما إلى ذلك. قابل بين النصّ الثاني عشر والنصّ الرابع (راجع المُلحق). في النص الثاني عشر، ينتج من الخطاب الاجتماعيّ الساعي إلى التعريف بالثقافات تمثيل الأحداث بشكل محسوس وحضور عدد أكبر من مكوّنات الأحداث (بما في ذلك الناس المعنيين بها) في الممثليات، مقارنةً بالخطاب النّيبرالي الجديد وخطاب التماسك الاجتماعيّ. فهذان الأخيران يغلب عليهما التجريد انطلاقاً من الأحداث لكن بعيداً عنها باتّجاه التعميم، في سياقات أساسها تشكيل السياسات.

المقصود من هذه التعليقات التأكيد على أنّ ضروب الخطاب لا تتّصف وتتمايز بوساطة سمات المفردات والعلاقات الدلاليّة والمسلّمات فقط، لكن أيضاً بسمات نحويّة. تتمايز ضروب الخطاب بكيفيّة تمثيل عناصر الأحداث الاجتماعيّة (السيرورات، الناس، الموجودات، الوسائل، الأزمنة، الأماكن)، ويمكن أن تكون الاختلافات المميّزة نحويّة، كما يمكن أن تكون مفرداتيّة. فالاختلاف بين التحويل الاسمي والفعل نحويٌّ، كذلك الأمر بالنسبة إلى الاختلاف بين الفعل اللازم والفعل المتعدّي، وبين الركن الاسميّ الشامل والركن الاسميّ التفصيليّ (مثال الشامل، العام والجامع: الإرجاع إلى «الشرطة»، في مقابل الإرجاع التفصيلي إلى «هذا

الشرطي»)، وما إلى ذلك. هذه هي بعض الطُرق التي تُقيم الاختلافات بين ضروب الخطاب في تمثيلها للحياة الاجتماعيّة (راجع الفصل الثامن للاطّلاع على نقاشٍ أكثر تفصيلاً).

مُلَخَّص

رأينا أنّ ضروب الخطاب طُرُقٌ لتمثيل العالم يمكن تحديدها وتمييزها بعضها عن بعضٍ على عدّة مستويات من التجريد، على سبيل المثال، يمكن اعتبار ما يعرّفه بولتانسكي وشيابلّو[16] بأنّه «روح الرأسماليّة الجديد»، خطاباً نما على مستوى عالٍ من التجريد، انطلاقاً من تَمَفصل عدّة ضروب خطاب. تتميّز النصوص بعضها عن بعضٍ بطبيعة ضروب الخطاب التي تستند إليها لتمثيل جوانب معيّنة من العالم، وهي تُمفصل عدّة ضروب بعضها مع بعضٍ (تهجينها أو المزج بينها) بطرق متنوّعة. ويمكن التمييز بين ضروب الخطاب استناداً إلى العلاقات الدلاليّة (الترادف، التفرع الدلالي، التضاد) بين الكلمات - كيفيّة تصنيفها لأجزاء من العالم - وعلاقات التلازم والمسلّمات والسمات النحويّة على أنواعها.

(16) Boltanski and Chiapello, *Le Nouvel esprit du capitalisme.*

8 ـ ممثّليات الأحداث الاجتماعية

مسائل التحليل النصي

عناصر العبارة: السيرورات، المشاركون، الظروف

استبعاد عناصر من الأحداث الاجتماعيّة، أو احتواؤها

ممثّليات مجرّدة أو محسوسة عن الأحداث الاجتماعيّة

ممثّليات عن السيرورات، وأنماط سيرورات

تمثيل الفاعلين الاجتماعيّين

تمثيل الزمان والمكان

الاستعارة النحويّة (مثال ذلك: التحويل الاسمي)

مسائل البحث الاجتماعي

الحاكمية

تجديد السياق

العالميّ والخاص

عمليّة الفعل

«الأماكن ـ الأزمنة؟»

أُركّز في هذا الفصل على المعاني التمثيليّة في العبارة (راجع

أنماط المعاني في مُعجم المصطلحات الأساسيّة). ويتضمّن ما يمكن تمثيله في العبارات جوانب من العالم المحسوس (سيروراته وموجوداته وعلاقاته ونُطق التغيير المكانيّة والزمانيّة)، وجوانب من الأفكار ـ «العالم الفكري» ـ ، والمشاعر، والأحاسيس، وما إلى ذلك، وجوانب من العالم الاجتماعيّ. أركّز هنا على هذا الجزء الأخير، وأتناوله من منطلق تمثيل الأحداث الاجتماعيّة، علماً أنه يمكن بالطبع تمثيل العالم الاجتماعيّ بطريقة أكثر تعميماً وتجريداً انطلاقاً من البِنى والعلاقات والميول وما إلى ذلك. ونميّز أدناه بين مستويات مختلفة من التجريد والمحسوسيّة في التمثيل.

في ما يخصّ مسائل البحث الاجتماعيّ، أعود إلى مسألة الحاكمية (وأصناف الحاكمية) التي طرحتها في الفصل الثاني، لكن أتناولها الآن من منطلق إطار تحليليّ يرى في التمثيل تحديداً للسياق. وأعود أيضاً إلى مناقشة العالميّ والخاص، التي بدأتها في الفصل الثالث، انطلاقاً من طُرق الإرجاع إلى الفاعلين الاجتماعيين (بخاصة الإرجاع الشامل). أناقش أيضاً مسألة عمليّة الفعل (راجع «البنية وعمليّة الفعل» في ملحق المصطلحات الأساسيّة)، بخاصة كيفيّة تمثيل النصوص لعمليّة الفعل، مثال ذلك التساؤل ما إذا كان يتمّ تمثيل الفعال بطرق تُظهر دور الفاعلين أم بطرق تخفيه، وعن المغزى الاجتماعيّ والسياسيّ من هذا أو ذاك الخيار النصيّ.

وأخيراً أستند إلى دراسة دايفد هارفي[1] (David Harvey)، المُنظّر في الجغرافية، عن البناء الاجتماعيّ للزمان والمكان (المكان ـ الزمان)، وأنظر في كيفيّة «تفعيل» منظور هارفي في

(1) انظر تحليل العبارات «المتعدّد وظيفياً» في: David Harvey, *Justice, Nature, and the Geography of Difference* (Oxford: Blackwell, 1996).

التحليل النصي بطريقة تُثري تحليل ممثّليّات الزمان والمكان في النصوص.

العبارة من منظور تمثيليّ

وأنماط المعنى الثلاثة (الفعال، التمثيل، تحديد الهوية) كلّها موضع نقاش هنا في الوقت نفسه. وكلّ نمط يقدّم منظوراً معيّناً عن العبارة وفئات تحليليّة معيّنة. تناولتُ في الفصل السادس العبارة من منطلق المعاني الفِعاليّة، ويتضمّن ذلك دراسة فئات الوظيفة الكلاميّة (القول الخَبَري، القول الطلَبي. . . إلخ) والتركيب اللّغوي (القول التصريحيّ، الاستفهام، الأمر). ويختلف المنظور والفئات عندما نتناول المعاني التمثيليّة: يمكن اعتبار العبارات من هذا المنظور على أنها تملك ثلاثة أنماط أساسيّة من العناصر: السيرورات والمشاركين والظروف. على سبيل المثال، يوجد في «رأت لورا فيونا في لانكاستر» سيرورة («رأت») ومُشاركان («لورا»، «فيونا») وظرف («في لانكاستر»). وعامّةً، تتحقّق السيرورة كَفعل، والمُشارك كَفاعل أو مفعول يتعدّى إليه الفعل بحرف أو بغير حرف، والظرف كعناصر مختلفة من نوع المفعول فيه، كالمفعول فيه الذي للزمان أوالمكان (كما في المثال المذكور). يمكن تمييز كلّ عنصر إلى عدّة أنماط (مثال ذلك: أنماط مختلفة للسيرورة). وتتمايز العبارات من حيث **أنماط السيرورة** والمشاركين والظروف المُختارة للاستخدام فيها. لمزيد من التفاصيل، راجع أدناه.

الاستبعاد والاحتواء والبروز

تجمع الأحداث الاجتماعيّة بين عناصر مختلفة. نوضح من منطلق عريض ما الذي تحتويه:

أشكال النشاط
الأشخاص (مع معتقداتهم/ رغباتهم/ قيمهم... تواريخهم)
العلاقات الاجتماعية، الأشكال المؤسساتية
الموجودات
الوسائل (التقنيات...)
الأزمنة والأماكن
اللغة (وأنماط أخرى من سيرورات المعنى)

يمكن تناول النصوص من منظور تمثيليّ، انطلاقاً من معالجة عناصر الأحداث التي تحتويها ممثلّة هذه الأحداث وتلك التي تستبعدها، وداخل العناصر التي تحتويها تلك التي يتمّ إبرازها أو تكون ناتئة. ويمكن اعتبار هذا الإجراء مُقارنةً بين الممثليات المختلفة للأحداث نفسها، بالمعنى الواسع، وليس مقارنةً بين حقيقة الحدث وكيفيّة تمثيله في نصوص معيّنة (تثير هذه المقارنة مسألة كيفيّة تحديد الحقيقة بشكل مستقلّ عن ممثّلات معيّنة)[2].

على سبيل المثال نجد على علبة سيجار، من نوع معروف جدّاً، النص القصير الآتي:

إنّ أفضل أنواع التبغ تُختار من حول العالم لأجل هاملت (Hamlet). أوراق مُختارة، مقطوفة باليد، ومجفّفة ومخمّرة ومُهيّأة

(2) للاطّلاع على المعالجة التي نختارها في مجال المعنى التمثيليّ، انظر فان ليوين: T. Van Leeuwen, «Genre and Field in Critical Discourse Analysis: A Synopsis,» *Discourse and Society*, vol. 4, no. 2 (1993), pp. 192-223; «Representing Social Action,» *Discourse and Society*, vol. 6, no. 1 (1995), and «The Representation of Social Actors,» in: Carmen Rosa Caldas-Coulthard and Malcolm Couthard, eds., *Texts and Practices: Readings in Critical Discourse Analysis* (London: Routledge, 1996).

بعناية. ثمّ يبتكر خلاّطونا، بما لديهم من فنّ، هذا السيجار الفريد، من حيث اعتداله وسلاسته ومَلاسته.

هاملت

السيجار الفاخر

يتضمّن النصّ عناصر من الأحداث الاجتماعيّة الممثّلة، وهي أشكال النشاط (الاختيار، القطف، تجفيف أوراق التبغ. . . إلخ) والموجودات التي ينطبق عليها هذا النشاط (التبغ، الأوراق، السيجار). ويتمّ، على وجه الخصوص، إبراز أشكال النشاط: يمثّل هذا المثال القصير عدداً كبيراً من الأنشطة. ويشمل النصّ الأشخاص جزئيّاً («خلاّطونا»)، ويستبعدهم جزئيّاً: يُستبعد الذين يختارون أوراق التبغ ويقطفونها ويجفّفونها ويخمّرونها ويكيّفونها. كذلك يتمّ استبعاد العلاقات الاجتماعيّة والأشكال المؤسّساتيّة والوسائل (باستثناء «باليدّ») والأزمنة والأمكنة واللغة التي ترتبط بأنماط الأحداث الممثّلة (القطاف، وما إلى ذلك). يمكن ربط استبعاد هذه الأمور بالأشكال النحويّة للعبارات: نجد في السطور الأربعة الأولى صيغة المجهول وسيرورات ماديّة (مثال ذلك: «مُختارة»)، وفي ما يخصّ المشاركين يُستخدم الفاعل النحويّ للمجهول ـ نائب الفاعل ـ (مثال ذلك: «أوراق مُختارة») ولا يُذكر الفاعل (لا يقول النصّ مثلاً «على يد الفلاحين»)، ولا وجود لظروف الزمان والمكان.

قارن جُملة مُتخيّلة (ألّفتها أنا) من رواية:

عند اقتراب الظهيرة، بدأ بيدرو (Pedro) بنشاطِ قَطْع الأوراق عند الطرف الجنوبيّ للحقل، وكان يعلم أنّ الناظر سيبدأ أوّلاً بمراقبة هذا الجزء من الحقل بدقّة كبيرة.

يتضمّن ذلك أشكالاً من النشاط (مثال ذلك المصدر: «قطع»)

والأشخاص («بيدرو»، «الناظر») والعلاقات الاجتماعيّة (العلاقة بين العامل والناظر) والزمان («عند اقتراب الظهيرة») والمكان («عند الطرف الجنوبيّ للحقل»). وبالطبع، يمكن أن نجد ممثّليات أخرى مختلفة عن صناعة التبغ. ويمكن للمرء أن يقدّر المغزى الاجتماعي للممثّليّة على علبة «هاملت»، إذا اطّلعَ على إحدى السمات الأكثر جدليّة في الرأسماليّة المُعاصرة: إنتاج السلع لأسواق الدول الغنيّة نسبيّاً عن طريق اللّجوء إلى العمل المتدنّي الأجر وشروط العمل السيّئة في البلدان الفقيرة نسبيّاً. لقد اعتُبِرَ هذا، على نحو واسع، جزءاً من توزيع عالميّ للعمل يشوبه الاستغلال وانعدام العدالة. ويمكن بذلك أن يكون تسويق سلع كالسيجار في البلدان الغنيّة نسبيّاً أمرٌ دقيق، وليس من المُفاجئ أنْ تنزع طُرق تمثيل سيرورة الإنتاج إلى استبعاد علاقات الإنتاج وظروفه، وحتى العمّال المُنتجون - استبعاد عمليّة الفِعل.

لكن من التبسيط بمكان اعتبار الدافع وراء هذه الاستبعادات سياسيّاً فقط. لو كان الأمر كذلك، لماذا الإشارة أصلاً إلى سيرورة الإنتاج؟ يمكن اعتبار تمثيل سيرورة الإنتاج جزءاً من التركيز على تشييد صورة عن المُنتج تقدّمه كمُنتج ذي نوعيّة. ونوعيّة المواد والعناية والدّقة المتوخّاة في اختيارها وتحديد سيرورتها ظاهرة («أفضل»، «الفريد»، «بعناية»، «مُختارة»... إلخ) أو مستترة («باليد»، «مُختارة») في المفردات، وقد وُضعت التعابير المُميّزة («أفضل أنواع التبغ»، «أوراق مختارة»، «خلّاطونا، بما لديهم من فنّ») في مواقع بارزة، حيث إنّها تظهر في بداية العبارات («موقع موضوع الكلام»). تُعطى الأهميّة في المثال المذكور للمَوجودات (المواد الخام، المُنتجات) والأنشطة التي تتناولها، وليس للأشخاص الذين يقومون بهذه الأنشطة، ولا علاقات الإنتاج الاجتماعيّة.

الممثليات المحسوسة والمجردة للأحداث

يمكن تمثيل الأحداث الاجتماعيّة على عدّة مستويات من التجريد والتعميم. نميّز عادة بين ثلاثة مستويات من المحسوسيّة/ التجريد:

> الأكثر محسوسيّة: تمثيل أحداث اجتماعيّة معيّنة
> الأكثر تجريداً/ تعميماً: تجريد يتخطّى سلسلة ومجموعات من الأحداث الاجتماعيّة
> الأكثر تجريداً: تمثيل على مستوى الممارسات الاجتماعيّة أو البنى الاجتماعيّة.

تدخل كتابة إعلان «هاملت» في مستوى وسط من التجريد، فهو لا يمثّل أحداثاً اجتماعيّة محسوسة ومعيّنة، لكن سلسلة من الأحداث الاجتماعيّة المتكرّرة. بالمقابل، تمثّل الجملة التي ألّفتُها حدثاً معيّناً ومحسوساً. أمّا وثيقة سياسة الاتّحاد الأوروبيّ (النصّ الرابع) فتمثّل العالم الاجتماعيّ بطريقة مجرّدة. إنّها تمثّل العولمة كَسيرورة تغيير اجتماعيّ، انطلاقاً من العلاقات بين السيرورات الاقتصاديّة («تدمير الأنشطة المندثرة وتوليدُ أنشطة جديدة») والتغيّر النفسيّ الاجتماعيّ («انتشارُ الشعور بالانزعاج، وغياب المساواة، والاستقطاب») والمبادرات السياسيّة («إحداث الإصلاحات الضروريّة») الممثّلة بتعابير تعاونيّة، إذ تُنجزها الحكومة وأرباب العمل والنقابات.

من المُلاحَظ أن عمليّة الفعل مسألة مطروحة عند الحديث عن السيرورات الاقتصاديّة، كما هي مطروحة بخصوص إعلان «هاملت». يتمّ تمثيل «التقدّم الاجتماعيّ» كَسيرورة من دون حضور بشريّ واجتماعيّ وفاعلين. وتحوي الجملة الثانية من النصّ الرابع

عدداً من التحويلات الاسميّة وأسماء السيرورة (راجع أدناه لقراءة شرح هذه المصطلحات): «التقدّم»، «التدمير»، «الأنشطة»، «التوليد». يمكن اعتبار كلّ واحدٍ من هذه المصطلحات مصطلحاً يُرجع إلى، ويعمّم انطلاقاً من، مجموعة من الأحداث يقوم أشخاص بدور فيها. لذلك من المنطقيّ أن نسأل: من الذي «يتقدّم» (ومن الذي لا «يتقدّم») اقتصادياً؟ من الذي يقوم بأمور «مندثرة»؟ (ولماذا هي مندثرة؟) من يدمّر، ومن يولّد؟ يمكن اعتبار الفاعلين الاجتماعيين، القائمين بالسيرورات الاقتصاديّة، مُستبعدين في النصّ المذكور - إنّها «لُعبة» من دون لاعبين اجتماعيّين. في الوقت نفسه، تنتقل عمليّة الفعل إلى سيرورات وكيانات مجرّدة. إنّ «التقدّم الاقتصاديّ» (أو ربّما «معدّل التقدّم»، ليس ما تعود إليه «ذلك» في الجملة الرابعة واضحاً في النصّ) هو الذي «يفرض إصلاحات عميقة وسريعة»، و«الاقتصاد العالميّ» هو الذي لديه «طلبات»، وخطر «مغادرة» «المَوارد» إلى أجزاء أخرى من العالم أمرٌ قائم. من المُلاحظ أنّ انتقال «الموارد» يُمثّلُ كسيرورة من دون مفعول به (في المقابل، يمكن أن تكون سيرورةً بمفعول، كأن نقول «سينقل الناس الموارد»)، وأنّ «الموارد» مُشخصنة (إنّها، كما الناس، يمكن أن تُسافر بحثاً عن فُرصٍ أفضل).

عندما تكون الممثليات معمّمةً أو مجرّدة، نحتاج إلى أن نعالج عن قرب، على وجه الخصوص، كيفيّة تصنيف الأشياء، «نسق التصنيف» التي يتمّ الاستناد إليها لتقديم «تقسيم» للواقع الاجتماعي، تقسيم، تصنيف، يشكّل «رؤيةً»(3). تحوي نُسق التصنيف التي يستند إليها النص الرابع تقسيماً ضمنيّاً بين «التقدّم» الاقتصاديّ وما يناقضه

(3) Bourdieu and Wacquant, *An Invitation to Reflexive Sociology.*

(غير مذكور، لعلّه «الركود»، «الانكماش الاقتصاديّ»)، وبين «التماسك الاجتماعيّ» والتفتيت الاجتماعيّ (أو «الاستقطاب»)، وتقسيماً للعالم (إلى حدّ ما)، وفقَ مبدأ توفير «الفُرَص»، إلى أجزاء «واعدة» وأخرى «غير واعدة»، وتصنيفاً ثلاثيّاً للقائمين بالفعل المُهيمِنين في حقل السياسات («الحكومة»، «النقابات»، «أرباب العمل»). يمكن جزئيّاً اعتبار الاختلافات بين ضروب الخطاب، اختلافاً بين «الكلمات الأساسيّة» في مفرداتها (مثال ذلك: «التقدّم»، «التماسك الاجتماعي»)، لكن من المُجدي أكثر اعتبار هذه الاختلافات اختلافاتٍ في نُسق التصنيف.

التمثيل باعتباره تجديدَ سياق

يمكننا دمجُ المسألة التي ناقشناها أعلاه (الاستبعاد، الاحتواء، البروز، والتمثيل المجرد/ المحسوس) في رؤية أوسع تعتبر تمثيل الأحداث الاجتماعيّة تجديداً للسياق. ولقد ناقشتُ هذا المصطلح في الفصل الثاني عند تناولي أصناف الحاكمية. عندما يقوم المرء بتمثيل حدثٍ اجتماعيّ يَدمُجه في سياق حدث اجتماعيّ آخر، ويكون بذلك قد جدّد سياقه. يرتبط بالحقول الاجتماعيّة المعيّنة، وشبكات المُمارسات الاجتماعيّة المعيّنة، والأصناف المعيّنة التي تشكّل عناصر في شبكات الممارسة الاجتماعيّة هذه، «مبادئ لتجديد السياق» خاصة بها[4]. ويتمّ وفقَ هذه «المبادئ» استيعاب الأحداث الاجتماعيّة وتجديد سياقها. وهذه المبادئ هي أساس الاختلافات بين طُرق تمثيل أيّ نمط معيّن من الأحداث الاجتماعيّة في حقول وشبكات ممارسات اجتماعيّة وأصناف مختلفة. وتُنتقى عناصر الأحداث الاجتماعيّة و«تُغربل» وفقَ

(4) Basil Bernstein, *The Structuring of Pedagogic Discourse* (London: Routledge, 1990).

مبادئ تجديد السياق هذه (تُستبعد بعض العناصر، ويتمّ احتواء أخرى وإبرازها بدرجات متفاوتة). كذلك تؤثّر هذه المبادئ في درجة التجريد والمحسوسيّة في تمثيل الأحداث الاجتماعيّة، وإمكانيّة تقييم الأحداث وشرحها وشرعنتها، وكيفيّة إتمام ذلك، والترتيب الذي تُمثّل الأحداث وُفقه. نختصر كلّ ذلك كالآتي:

- **الحضور**

ما هي عناصر الأحداث، أو الأحداث التي في سلسلة أحداث، الحاضرة/ الغائبة، البارزة/ التي في الخلفيّة؟

- **التجريد**

ما هي درجة التجريد/ التعميم انطلاقاً من الأحداث المحسوسة؟

- **التنسيق**

في أيّ ترتيب توضع الأحداث؟

- **الزيادات**

ما الذي زيدَ في تمثيل الأحداث ـ شروحات/ شرعنات (الموجِبات، الأسباب، الأهداف)، تقييمات؟

وَسّعَ فان ليوين (Van Leeuwen) وجهة نظر مُشابهة عن التمثيل أساسها حذف العناصر وزيادتها وإبدالها وإعادة تنسيقها.

لِنُقارن بين النّصّين الثاني عشر والرابع (راجع المُلحق) بالاستناد إلى المصطلحات المذكورة. كِلا النصّين يحوي ممثّليات لتأثيرات نفسيّة اجتماعيّة واسعة يتعرّض لها الناس من مُستخدَمين وعمّال بسبب الاقتصاد. النصّ الثاني عشر مأخوذ ممّا يصفه المؤلّف بـ «مقال» يسعى إلى توسيع «محاجّة» واحدة موضوعها نتائج الرأسماليّة «المرنة» الجديدة على «الشخصيّة»، مُركِّزا على «تجارب الأفراد المحسوسة» التي جَمعها من خلال «استكشاف الحياة اليوميّة حولي»، إلى حدٍّ بعيد،

كما يقوم بذلك عالم الإناسة (anthropologist)». ومع أنّ التفاصيل عن الأشخاص والأماكن والظروف قد بُدّلت لإخفاء الأسماء الحقيقيّة، فهدف المؤلّف «إظهار معنى» مُشاهداته. والأحداث الاجتماعيّة المُمثّلة هي سلسلة من اللّقاءات والمُحادثات (وهي، بوساطة التجريد، بنى وممارسات اجتماعيّة)، شاركت فيها مجموعة من مُبرمجي آي بي آم (IBM) سُرّحوا من عملهم، حيث يتمّ تمثيل سلسلة من الأحداث المرتبطة بخسارة المُبرمجين لعملهم. من حيث «الحضور»، نجد الأشخاص والأماكن على وجه الخصوص بارزين في تمثيل المؤلّف لِلقاءات المذكورة، كذلك العلاقة بين أنماط النشاط والأشخاص والأماكن بارزة أيضاً. زمن الأحداث غير محدّد، ويُفترض وجود سلسلة من الأحداث تمّت ضمنها اللّقاءات، لكنّ ذلك غير محدّد (مثال ذلك: كيف توصّل المبرمجون إلى البدء بعقد هذه الاجتماعات المنتظمة؟). ومستوى التجريد منخفض، يتمّ تمثيل الأحداث بمحسوسيّة، لكن هناك تعميم يشمل سلسلة من الأحداث - يعرض النصّ خصائص سلسلة من الاجتماعات خَبِرها الكاتب. أما مسألة التنسيق، فغير مطروحة بالفعل، لأنّ التركيز قائم على حدث واحد يتكرّر، ليس انطلاقاً من عرض سرديّ لامتداد ذلك الحدث عبر الزمن، بل من خلال وصف تحليليّ متصاعد للسمات الأساسيّة (كيفيّة جلوس الناس، هويّة المتكلّم به على وجه الخصوص، كيفيّة توزّع الناس في المقهى). يمكن اعتبار جزء من ذلك تحويلاً للفاعلين الاجتماعيين إلى «أدوار»[5]. في ما يخصّ «الزيادات»، زيد في تمثيل اللّقاءات عنصر تقييم (على سبيل المثال، في انتقاء التفاصيل، كقوله «القمصان البيضاء وربطة العنق الغامقة»)، لكن لم يُزد أيّ شرح

(5) Mieke Bal, *Narratology: Introduction to the Theory of Narrative*, 2nd Ed. (Toronto: University of Toronto Press, 1997).

وشرعنة. من الواضح أنّ مبدأ تجديد السياق لهذا الشكل من الكتابة الاجتماعيّة يشدّد على خصوصيّة الأحداث المحسوسة (في هذه الحالة، طِراز مُنتظم للأحداث) وأماكنها والأشخاص المشتركين فيها.

في المقابل، يمثّل النصّ الرابع، وثيقة سياسات الاتّحاد الأوروبيّ، سلسلات ومجموعات معقّدة جدّاً من الأحداث الاقتصاديّة والاجتماعيّة الماضية والحاضرة والمتوقّعة، على مستوى عالٍ من التجريد ـ لا نجد فقط تعميماً انطلاقاً من سلسلات ومجموعات معقّدة من الأحداث (مثال ذلك: تدمير «الأنشطة المندثرة»)، وتجريداً في ذكر نواحٍ منتشرة في مجموعات وسلسلات من الأحداث (مثال ذلك: «التماسك الاجتماعيّ»)، لكن أيضاً أعلى مستوى من التجريد في العلاقات البنائيّة (مثال ذلك: العلاقات البنائيّة بين التماسك الاجتماعيّ و«الفعاليّة» و«التأقلم» في الجملة السابعة). والعنصر الحدثيّ الحاضر والبارز بشكل دائم هو أشكال النشاط (ماديّ: «تدمير»، عقليّ: «تطلّعات»)، يُذكر معه أحياناً أشخاص («الناس»، «الحكومات». . . إلخ) أو موجودات («أنشطة مُندثرة»)، وفي معظم الأحيان يُذكر من دون هذين العنصرين. وليست سلسلة الأحداث ومجموعاتها المعيّنة (مثال ذلك: تدمير «الأنشطة المندثرة») محدّدة في الزمان والمكان ـ يتحوّل غياب الفارق في المكان إلى موضوع العبارة («في جميع البلدان»). لكن يصبح الزمن مهمّاً في تنسيق وجَدولة ممثّليّات الأحداث هذه، الشديدة التجريد، من حيث علاقتها ببعضها في النصّ: بخاصةٍ عند تنظيم العلاقة بين «الواقع» و«اللاواقع»، العالم الحقيقيّ (الماضي/ الحاضر) والعالم الذي تتوقّعه السياسة وتطلبه (مثال ذلك: بين «العولمة» [«التطور»، «التدمير»، «الابتكار»] و«التعديلات» و«الإصلاحات»). وأحياناً تكون هذه العلاقات علاقات سببيّة، على سبيل المثال، تحدّد جملة «ينتج من الإخفاق في التحرّك سريعاً وبشكل حاسم خسارةٌ في الموارد»

علاقة سبب إلى نتيجة بين الفشل (الحالي) والخسارة (المقبلة، المتوقّعة). تحوي الزيادات تقييمات وشرعنات وشروح (مثال ذلك: تُشرْعِن الجملةُ الثالثة الجملةَ الرابعة، ويقيّم «الانفصام بين آمالهم وطموحاتهم من جهة، ومتطلّبات اقتصاد عالميّ من جهة أخرى» بشكلٍ سلبيّ ـ من قرائن التقييم السلبيّ استخدام كلمة «خطر»).

ناقشتُ «أصناف عمليّة الحكم» في الفصل الثاني، واعتبرتها أصنافاً مرتبطة بشبكات من الممارسات الاجتماعيّة التي تختصّ بتنظيم (شبكات) الممارسات الاجتماعيّة الأخرى، وتتحكّم بها («تسوسها»). وتشكّل وثائق السياسات المذكورة أحد أصناف الحاكمية. وعندما يتمّ تجديد سياق ممارسات اجتماعيّة أخرى في وثائق السياسات، من المتوقّع (هذا جانب من مبدأ تجديد السياق نجده موضع تطبيق في مثل الوثائق المذكورة) أن توجد درجة عالية من التجريد والتعميم انطلاقاً من أحداث محسوسة، وأن تحدّد العلاقات السببية والزمنيّة بين التجريدات، كما في المثال المذكور. ووثائق السياسات مهمّة في الربط بين المستويات ـ يتمّ التعميم انطلاقاً من الكثير من الحالات المحليّة (وبذلك يُقمع الاختلاف ـ انتقاد مُعتاد) بهدف تقديم طروحات تَثْبُت ويكون لها استتباعات في السياسات الوطنيّة والدوليّة.

تمثيل السيرورات وما يرتبط بها من مُشاركين وظروف

يمكننا التمييز بين عدد قليل من أنماط السيرورات الأساسيّة، التي تختلف بعضها عن بعضٍ من حيث المشاركين الأساسيّين، الذين يحدّدونها بحضورهم، وأنماط الظروف المرتبطة بهم[6]:

---

(6) قارن مع ما جاء عند هاليداي، وفان ليوين: Halliday, *An Introduction to Functional Grammar*, and T. Van Leeuwen, «Representing Social Action,» *Discourse and Society*, vol. 6, no. 1 (1995), pp. 81-106.

نمط السيرورة	المُشاركون الأساسيّون	الظروف
ماديّ	فاعل، مُتأثر	الزمان، المكان، الغاية، المُبرِّر، الطريقة، الوسائل
كلاميّ	فاعل	
عقليّ	المُجرِّب، الظاهرة	الزمان، المكان، المبرِّر
علائقيّ (1)	الحامل، الخاصيّة	
علائقيّ (2)	العلامة، القيمة	
وجوديّ	الموجود	

في ما يخصّ الظروف، تنقسم أنماط السيرورات إلى مجموعتين رئيسيّتين: تتيح السيرورات الماديّة والكلاميّة مجموعة أوسع من الظروف من تلك التي تتيحها السيرورات العقلية والعلائقيّة والوجوديّة. ويوجد نمطين أساسيّين من السيرورات الماديّة: متعدٍّ (فاعل + سيرورة + مُتأثر، مثال ذلك: «تزيد العولمة من الخيار والحريّة») وغير متعدٍّ (فاعل + سيرورة، مثال ذلك: «يركض جان»، أو مُتأثّر + سيرورة، مثال ذلك: «المجتمعات تتغيّر حاليّاً». في الحالة الأولى تكون السيرورة «فعلاً»، وفي الثانية «حدثاً». ويمكن أن تكون السيرورات الماديّة المتعدّية مبنيّة للمعلوم أو للمجهول (مع احتمال أن تكون الجملة في الإنجليزيّة مبنيّة للمجهول وتحوي أو لا تحوي «فاعلاً» دلاليّاً)، مثال ذلك: «رُفع مستوى الاختيار والحريّة»، من دون فاعل دلاليّ، أو «رُفع مستوى الاختيار والحريّة من قبل العولمة»(*): تحوي فاعلاً دلاليّاً. إليكم تحليل توضيحي للنصّ الثاني عشر. بسّطت التحليل نوعاً ما، وذلك بتحليل الأجزاء التي تحتها خطّ فقط:

(*) تركيب ضعيف جداً في العربية، لكن أبقيت عليه ليفهم القارئ المقصود.

1 - إنّ مقهى رياح النهر (The River Wind Café)، غير البعيد عن مكاتب جيراني القدماء، مُلتقى مَرح لآكلي الهمبورغر، (علائقيّ - 1، حامل + سيرورة + مستترة في العربيّة + خاصيّة)

2 - كان لا يؤمّه في ساعات النهار إلاّ النساء خلال جولات تبضّعهنّ أو (ماديّ، سيرورة + مُتأثّر + فاعل)

3 - المُراهقون المتجهّمون يمضون الوقت بعد المدرسة. (ماديّ، قائم بالفعل + سيرورة + مُتأثّر)

4 - في هذا المكان (علائقيّ - 2، علامة + سيرورة مستترة + قيمة)

5 - سمعتُ لابسي القمصان البيضاء وربطة العنق الغامقة هؤلاء ينظّمون حِكاياتهم (عقليّ، سيرورة + مُجَرِّب + ظاهرة)

6 - الذين يُداعبون أكواب القهوة (ماديّ، فاعل + سيرورة + مُتأثّر)

7 - جالسين منتبهين وكأنّهم في اجتماع عمل (ماديّ، سيرورة + فاعل)

8 - لابسو القمصان البيضاء وربطة العنق الغامقة هؤلاء ينظّمون حِكاياتهم (ماديّ، فاعل + سيرورة + متأثّر)

9 - يشكّلون زمرة من خمسة إلى سبعة رجال يلازمون بعضهم (ماديّ، سيرورة + فاعل)

10 - كانوا مبرمجي حواسيب مركزيّة ومحلّلي منظومات في شركة آي بي أم القديمة. (علائقيّ - 1، سيرورة + حامل + خاصيّة)

11 - كان أكثرهم ثرثرة جايسون (Jason)، وهو محلّل منظومات. . . وبول (Paul)، مُبرمج أصغر سنّاً (علائقيّ - 2، سيرورة + قيمة + علامة)

12 ـ الذي أمضى عشرين عاماً تقريباً في الشركة (علائقيّ ـ 1، سيرورة + حامل هو فاعل مستتر+ ظرف)
13 ـ الذي أقاله جايسون من عمله في الموجة الأولى من التسريح. . . (ماديّ، سيرورة + مُتأثر + فاعل)

يوجد نمطان من السيرورات لم تعطَ أمثلة عليهما هنا: كلاميّ ووجوديّ. يمكن إعادة صياغة الجملة الثامنة لتصبح سيرورة كلامية (تكلّم لابسو القمصان البيضاء وربطة العنق الغامقة هؤلاء عمّا حصل معهم)، والجملة الأولى لتصبح سيرورة وجوديّة (يوجد مقهى غير بعيد عن مكاتب جيراني القدماء اسمه مقهى رياح النهر).

تمثليات استعاريّة (غير مُطابقة) للسيرورات

يوسّع هاليداي[7] (Halliday) مفهوم «الاستعارة» من تطبيقه الاصطلاحيّ على معاني الكلمات ليشمل النحو. يمكن التمييز، في ما يخصّ التمثيل، بين الممثليات «المُطابقة» (أو «اللااستعاريّة») والممثليات «الاستعاريّة». وهذا تمييز مفيد، لكنه موضع إشكال، وهو كذلك لأنّه يمكن تفسير استخدام قولنا «مُطابقة» على أنّه إعلان عن أنّ الأحداث أو المُمارسات أو البِنى «واقعيّة»، أيّاً كانت الممثليات المعيّنة المرتبطة بها. الاحتمال الآخر هو اعتبار «المُطابقة» مفهوماً واسعاً يشير إلى ممثليّة الأحداث، وما إلى ذلك، «الاعتياديّة»، «غير الموسومة»، أكثر من غيرها. تبقى «المُطابقة» موضع إشكال، لكنّها تعبّر عن تمييز مُفيد بين تمثيل السيرورات كسيرورات، على سبيل المثال، مُقابلَ تمثيلها ككيانات. على سبيل المثال، كما أشرتُ أعلاه، يمكن القول، بمعنى من المعاني، إنّ

(7) Halliday, Ibid.

«التقدّم الاقتصاديّ» و«تدمير (الأنشطة المُندثرة)» و«الأنشطة» و«ابتكار (أنشطة جديدة)» هي مجموعات وسلسلات معقّدة تُرجع إلى أحداث يُشارك فيها أناس يقومون بأمورٍ أو تحصل لهم أمور. عندما يظهر ذلك في الممثليات، يمكن اعتبارها مُطابقة: تُعتبر «يُنتج المستخدمون في المعمل جسورَ فولاذ» مُطابقة، بينما «أنشطة» ليست مُطابقة، هي استعارة نحويّة، سيرورات تمّ تمثيلها استعاريّاً كَكيانات تعمل دلاليّاً كأيّ كيانات أخرى (مثال ذلك قولنا: يمكن تدميرها). تُمثّل الكيانات والأشياء (وكذلك الأشخاص) تمثيلاً لسانيّاً مُطابقاً كَأسماء، في حين تمثّل السيرورات تمثيلاً لسانيّاً مُطابقاً كَأفعال، يصحبها فاعلون نحويّون ومفاعيل وما إلى ذلك.

إن «أنشطة» و«تقدّم» هما اسما سيرورة: إنهما جزء من المفردات الاسميّة، لكنّهما ينتميان إلى فئة فرعيّة معيّنة لها ارتباط خاص بالأفعال (وبناء على ذلك، بالسيرورات أيضاً). وفي المُقابل، عادةً ما تُعتبر كلمتا «التدمير» و«الابتكار» تحويلَين اسميّين - هناك علاقة شفّافة بين «التدمير» و«يدمّر الناس أشياء»، وبين «الابتكار» و«الناس يبتكرون أشياء»، ممّا يجعل من السهل اعتبار التعبير الأوّل في كلّ حالة «تحويلاً اسميّاً للتعبير الثاني»، تحويلاً للفعل إلى كلمة شبيهة بالاسم، دلاليّاً تحوّلت السيرورة إلى كيان.

ويتّسم التحويل الاسمي بـ«خسارة» بعض العناصر الدلاليّة من العبارة - خسارة زمن الفعل (تعادل «التدمير» «دُمّر» و«يُدمَّر» و«سيُدمَّر») والموقفية (التمييز بين «إنه» و«قد يكون» و«يجب أن يكون». . . وما إلى ذلك). ويمكن أن يشمل استبعاد المُشاركين من العبارات: في المثال المذكور لا توجد أسماء سيرورة أو تحويلات اسميّة تملك فاعلاً دلاليّاً (يكون هذا الأخير عادةً هو الفاعل النحويّ في العبارة). وكما ذكرتُ سابقاً، ليس مُحدّداً في المثال من الذي

يتقدّم أو يقوم بالفعل أو يُدمّر أو يَبتكر. التحويل الاسمي مصدر تعميم وتجريد انطلاقاً من أحداث معيّنة وسلسلة أو مجموعات من الأحداث، وهو لذلك مورد لا بديل عنه في الخطاب العلميّ والتقنيّ[8]، كما في الخطاب الحكوميّ[9]. وكما ذكرتُ سابقاً، يمكن أن يمحو التعميمُ والتجريد، في أصناف عمليّة الحكم مثلاً، الاختلاف أو حتى يكتمه. ويمكن أيضاً أن يُعتّم على عمليّة الفعل، وبالتالي على المسؤوليّة والتقسيم الاجتماعيّ. في النصّ الذي درسناه مثلاً، تمّ إتلاف السؤال عن هويّة الذي يتقدّم والذي لا يتقدّم والذي يُدمّر والذي يمكن أن يكون مسؤولاً عن التدمير والذين نتحدّث عن أرزاقهم. . . إلخ.

تستلزم ممثليات الأحداث والأنشطة والسيرورات الاختيار (بالطبع، ليس من المُعتاد أن يكون الاختيار واعياً) من أنماط سيرورات، وهنا أيضاً يمكن اعتبار بعض الخيارات مُطابقة والأخرى استعاريّة. على سبيل المثال، يمكن اعتبار السيرورتين (ما تحته خطّ) في «أصبح معدّل التقدّم أسرع، واتّخذت اللّعبة أبعاداً عالميّة» من النمط العلائقيّ الأوّل ـ تُعادل «اتّخذت» «أصبحت» (النمطان الفرعيان في هذه السيرورة العلائقيّة هما «الكينونة» و«الامتلاك»). يتمّ تمثيل «الإسراع» و«العولمة» كأشياء حضرت، وليس كأمور تسبّبَ بها فاعلون (مثال الفاعلين: الاتفاقات الدوليّة بين الحكومات، سياسات مجالس الشركات). في ضرب آخر من الخطاب، بعض أشكال الخطاب الماركسيّ أو المُناهض لِلعولمة، يمكن تمثيل «الإسراع»

(8) Michael Halliday and J. Martin, *Writing Science: Literacy and Discursive Power* (London: Falmer, 1993).

(9) Jay L. Lemke, *Textual Politics: Discourse and Social Dynamics* (London: Taylor & Francis, 1995).

و«العولمة» كَنتائج لِفاعلين تسبّبوا بهما، ويمكن أن تكون أنماط السيرورات المرتبطة بهما مادّية. (راجع النصّ الثالث عشر في المُلحَق).

يتضمّن النصّ الثاني عشر عدداً من الممثليات عن المبرمجين، بما في ذلك: «خسروا وظائفهم»، «تُركوا يغادرون»، «العاملون المسرّحون»، «التسريح». تحوي عبارة «تُركوا يُغادرون» فعلاً مركّباً فيه عنصر متعدٍّ («تُرِك») وفعلاً لم يُستخدم كمتعدٍّ («غادر»)، والعبارة مبنيّة للمجهول، لا فاعل لها، ففاعل «تُركوا»، المسؤول عن التسريح غير مذكور. وهذا مهمّ دلاليّاً، إذ إنّ ما كان يمكن اعتباره علاقة مُطابقة فيها فاعل وسيرورة ومتأثّر (كما في «سرّحهم المدير» مثلاً) أُعرب عنه استعاريّاً بالسّماح للمبرمجين («تُركوا) بالتصرّف («يُغادرون»). بالنسبة إلى «خسروا وظائفهم»، يمكن القول بوجود سيرورة متعدّية ومادّيّة ومُطابِقة وللمُبرمجين فيها دور المتأثّر، وقد أُعرب عن هذه السيرورة استعاريّاً بسيرورة متعدّية ومادّيّة وللمبرمجين فيها دور الفاعل (كما لو كانوا هم المسؤولين عن فقدانهم وظائفهم). «مسرّحون» اسم مفعول، يختزل الفعل المبني للمجهول (قارن بـ «سُرّحوا)، ويصف اسماً، أمّا «التسريح» فتحويل اسميّ: يمكن اعتبار نمط السيرورة مُطابقاً في هاتَين الحالتين، لكنّ الفاعل محذوف.

يمكن اعتبار دراسة طبيعة الاستعارات النحوية وتوزيعها دراسةً دقيقةً إحدى الطرق المُنتجة عند البحث في فعاليّة النصوص ضمن ترتيب اجتماعيّ معيّن، وفي سيرورات التغيير الاجتماعيّ. على سبيل المثال، يقترح غراهام[10] (Graham) اعتبار «سيرورة الاستعارة»

(10) Philip Graham, «Space: Irrealis Objects in Technology Policy and their Role in a New Political Economy,» *Discourse and Society*, vol. 12 (2001), pp. 761-788.

التعبير الاستعاريّ عن السيرورات في العالم الحسيّ، جانباً مهمّاً جداً في صنف واسع التأثير في الرأسمالية الجديدة، هو تشكيل السياسات: «في صنف السياسات، سيرورة الاستعارة أداة ذات قدرة عالية على الإعراب عن النشاط الإنسانيّ المستقبليّ (الزمن) وكأنه بُعدٌ شبه مكانيّ، موجودةٌ تشبه الواقع (المكان)».

ممثّليات الفاعلين الاجتماعيّين

كما توجد خيارات في تمثيل السيرورات، كذلك هناك خيارات في تمثيل الفاعلين الاجتماعيّين. ويكون هؤلاء عادةً مُشاركين في العبارات، مع أنّهم قد لا يكونون كذلك (يمكن أن يشكّلوا جزءاً من الظروف)، وليس كلّ المُشاركين فاعلين اجتماعيّين ـ يمكن أن يكونوا مثلاً موجودات محسوسة (قارن المشاركين في «صدمت سيارةٌ ماري»، «صدمت السيارةُ صخرة» [ترجمة أفضل: «اصطدمت السيارة بصخرة»]: كل من «ماري» و«صخرة» مفعولان به، أي مُشاركان، لكن «ماري» فقط فاعل اجتماعيّ).

يمكننا وصف الخيارات المتوفّرة في تمثيل الفاعلين الاجتماعيّين وفق المتغيّرات الآتية[11]:

- **الاحتواء/ الاستبعاد**

سبق وناقشنا هذه النقطة أعلاه، بمعناها العام، من حيث علاقتها بتمثيل الأحداث الاجتماعيّة. يمكن التمييز بين نمطين من الاستبعاد للفاعلين الاجتماعيين:

أ) الطمس: أي عدم التواجد في النصّ بتاتاً

(11) يتحدّث فان ليوين عن عددٍ أكبر بكثير من المتغيّرات، انظر: Van Leewen, «The Representation of Social Actors».

ب) التواجد في الخلفيّة: أي ذكر المُستبعَد في مكان ما في النصّ، لكن نحتاج أن نستدلّ عليه في مكان أو أكثر

- **الضمير/ الاسم**

هل يتحقّق الفاعل الاجتماعيّ كضمير (للمتكلّم المفرد، للغائب المذكّر المفرد، للمتكلّم الجمع، للمُخاطب. . . إلخ) أو كاسم؟

- **الدّور النحويّ**

هل يتحقّق الفاعل الاجتماعيّ كَمُشارك في العبارة (مثال ذلك: قائم بالفعل، مُتأثّر)، أو في المُركّب الظرفيّ (مثال ذلك: ركن يبدأ بحرف، كما في «اقتربت من جون»)، أو كَضمير امتلاك أو إضافة تدلّ على امتلاك («صديقنا»، «صديق وفاء»).

- **«تقديمهم كَناشطين»/ «تقديمهم كتقبّليين»**

هل الفاعل الاجتماعيّ هو الفاعل في السيرورات (عامةً، الذي يقوم بالأشياء ويجعل الأمور تحصل)، أم إنّه المتأثّر أو المستفيد (عامةً، الذي تؤثّر فيه السيرورات)؟

- **شَخصيّ/ غير شَخصيّ**

يمكن تمثيل الفاعلين الاجتماعيّين بطريقة غير شخصيّة، كما يمكن تمثيلهم بطريقة شخصيّة ـ على سبيل المثال، استخدام «قذرين» للإشارة إلى الشرطة يمثّلهم بطريقة غير شخصيّة.

- **تسميتهم/ تصنيفهم**

يمكن تمثيل الفاعلين الاجتماعيّين بأسماء علم (مثال ذلك: «فريد سميث») أو وفق نوع أو فئة (مثال ذلك: «الطبيب»). وفي حالة التصنيف يمكن الإرجاع إليهم باعتبارهم أفراداً (مثال ذلك: «الطبيب») أو كمجموعات (مثال ذلك: «الأطبّاء»، «أطبّاء»).

• **المُعيَّن/ الشامل**

عند تصنيف الفاعلين الاجتماعيّين، يمكن تمثيلهم بشكل مُعيَّن أو شامل: على سبيل المثال، يمكن أن تُرجع «الأطبّاء» إلى مجموعة معيَّنة من الأطبّاء (مثال ذلك: الأطبّاء الذين يعملون في مستشفى معيّن)، أو إلى نوع الأطبّاء عامّةً، جميع الأطبّاء (مثال ذلك: «يعتبر الأطبّاء أنفسهم آلهة»).

كتبتُ ممثّليات الفاعلين الاجتماعيّين في المقتطف من كتاب ريتشارد سينيت (Richard Sennett) **تآكل الشخصية** (*The Corrosion of Character*) (راجع النصّ الثاني عشر) بخطّ مائل، ووسمت الاستبعادات بـ «^».

كنتُ (ضمير المتكلّم) غالباً أفكّر بليبمان (Lippmann) وأنا أساعد مجموعة من مبرمجي الحواسيب المتوسطي العمر الذين كنت أعرفهم (ضمير المتكلّم): لقد أقيلوا ^ (ضمير الغائب) حديثاً من وظائفهم في مكتب آي بي أم (IBM) أميركيّ. كانوا (ضمير الغائب)، قبل أن يخسروا (ضمير الغائب) وظائفهم، مقتنعين قناعة تامّة بأنّ حياتهم المهنيّة ستستمرّ (ضمير الغائب) بالنموّ على المدى الطويل. وباعتبارهم مُبرمجي تِقانة متقدّمة، كان من المتوقع أن يكونوا (ضمير الغائب) أسياد العلم الجديد. لكن بعد أن تُركوا يُغادرون ^ (ضمير الغائب)، أصبح عليهم أن يَجدوا (ضمير الغائب) تفسيرات أخرى للأحداث التي حطّمت حياتهم (ضمير الغائب). لم يكن باستطاعتهم (ضمير الغائب) بِناء رواية بديهية وعفويّة تشرح أسباب فشلهم (ضمير الغائب)... إنّ مقهى رياح النهر (The River Winds Café)، غير البعيد عن مكاتب جيراني القدماء، مُلتقى مَرح لآكلي الهمبورغر، كان لا يؤمّه في ساعات النهار إلاّ النساء خلال جولات تبضّعهنّ أو المُراهقون المتجهون

يمضون الوقت بعد المدرسة. في هذا المكان سمعت (ضمير المتكلّم) لابسي القمصان البيضاء وربطة العنق الغامقة هؤلاء ينظّمون حكاياتهم (ضمير الغائب)، وهم يُداعبون (ضمير الغائب) أكواب القهوة، جالسين منتبهين وكأنّهم في اجتماع عمل. يشكّلون زمرة من خمسة إلى سبعة رجال يلازمون بعضهم. كانوا (ضمير الغائب) مبرمجي حواسيب مركزيّة ومحلّلي منظومات في شركة أي بي أم القديمة. كان أكثرهم ثرثرة جايسون (Jason)، محلّل منظومات أمضى عشرين عاماً تقريباً في الشركة، وبول (Paul)، مُبرمِج أصغر سنّاً أقاله (ضمير الغائب المفعول به - الهاء -) جايسون من عمله في الموجة الأولى من التسريح.

الفاعلون الاجتماعيون الأساسيّون الذين يحتويهم النصّ هم المُبرمجون والمؤلّف (ضمير المتكلّم)، أمّا الذين قاموا بالطرد (كِبار المديرين؟) فمُستبعدون. والفاعلون الاجتماعيون مُشاركون (مثال ذلك: «كانوا - ضمير الغائب للجمع - مبرمجي حواسيب مركزيّة»)، أو مُضاف إليهم دالّون على ملكيّة («مكاتب جيراني القدماء»، «حياتهم - ضمير الغائب للجمع - »)، ومُحقّقون كأسماء أو ضمائر (يُستخدم ضمير المتكلّم المفرد وضمير الغائب للجمع استخداماً إحاليّاً إلى اسم قد سبق ذكره). ويتمّ تقديم المُبرمجين كَناشطين (بشكل أساسيّ عندما «ينظّمون حكاياتهم»)، كما يتمّ تقديمهم كَتقبّليّين (بشكل أساسيّ في أنّهم «سرّحوا»). والتمثيل شخصيّ باستثناء قول الكاتب «زمرة». والمبرمِجون مصنّفون (كما في «مُبرمِجين» . . . إلخ) ومُسمّون (مثال ذلك: «جايسون»)، ويُشير الإرجاع إلى مجموعات عند التصنيف. والإرجاع مُعيّن وليس شاملاً.

وتوضح الفاعلين الاجتماعيّين في النصّ الرابع وفق الاصطلاحات نفسها:

1 - لكن **هي** (العولمة) أيضاً سيرورة متطلّبة ^ ، **وغالباً** ما تكون مؤلمة ^ .

2 - يصاحب ^**التطوّرَ** الاقتصاديّ دائماً تدميرٌ للأنشطة المندثرة ^ وتوليدُ ^ أنشطة **جديدة**.

3 - **أصبح معدّل التقدّم** أسرع، **واتّخذت** اللّعبة أبعاداً عالميّة.

4 - إنّ ذلك **يفرض** على جميع البلدان، بما في ذلك البلدان الأوروبيّة حيث **ولدت** الحضارة الصناعيّة، تعديلات عميقة وسريعة ^ .

5 - **يهدّد** التماسكَ الاجتماعيّ ^ انتشارُ ^ الشعور ^ بالانزعاج ^ ، ^ وغياب المساواة، ^ والاستقطاب ^ .

6 - يحيق بالناس خطر الانفصام بين آمالهم وطموحاتهم من جهة، ومتطلّبات اقتصاد عالميّ من جهة أخرى.

7 - ومع ذلك ^ لا يقتصر التماسك الاجتماعيّ على كونه هدفاً اجتماعيّاً وسياسيّاً ^ قيماً، فهو أيضاً مصدر ^ فعاليّة ^وتأقلم في اقتصاد أساسه المعرفة ^**ويزداد اعتماده** على نوعيّة العاملين ^ والقدرة على ^العمل ضمن فريق.

8 - إنّه من واجب الحكومات والنقابات وأرباب العمل، **أكثر من أيّ وقت مضى**، العمل معاً على:

- وصف المسائل المهمة وإقصاء عدد من الأخطاء،
- التشديد على أنّ بلداننا **يجب** أن تكون ذات طموحات أكبر، وأنّه يمكن تحقيق ^ هذه الطموحات،
- إحداث الإصلاحات الضروريّة بشكل مترابط **ومن دون تأخير**.

9 ـ ينتج من ^ الإخفاق في التحرّك **سريعاً** وبشكل حاسم ^ خسارةٌ في الموارد البشريّة ورؤوس الأموال، **وستغادر** هذه الموارد إلى أصقاع واعدة إذا كانت الفُرَص في أوروبا أقلّ جاذبيّة.

الفاعلون الاجتماعيّون الأساسيّون هم «الناس»، وما يمكن جمعه تحت اسم «المحرّكون»، الذين يجعلون الأمور تحصل (الحكومات / النقابات / أرباب العمل). وكلاهما مُستَبعد إلى حدّ كبير. وعندما يتضمّن النصّ فاعلين اجتماعيّين، يَردون كمُضافين إليهم دالّين على ملكيّة («واجب الحكومات والنقابات وأرباب العمل»)، وضمن المركّبات الظرفيّة («على جميع البلدان»)، ومرّةً كمُشارك: الحامل في سيرورة تتبع النمط العلائقيّ ـ 1 («بلداننا يجب أن تكون ذات طموحات أكبر»). والتمثيل في النصّ الرابع شخصيّ (مثال ذلك: «الحكومات» ـ اسم لجماعة، لكن يبقى شخصيّاً) وغير شخصيّ («البلدان»). والفاعلون الاجتماعيون مُصنّفون، ليسوا مُسمّين. والإرجاع بشكل أساسيّ شامل (مثال ذلك: «الحكومات»، «الناس»)، مع أنّ «بلداننا» مُعيَّن.

وفي ما يلي مثال ثالث، مُقتطف من النصّ الأوّل (راجع المُلحَق):

ـ أقصد، **كنت أريد** أن أقول (ضمير المتكلّم): كيف تغيّر (ضمير المُخاطب) هذا النوع من الثقافة السالبة ^؟ أنجزنا (ضمير المتكلّم) الكثير هنا، لكنّني أخاف (ضمير المتكلّم) كثيراً من أنّهم سيدمّرون (ضمير الغائب) كلّ العمل الجيّد الذي قمنا به في هذا المكان إن استمرّوا (ضمير الغائب) في الدفع والدفع والدفع **إلى القاع** كما يفعلون (ضمير الغائب). أعتقد (ضمير

المتكلّم) أنّ الناس سيرذون قريباً بحيث يدمّرن (ضمير الغائب) كلّ شيء.

- إلى القاع؟ - دفع **القوى العاملة** إلى القاع، أقصد تسريحُها (ضمير الغائب). كيف بالله يمكن الدعوة إلى ^ المرونة والنموّ على المستوى الشخصي ومستوى الأعمال، في حين يتمّ تسريح العمّال ^؟ وكما قال لي البارحة أحد عمّال الميكانيك: «لماذا أنا هنا الآن أقوم (ضمير المتكلّم) بعملي بأفضل طريقة ممكنة لأُنتِج هذه ^السلعة، في حين يمكن أن تُرسَل (ضمير المُخاطب) إليّ (ضمير المتكلّم) غداً ورقة تسريحي؟» لم أجد (ضمير التكلّم) ما أقوله.

- والعمل الجيّد ^الذي ذكرتَه (ضمير المخاطب)؟

- لنأخذ مثلاً ^مجموعة علاقات الاستثمار (Investor Relations Society). تمّ التخطيط المنسّق لسحب السلطة من النقابات وإعادتها إلى مديري الأعمال، **وللقوى العاملة** أيضاً. كانت الأمور تسير على نحوٍ جيّد، لكنّ عمليّات التسريح ^ المتكرّرة تتيح القول ^ «قلنا (ضمير المتكلّم) لكم (ضمير المخاطب) ذلك، عرفنا (ضمير المتكلّم) دائماً الهدف الحقيقيّ من التخطيط المنسّق». يمكن أن يقول **المنتمون إلى النقابات**: «كان يجب أن تُنصتوا (ضمير المخاطب) دائماً لما نقول (ضمير المتكلّم)».

- والتغيّرات الأخرى؟

- تطوير القدرة التنظيميّة، والاعتناء ^ بثقافة الناس، وتحسين ^التخطيط الإداري، وما إلى ذلك: أنا مخلص تماماً لهذه المبادئ. هذه التغييرات هي التي ستدفعنا إلى الأمام. لكن ما تفعله **الشركة** الآن يدفعنا بالاتّجاه المُعاكس. هذا خَطِر، رفع ^ مستوى التوقّعات ثمّ تحطيمها. أعتقد (ضمير المتكلّم) أنّ كبار مديري الأعمال عليهم مسؤوليّة أخلاقيّة تِجاه عمّالهم وعليهم

زيادة التوظيف.^ الشركة جزء لا يتجزأ من المجتمع الذي نعيش (ضمير المتكلّم) فيه.
- ممّا يعني؟
- على **مؤسسة الأعمال** أن تكسب ثقة **جميع الذين تتعامل معهم** لكي تستحقّ (ضمير الغائب) أن تستمرّ.

الفاعلون الاجتماعيون الأساسيّون هم مدير الأعمال (ضمير المتكلّم المفرد)، والمديرون المتوسّطون (ضمير المتكلّم الجمع)، والشركة/كِبار المديرين، والقوى العاملة، والنقابات. والجهة الأساسيّة المستبعدة هي القوى العاملة، وأحياناً يحتويها النصّ لكنّه «يضعها في الخلفيّة». يظهر الفاعلون الاجتماعيون كمشاركين، وكمضاف إليهم للملكيّة، وفي مركّبات ظرفيّة. وفي النصّ مجموعة من الضمائر: ضمير المخاطب الشامل (يُستخدَم، كما في الإنجليزيّة المحكيّة، بدل كلمة «المرء» في الفصحى الرسميّة أكثر، مثال ذلك: «كيف تغيّر هذا النوع من الثقافة السالبة؟»)، ضمير المخاطب المُعيَّن (أي تتوجّه إلى شخص أو أشخاص معيّنين، مثال ذلك: «والعمل الجيّد الذي ذكرتَه؟»)، ضمير الغائب الجمع غير الإحاليّ (أي يُرجع إلى مجموعة معروفة في سياق الحديث عن «نحن وهم»، وليس إلى اسم استُخدِم مسبقاً في النصّ) للإشارة إلى إدارة كِبار المديرين، ضمير الغائب الجمع وضمير الغائب المفرد الإحاليّان. والمشهد في ما يخصّ تقديم الفاعلين كناشطين أو كتقبّليين معقّد جداً، لكنّ القوى العاملة مُقدّمة كتقبّليّة - صيغة المجهول في الإنجليزيّة - أكثر من غيرها (مثال ذلك: «دفع القوى العاملة إلى القاع، أقصد تسريحُها»). والقوى العاملة هي الممثّلة بصيغة غير شخصيّة («القاع»، «القوى العاملة»). والفاعلون الاجتماعيون مصنّفون، غير مسمّين أبداً، وبمعزل عن «أحد عمّال الميكانيك» وضمائر المتكلّم المفرد والمخاطب المُعيَّنين، يتمّ

الإرجاع إلى مجموعات وليس إلى أفراد. والإرجاع معيَّن أحيانا («ما تفعله الشركة»)، وشامل أحياناً («الشركة جزء...»، بمعنى الشركات عموماً)، ومُزدوج في بعض الحالات («أعتقد أنّ كبار مديري الأعمال عليهم مسؤوليّة أخلاقيّة» ـ كبار المديرين في الشركة المذكورة، أم كِبار المديرين عامةً؟).

أريد أن أُضيف أيضاً بعض المُقارنات والتعليقات على خيارات اجتماعيّة أساسيّة أكثر في تمثيل الفاعلين الاجتماعيّين. علّقتُ سابقاً على الاحتواء والاستبعاد. هناك أسباب عديدة للاستبعاد، كتحاشي التكرار والإقحام، لكن من الممكن أيضاً أن يكون للاستبعاد معنى اجتماعيّاً أو سياسيّاً. على سبيل المثال، كيف نفسّر في النصّ الثاني عشر وجود العبارات المبنيّة للمجهول («لقد أقيلوا حديثاً»، «بعد أن تُركوا يُغادرون»)، وما يمكن اعتباره إحلالاً استعاريّاً لسيرورة غير متعدّية («خسروا وظائفهم») مكان سيرورة متعدّية («أحد الأشخاص سرّحهم»)؟ المجال مفتوح لمناقشة ذلك. وإحدى المسائل التي تستحقّ النقاش هي ما إذا كانت هذه الأساليب في استبعاد الفاعلين ـ أو الوكالات ـ الذين قاموا فعلاً بتسريح المستَخدَمين مُلازمة لمنظور يعتبر التسريح أمراً يحدث للناس، وليس أمراً يُمارس عليهم ـ بعبارة دراميّة: حادثة مؤسفة وليس جريمة. تحدّثتُ أعلاه عن الاستبعاد في النصّ الرابع، ولن أزيد أيّ شيء بهذا الخصوص هنا. في النصّ الأوّل، الاستبعاد الأساسيّ، إلى الخلفيّة، هو استبعاد القوى العاملة. المُدهش هو الاستخدام غير المتعدّي، أو الحَذفيّ، لـ «التخلّص من» (في ترجمة حرفيّة للنصّ، بدل «تسريحها») ـ قد يكون سبب الاستبعاد هنا هو اللياقة، التلطيف، تحاشي تسمية الأشياء بأسمائها.

من المفيد عادةً الاهتمام بالضمائر في النصوص. أحد الأمور الظاهرة في النصّ الأوّل هو التفريق بين «نحن» و«هم»، وارتباط

ذلك بضمير الغائب الجمع - الفاعل - غير الإحاليّ. وضمير المتكلّم الجمع - الفاعل - مهمّ من حيث المعاني المحدّدة للهويّة (راجع الجزء الرابع)، أي كيفيّة تمثيل النصوص للمجموعات والجماعات وإعرابها عنها. ومن المسائل الأعمّ بخصوص النصّ الأوّل هو أنّ «نحن الجماعة» تدلّ على مديري الأعمال المتوسّطين ومجموعة مديري الأعمال التي ينتمي إليها ضيف المُقابلة (مع أنّ هذه المجموعة غير محدّدة بوضوح كمجموعة)، ويتمّ التفريق بين مديري الأعمال المتوسّطين وكِبار المديرين - بالفعل يُمثّل هذا التفريق على أنه أعمق من التفريق بين مديري الأعمال المتوسّطين والقوى العاملة. يُستخدَم ضمير المتكلّم الجمع في هذا الإطار على وجه الخصوص للحديث عن مديري الأعمال المتوسّطين عامةً واستبعاد كِبار مديري الأعمال، إضافةً إلى مُجري المقابلة على سبيل المثال. وكما يحدث في أغلب الأحيان، يتغيّر معنى ضمير المتكلّم الجمع في النصّ الواحد. في الكلام المُقتبَس (الذي، في الواقع، يمثّل جزئياً كلاماً متخيّلاً وليس حقيقيّاً)، يشير ضمير المتكلّم الجمع، الدالّ على جماعة، إلى النقابات - مع العلم أنه يتميّز بشيء من الغموض، إذ من غير الواضح إن كان يتضمّن النقابيّين عامةً أو قياديّي النقابات فقط. ويُستخدم ضمير المتكلّم الجمع بطريقة جامعة في آخر النصّ، فيتّسع ليُرجع إلى الجميع وكلّ واحد («المجتمع الذي نعيش فيه»). فالجماعات التي يشير إليها ضمير المتكلّم الجمع هي غالباً غير محدّدة ومتغيّرة ومُبهمة.

من المهمّ مقارنة ضمير المتكلّم الجمع بضمير المُخاطب الشامل في النصّ الأوّل. يشير هذا الأخير إلى جماعة مُخاطبة يتمّ بناؤها أيضاً كَجماعة (من مديري الأعمال المتوسّطين) يدلّ عليها ضمير المتكلّم الجمع. ومدير الأعمال المتكلّم يجعل نفسه جزءاً من

الجماعتين، لكنهما مختلفتان. الجماعة المُشار إليها بضمير المخاطب أوسع من المُشار إليها بضمير المُتكلّم، لكنّها لا تشمل الجميع وكلّ واحد ـ تُرجع إلى جماعة مديري الأعمال، جماعتهم الواسعة وليس إلى جماعة المديرين المتوسّطين في الشركة المعنيّة فقط. ولقد ناقشتُ في الفصل الثالث كيف أنّ العلاقة بين الخاصّ والعالميّ توضع موضع التنفيذ في النصوص. في النصّ الأوّل، تُرجع الجماعة المُشار إليها بضمير المتكلّم الجمع إلى الخاص، أمّا الجماعة المُشار إليها بضمير المُخاطب فتُرجع إلى العالميّ، إلى إدارة الأعمال كسيرورة عالميّة (في مُقابل السيرورة المحليّة في الشركة). عامةً، يتمّ الربط بين الإرجاع الشامل والعالميّ، والتأرجح بين الخاصّ والعالميّ في النصّ الأوّل مثال على ذلك (ككلمة «الشركة» التي تمثّل الشركات في العالم). في الحين نفسه، ينتمي ضمير المخاطب الشامل إلى اللغة ـ الإنجليزيّة ـ المحكيّة (في مقابل «المرء»)، ويُرجع عادةً إلى تجربة عمليّة. وبهذا المعنى إنّ الجماعة المُشار إليها بضمير المُخاطب هي جماعة إدارة الأعمال العمليّة، جماعة «مدير الأعمال الاعتياديّ»، ويربط ضيف المُقابلة نفسه بهذه الجماعة.

إنّ معنى «المعلوم» ـ تقديم الفاعل الاجتماعيّ كناشط ـ و«المجهول» ـ تقديم الفاعل كتقبّلي ـ واضح: عندما يتمّ تقديم الفاعلين الاجتماعيّين بشكل أساسيّ كناشطين، يتمّ التشديد على قدرتهم على الفعل، على جعل الأمور تحصل، على التحكّم بالآخرين، وما إلى ذلك، أمّا عندما يقدّمون بشكل أساسيّ كتقبّليين، ما يتمّ التشديد عليه هو خضوعهم للسيرورات، وتأثّرهم بفعال الآخرين، وما إلى ذلك. يتمّ تمثيل المبرمجين في النصّ الثاني عشر كضحايا سيرورات داخل آي بي أم، ويتمّ تمثيل العمّال في النصّ الأول، بشكل أساسيّ، بالطريقة نفسها. قابِل بين هذا ومنظور «صراع

طبقيّ» يرى أن العلاقات في الصناعة تتضمّن صداماً بين المؤسّسات. يمكن للتمثيل غير الشخصيّ للفاعلين الاجتماعيّين (كـ «القاع» و«القوى العاملة» في النصّ الأوّل) أن يجرّدهم من إنسانيّتهم واستبعاد التركيز عليهم كأُناس، وتمثيلهم، كما في النصّ الأوّل، آليّاً أو بنيويّاً كعناصر في بنى وسيرورات تنظيميّة. الطرف المُقابل لغير الشخصيّ هو التسمية ـ تمثيل الأفراد بأسمائهم.

تمثّليات الزمان والمكان

نميّز عامةً داخل الممثليات الزمانيّة والمكانيّة بين الممثليات المَوقعيّة (مثال ذلك: «عند الساعة التاسعة»، «في لانكاستر») والممثليات المِقداريّة (المدّة، المسافة ـ مثال ذلك: «المدّة ثلاث ساعات»، «المسافة ثلاثة أميال»). وتشترك عدّة سمات في تمثيل الوقت: زمن الأفعال (زمن الماضي والحاضر والمستقبل، مثال ذلك: «لَعِبَ»، «يلعب»، «سَيلعب»)، وهيئة الأفعال ـ في الإنجليزيّة، التمييز بين هيئة التدرّج وهيئة عدم التدرّج («يلعب ـ الآن ـ»، «يلعب ـ عادةً ـ»)، وبين هيئة التمام وهيئة الاستمرار («كان يلعب»، «يلعب»)، والتركيب الظرفيّ (مثال ذلك: «اليوم»، «البارحة»، «غداً»)، وأدوات ربط وإضافة تدلّ على العلاقات الزمانيّة ـ والمكانيّة ـ (مثال ذلك: بينما، قبل، بعد، بين، مُقابل، خَلفَ. . . إلخ).

بحسب هارفي[12] المكان والزمان بناءان اجتماعيّان ـ ينبنيان بشكل مختلف وفق اختلاف المجتمعات، والتغيير في بنائهما جزء من التغيير الاجتماعيّ، وطريقة بنائهما موضع اعتراض (على سبيل المثال، ضمن الصراعات الطبقيّة داخل القوى العاملة). زيادةً على

(12) David Harvey, *Justice, Nature, and the Geography of Difference* (Oxford: Blackwell, 1996).

ذلك، إنّ بنى المكان وبنى الزمان شديدة الترابط، ومن الصعب الفصل بينها، لذلك من المفيد التركيز على التلاقي بينها في بناء الأماكن - الأزمنة على اختلافها. في أيّ ترتيب اجتماعيّ كان، ستتجاور عدّة أمكنة - أزمنة (العلاقة بين «العالميّ» و«المحليّ» الذي أشرتُ إليها في نقاط مختلفة هي بالدرجة الأولى علاقة بين الأمكنة - الأزمنة)، وأحد الأسئلة المطروحة للبحث هو: كيف أنّ هذه الأمكنة - الأزمنة المختلفة مرتبطة بعضها ببعضٍ؟ يعطي هارفي مثال النضال النقابيّ في أماكن ومواقع معيّنة، والطريقة التي ترتبط بها خصوصيّة المكان بالأماكن - الأزمنة الوطنيّة والعالميّة المتعلّقة بالحركات الاجتماعيّة. وتتم هذه الترابطات روتينيّاً في الحياة اليوميّة في الأحداث والطرق التي يتمّ بها ربط الأحداث بعضها ببعض، وهي جزء من الممارسات الاجتماعيّة وشبكات تلك الممارسات.

يتمّ روتينيّاً بناء المكان والزمان و«الأمكنة - الأزمنة» في النصوص. لكن يجب أن نكون حذرين، فهذه البناءات لا تقتصر على النصوص، بل تطال أيضاً جوانب من المحيط المحسوس كالتصميم المُدنيّ والتصميم الهَندسيّ للأبنية. لكن النّصوص تبقى مهمّة جداً في السيرورات التي ناقشتها في المقطع السابق، لذلك من المهمّ أن نتساءل عن كيفيّة «تفعيل» منظوراتٍ مثل التي يقترحها هارفي في تحليل النصوص. أحد جوانب ذلك هو تسلسل النصوص كجزء من تسلسل الأحداث الذي ناقشته في الفصل الثاني، وتسلسل الأصناف. عندما ناقشت «أصناف الحاكمية» في ذلك الفصل، اعتبرتُ أنّ هذه الأصناف تُساهم في الربط بين مستويات مختلفة من الحياة الاجتماعيّة: المحليّ والوطنيّ والإقليميّ والعالميّ، وهذا في أساسه ربطٌ بين «أمكنة - أزمنة». لكنّ بناء «الأمكنة - الأزمنة» والربط بينها يتمّ أيضاً روتينيّاً في النصوص بعينها، وهو ممّا يركّز عليه تحليل النصوص.

لنأخذ على سبيل المثال المُقتطف الآتي من النصّ الأوّل. كُتبت العناصر المتّصلة ببناء الزمان بخطّ مائل، ووضعتُ خطّاً تحت تلك المتّصلة ببناء المكان:

«حسناً، **كنت أريد أن أقول**: كيف **تُغيّر** هذا النوع من الثقافة السالبة؟ لقد أنجزنا الكثير هنا، لكنّني أخاف كثيراً من أنّهم **سيدمّرون** كلّ العمل الجيّد الذي **قمنا به** في هذا المكان إن استمرّوا في **الدفع والدفع والدفع** إلى القاع كما **يفعلون**. **أعتقد** أنّ الناس **سيردّون قريباً** بحيث **سيدمّرون** كلّ شيء».

لاحظ التنقّل بين أزمنة مختلفة، الذي يتحقّق بتغيير زمن الأفعال وهيئتها، واستخدام الظرف «قريباً» في حالة واحدة: من «المستقبل في الماضي» («كنت أريد أن أقول») إلى الحاضر («تُغيّر»)، إلى المستقبل («سيدمّرون»)، إلى الماضي («قمنا»)، إلى التصريف الماضي بمعنى الحاضر («استمرّوا»)، إلى الحاضر («يفعلون»)، إلى الحاضر («أعتقد»)، إلى المستقبل («سيردّون قريباً»، «سيدمّرون»). يمكن أن نحدّد في المُقتطف ثلاثة «أمكنة ـ أزمنة» مختلفة: مكان ـ زمان المُقابلة بذاتها (يمثّل «المستقبل في الماضي» الأوّل نيّة مدير الأعمال المستقبليّة في مرحلة مبكرة من المُقابلة، قبل أن يطرح مُجري المقابلة سؤاله)، والمكان ـ الزمان «المحلي» لموقع العمل، والمكان ـ الزمان العالميّ لإدارة الأعمال. ويتمّ بناء مكان ـ زمان موقع العمل كعلاقة بين الماضي («العمل الجيّد» الذي تمّ إنجازه)، والحاضر (ما يقومون به، ما يعتقده مدير الأعمال ويخافه ـ من المُلاحظ أنّ صيغة التّمام (الماضي «لقد أنجزنا» في العربيّة) يختلف في النصّ الإنجليزي عن الماضي «قمنا»، لأنّ صيغة التّمام تربط الماضي بالحاضر)، والمستقبل (سيردّ الناس، وسيدمّرون كلّ شيء).

ويمكننا أن نتساءل بخصوص أيّ تنظيم أو مؤسّسة (مواقع العمل، النقابات، العائلات) عن كيفيّة بناء العلاقات بين الماضي والحاضر والمستقبل، وكيفيّة «نسجها» بعضها مع بعضٍ في النصوص، وكيفيّة تغيّرها كجزءٍ من التغيير الاجتماعيّ (مثال ذلك: الرأسمالية الجديدة).

ويتمّ تحقيق مكان ـ زمان إدارة الأعمال «العالميّ» بطريقة معيّنة يُستخدم فيها المُضارع («. . . تُغيّر»)، الذي يسمىٰ أحياناً «المضارع اللازمانيّ» (لا يمثّل الزمن الحاضر، لكن امتداداً زمنياً غير محدود، زمنيّة «إدارة الأعمال بحدّ ذاتها»)، كسيرورة توجد خارج أيّ موقع إدارة وأبعد منه، وهي بهذا المعنى «عالميّة» تقع في كلّ مكان ولا مكان محدّد لها. من المُلاحظ أنّ المكان ـ الزمان «المحلي» لموقع العمل معيّن مكانيّاً («هنا»، «هذا المكان»)، في حين أنّ مكان ـ زمان الإدارة العالميّ ليس كذلك. ومن المُلاحظ أنّ مكان ـ زمان الإدارة العالميّ موسوم لسانيّاً، ليس فقط بوساطة زمن الفعل إنّما أيضاً باستخدام ضمير المُخاطَب الشامل (ينتمي ضمير المُخاطب الذي للجماعة إلى المكان ـ الزمان العالميّ). ويدلّ ذلك على أنّ تمثيل الأماكن ـ الأزمنة لا يمكن أن يقتصر على تمثيل الزمان والمكان، وأنّ العلاقات المكانيّة الزمانيّة متّصلة بعلاقات وهويّات اجتماعية معيّنة.

ويتواتر التنقّل في النصّ المذكور بين المكان ـ الزمان المحلي لموقع العمل ومكان ـ زمان الإدارة «العالميّ». يمكننا اعتبار مدير الأعمال يستخدم هذا التنقّل كمنطلق لتقييم ما يحصل في شركته الخاصة وتحديد أهميّته. وبالطبع، يكشف ذلك عن طريقة منتشرة لتَموقع «منظومات الخبراء» (Giddens) بالنسبة إلى الأماكن والمواقع المحليّة حيث «تُمارس» الحياة الاجتماعيّة. ويمكن أن يكشف لنا

التحليل النصي عن كيفيّة التنظيم الروتينيّ لهذه العلاقة والحفاظ عليها وتكرار إنتاجها في النصوص والكلام.

ويختلف بناء المكان ـ الزمان في النصّ الرابع (وثيقة سياسات الاتّحاد الأوروبيّ) عن بنائه في النصّ الأوّل:

1 لكن **هي** (العولمة) أيضاً سيرورة متطلّبة، وغالباً ما تكون مؤلمة.
2 يصاحب **التطوّرَ الاقتصاديّ دائماً** تدميرٌ للأنشطة **المندثرة** وتوليدُ **أنشطة جديدة.**
3 أصبح **معدّل التقدّم** أسرع، **واتّخذت** اللّعبة أبعاداً عالميّة.
4 إنّ ذلك **يفرض** على جميع البلدان، بما في ذلك البلدان الأوروبيّة حيث **ولدت** الحضارة الصناعيّة، تعديلات عميقة وسريعة.
5 **يهدّد** التماسكَ الاجتماعيّ انتشارُ الشعور بالانزعاج، وغياب المساواة، والاستقطاب.
6 يحيق بالناس خطر الانفصام بين آمالهم وطموحاتهم من جهة، ومتطلّبات اقتصاد عالميّ من جهة أخرى.
7 مع ذلك لا يقتصر التماسك الاجتماعيّ على كونه هدفاً اجتماعيّاً وسياسيّاً قيّماً، فهو ايضاً مصدر فعاليّة وتأقلم في اقتصاد أساسه المعرفة **ويزداد اعتماده** على نوعيّة العاملين والقدرة على العمل ضمن فريق.
8 إنّه من واجب الحكومات والنقابات وأرباب العمل، **أكثر من أيّ وقت مضى**، العمل معاً على: ـ وصف المسائل المهمة وإقصاء عدد من الأخطاء، ـ التشديد على أنّ بلداننا **يجب أن تكون** ذات طموحات أكبر، وأنّه يمكن تحقيق هذه الطموحات،

ـ إحداث الإصلاحات الضروريّة بشكل مترابط **ومن دون تأخير**.
9 **سينتج** من الإخفاق في التحرّك **سريعاً** وبشكل حاسم خسارةٌ في الموارد البشريّة ورؤوس الأموال، **وستغادر** هذه الموارد إلى أصقاع واعدة إذا كانت الفُرَص في أوروبا أقلّ جاذبيّة.

في هذا المثال توجد أيضاً علاقة بين المكان ـ الزمان «المحلّي» والمكان ـ الزمان «العالمي»، علماً أنّه يوضح أنّ مفهوم «المحلّي» نسبيّ ـ «المحلّيّ» هنا هو في الحقيقة إقليميّ، «أوروبا» المستخدمة بطريقة شائعة لكن موضع جدل، للإرجاع إلى الاتّحاد الأوروبي. المكان ـ الزمان «العالمي» هو مكان ـ زمان «العولمة» بالذات. يُستخدم المضارع للإشارة إلى امتداد زمنيّ غير محدّد (كما في الجمل 4 و5 و6)، وتُضاف إليه ـ خلافاً لما في النصّ الأوّل ـ تحديدات مكانيّة («جميع البلدان»، «انتشار»، «عالميّ»، «في اقتصاد أساسه المعرفة») تشدّد على العالميّة المكانيّة للعولمة ونتائجها. وتشدّد صيغة التمام ـ في الإنجليزيّة ـ واستخدام الظرف «دائماً» في الجملة الثانية على عالميّة زمن نتائج «التقدّم الاقتصاديّ»، وتضع صيغ التّمام في الجملة الثالثة العولمة في إطار سيرورة تغيير زمنيّ («معدّل») ومكانيّ (تمثّل «يزداد» و«أكثر من أيّ وقت مضى» أيضاً، في الجملتين السابعة والثامنة، التغيير).

ويشكّل المكان ـ الزمان «العالمي» إطاراً للمكان ـ الزمان «الأوروبيّ». يتمّ بناء المكان ـ الزمان العالميّ كمكان ـ زمان قائم وحقيقيّ في سلسلة من الأقوال الخبرية الوقائعيّة، ممّا يقدّم تأطيراً للمكان ـ الزمان «الأوروبيّ»، وأساساً له، في الجملتين الثامنة والتاسعة، كأمر متخيَّل، مكان ـ زمان متوقّع ضمن مجال السياسات. ووجهة التعبير مهمّة: المكان ـ الزمان «العالمي» مجال ما هو قائم،

أمّا المكان ـ الزمان «الأوروبيّ» فمجال ما «يجب» أن يكون. وأمّا موقفيّة الإلزام فهي بشكل أساسيّ مستترة. يمكن اعتبار «إنّه من واجب الحكومات. . .»، في الجملة الثامنة، مُعادلاً استعاريّاً لـ «يجب على الحكومات. . .»، علماً أنّه توجد في الجملة الثامنة موقفيّة إلزام ظاهرة («يجب أن»). تحمل الجملة التاسعة تنبّؤاً مُباشراً (يشير الفعل إلى المستقبل)، لكنّه يُطلق مسلّمات هي أقوال خبرية مِعياريّة («علينا التحرّك سريعاً وبشكل حاسم»، «على أوروبا تقديم فُرص أكثر جاذبيّة»). وهذه العلاقة بين العالميّ «القائم» والإقليميّ أو الوطنيّ «الواجب حصوله» منتشرة في النصوص التي تمثّل العولمة.

مُلخّص

رأينا أنّ العبارات، من حيث معانيها التمثيليّة وتحقيقاتها النحويّة والمفرداتيّة، تملك ثلاثة عناصر: السيرورات والمشاركين والظروف. عندما ننظر في العبارات باعتبارها تمثّل الأحداث الاجتماعيّة، يمكننا المُقارنة بينها (وبشكل أعمّ، بين النصوص) من حيث طبيعة العناصر الاجتماعيّة التي تحتويها أو تستبعدها، والعناصر التي تُبرزها على وجه الخصوص. يمكن أيضاً المقارنة بينها من حيث درجة المحسوسيّة أو التجريد (والتعميم) في تمثيل الأحداث الاجتماعيّة. ويمكننا الربط بين هذه التمييزات والمنظور الذي يعتبر التمثيل «تجديد سياق» ويعتبر أنّ شبكات الممارسات الاجتماعيّة المعيّنة وما يرتبط بها من أصناف تملك «مبادئ تجديد سياق» معيّنة تنزع إلى تفضيل احتواء عناصر معيّنة واستبعاد أخرى، وانتقاء درجات من المحسوسيّة والتجريد/ التعميم وطرق مميّزة في تنسيق الأحداث وتفسيرها وشرعنتها وتقييمها. فعلى سبيل المثال، من المتوقّع أن تمثّل أصنافُ الحاكمية الأحداث بوساطة التعميم والتجريد. وأميّز بين ستّة أنماط سيرورة (الماديّ،

العقليّ، الكلامي، نمطين علائقيّين، الوجوديّ)، وأقول إنّ الأحداث المعيّنة يمكن تمثيلها «تطابقيّاً» أو «استعاريّاً» في أنماط سيرورة متنوّعة، وبوساطة «التحويل الاسمي» للسيرورات. ويستلزم تمثيل الفاعلين الاجتماعيّين (المشاركين) عدداً من الخيارات، بما فيها تقديم المشاركين كناشطين/ تقديمهم كتقبّليين، والشخصيّ/ غير الشخصيّ، والتسمية/ التصنيف، والمعيّن/ الشامل، إضافة إلى الاستبعاد/ الاحتواء واستخدام الضمائر في مقابل الأسماء. هذه الخيارات مهمّة اجتماعياً، من حيث تمثيل عمليّة الفعل مثلاً. أخيراً، ناقشنا تمثيل المكان والزمان (الظروف)، ورأينا أنّه يمكن تفعيل تحليل هارفي (Harvey) لـ «الأماكن ـ الأزمنة» في التحليل النصي، وذلك إذا اعتبرنا العلاقات بين الأماكن ـ الأزمنة تُنسجُ روتينيّاً في النصوص.

القسم الرابع

الأساليب والهويّات

9 ـ الأساليب

مسائل التحليل النصي
الأساليب: مستويات التجريد
البُعد الحواري
تحقيقات الأساليب اللّسانيّة

مسائل البحث الاجتماعيّ
الهويّة الاجتماعيّة والهويّة الشخصيّة (الشخصيّة)
عمليّة الفعل
«الشخصيّات» الاجتماعيّة
المكان العامّ

الأساليب جوانب خطابيّة تتعلّق بطُرق الكينونة والهويّات. إلى حدّ ما، تُسهم طريقتك في الكلام والكتابة وإظهار نفسك للآخرين ـ مظهرك وحالتك الخارجيّة وحركتك، وما إلى ذلك ـ في تحديد من تكون. ترتبط الأساليب بتحديد الهوية ـ يشدّد استخدام المصدر «تحديد» مع الاسم «هويّة» (في «تحديد الهوية»)، بدل الاسم «هويّات»، على سيرورة تحديد الهوية، كيفيّة تحديد الناس لهويّتهم وتحديد الآخرين لهم.

أستخدمُ تعبير «تحديد الهوية» للإشارة إلى أحد أنماط المعنى الثلاثة في النصوص. وسيرورة تحديد الهوية هي، جزئيّاً، سيرورة نصيّة. وعلى الرغم من أنّ الأساليب/ تحديد الهوية ليست منفصلة تماماً عن ضروب الخطاب/ التمثيل أو الأصناف/ الفعال (حتّى إنّ العلاقة بينهما منطقيّة جدليّة ـ راجع الفصل الثاني وهذا الفصل)، فهي مختلفة عنها ونحتاج إلى التمييز تحليليّاً بين هذه المفاهيم.

بقدر ما تنطوي سيرورة تحديد الهوية على نتائج مرتبطة بتشكيل الخطاب، يجب اعتبارها سيرورة منطقيّة جدليّة يتمّ فيها ترسيخ ضروب الخطاب في الهويّات (الفصل الثاني). وتظهر، مثلاً، هذه السيرورة عمليّاً في مذكّرة صدرت عن فيليب غولد (Philip Gould)، أحد أهمّ مستشاري طوني بلير (Tony Blair)، عندما أصبح بلير زعيم حزب العمّال في العام 1994 ـ عنوانها «تدعيم الهويّة البليريّة». «ما يجب أن يفعله هو الانطلاق من نقاط القوّة عنده وبناء هويّته كسياسيّ بما يتلاءم مع المواقع السياسيّة التي يتبنّاها. يجب أن يكون سياسيّاً مكتملاً ومترابطاً، تُعتبر كلمته صادقة». يمكن تفسير هذا القول، انطلاقاً من المصطلحات التي أستخدمُها، على أنّه دعوة لبلير لكي يُرسّخ في كينونته جوانب من الخطاب السياسي الصادر عن حزب العمّال الجديد («الطريقة الثالثة»)، بخاصة من حيث هو ـ أي الخطاب ـ أمر متخيَّل، رؤية للمجتمع[1]. وإحدى نتائج هذه النظرة المنطقيّة الجدليّة هي إمكانيّة اعتبار المعاني المحدِّدة للهويّة (والمعاني الأدائيّة)، في النصوص، تفترض وجود معانٍ تمثيليّة، مسلّمات يستند إليها الناس لتحديد هويّتهم (ففي المثال المذكور، مطلوب أنّ تتضمّن المسلّمات عند

(1) Norman Fairclough, *New Labour, New Language?* (New York: Routledge, 2000).

بلير متخيّلات عمّا يجب أن يكون عليه الحكم والقيادة وما إلى ذلك).

الهويّة الاجتماعيّة والهويّة الشخصيّة (Personal Identity) (الشخصيّة (Personality))

تحديد الهوية أمرٌ معقّد. أحد تعقيداته هي أنّه لابدّ من التمييز بين الجوانب الشخصيّة والجوانب الاجتماعيّة للهويّة ـ الشخصيّة والهويّة الاجتماعيّة. لا يمكن أن تقتصر الهويّة على الهويّة الاجتماعيّة، ممّا يعني، إلى حدّ ما، أنّ تحديد الهوية ليس مجرّد سيرورة نصيّة، ليس فقط مسألة لغويّة. ربطت النظريّة الجديدة المابعد التركيبية والمابعد الحداثية ربطاً وثيقاً بين الهويّة والخطاب، وغالباً ما يُقال إنّ الهويّة (أو «الذوات») نتيجة الخطاب، مشيّدة في الخطاب. في هذا القول شيء من الحقيقة، لكن فقط شيئاً منها. وهذه المسألة محلّ إشكال، وذلك إلى حدّ ما لأنّ الناس ليسوا فقط مُتَمَوقِعين مسبقاً في طريقة مُشاركتهم في الأحداث والنصوص، فهم أيضاً فاعلون اجتماعيّون يقومون بأمور ويبتكرون أشياء ويغيّرون في أشياء (راجع الفصل الثاني). وهي أيضاً محلّ إشكال لأنّها لا تأخذ بعين الاعتبار انخراطنا المُجسّد والعمليّ في العالم، هذا الانخراط الذي يظهر حتى قبل أن يبدأ الأطفال بتعلّم اللغة، ويستمرّ طول العمر في سيرورات تحدّد الهويّة، وبخاصة في تشكيل «الوعي الذاتيّ»، وهو إحساس مستمرّ بالنفس[2]. والوعي الذاتيّ شرط مُسبق لحصول السيرورات الاجتماعيّة التي تحدّد الهويّة، تشيّد الهويّات الاجتماعيّة، بما في ذلك تحديد الهوية في الخطاب، في النصوص.

---

(2) Margaret S. Archer, *Being Human: The Problem of Agency* (Cambridge: Cambridge University Press, 2000).

لكن يجب أيضاً إقامة تمييزات ضمن الهويّة الاجتماعيّة، مما يقودنا إلى إنشاء مفهوم عمليّة الفعل (راجع «البنية وعمليّة الفعل» في مُعجم المصطلحات الأساسيّة). أتبنّى هنا منظور آرتشر[3] (Archer) يتمَوقع الناس لاإراديّاً كفاعلين أوّلين بحسب الحال الذي يولدون عليه، ولا خيار لهم في ذلك ابتداءً - فلّاحين أم أرستقراطيين، عمالاً أم من الطبقة الوسطى، ذكوراً أو إناثاً، فلهم مواقع ضمن توزيع المجتمع للموارد، كما يقول آرتشر. قليلون في المجتمعات المُعاصرة يبقون ضمن حدود هذه المواقع، لكنّ قدرتهم على تغييرها مرتبط بقدرتهم على التفاعل والتحوّل إلى فاعلين متعاونين قادرين على الفعل الجماعيّ وبلورة التغيير الاجتماعيّ. يتطلّب تحقيق الهويّة الاجتماعيّة، بالمعنى الكامل لذلك، القدرة على تولّي الأدوار الاجتماعية، تشخيصها، توظيفها في شخصيّة المرء الخاصة (أو هويّته الخاصة)، تنفيذها بطريقة مميّزة. ويوجد رابط منطقيّ جدليّ بين النموّ المكتمل للناس كفاعلين اجتماعيّين واكتمال نموّهم كَشخصيّات، وليس أيّ من هذين النموّين مضموناً. يصبح المرء شخصيّة عندما يستطيع صياغة اهتماماته الأوّلية وتحديد أهدافه النهائيّة، ويتمكّن من إقامة توازن بين أدواره الاجتماعيّة وترتيبها وفق الأولويّة بالاستناد إلى تلك الاهتمامات والأهداف. وبالطبع، هذه السيرورة في حدّ ذاتها مقيّدة اجتماعيّاً: تقيّد الهويّةُ الاجتماعيّة الهويّة الشخصيّة، أي شخصيّة الإنسان، وهذا جزء من العلاقة المنطقيّة الجدليّة بينهما.

تتضمّن الهويّة الاجتماعيّة للشخص عدّة أدوار اجتماعيّة، علماً أنّه من المشكوك فيه أن تتمكّن «نظريّة الدور» هذه من أن تكشف

(3) المصدر نفسه.

لنا، بالشكل المُناسب، عن التعقيدات والتغايُرات الداخليّة في الهويّة الاجتماعيّة، وهذا موضوع أساسيّ في نظريّة مابعد البنيويّة.

مستويات التجريد

تقودنا مُناقشة مستويات التجريد في الفصل السابع، الفصل الذي يتناول ضروب الخطاب، إلى الأساليب. بالنسبة إلى هذه الأخيرة، علينا أن نأخذ بعين الاعتبار المنطق الجدليّ للهويّة الاجتماعيّة والشخصيّة التي تناولناها أعلاه. يرى ماكنتاير(4) أنّ جزءاً كبيراً ممّا يجعل ثقافة معيّنة مميّزة هو مخزونها من «الأدوار»، هويّاتها الأبرز ثقافيّاً. ويذكر مثالَين مُعاصرين: مدير الأعمال والمُعالِج. يوجد هذان «الدوران» على مستوى عالٍ من التجريد والتعميم، إذ يملكان استمراريّة زمنيّة كبيرة (علماً أنّ التغيّرات الاجتماعيّة الكبيرة تستلزم تغيّرات في مخزون «الأدوار»)، وهما منتشران في الحياة الاجتماعيّة. وأتناول أدناه تحديد هويّة «الأدوار» في الرأسماليّة الجديدة والكشف عن مسار السيرورات النصيّة المحدِّدة لهويّة هذه «الأدوار». لكن من الواضح أنّه توجد، على مستوى أدنى من التجريد، أساليب متنوّعة يكون فيها المرء مدير أعمال أو مُعالجاً. وعلى المستوى المحسوس للأحداث الاجتماعيّة، علينا أن نعالج السؤال الذي يطرحه آرتشر حول كيفيّة توظيف الشخصيّات، أي الهويّات الشخصيّة، لـ «دور» مدير الأعمال، المُعالج، السياسيّ... الخ بطُرق مميّزة: يمكن اعتبار بلير (Blair)، على سبيل المثال، من نواحٍ عديدة، مثالَ السياسيّ الحديث، لكنّه أيضاً سياسيّ حديث مميَّز وظّفت شخصيّته دور القائد السياسيّ بطريقة مميّزة.

---

(4) Alasdair McIntyre, *After Virtue: A Study in Moral Theory*, 2nd Ed. (Notre Dame, Ind.: University of Notre Dame Press, 1984).

الأساليب والنصوص

أنتقل إلى ذكر بعض استتباعات ما تقدّم من ناحية التحليل النصي: **أوّلاً**، إنّ عمليّة الفعل، باعتبارها قوّة مُساهمة (الفصل الثاني) في بلورة الأحداث والنصوص، ليست عشوائيّة: ترتبط فاعليّة عمليّة الفعل بطبيعة الحدث وعلاقته بالممارسات والبنى الاجتماعيّة، وقدرات الفاعل. **ثانياً**، توجد استتباعات تتعلّق بالحوار والاختلاف الاجتماعي (الفصل الثالث). يمكن القول إنّ الحوار، بأغنى معانيه، هو تواصل بين الناس باعتبارهم فاعلين اجتماعيين وشخصيّات. وأحد الأسئلة التي يمكن طرحها في ما يخصّ التحليل النصي يتناول مدى مُخاطبة الناس بعضهم بعضاً على الأساس المذكور، ومدى وجود تبادليّة وتماثل بين المعنيّين بالأحداث الاجتماعيّة، أو مدى تأثير إستراتيجيّة التواصل في اختزال الاختلاف عن الآخر وغياب البعد الحواري. ويمكن الربط بين هذا ومسألتي المواطنية والحياة العامة[5]: يمكن الدفاع عن اعتبار المواطنيّة الفاعلة والحوار الفاعل في الحياة العامة (حوار المواطنين بخصوص الشأن الاجتماعيّ) يعتمدان على الحوار بأغنى معانيه. **ثالثاً**، إنّ تحديد الهوية في النصوص هو في آن معاً مسألة فرديّة وجماعيّة، «أنا» و«نحن»، أو بالأحرى عدد من الـ «أنا» و/أو الـ «نحن» الممكنة. على سبيل المثال، يتحدّث طوني بلير في المثال الخامس كعضوٍ في «نحن» جامعة للجماعة (على سبيل المثال، أولئك الذين «يشعرون بالعجز» أمام العولمة)، وفي «نحن» استبعاديّة للجماعة («نحن» الحلف المواجه للإرهاب)، وكفرد، كـ «أنا»،

---

(5) R. Wodak and C. Ludwing, eds., *Challenges in a Changing World: Issues in Critical Discourse Analysis* (Vienna: Passagen Verlag, 1999), and Alain Touraine, *What is Democracy?* (Boulder, CO: WestviewPress, 1997).

ويمكن القول كأكثر من «أنا» واحدة (فالـ «أنا» التي تعلم «لِمَ يحتجّ الناس ضدّ العولمة» قد لا تكون هي نفسها الـ «أنا» التي توجّه الإنذارات النهائيّة لحركة طالبان).

خصائص الأساليب

تتحقّق الأساليب بواسطة عدد كبير من السمات اللّسانيّة. **أوّلاً**، السمات الصوتيّة الوظيفية: اللّفظ، التنغيم، النبرة، الإيقاع. **ثانياً**: المفردات والاستعارة ـ المكوّنات الظرفيّة التشديديّة، كـ «على نحو سيّئ»، و«على نحو شنيع»، و«على نحو مخيف» . . . وما إلى ذلك، وهي أحد مجالات المفردات التي تتبدّل وفقَ تحديد الهوية، كذلك الأمر بالنسبة إلى الشتائم («اللّعنة»، «الأحمق» . . . إلخ). يحمل التنوّع في اختيار الناس كلمات من النوعين المذكورَين (بما في ذلك عدم استخدام الشتائم أو استخدامها، والحدّ الذي يبلغه ذلك، ودرجة البَذاءة) رسائل عن هويّتهم الاجتماعيّة (كَطبقتهم الاجتماعيّة) وشخصيّتهم. وتتضمّن الأساليب أيضاً تفاعلاً بين اللغة و«لغة الجسد» ـ على سبيل المثال، إنّ هويّة طوني بلير كَسياسيّ تحدّدها جزئيّاً تعابير وجهه وإيماءاته ووَقفته. . . وما إلى ذلك ـ كما تحدّدها، مثلاً، تصفيفة شعره وثيابه. أما الحدّ الذي يجب أن يبلغه إدراج هذه الأمور ضمن الخطاب أواللغة، فهو موضع خلاف. تتركّز «لغة الجسد» في ماديّة الأجساد المحسوسة، لكن من الواضح أنّها «ذات بعد سيميائيّ»، بمعنى أنّ الإيماءات المتنوّعة تحمل معاني ثابتة نسبيّاً. لكن، كلّ جوانب العالم المحسوس، على أنواعها، يمكن أن «تحمل بعداً سيميائيّاً»، بما في ذلك المناظر الطبيعيّة والأبنية وما إلى ذلك. يجب أن لا يجعلنا ذلك ندرجهم ضمن اللغة أو الخطاب، إنّما ندرك العلاقة الجدليّة بين

الخطاب وعالم اللاخطاب. فالثاني «يستوعب» الأوّل[6].

أركّز في الفصل التالي على بضعة جوانب من المعنى النصّي تُسهم في تحديد الهوية، بخاصة في ما يتعلّق بوجهة القول والتقييم. وأعالج هاتَين المسألتين انطلاقاً من التعهّدات التي يُعلنها الناس في نصوصهم وأقوالهم، والتي تُسهم في تحديد هويّتهم - الالتزامات اليقينيّة، بالالتزام الأخلاقيّ، بمراعاة الضرورة، بالقِيَم. وأناقش الضمائر كجزء من مفهوم واسع لوجهة القول، وأهميّة ذلك واضحة بالنسبة إلى موضوعنا (مثال ذلك: التساؤل عمّا إذا كانت النصوص تتضمّن ضمائر شخصيّة، وأيّ منها - المتكلّم المفرد، المتكلّم الجمع، المُخاطب... إلخ).

مُلخّص

في هذا الفصل القصير ناقشنا الأساليب باعتبارها تحليليّاً مختلفة عن الأصناف وضروب الخطاب، إنمّا مرتبطة بها ارتباطاً منطقيّاً جدليّاً. كذلك وضعت العلاقة بين الهويّة الاجتماعيّة والشخصيّة ضمن منظور منطقيّ جدليّ. ودافعتُ عن إمكانيّة تحديد الأساليب على مستويات مختلفة من التجريد، مثلها مثل الأصناف وضروب الخطاب، علماً أنّه عندما يتعلّق الأمر بالأساليب ترتبطُ مستويات التجريد هذه بالطرق التي توظّف بها الشخصيّات هويّاتها وأدوارها الاجتماعيّة. وناقشنا الطرق التي تساعدنا، في تحليل النصوص، على التركيز أكثر، وبشكل محسوس، على التعقيدات النظريّة للهويّة. أخيراً، عالجنا عدداً من التحقيقات اللّسانيّة للاختلاف بين الأساليب.

---

(6) David Harvey, *Justice, Nature, and the Geography of Difference* (Oxford: Blackwell, 1996).

10 ـ صيغة القول والتقييم

مسائل التحليل النصي
صيغة القولَ
التقييم
الضمائر الشخصيّة
مسائل البحث الاجتماعيّ
«أدوار» الرأسمالية الجديدة
التغاير في الهويّة الاجتماعيّة
تجاوز الهويّات العامة للرسميّات
الهويّة الاجتماعيّة والشخصيات
تجميل الهويّات العامة
الحياة العامة والمواطنون والخبراء

أتابع في هذا الفصل مُناقشة تحديد الهوية في النصوص مع التركيز على صيغة القول والتقييم. كذلك نناقش سمات نصيّة أخرى تتّصل بتحديد الهوية، حيث تتطلّب مسائل البحث الاجتماعيّ ذلك. ونعالج صيغة القول والتقييم من منطلق ما يُلزِم المؤلّفون أنفسهم به في ما يتعلّق بالصحيح والضروري (صيغة القول)، والمرغوب وغير

المرغوب به، الجيّد والسيّئ (التقييم). أنطلق من مسلّمة مَفادها أن ما يُلزم الناس أنفسهم به في النصوص جزءٌ مهمٌ من كيفيّة تحديدهم لهويّاتهم، من نسج هويّاتهم.

أمّا مسائل البحث الاجتماعيّ التي أتناولها في هذا الفصل فهي تتضمّن: **أوّلاً**، مسألة الأدوار المهمّة في الرأسمالية الجديدة، بالمعنى الذي يطرحه ماكنتاير[1] (MacIntyre)، انطلاقاً من تحديد الناس لأدوارهم في النصوص. وأقيم تضاداً بين السياسيّ (المُمثّل بطوني بلير، النصّ الخامس في المُلحق) ومدير الأعمال، أو بالأحرى مُرشد الأعمال (روزابث موس كانتر (Rosabeth Moss Kanter)، النصّ التاسع في المُلحق).

المسألة الثانية هي كيفيّة طرح التغاير الداخليّ في الهويّة الاجتماعيّة من منظور نصيّ تحليليّ. وأطرح هذه المسألة انطلاقاً من التنوّع الذي يظهر به بلير[2]. ويتضمّن ذلك مسألة التجاوز المجتمعي للرسميّات[3] بالنسبة إلى الهويّات العامة، والتوتّر المُنتشر، على سبيل المثال، عند السياسيّين المعاصرين، بين أن يكونوا أناساً «عاديّين» وخارقين بطرق متعدّدة (رموزاً للسلطة العامة).

والمسألة الثالثة هي العلاقة بين الهويّة الاجتماعيّة والشخصية

---

(1) انظر: Alasdair McIntyre, *After Virtue: A Study in Moral Theory*, 2nd Ed. (Notre Dame, Ind.: University of Notre Dame Press, 1984).

(انظر المناقشة في الفصل التاسع).

(2) Norman Fairclough, *New Labour, New Language?* (New York: Routledge, 2000).

(3) B. Mitzal, *Informality: Social Theory and Contemporary Practice* (London: Routledge, 2000).

وقد ناقشتها في الفصل التاسع، وبأيّ شكل يمكن أن يسهم التحليل النصي في دراسة ذلك.

والمسألة الرابعة هي تجميل[4] الهويّة، وبخاصة في الحياة العامة، ويظهر ذلك، على نحوٍ جزئيّ في انتشار الانشغال بالـ «صورة».

والمسألة الخامسة والأخيرة هي الحياة العامة و«المواطنيّة»، أي كيفيّة تحديد الناس لأنفسهم كمواطنين في المجتمع المُعاصر، بخاصة في ما يتعلّق بأنماط «الخبير» المختلفة.

صيغة القول

ناقشت في الفصل السادس أربع وظائف كلاميّة، يرتبط اثنتان منها بالتبادل المعرفيّ (القول الخبريّ، السؤال)، واثنتان بالتبادل الأدائيّ (القول الطلبيّ، العرض). ويمكن اعتبار مسألة صيغة القول تتعلّق بما يُلزم الناس أنفسهم به عندما يُدلون بأقوال خبرية أو طلبيّة أو يطرحون أسئلة أو عروضاً. القضيّة هي أنّ هناك طُرقاً عديدة للقيام بهذه الأمور، ينتج منها تعدّد في الالتزمات. وذلك بيّن بالدرجة الأولى في الأقوال الخبرية، لذلك أبدأ بالتركيز عليها. على سبيل المثال، في النصّ التاسع تُدلي المؤلّفة بأقوال خبرية تتناول ما يجعل شركة المعلوماتيّة ناجحة، منها قولها: «إنّ الشركة الناجحة في مجال شبكة المعلوماتيّة تعمل بشكل مختلف عن الشركات

(4) Lilie Chouliaraki and Norman Fairclough, *Discourse in Late Modernity* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1999), and David Harvey, *The Condition of Postmodernity: An Enquiry into the Origins of Cultural Change* (Oxford: Blackwell, 1990).

المتقاعسة». كان يمكن أن تكتب: «يبدو أنّ الشركة الناجحة في مجال شبكة المعلوماتيّة تعمل بشكل مختلف عن الشركات المتقاعسة» أو «غالباً ما تعمل الشركة الناجحة في مجال شبكة المعلوماتيّة بشكل مختلف عن الشركات المتقاعسة» أو «قد تعمل الشركة الناجحة في مجال شبكة المعلوماتيّة بشكل مختلف عن الشركات المتقاعسة». ما كتبْته فعلاً يُلزمها بيقينيّة العبارة الخبريّة أكثر ممّا يُلزمها أيّ من الاحتمالات الأخرى المذكورة. فالاختلافات بين الأقوال الخبريّة المذكورة هي اختلافات في صيغة القول.

بحسب هاليداي[5] (Halliday)، «تعني صيغة القول ما ينطوي عليه ما يقوله المتكلّم من ترجيحات وتعهّدات، وذلك من منظوره كمتكلّم». وبحسب فارشوارن[6] (Verschueren)، «تتضمّن وجهة القول... المواقف المختلفة التي يمكن التعبير عنها إزاء مضمون المقول الإرجاعيّ والإسناديّ «الخالص»، فتشير إلى وقائعيّة المقول، ودرجات اليقين أو الشكّ، والإبهام، والاحتمال، وحتّى إلى الإذن والتعهّد». يتحدّث هودج (Hodge) وكريس[7] (Kress) عن «موقف» المتكلّمين أو الكتّاب من الممثليات، ودرجة «انجذابهم» إليها. كل هذه الصياغات، إضافة إلى صياغتي، تنظر إلى وجهة القول من منطلق العلاقة بين المتكلّم أو الكاتب، أو «المؤلّف»، والممثليات.

لا أقول إنّ صيغة القول علاقة «خاصّة» بين «أنا» علائقية والعالم. إنّما هي مهمّة في نسج الهويّات، الشخصيّة («الشخصيّات») منها والاجتماعيّة، بمعنى أنّ ما نُلزم أنفسنا به جزء مهمّ ممّن نكون،

(5) Halliday, *An Introduction to Functional Grammar*.

(6) Jef Verschueren, *Understanding Pragmatics* (London: Arnold, 1999).

(7) Robert Hodge and Gunther Kress, *Social Semiotics* ([Cambridge: Polity Press], 1988).

لذلك يمكن اعتبار خيارات صيغة القول في النصوص جزءاً من سيرورة نسج هويّة الأنا. لكنّ هذه السيرورة غير منفصلة عن السيرورة الاجتماعيّة، بحيث إنّ سيرورة تحديد الهوية تتأثر، لا محالة، بسيرورة العلاقة الاجتماعيّة.

لِنعد إلى الجملة المقتطفة من النصّ التاسع. عندما تكتب كانتر «إنّ الشركة الناجحة في مجال شبكة المعلوماتيّة تعمل بشكل مختلف عن الشركات المتقاعسة»، لا تلتزم فقط بما للعبارة الخبريّة من قوّة يقينيّة، لكنّها أيضاً تفعل ذلك باعتبارها «مرشدة» عالميّة مشهورة في إدارة الأعمال ومصدراً مُعتمداً يُقدمّ معلوماتٍ عن شركات المعلوماتيّة لِمدراء الأعمال الذين يقرؤون كتابها باعتباره خطّة ممكنة للتغيير. إنّ نسج الهويّة يدخل إلى حدّ بعيد ضمن نسج العلاقات الاجتماعيّة.

كما ذكرتُ في الفصل الثاني، ترتبط جوانب المعنى الثلاث، الفعال والتمثيل وتحديد الهوية، بعضها ببعض ارتباطاً منطقياً جدليّاً، وهذا واضحٌ على وجه الخصوص عندما يتعلّق الأمر بوجهة القول. إنّ كيفيّة تمثيل العالم، وما يتمّ الالتزام به، كدرجة الالتزام اليقينيّ عند مُنشئ النصّ، جزء من كيفيّة تحديد المرء لنفسه، ويكون ذلك بالضرورة من خلال علاقته بمن يتفاعل معهم. بعبارة أخرى، إنّ الهويّات علائقيّة: كيفيّة ارتباطك بالعالم والآخرين هي التي تحدّد من تكون. يمكن القول إنّه يتمّ تشييد هويّة «مُرشد»، شكل خاصّ من «دور» الخبير، في نصّ كانتر، جزئيّاً من خلال خيارات صيغة القول، لكنّها هويّة علائقيّة ـ تتعلّق بعالم الأعمال الممثَّل في النصّ، وبمدراء الأعمال والمدراء التنفيذيّين الذين يتوجّه النصّ إليهم. ويعني ذلك أنّ خيارات صيغة القول مهمّة، ليس فقط من منطلق تحديد الهوية، لكن أيضاً من منطلق الفعال (والعلاقات الاجتماعيّة الأدائيّة) والتمثيل. يمكن، في الأساس، اعتبار موضوع صيغة القول

«الالتزامات» و«المواقف» و«الأحكام» و«المواقف الرسميّة»، أي تحديد الهوية (وهذا ما أتناوله في هذا الجزء من الكتاب)، لكنّه يطال أيضاً الفعال والعلاقات الاجتماعيّة والتمثيل. والشيء نفسه ينطبق على صيغ القول. يمكن اعتبار هذه الأخيرة تتناول بالدرجة الأولى أنماط الفعال وأنماط التبادل والوظائف الكلاميّة (راجع الفصل السادس). لكنّ الخبراء الذين يستخدمون كثيراً عبارات تصريحيّة لإنشاء أقوال خبرية، على سبيل المثال، يحدّدون هويّاتهم بطريقة تختلف عن الخبراء الذين يستخدمون عبارات استفهاميّة لطرح أسئلة، فالتركيب اللّغويّ في صيغته مهمّ أيضاً في تحديد الهوية: يمكن أن يكون عنصراً مُساهماً، بطرق مختلفة، في كون المرء خبيراً. وتعني هذه الخاصيّة المنطقيّة الجدليّة للخيارات النصيّة، في حالة صيغة القول، أنّه يمكن، على سبيل المثال، أن يكون الدافع الأوّل وراء استخدام الاحتمال لتحاشي التزام يقينيّ شديد - كما في قولنا «قد يكون هناك» عندما نعلم أنه هنّاك أو نعلم أنّه ليس هناك - هو العلاقات الاجتماعيّة الأدائيّة، كالحذر في حالة المثال المذكور، علماً أنّ ذلك بحدّ ذاته يُعرب عن هويّة القائل.

يمكننا الانتقال إلى الحديث عن مسائل البحث الاجتماعي وتحوّلات الرأسمالية الجديدة. ويبدأ ذلك بملاحظة وجود قيود اجتماعيّة لخيارات وجهة القول، وتخطّي هذه القيود العلاقات الاجتماعيّة المرتبطة بنصوص أو أحاديث معيّنة. يمكن أن نسأل: من هم الذين يستطيعون إعلان التزامات يقينيّة شديدة بهذا الأمر أو ذاك من أمور الدنيا؟ التوقّعات مثال جيّد: من هم الذين يستطيعون الالتزام بقوّة بأقوال تُعلن عمّا سيحصل مستقبلاً؟ بالطبع، يمكن لكلّ واحد أن يُعلن عن توقّعاته، لكن السؤال هو: من هو الذي يمنحه المجتمع حقّ التوقّع؟ ومن هم الذين يحدّدون هويّتهم جزئيّاً من

خلال مُمارسة حقّ التوقّع هذا؟ إحدى المجموعات التي تملك هذا النوع من الحقّ هم مُرشدو إدارة الأعمال، مع أنّ ذلك لا يظهر مباشرة في النصّ التاسع. وإحدى المجموعات الأخرى السياسيّون والحكومات. يحوي النصّ الحادي عشر، المُقتطف من وثيقة التشاور الحكوميّة عن «عصر التعلّم»، عدداً من التوقّعات. مثال ذلك: «ستتبني ثورة القرن الواحد والعشرين، التي قِوامها المعلومات والمعرفة، على أساس مختلف جدّاً ـ التوظيف في عالم الفكر والابتكار». ويُطلَق على هذا النوع من التوقّع: «التوقّعيّة» (futurology). وحقّ توقّع ما يحمله المستقبل مهمٌّ جداً، لأنّه يمكن شرعنة ما يُطلب من الناس أن يفعلوا أو لا يفعلوا، انطلاقاً من توقّعات مستقبليّة معيّنة، ويُمارَس ذلك على نحو واسع. وإحدى المجموعات التي تملك سلطة التوقّع هم الكهنة، علماً أنّ هذه مسألة مختلفة.

أنماط التبادل والوظائف الكلاميّة وأنماط صيغة القول

ربطتُ بين صيغة القول وأنماط التبادل والوظائف الكلاميّة في بداية الفصل. في الواقع توجد أنماط مختلفة لصيغ القول يمكن ربطها بمختلف أنماط التبادل والوظائف الكلاميّة. باختصار:

- **التبادل المعرفيّ (صيغة القول «المعرفيّة»)**

الأقوال الخبرية: «التزام يقينيّ» عند المؤلّف:

القول الموجب: النافذة مفتوحة

الاحتمال: قد تكون النافذة مفتوحة

الإنكار: النافذة ليست مفتوحة

الأسئلة: يستطلع المؤلّف التزام الآخرين اليقينيّ:
إيجاب لا تدخله صيغة موقفيّة: هل النافذة مفتوحة؟

الاحتمال: أيمكن أن تكون النافذة مفتوحة؟

نفي خالٍ من صيغة الموقفية: أليست النافذة مفتوحة؟

● **التبادل الأدائيّ (صيغة القول «الوجوبيّة»)**

الطلب	:	التزام «المؤلّف» بالواجب/ الضرورة
الفرض	:	افتح النافذة!
الاحتمال	:	يجب أن تفتح النافذة
النهي	:	لا تفتح النافذة!
العرض	:	التزام المؤلّف بفعلٍ ما
التعهّد	:	سأفتح النافذة
الاحتمال	:	قد أفتح النافذة
الرفض	:	لن أفتح النافذة

أودّ أن ألفِتَ الانتباه إلى أنّ هذا الإطار يتبنّى منظوراً يعتبر أن صيغة القول تتخطّى حالات التعبير الصريح عن الاحتمال، أي الحالات التي يرد فيها واسم (Marker) ظاهر لصيغة القول. والواسمات الأساسيّة لصيغ القول هي «تعابير الاحتمال» (يستطيع، سوف، يمكن، لا بدّ أن، ربّما، يجب أن... إلخ)، علماً أنه توجد طرق أخرى عديدة يمكن أن توسم بها صيغ القول (راجع أدناه). لكن في حالة الأقوال الخبرية، نعتبر القول الذي يدخله الاحتمال في موقع وسط بين القول الموجب والإنكار. ويتحقّق القول الموجب عادةً في أقوال خبرية إيجابيّة (مثال ذلك: «يُعتبر

الصراع خلّاقاً»)، والإنكار في أقوال خبرية نافية (مثال ذلك: لا يُعتبر الصراع خلّاقاً)، من دون أفعال احتمال أو أيّ واسم احتمال آخر. لكن كلّ الأمثلة المذكورة تقع ضمن فئة صيغة القول الواسعة. والأساس المنطقيّ لذلك بيّن: في ما يخصّ الالتزام اليقينيّ، توجد جملتا «يمكن اعتبار الصراع خلّاقاً» و«ربّما يُعتبر الصراع خلّاقاً» في موقع وسط بين القول الموجب والإنكار. في ما يخصّ الطلب تُعتبر الأشكال التي يدخلها الاحتمال (مثال ذلك: «يجب أن تفتح النافذة»، «لا بدّ من أن تفتح النافذة») في موقع وسط بين الفرض («افتح النافذة!») والنهي («لا تفتح النافذة!») الذي يتحقّق عادةً بعبارات نفي أمريّة. أمّا الأسئلة فهي استيضاح المؤلّف عن التزام الآخرين اليقينيّ. وهنا أيضاً تتضمّن صيغة القول أسئلة ليس فيها احتمال («هل النافذة مفتوحة؟»، «أليست النافذة مفتوحة؟»)، وأسئلة يدخلها الاحتمال («أيمكن أن تكون النافذة مفتوحة؟»). وينطبق الأمر نفسه على العرض.

إنّ صيغة القول جانبٌ معقّد جدّاً من المعنى، والإطار المذكور أعلاه يستبعد جزءاً كبيراً من تعقيداته. على سبيل المثال، يمكن تحقيق الطلب كسؤال طلبيّ، كعبارات استفهاميّة من حيث تركيبها اللّغوي (مثال ذلك: «أتفتح النافذة؟»)، متّخذة بذلك شكل سؤال احتماليّ. توجد أيضاً تمييزات تصحب تصريف الفعل تتداخل مع التمييز بين الافتراضيّ وغير الافتراضيّ (مثال ذلك: «سأفتح النافذة»، «سوف أفتح النافذة، إذا طُلب منّي ذلك»).

في الحوار القصير الآتي (استخدمتُه في الفصل السادس، عندما تناولتُ الصيغ النحوية) وضعتُ خطّاً تحت التعابيرالمرتبطة بوسم صيغة القول:

ماكس (Max): سؤالان تسهل الإجابة عنهما في برنامجنا. السؤال الأوّل: «ما هي اللغة برأيكِ؟» [ما قد يكون قولكِ في تعريف اللغة؟]*

المرأة: اللغة . . . حسناً، هي الحوار الذي ينطق به الناس في البلدان المختلفة.

ماكس: جيّد. ومِمَّ هي مكوّنة برأيكِ؟ [ما قد يكون قولك في تكوينها؟]

المرأة: (توقّف 8 ثوانٍ) مكوّنة من (تنغيم مُرتَبك). . .

ماكس: نعممم.

المرأة: حسناً، لا أعرف. أنت قُل لي [أنت يمكن أن تقول] مِمَّ هي مُكوّنة. . . هي تعبير الشخص، أفترض، أهي كذلك؟

ماكس: لا أملك الأجوبة، أملك فقط الأسئلة (يضحك).

المرأة: (تضحك قليلاً، في الوقت نفسه).

سيد (Sid): ليست إجابتك سيئة.

المرأة: حسناً، هي تعبير، لعلّها تعبير الشخص، أليست كذلك؟

سيد: إجابة صحيحة.

ماكس: شكراً جزيلاً.

(Robert Hodge and Gunther Kress, *Social Semiotics* ([Cambridge: Polity Press], 1988), p. 125)

صيغة القول هنا معرفيّة، والوظائف الكلاميّة تنتمي إلى القول الخبريّ والسؤال. **المسألة الأولى** التي يجب مُلاحظتها هي الطريقة التي يصيغ بها مُجري المُقابلة أسئلته. بدل أن يقول: «ما هي اللغة؟» و«مِمْ هي مصنوعة؟»، يقول: «ما قد يكون قولك في تعريف اللغة؟» و«ما قد يكون قولك في تكوينها؟». يستخدم صيغة

(*) الترجمة التي بين قوسين معقوفين غير صحيحة تماماً، لكنّها أقرب إلى النص الإنجليزيّ. والغرض منها الحفاظ على غرض المؤلّف من استخدام الأصل الإنجليزيّ.

قول افتراضيّة («قد يكون قولك»)، فيجعل السؤال تجريبيّاً أكثر، وكأنّه يفترض أنّه يطرح سؤالاً من دون أن يطرحه فعلاً («لو كنت قد سألتك عن تعريف اللغة، فماذا كنت تقولين؟»). لعلّ سبب ذلك المسافة الاجتماعيّة بين مُجري المقابلة، وهو ذكر شاب، وضيفة المقابلة، وهي أنثى أكبر سنّاً منه. الإجابة الأولى للمرأة هي قولٌ موجب («هي الحوار الذي ينطق به الناس في البلدان المختلفة»)، أمّا إجابتها على السؤال الثاني فأكثر تعقيداً من حيث صيغة القول. تعلّق أوّلاً على السؤال، فتستخدم صيغة قول افتراضيّة، ولا يدلّ على ذلك استخدام «يمكن أن تقول» فقط، لكن عبارة ذات سيرورة عقليّة («لا أعرف» - راجع الفصل الثامن) أيضاً، ممّا يسم صيغة القول بطابع ذاتيّ، أي يسم بشكل ظاهر التزامَ الشخص الذي يتكلّم. كان يمكن التعبير عن ذلك بفعل افتراضيّ منفيّ فقط («لا يمكن أن تقول»). عندما تبدأ الإجابة، يظهر أوّلاً قول موجب في ظاهره، ثمّ يتمّ إدخال صيغة قول ذاتيّة عليه («أفترض»)، وبعدها سؤال تثبيتيّ («أليس كذلك؟»). هناك، إذاً، مزج بين إعلان التزام يقينيّ ما، واستيضاح ما يلتزم به المُحاور، والتوجّه الثاني يُضعف الأوّل. تتكوّن إجابة ماكس من إنكار («لا أملك الأجوبة») يتبعه قول موجب («أملك فقط الأسئلة»)، وإجابتا سيد اللاحقان قولان موجبان أيضاً. تُظهر الإجابة الأخيرة للمرأة التحولات نفسها من القول الموجب الجازم إلى الافتراض - من «هي تعبير» إلى القول الافتراضيّ «لعلّها تعبير الشخص» يتبعه سؤال تثبيتيّ («أليس كذلك؟»). يمكن تفسير وسمات صيغة القول على أنّها تعبير عن تردّد المرأة في الالتزام بقوّة باعتبار طروحاتها يقينيّة. وأترك للقرّاء، إن أرادوا، مهمّة مقارنة ما ذكرته هنا بتحليل هودج وكريس الأوسع[8].

---

(8) المصدر نفسه، ص 125-127.

مستويات الالتزام

يمكن التمييز في العبارات التي تدخلها صيغة القول بين مستويات أو درجات من الالتزام اليقينيّ، بالنسبة إلى صيغة القول المعرفيّة، ودرجات من الواجب/ الضرورة بالنسبة إلى صيغة القول الوجوبيّة[9] بالإجمال:

	اليقين	الواجب
مرتفع	بالتأكيد	مطلوب
وسط	الأرجح	مُفترض
منخفض	مُحتمل	مسموح

الأمثلة المذكورة هنا «تراكيب ظرفيّة» («بالتأكيد»، . . . إلخ) عندما يتعلّق الأمر بصيغة القول المعرفيّة، واسم مفعول («مطلوب»، إلخ) بالنسبة إلى صيغة القول المعرفيّة. لكن يُسهم في تنوّع تعابير الاحتمال أنّ بعضها أعلى درجة من بعضها الآخر من حيث الالتزام. قارن بين الجمل الآتية، من حيث صيغة القول المعرفيّة: «الأرجح أنّه فتح النافذة»، «من المحتمل أن يكون قد فتح النافذة»، «لابدّ أنّه فتح النافذة»، «يكون قد فتح النافذة»، «قد يكون فتح النافذة». وقارن بين الآتي، من حيث صيغة القول الوجوبيّة: «مطلوب منك فتح النافذة»، «من المفترض أن تفتح النافذة»، «مسموح لك أن تفتح النافذة»، «لا بدّ من أن تفتح النافذة»، «يجب أن تفتح النافذة».

وسمات صيغة القول

ذكرتُ أعلاه مجموعة من وسمات صيغة القول. وهي تشمل

---

(9) Halliday, *An Introduction to Functional Grammar.*

بشكل أساسيّ تعابير الاحتمال (هي أفعال في الإنجليزيّة)، لكن تشمل أيضاً تراكيب احتمال ظرفيّة، كـ «بالتأكيد»، وأسماء مفاعيل، كـ «مطلوب»، وعبارات ذات سيرورة عقليّة، كـ «أعتقد». في الواقع، يمكن أن يتبنّى الباحث منظوراً واسعاً في ما يخصّ وسمات صيغة القول ـ منظور هودج (Hodge) وكريس[10] (Kress) أوسع من معظم ما ورد في الكتابات عن صيغة القول. وتؤدّي الصفات الاحتماليّة أيضاً وظيفة تعابير الاحتمال، كـ «محتمل» و«مُرَجّح»، التي تظهر في عبارات احتماليّة، كـ «إنّه من المُحتمل» (مثال ذلك: «إنّه من المحتمل أن يفتح النافذة»). وتوجد كذلك (في الإنجليزيّة) أفعال أخرى غير أفعال الاحتمال يمكن اعتبارها وسمات لصيغة القول، كأفعال الهيئة («يبدو»، «يظهر» ـ «يبدو أنّه فتح النافذة»). يمكن أيضاً لأنماط أخرى من التراكيب الظرفيّة أن تكون وسمات، مثال ذلك: «في الواقع»، «بوضوح»، «على نحوٍ بيّن»، ويشمل ذلك أيضاً ظروفاً كـ «عادةً» و«غالباً» و«دائماً»، تسم ما يعتبره هاليداي صيغة قول مستقلّة تفيد «الاعتياد»[11].

إضافة إلى الحالات المذكورة، يمكن أن نعتبر، مع هودج وكريس، المخفِّفات، كـ «نوعاً ما» (مثال ذلك: «إنّهم يريدونك نوعاً ما أن تكون إلى جانبهم» ـ مذكور في النصّ العاشر)، وسمات أيضاً. ويرتبط التنغيم أيضاً، وجوانب أخرى من التواصل الشفويّ، بدرجة التزام المتكلّم ـ هل تُقال الأشياء بنغمة متردّدة، أم تجريبيّة، أم واثقة، أم حازمة. كذلك يمكن اعتبار الاقتباس واسماً لصيغة القول، فأن تنسب القول الخبَرَي لآخرين (مثال ذلك: «قيل لي

(10) Hodge and Kress, *Social Semiotics.*

(11) Halliday, Ibid.

إنهم يريدونك نوعاً ما أن تكون إلى جانبهم») يسمح لك بتخفيض درجة التزامك به.

ويعتمد نوع الالتزام الذي يتبنّاه المؤلّف أيضاً، وبالتالي كيفية تحديده لهويّته، على وجود نقاط تقاطع بين صيغة القول وفئات أخرى في العبارات. وتتضمّن هذ الفئات الوظائف الكلامية والتراكيب اللّغويّة ـ سبق وأشرتُ إلى أنّ صيغة القول لا تعمل بالطريقة نفسها داخل الأقوال الخبرية والأسئلة، على سبيل المثال، وتتضمّن كذلك «الشخص»: يكمن الفرق بين صيغ القول الموسومة ذاتياً (مثال ذلك: أعتقد أنّ النافذة مفتوحة») وتلك غير الموسومة ذاتياً (مثال ذلك: «النافذة مفتوحة») في أنّ الأوّلى تستخدم ضمير المتكلّم المفرد، والثانية ضمير الغائب المفرد. ويمكن أن نستخدم ضمير المتكلّم الجمع (مثال ذلك: «لن نتركهم ونرحل»، في النص الخامس، الذي نناقشه أدناه) ـ كـ «سلطة التوقّع»، أو سلطة إنشاء أقوال خبرية نيابة عن الآخرين أو في الواقع «نيابة عنّا جميعاً» (كما عندما يقول بلير في النصّ نفسه «نشعر بالعجز»)، وهي سلطة غير موزّعة اجتماعياً بشكل متساوٍ، ومهمّة في تحديد الهوية. وتوجد فئة أخرى تتقاطع بشكل مهمّ مع صيغة القول، هي نمط السيرورة (راجع الفصل الثامن) ـ على سبيل المثال، إنّ تقديم طروحات يقينيّة شديدة حول السيرورات العقلية عند الآخرين (مثال ذلك: مدير الأعمال في المثال الأوّل، حيث يتحدّث عن الناس في ليفربول: «وهم يرتابون تماماً من أيّ تغيير») يعني أيضاً تولّيّ سلطة مهمّة في إطار تحديد الهوية.

التقييم والقِيَم

سأستخدم «التقييم» بمعناه العام ليشمل ليس فقط نمط الأقوال

الخبرية التي سميّتها في الفصل السادس «تقييمات»، لكن أيضاً إلى حدّ ما الطرق الظاهرة أو المستترة التي يستخدمها المؤلّفون لإلزام أنفسهم بقيم معيّنة[12]. يمكن التمييز بين الفئات الآتية:

الأقوال الخبرية التقييميّة (التقييمات في الفصل السادس) الأقوال الخبرية ذات صيغ القول الوجوبيّة الأقوال الخبرية ذات أفعال لها سيرورة عقليّة عاطفيّة المسلّمات القيمية.

الأقوال الخبرية التقييميّة

ميّزتُ في الفصل السادس بين فئات الأقوال الخبرية الآتية: الأقوال الخبرية الوقائعيّة، والأقوال الخبرية التوقّعيّة والافتراضيّة (كلاهما غير وقائعيّ)، والتقييمات. تتعلّق الأقوال الخبرية التقييميّة (التقييمات) بالمرغوب فيه وغير المرغوب فيه، الحسن والسيّئ (مثال ذلك: «هذا الكتاب جيّد»، «هذا الكتاب سيّئ»، «هذا الكتاب رائع»، «هذا الكتاب شنيعٌ»).

(12) انظر: Philip Graham, «Predication and Propagation: A Method for Analyzing Evaluative Meanings in Technology Policy,» *Text*, [vol. 33] (2002), pp. 227-268; Susan Hunston and Geoff Thompson, eds., *Evaluation in Text: Authorial Stance and the Construction of Discourse* (Oxford: Oxford University Press, 2000); J. Lemke: «Resources for Attitudinal Meaning: Evaluative Orientations in Text Semantics,» *Functions of Language*, vol. 5 (1998), pp. 33-56; J. Martin, «Beyond Exchange: Appraisal System in English,» in: Hunston and Thompson, eds., *Evaluation in Text: Authorial Stance and the Construction of Discourse*, and P. White, «An Introductary Tour Throught Appraisal Theory,» Appraisal Website: www.grammatics.com/appraisal

تتحقّق الأقوال الخبرية في معظم الأحيان بسيرورات علائقية (النمط الأوّل من السيرورات العلائقية، كما جاء في الفصل الثامن)، كما في الأمثلة المذكورة. والعنصر التقييميّ في هذه الأخيرة هو الخبر، الذي يمكن أن يكون صفة (كـ «جيّد») أو رُكناً اسميّاً (كـ «كتاب سيّئ»). ويمكن أيضاً أن تتحقّق الأقوال الخبرية كسيرورات أخرى حيث العنصر التقييميّ هو الفعل ـ بدل أن نقول «هو جبان»، يمكن أن نقول «جَبُنَ». ويمكن أيضاً أن تتحقّق كأنماط أخرى من السيرورة فيها رُكن ظرفيّ تقييميّ («جمع المؤلّف أجزاء هذا الكتاب بطريقة سيّئة»، «أوجَز المؤلّف الحُجج بطريقة رائعة»: السيرورة الأولى مادّيّة والثانية عقليّة). وقد تُستخدم أقوال تعجّبية (يمكن اعتبارها تركيباً لغوياً منفصلاً، يشكّل نمطاً أصغر) بدل الأقوال الخبرية التقييميّة (مثال ذلك: «يا له من كتاب رائع!» بدل «هذا الكتاب رائع»).

ذكرتُ أعلاه أنّ الأقوال التقييميّة تُخبر عن المرغوب وغير المرغوب فيه. وهذا واضح عند استخدام «جيّد» أو «سيّئ» أو «رائع» أو «شنيع». لكن يمكن أن تشير أيضاً الأقوال التقييميّة إلى أهميّة أمرٍ، أو المنفعة منه، وما إلى ذلك[13]، ممّا يفترض أنه مرغوب فيه. فالأقوال الخبرية التقييميّة، مثل «هذا كتاب مهمّ» و«هذا كتاب غير مُجدٍ»، تستلزم اعتبار الكتاب مرغوباً أو غير مرغوب فيه ـ عامةً يُعتبر من البديهيّ أنّ ما هو «مهمّ» أو «نافع» مرغوبٌ فيه. حين نبتعد عن الأمثلة البيّنة، سريعاً ما تُصبح الأقوال الخبرية التقييميّة مرتبطة بالخطاب الذي تظهر فيه ـ على سبيل

(13) انـــظـــر: Lemke, «Resources for Attitudinal Meaning: Evaluative Orientations in Text Semantics,» pp. 33-56.

المثال، يمكن أن يكون قولنا «إنها شيوعية» قولاً تقييمياً، لكن فقط من حيث ارتباطه بضرب خطاب معيّن. وهناك كلمات أخرى كثيرة تدخل في التقييم، كـ «شُجاع» و«جبان» و«صادق» وغير صادق»، لكنّها تملك معاني معقّدة يشكّل العنصر التقييميّ جزءاً منها ـ على سبيل المثال، الشخص الشجاع هو المستعدّ على سبيل المثال للقيام بمخاطرة شخصيّة، بينما الشخص «الصادق» هو الذي لا يكذب، لكنّ كليهما يتضمّنان اعتبار الشخص «جيّداً». في الأمثلة المذكورة، من الصعب تخيّل الكلمات التي تُستخدم في أقوال خبرية تقييميّة من دون معانيها التقييميّة ـ علماً أنّ تصنيف الناس إلى «شُجاع» و«جبان» لا يحظى بقبول عالميّ، ويُمكن تقويض استتباعاته التقييميّة (مثال ذلك: «إنّ الجنود الجيّدين يملكون حسّ الجبان»). وغالباً ما تكون التقييمات مُضمّنة داخل أركان الجملة («مثال ذلك: «كلّف هذا الكتاب الشنيع ثروةً») ولا تشكّل أقوالاً خبريّة منفصلة. يمكن القول إنّ «هذا الكتاب الشنيع» تفترض القول الخبريّ التقييميّ «هذا الكتاب شنيع».

يقع التقييم على «سلّم متدرّج الحدّة»[14]. تتجمّع الصفات التقييميّة والأركان الظرفيّة التقييميّة وأفعال السيرورة العقليّة «العاطفيّة» كوحدات في كُتلٍ دلاليّة تتدرّج من المنخفض إلى المُرتفع. على سبيل المثال: «يُعجبني/ أحبّ/ أبجّل هذا الكتاب»، «هذا الكتاب جيّد/ رائع/ مذهل»، «هذا الكتاب مكتوب بطريقة سيّئة/ شنيعة/ مقزّزة». ويصحّ الشيء نفسه بالنسبة إلى أنماط الأفعال الأخرى (قتل/ فتك/ نحر/ذبح الجنود القرويّين).

---

(14) White, Ibid.

أقوال خبرية تحوي صيغة قول وجوبية أو سيرورات عقليّة عاطفيّة

ترتبط الأقوال الخبرية التي تحوي صيغة قول وجوبية بالتقييم. على سبيل المثال، عندما يقول طوني بلير (النصّ الخامس - راجع مناقشة هذا المثال أدناه) إنّه «يجب أن تظهر القِيَم التي نؤمن بها جليّة في ما نفعله في أفغانستان»، يستلزم كلامه، على مستوى أعمّ، أن يكون السلوك الذي يستند إلى القِيَم أمراً مرغوباً فيه، من الجيّد أن نقوم به.

هناك أيضاً فئة مميَّزة تحوي تقييمات ظاهرة تستخدم سيرورات عقليّة، بخاصة سيرورات عقليّة عاطفيّة (مثال ذلك: «أحبّ هذا الكتاب»، «أكره هذا الكتاب»). لنُطلق عليها «التقييمات العاطفيّة» عامةً، توسَم هذه الأخيرة بالذاتيّة، أي تظهر نسبة التقييم إلى المؤلّف، ولذلك يمكن مقارنتها بوُجهات القول المَوسومة ذاتياً (مثال ذلك: «أعتقد أنّها وصلت»). لكن يمكن أن يظهر مضمون تلك السيرورات في سيرورات علائقيّة حيث الخبر الصفة عاطفيّ - قارن بين «هذا الكتاب يأسرني» و«هذا الكتاب آسر».

القِيَم المُسلّم بها

حتى في الأمثلة البيّنة أعلاه، أشرتُ إلى القِيَم المستترة أو المُسلّم بها (راجع **المسلّمات** في مسرد المصطلحات الأساسيّة). لكن أحتفظ بفئة «القِيَم المسلّم بها» لحالات تختلف عن تلك المذكورة أعلاه (أقوال خبرية تقييميّة، صيغ قول وجوبيّة، سيرورات فعليّة عقليّة عاطفيّة)، أي لا تحتوي على وسمات تقييم بيّنة نسبياً، إنّما غالباً ما تكون، في النصوص، مُضمّنة إلى حدّ بعيد.

إذا استخدمنا استعارة «العمق» البيانيّة، تقع في مستوى «عمقيّ»

معيّن تقييماتٌ تُطلقها في النص كلمات كـ «يُساعد». على سبيل المثال، إذا كتبتُ «هذا الكتاب يُساعد على...»، من المرجّح أن يُقيِّمَ كلّ ما يتبع «يُساعد على...» تقييماً إيجابياً (مثال ذلك: «توضيح المُناظرة التي تتناول العولمة»). وتوجد على مستوى أعمق قيَم مسلَّم بها لا تُطلقُ بهذه الطريقة، لكنّها تستند إلى اشتراك المؤلّف والمفسِّر في معرفة (ليس بالضرورة الموافقة على) منظومات قيميّة مستترة مُعيَّنة (بالطبع، يمكن أن لا يكون الاشتراك المعرفيّ قائماً في واقع الأمر). ناقشتُ هذه المسألة في الفصل الثالث ـ على سبيل المثال، يستلزم قولنا إنّ التماسك الاجتماعيّ مصدر «فاعليّة وتأقلم» أنّه مرغوب فيه بالاستناد إلى خطاب ليبرالي جديد يعتبر «الفاعليّة» و«التأقلم» «سلعتَين» أساسيّتين.

دَوْران في الرأسمالية الجديدة: المُرشد والسياسيّ

أُعالج مسألة «الأدوار» من خلال المقارنة بين النصّين الخامس والتاسع (راجع المُلحق)، من حيث صيغة القول والتقييم فيهما. وقد ألفهما ممثِّلان لـ «دورين» مُعاصرين بارزين، هما السياسيّ والخبير (بتحديد أكبر، الخبير بإدارة الأعمال أو «المُرشد»). أورد أدناه مقتطفاً من النصّ الخامس، وضعت فيه خطّاً تحت التعابير المهمّة من ناحية صيغة القول، وركّزتُ في معظم الأحيان على العبارات الرئيسيّة، وليس على العبارات المُلحقة والمُضمَّنة (علماً أنّني أعالج هذه الأخيرة حين يكون لها أهميّة خاصة).

يجب أن تظهر القِيَم التي نؤمن بها جليّة في ما نفعله في أفغانستان.

نتعهّد للشعب الأفغاني بالآتي: لن يكون هذا النزاع النهاية، لن

نتركهم ونرحل كما فعل العالم الخارجيّ مراراً.
إذا تغيّر نظام طالبان، سنعمل معكم للتأكّد من أنّ خليفته ذو قاعدة عريضة ويوحّد كلّ المجموعات الإتنيّة، ويوفّر طريقة للخروج من الفقر المُدقع الذي يتّصف به وضعكم الحالي.
وسنستخدم الآن، أكثر من أيّ وقت مضى، كلّ التخطيط والتفكير المُمكنين لنؤلّف تكتّلاً، بمحاذاة التكتّل العسكريّ، لأجل تقديم المأوى والطعام خلال أشهر الشتاء للاجئين داخل أفغانستان وخارجها، وعددهم أربعة ملايين ونصف تركوا بيوتهم قبل الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر.
لابدّ من أن يُظهر المجتمع العالمي قدرته على الرحمة وعلى استخدام القوّة.
سيقول النقّاد: كيف يمكن للعالم أن يكون جماعة واحدة؟ تتصرّف كلّ أمّة بحسب مصالحها. بالطبع تفعل ذلك. لكن ما هو الدّرس الذي تقدّمه لنا الأسواق الماليّة أو التغيّر المناخي أو الإرهاب الدوليّ أو انتشار التكنولوجيا النوويّة أو التجارة العالميّة؟ مصالحنا الخاصّة ومصالحنا المشتركة هي متشابكة إلى حدّ بعيد.
هذه هي سياسة العولمة.
أعلم لماذا يحتجّ الناس ضدّ العولمة.
نشاهد جوانب منها ونشعر بالذعر.
نشعر بالعجز، كما لو أنّ قوى تتخطّى قدراتنا تدفعنا في كلّ اتّجاه.
ولكن، هناك خطورة في أنه قد يستسلم بعض القادة السياسيين عندما تواجههم تظاهرات الشارع، بدل أن يبحثوا عن حلول. المتظاهرون محقّون عندما يتحدّثون عن غياب العدالة والفقر والتدهور البيئيّ.
لكنّ العولمة هي أمر واقع، بشكل عام من صنع الناس.

ولا ينطبق ذلك فقط على التمويل، إنّما أيضاً على التواصل، والتكنولوجيا، وبشكل متزايد على الثقافة، وعلى الاستجمام. في عالم الإنترنت وتقانة المعلوماتيّة والتلفاز، ستوجد العولمة لا محالة. والمشكلة في التجارة ليست وجودها أكثر من اللازم، بل - على العكس - أقلّ من اللازم.

ليست المسألة هي كيفيّة الحدّ من العولمة.

المسألة هي كيفيّة استخدام سلطة المجتمع للجمع بين العولمة والعدالة. إذا كانت العولمة لا تفيد سوى القلائل فستفشل، وتستحقّ أن تفشل. لكن إذا اعتمدنا المبادئ التي استفدنا منها كثيراً في بلدنا، وتقول إنّ السلطة والثروة والفُرص يجب أن تكون ملكَ الكثرين وليس القلائل، وجعلناها النور الذي يقودنا في العولمة الاقتصاديّة، فستكون هذه الأخيرة قوّة خيّرة وحركة دوليّة علينا أن نفخر بقيادتها. ذلك أنّ بديل العولمة هو العزلة.

في ما يخصّ الوظائف الكلاميّة، يتكوّن معظم المقتطف من أقوال خبرية، لكن يوجد سؤال واحد («لكن ما هو الدّرس الذي تقدّمه لنا الأسواق الماليّة أوالتغيّر المناخيّ أوالإرهاب الدوليّ أو انتشار التكنولوجيا النوويّة أو التجارة العالميّة؟»). وهو سؤال بلاغيّ، بمعنى أنّ بلير نفسه يجيب عنه، لكنّه يعطي الانطباع (مع سمات أخرى أشير إليها) أنّ بلير يتحاور مع الآخرين وليس يُناجي نفسه فقط. ويوجد في خطبته عدد كبير من الأسئلة المماثلة.

معظم الأقوال الخبرية في المُقتطف وقائعيّة (مثال ذلك: «هذه سياسة العولمة»)، لكنّ بعضها ليس كذلك، بل افتراضيّة (مثال ذلك: «إذا تغيّر نظام طالبان» - لم أشر إلى سمات صيغة القول في الأقوال الخبرية الافتراضيّة) أو توقّعية («ستوجد العولمة»). أشرتُ

سابقاً إلى سلطة التوقّع، وبلير يملكها أو، على الأقلّ، يزعم ذلك.

لنبدأ بصيغة القول المعرفيّة. معظم الأقوال الخبرية في المقتطف موجبة أو إنكاريّة. الحالة الاحتماليّة الوحيدة في المقتطف هي: «هناك خطورة في أنه يستسلم بعض القادة السياسيّين، عندما تواجههم تظاهرات الشارع، بدل أن يبحثوا عن حلول». أعتبر «قد + مضارع» وَسْمَ احتمال، فتكون الجملة، على وجه التقريب: «يمكن أن يستسلم السياسيّون». في ما يخصّ التوقّعات أعتبر «س + مضارع» وسمَ المستقبل، مثال ذلك «ستوجد العولمة»، وهي قول خبريّ موجب وليس احتماليّاً. بشكل عام، إذاً، يقدّم بلير التزامات شديدة اليقينيّة. والعلاقة بين الأقوال الموجبة والإنكاريّة مهمّة أيضاً في البعد الحواري. هناك ثلاثة مواضع في المُقتطف يرد فيها بعد الإنكار (الإنكارات) قولٌ موجب. على سبيل المثال: «ليست المسألة هي كيفيّة الحدّ من العولمة. المسألة هي كيفيّة استخدام سلطة المجتمع للجمع بين العولمة والعدالة». بشكل مستتر، يدخل بلير في حوار، أو ربّما في جَدَل، مع الذي يتبنّون وجهات نظر مختلفة (كالّذين يرون أن ما يجب، نوعاً ما، هو إيقاف العولمة).

تتنوّع أنماط الأقوال الخبرية في المُقتطف. يصدر عن بلير التزامات يقينيّة شديدة بالأقوال الخبرية ذات السيرورات الماديّة («لن نتركهم ونرحل»)، والسيرورات العقلية («نشعر بالعجز»)، والسيرورات الكلاميّة («نتعهّد»)، والسيرورات العلائقية («بديل العولمة هو العزلة»). ويحوي المقتطف عدداً لا بأس به من الأقوال الخبرية التي يدخلها ضمير المتكلّم، المفرد («أعلم لماذا يحتجّ الناس ضدّ العولمة») أو الجمع («نشاهد جوانب منها ونشعر بالذعر»)، أو ضمير الغائب («ليست المسألة هي كيفيّة الحدّ من العولمة»). والفاعل النحويّ في الأقوال الخبرية ذات السيرورة العقليّة هو ضمير المتكلّم. وتمثّل الأقوال الخبرية

العالم في مستويات متنوّعة من التجريد والتعميم، وبعض هذه الأخيرة يُمعن في التجريد بعيداً عن الأحداث والظروف والسيرورات المحسوسة («بديل العولمة هو العزلة»).

أمّا في ما يخصّ صيغة القول الوجوبيّة، يوجد في المقتطف ثلاث حالات، كلّها احتماليّة. والاحتمال شديد في حالة منها («لابدّ من أن يُظهر المجتمع العالمي قدرته على الرحمة وعلى استخدام القوّة»)، ومتوسّط في الحالتين الأخريين (تتضمّنان «يجب أن تظهر القيَم التي نؤمن بها جليّة في ما نفعله في أفغانستان»).

عند النظر في هذه الحالات المرتبطة بصيغة القول في المقتطف، ما الذي يمكن أن نستنتجه بخصوص «دور» السياسيّ، أي بلير، في النصّ؟ **أوّلاً**، إنّه «دور» تحاوري إلى حدّ ما، يتواصل مع الآخرين، ولا يُعلن فقط عمّا يُخاطب به نفسه. **ثانياً**، إنّ هذا «الدور» يفترض أنّه يملك سلطة التوقّع. **ثالثاً**، تصدر عنه التزامات شديدة اليقينيّة، ويتنقّل بين الالتزام الشديد بما هو قائم (أقوال خبرية وقائعيّة) والتوقّعات الشديدة والأقوال الخبرية الأخلاقيّة التي تستخدم صيغ القول الوجوبيّة. يتحدّث من موقع السلطة عن القائم والآتي وما يجب أن يكون، ويربط هذه العناصر بعضها ببعضٍ. **رابعاً**، يتأرجح كلامه بين كونه يصدر عن مجهول وكونه يصدر عن شخصه (الأقوال الخبرية التي تحوي ضمير المتكلّم المفرد) أو عنه باعتباره ينوب عن جماعتين، إمّا «المجتمع العالميّ» (قد يعتبر البعض هذا الأخير جماعة تقتصر العضويّة فيها على الدول الأساسيّة، كتلك التي تقود «التحالف ضدّ الإرهاب»)، أو جماعة تملك التجربة المُتداولة، يشير إليها بضمير المتكلّم الجمع الاحتوائيّ («نحن جميعاً»). **خامساً**، لا تقتصر التزاماته اليقينيّة على السيرورات والعلاقات في العالم الماديّ، إنّما تشمل، على نحوٍ أهمّ، السيرورات العقلية،

المشاعر المنسوبة إلى ضمير المتكلّم الجمع، على سبيل المثال. سادساً، يلتزم التزاماً يقينياً بأقوال خبرية فيها أحياناً الكثير من التعميم والتجريد. أرى أنّ سمات صيغة القول وأشكال الالتزام المذكورة، جزء من سيرورة تحديد الذات في «دور» بلير السياسيّ.

أمّا بالنسبة إلى التقييم، يوجد قولان خبريّان تقييميّان في المقتطف («المتظاهرون محقّون عندما يتحدّثون عن غياب العدالة والفقر والتدهور البيئيّ»، «فستكون هذه الأخيرة [العولمة] قوّة خيّرة»، سياق هذه الجملة افتراضيّ، نستطيع إعادة صياغتها كقول خبريّ تقييميّ، هو الآتي: «يمكن أن تكون العولمة قوّة خيّرة»). يوجد أيضاً عدد من الأقوال الخبرية تدخلها صيغ قول وجوبيّة تُسهم في التقييم (منها «يجب أن تظهر القِيَم التي نؤمن بها جليّة في ما نفعله في أفغانستان»). علينا أن نلاحظ أيضاً وجود عبارة غائيّة («لأجل تقديم المأوى والطعام خلال أشهر الشتاء للاجئين داخل أفغانستان وخارجها»)، ممّا يستتبع اعتبار تقديم المأوى والطعام للاجئين أمر مرغوب فيه (راجع التمييز بين الشرعنة والتقييم الأخلاقي، في الفصل الخامس). ويوجد في النصّ أيضاً عددٌ من التعابير التي تُطلق تقييمات إيجابيّة («للتأكّد») أو سلبيّة («وقد يستسلم»)، ويوجد ما وراء ذلك عدد من القِيَم المسلَّم بها ليس النصّ هو الذي يُطلقها. تتضمّن هذه الأخيرة التسليم بأنّ «العزلة» غير مرغوب فيها («ذلك أنّ بديل العولمة هو العزلة») ـ ومن المُلاحظ أنّ «العولمة» مرغوب فيها، باعتبارها الحلّ الآخر.

بيّنتُ أدناه القيم الأساسيّة التي يلتزم بها بلير في المُقتطف ـ ما يُنشأ في النصّ كمرغوب فيه، وما يُنشأ كغير مرغوب فيه (لا تستنفد القائمة كلّ القِيم).

- **مرغوب فيه**

دعم الفعال بقِيَم

تقديم التزامات

يكون النظام ذا قاعدة واسعة، يوحّد المجموعات الإثنيّة، ويجد حلاً للفقر

التحرّك بالاستناد إلى التفكير والتخطيط

تقديم المأوى والطعام والمساعدة للاجئين

الرحمة في العلاقات الدوليّة

ردّ السياسيّين على الحجج المُعطاة

التحدّث علناً عن غياب العدالة، والفقر، والتدهور البيئيّ

الاعتراف بالوقائع

تغيير الناس الأمور بأنفسهم

الجمع بين العولمة والعدالة

وضع السلطة والثروة وفرص النجاح بين أيدي معظم الناس، وليس فقط القلائل

العولمة

- **غير المرغوب فيه**

الهرب من الوضع الصعب

استسلام السياسيّين لما يواجههم

غياب العدالة، والفقر، والتدهور البيئيّ

استفادة القلائل فقط من العولمة

العزلة

يشير بلير صراحةً في المقتطف إلى القيَم (وكذلك إلى «المبادئ») ـ «يجب أن تظهر القِيَم التي نؤمن بها جليّة في ما نفعله في أفغانستان». عندما يعلن بلير التزامه بهذه القيم، يعرّف بنفسه وفق الطريقة التي يقوم بها السياسيّون عادةً ـ كالقائم بـ «دور» أخلاقي (مثال ذلك: تستند الفعال إلى القيَم)، السياسي المستنير (مثال ذلك: يكون النظام ذا قاعدة واسعة، يوحّد المجموعات الإثنيّة، ويجد حلاً للفقر)، الإنسانيّ (الرحمة في العلاقات الدوليّة)، الديمقراطيّ (تغيير الناس الأمور بأنفسهم)، الواقعيّ (الاعتراف بالوقائع).

وفي ما يلي أقارن بين نصّ بلير ونصّ كانتر (النصّ التاسع). لا يملك نصّ كانتر البعد الحواري والاختلاف الذي نجده في نصّ بلير، فهو بالدرجة الأولى مخاطبة ذاتيّة. صحيح أنّ التوقّعات التي يحويها تنحصر في ما سيقوم به المؤلّف في الفصل الذي يكتبه («سنرى كيف تُطبّق مبادئ تشكيل الجماعة داخل المؤسّسات وأماكن العمل»)، لكنّه يتضمّن أيضاً تأرجحاً بين الأقوال الخبرية الوقائعيّة ذات صيغة القول المعرفيّة (مثال ذلك: «يختلف التكامل الأكبر الذي يشكّل جزءاً أساسياً من الثقافة الإلكترونيّة عن المركزيّة في المجالات السابقة»)، والأقوال الخبرية الأخلاقيّة ذات صيغة القول الوجوبيّة («يجب أن يصحب التكامل مرونة وتفويضاً لأجل الحصول على استجابة سريعة وإبداع وتجديد يعتمد على الارتجال»). والنصّان متشابهان من حيث تقديم التزامات شديدة اليقينيّة، علماً أنّه توجد أقوال خبرية احتماليّة أكثر في نصّ كانتر (مثال ذلك: «الشركات التي تعتبر نفسها أفضل بكثير من منافساتها في استخدام شبكة المعلومات غالباً ما تمتلك تنظيماً مرناً وداعماً وتعاونياً»، حيث تشكّل «غالباً» وَسم «الاعتياديّة»)، ممّا يوحي «بحذر أكاديميّ» من المبالغة في تعميم النتائج (كانتر ذات مرتبة أكاديميّة عالية، ويستند كتابها إلى

مشروع بحثيّ واسع النطاق). يحتوي النصّان على التزامات يقينيّة بأقوال خبرية شديدة التجريد والتعميم (مثال ذلك: «يسمح الاشتراك في طريقة الفهم بتقدّم السيرورات بدون عائقٍ تقريباً. . .»). لكنّ نصّ كانتر أقلّ شخصنة من نصّ بلير، مع أنّه توجد أقوال خبرية شخصيّة ترتبط بقراءة النصّ وكتابته (مثال ذلك: «سنرى في هذا الفصل كيف تُطبّق مبادئ تشكيل الجماعة داخل المؤسّسات وأماكن العمل. . .»). وأنماط السيرورات في الأقوال الخبرية ذات الالتزام اليقينيّ هي علائقيّة في معظمها، وبعضها ماديّ (مثال ذلك: «إنّ الشركة الناجحة في مجال شبكة المعلوماتيّة تعمل بشكل مختلف. . .) أو كلاميّ («لا فرق بين ما يقوله المتقاعسون والقدوة بشأن. . .). لا وجود لسيرورات عقليّة (باستثناء « سنرى في هذا الفصل. . .»، التي تشير إلى الفصل الذي ترد فيه).

أنتقل إلى التقييم. وأورد أدناه بداية النصّ التاسع:

إنّ الشركة الناجحة في مجال شبكة المعلوماتيّة تعمل بشكل مختلف عن الشركات المتقاعسة مقارنة بها. وجدت في استطلاع إلكترونيّ عالمي قُمتُ به أنّ الشركات التي تعتبر نفسها أفضلَ بكثير من منافساتها في استخدام شبكة المعلوماتيّة غالباً ما تمتلك تنظيماً مرناً وداعماً وتعاونيّاً. ويوجد احتمال أكبر أن تؤكّد الشركات «الأفضل»، أكثر من الشركات «الأسوأ» - والنتيجة الإحصائيّة حاسمة، على وجود الأمور الآتية:

- تتعاون الأقسام بعضها مع بعضٍ (بدل أن ينطوي كلّ قسم على نفسه).
- يُعتبر النزاع مصدر إبداع (بدل اعتباره شالاً للحركة).
- يمكن للعاملين أن يفعلوا كلّ ما لم يُعلن عن منعه (بدل أن يفعلوا فقط ما يُعلن أنّه مسموح).

● يتّخذ القرارات العاملون الأوسع معرفةً (بدل أن يتّخذها الأعلى مرتبةً).
لا فرق بين ما يقوله المتقاعسون والقدوة بشأن الكدّ في العمل (في إجابة عن سؤال عمّا إذا كان العمل ينحصر في أوقات العمل أو يتخطّاها ليشغل الأوقات الخاصة)، لكنّ الفرق بين الجهتين يكمن في ما يقولونه عن مدى التعاون في العمل.

إحدى السمات المفاجئة في هذا المقتطف هي أنّ كانتر تنقل لنا المعلومات بأسلوب تقييميّ جداً، على الرغم من أنّها نتائج بحثيّة. يوجد عدد كبير من الأقوال التقييميّة، علماً أنّها محقّقة بطرق تُعتبر تضمينيّة، بالمعنى الواسع للكلمة. يمكن اعتبار الأقوال التقييميّة المُباشرة افتراضات. تفترض جملة «إنّ الشركة الناجحة في مجال شبكة المعلوماتيّة. . .» أنّ بعض الشركات ناجحة في مجال شبكة المعلوماتيّة، حيث «الناجحة في مجال المعلوماتيّة» قول تقييميّ هو عبارة مَوصولة. ويفترض تعبير «بشكل مختلف عن الشركات المتقاعسة» أنّه يوجد نقيض لـ «الشركات الناجحة». يُشير النصّ إلى «الشركات الناجحة» بكلمة «الأفضل» وإلى «الشركات المتقاعسة مقارنة بها» («علاقة إحاليّة») بكلمة «الأسوأ»، مفترضاً أنّ الأولى هي الأفضل والثانية الأسوأ. وهذا تصنيف تراتبيّ يفصل بين المرغوب وغير المرغوب فيه، ولا يخفّف من ذلك سوى وضع المؤلّف «أفضل» و«أسوأ» بين مزدوجين. وتُطلق الإحالة (الإرجاع إلى وحدة سابقة في النصّ) مجدّداً الافتراض التقييميّ بأنّ النمط الأوّل من الشركات «ناجح» والثاني «متقاعس».

ويحوي النصّ إضافة إلى هذه الأقوال التقييميّة المُضمّنة، قيماً مسلّماً بها. في الخطاب الذي ينتمي إليه النصّ، يُعتبر امتلاك الشركة

«تنظيماً مرِناً وداعماً وتعاونيّاً» أمراً مرغوباً فيه، لكن من المُلاحظ استخدام صيغة القول «غالباً» مع المسلّمة التقييميّة، ممّا يخفّف من الالتزام اليقينيّ، وفق الحذر المُعتمد في الأسلوب الأكاديميّ. تحتوي أيضاً قائمة النتائج في وسط النصّ على قِيَم مسلّم بها: يسلّم الخطاب المذكور بأنّ التعاون والنزاع الخلّاق، وما إلى ذلك، أمورٌ مرغوب فيها. وتنقل لنا الجملة التي تتبع ذلك في النصّ نتائج الأبحاث بأسلوب محمَّل بالقِيَم، مستحضراً ثانية فضائل العمل التعاونيّ.

وألْخُصُ بعض أهمّ الأمور المرغوب فيها وغير المرغوب فيها في نصّ كانتر كالآتي:

- **مرغوبٌ فيها**

امتلاك تنظيم مرِنٍ وداعم وتعاونيّ
العمل التعاونيّ
النزاع الخلّاق
إمكانيّة التصرّف بحريّة (القيام بكلّ ما لم يُعلن عن منعه)
استناد القرارات إلى المعرفة
أن تشكّل الشركة جماعةً
إحساس المنتمين إلى الشركة بأنّهم أعضاء فيها
وجود طُرق فهم مشتركة
وجود مجموعات تعرف كيف تعمل بعضها مع بعض
الانتقال السريع للمعلومات
المبادرة إلى التعاون
امتلاك الشركة روحاً

- **غير مرغوب فيها**

انطواء الأقسام على نفسها

اعتبار النزاع شالاً للحركة
القيام فقط بما يُعلن أنّه مسموح
أن يتّخذ القرار الأعلى مرتبةً في العمل
إحساس المنتمين إلى الشركة بأنّهم مستخدمون
البيروقراطيّة
تحديد مهمّات العمل بشكل ضيّق
وجود تراتبيّة هدفها الأمر والمراقبة
حَجب المعلومات

لنقارن الآن باختصار بين «دور» السياسيّ و«دور» الخبير، كما يظهران في النصّين المدروسَين، بحثاً عن المشترك والاختلافات، علماً أنّنا لا نهدف إلى إطلاق تعميمات حول «الدّورَين» المذكورين بالاستناد إلى مثالَين فقط، إنّما إلى بيان إمكانيّة إسهام التحليل النصّي في دراستهما دراسةً وافية. إنّهما شكلان مختلفان للسلطة والهويّة المرتبطَتين بالشأن العام. كلاهما يتكلّمان/ يكتبان باعتبارهما سلطة في مجالهما، وبطريقة غالباً ما هي مجرّدة وعامة، علماً أنّه يمكن اعتبار وجود عدد أكبر من الأقوال الاحتماليّة في نصّ كانتر مؤشراً على هويّته المعقّدة، فهو «المُرشد» والأكاديميّ. وكلا الدورين يتنقلان من وإلى نوعين من الأقوال النابعة من امتلاك السلطة: الخبرة اليقينيّة والخبرة الأخلاقيّة. كلاهما يفترضان امتلاك سلطة إعلام الآخرين بما هو قائم وبما يجب أن يكون. لكنّ السياسيّ فقط يتحاور مع الآخرين مُجادلاً، ويتكلّم بصفة شخصيّة ونيابة عن الآخرين مُفصِحاً عن سيروراتهم العقليّة («أحاسيسهم»). (لا تتحدّث كانتر بصفة شخصيّة إلاّ لتشير إلى كتابتها، وتتحدّث نيابة عن الآخرين لتشير إلى قراءاتهم لفصل من كتابها).

أمّا في ما يخصّ التقييم، فلغة الخبير ليست أقلّ ارتباطاً بالقيم من لغة السياسيّ (كَون المرء خبيراً، أو حتّى عالماً، لا يعني أن

خطابه خالٍ من القِيَم، حتى وإن كانت الطريقة التي يُعرب بها لا تنمّ عن ذلك[15]. في الواقع، إنّ قِيَم كانتر أكثر ظهوراً من قِيَم بلير، فنصّها يحتوي على عدد من الأقوال التقييميّة، علماً أنّها أقوال مضمَّنة. هناك تَباين واضح بين بلير وكانتر في ما يخصّ اتّساع الالتزامات القيميّة: يُلزم بلير نفسه بمجموعة واسعة من القِيَم العامة، في حين تُلزِم كانتر نفسها بمجموعة من القِيَم التنظيميّة الأكثر تحديداً.

السيّد بلير المتنوّع: الهويّات المُمتزجة

يُتّهمُ بلير أحياناً بأنّه يُحاول أن يكون «أيّ شيءٍ لأيّ كان»، مع أنّ هذا، بمعنى ما، هو ما يُحاول أيّ سياسيّ أن يقوم به ـ على السياسيّين التوجّه إلى عدّة قواعد انتخابيّة والحصول على مُساندتها، ويزداد ذلك مع ازدياد التحوّلات في الولاء السياسيّ. لا يمكن اعتبار بلير السياسيّ «شخصية واحدة» ليس إلاّ، ولكنه شخصية مؤلفة من عدد متنوع من الوجوه الـ «طوني بليرية». يتعلّق الأمر إلى حدّ ما بطبيعة الجمهور ـ على سبيل المثال، يُخاطب بلير «صاحب القرار» جمهوراً من أصحاب الأعمال، ويُخاطب بلير «المواطن» «المجتمعَ المدنيّ»، وبلير «القائد» حزبَ العمّال[16]. لكنّ يمكن أيضاً مُشاهدة بلير يتنقّل بين هذه الهويّات المختلفة في الخطبة، أو المقابلة، الواحدة[17].

على سبيل المثال، يمكن تفسير تعليقاتي على وجهة القول في

(15) انـظـر: B. Wynne, «Creating Public Alienation: Expert Discourses of Risk and Ethics on GMO's,» *Science as Culture*, vol. 10, no. 4 (2001), pp. 445-481.

(16) P. Donadio, «Modal Variations and Ideological Change,» LAUD Symposium, Landau, 2002.

(17) Fairclough, *New Labour, New Language?*.

النصّ الخامس على أنّها تتناول التّغاير والتناقض، ذلك أنّ «دور» بلير دور تناقضيّ: يتحدّث من ناحية بصفة غير شخصيّة، أو نيابة عن «المجتمع الدوليّ»، عمّا هو قائم (صيغة قول معرفيّة) وما سيكون (توقّعات) وما يجب أن يكون (صيغ قول وجوبيّة)، ويتحدّث من ناحية أخرى بصفة شخصيّة (الأقوال الخبرية التي تحوي ضمير المتكلّم المفرد) ونيابةً عن «نحن» جامعة - جماعة ذات تجربة مشتركة («نحن جميعاً»). تصدر عنه من موقع سلطويّ أقوال خبرية تتناول السيرورات والعلاقات في العالم المحسوس، وتصدر عنه أيضاً أقوال خبرية عمّا نشعر به نحن (كلّنا).

قد يرى البعض أنه بالنسبة إلى أيّ سياسي مُعاصر يوجد توتر بين هويّته كوجه رسميّ، كقائد، وهويّته كـ «شخص عاديّ». قد بيّنت في مكان آخر[18] أنّ هذا ينطبق أيضاً على بلير: وجهه الرسمي راسخ دائماً في «شخصه العاديّ»، وهذا واضح حتّى في الخطبة التي اقتطفنا منها النصّ الخامس، فهي خطبة أساسيّة يتناول فيها «الحرب على الإرهاب»، باعتباره أحد رجال الدولة الأكثر بروزاً، أو رجل الدولة الأبرز، في «المجتمع الدوليّ». في خطب أخرى له، يظهر «الشخص العاديّ» بشكل أوضح في الهويات الممتزجة:

فروست (Frost)): وكيف تتعامل مع هذا الموضوع (تكرار «مع هذا الموضوع») الذي ذكرته عن حقّ بخصوص (تكرار «بخصوص») الطريقة التي وقفت بها أقوى عناصر الصحافة ضدّ هذه السياسة المتعلّقة بأوروبا. أعني (.) إعلام ماردوخ (Murdoch)، (آم) مجموعة التلغراف، مجموعة المايل، هنا

(18) المصدر نفسه.

مباشرة توجد جهات عديدة (آم). كيف يؤثّر ذلك على سلوكك السياسيّ، هل يؤثّر فقط في طريقة تقديم سياستك، أم هل يؤثّر فقط في كونك لا تقرأ هذه الصُحف؟
بلير: (يضحك) لا، يعني أنّك يجب أن تتخطّاهم إلى حدّ بعيد(.) و(تكرار «و») تصل إلى الناس (.). ولتكن بيننا مُناظرة شريفة (.)، أعني بخصوص اليورو. سمعنا قبل عيد الميلاد قصصاً مضحكة جداً حول ما تنوي أوروبا أن تفعل بضرائبنا وأسلوب حياتنا وكلّ الباقي. يوجد سؤال كبير (.) بشأن مستقبل بريطانيا (.) والتوجّهات الجديدة للبلد و(.)
أعتقد أنّ بريطانيا لا تستطيع أن تبقى منفصلة عن أوروبا. على بريطانيا أن تكون جزءاً من أوروبا، هذا ما أعتقد(.). وأقول إنّ اختيار اليورو يجب أن يكون (.) لمصلحتنا الاقتصاديّة الوطنيّة (.). لكن ما لا نستطيع أن نفعله (.) هو اعتبار بقائنا منفصلين عن أوروبا مسألة مبدأ.

هذا مقتطف من مقابلة تلفازيّة بين بلير والسير دايفد فروست (Sir David Frost) في نيسان/ أبريل 1998. وفيه وَسْمان لصيغة القول الذاتيّة: ضمير المتكلّم المفرد والسيرورة العقليّة في «أعتقد» (ترد مرّتين)، وضمير المتكلّم المفرد في «أقول». ويمكن اعتبار «أعني» تسم وجهة قول ذاتيّة. وهناك ضمائر أخرى ذات أهميّة: ضمير المتكلّم الجمع في «لِنكن» و«سمعنا» و«ضرائبنا» و«أسلوب حياتنا» و«ما لا نستطيع أن نفعله»، فهو ضمير «نحن» الجامعة ـ «كلّنا». ويرد ضمير المُخاطب العام في المُقتطف مرّة واحدة، ويدلّ على تجربة مُشتركة. بشكل عام، يبرز حضور بلير «الشخص العاديّ»، بلير الذي يتحدّث كمواطن عاديّ وعضو في المجتمع، في المقتطف أعلاه أكثر منه في النصّ الخامس. وفي المقتطف أيضاً سمات أخرى تدعم هذا

البروز: استخدام الكلمة الحواريّة «مضحكة» والركن «وكلّ الباقي» وسماتٌ تخصّ النبرة (إدخال صوت انفجاريّ حنجري - كالهمزة - على - «got to» (يجب أن) - بدل ما يُلفظ تاء في نُطقٍ يجمع بين لهجة لندن واللّهجة الرسميّة) والإلقاء (تطويل انفعاليّ للمقطع الصوتيّ الأوّل في «مضحكة») و«اللغة الجسديّة» (ابتسامة جاذبة وضحكة للردّ على النكتة التي أنهى بها فروست سؤاله، وتمايل في رأسه من ناحية إلى أخرى عند قوله «مُضحكة»). نجد في هذا «تجاوزاً للرسميّات»[19] في صياغة الهويّات، وهذه خصوصيّة تسم الحياة العامة الحديثة: ينتقل الخاص إلى ميدان الشأن العام و«العاديّ»[20]، تصبح لغة الشأن العام حواريّة[21].

الهويّة الاجتماعية والشخصيّة

ليس بلير السياسيّ مجرّد رجل يقوم بدور اجتماعيّ، هو أيضاً شخصيّة، توظيف شخصيّ معيّن لـ «دور» السياسيّ. يمكن توصيف ذلك جزئيّاً بما يسمّى استخدامات فرديّة: على سبيل المثال، يبدو أنّ تمايل الرأس الخاص في معظمه (يقلّده فنّانو الهجاء) - أشرتُ إليه أعلاه - استخدام فرديّ. لكن يمكن أيضاً اعتبار شخصيّة بلير ناتجة جزئيّاً من الطريقة المميّزة التي يمزج بها هويّاته المتعدّدة: «الشخص العاديّ»، القائد «الشديد» رجل الدولة العالميّ، رجل المبادئ والقناعات

(19) B. Mitzal, *Informality: Social Theory and Contemporary Practice* (London: Routledge, 2000).

(20) Richard Sennett, *The Fall of Public Man* (New York: W. W. Norton, 1974).

(21) Norman Fairclough, *Discourse and Social Change* (Cambridge, MA: Polity Press, 1992).

و«القِيَم». بالنسبة إلى هويّة بلير كـ «شخص عاديّ» وسط الهويّات الأخرى، على كلّ سياسيّ في أيامنا أن يواجه التوتّر (الذي أشرنا إليه أعلاه) بين أن يكون «عاديّاً» واستثنائيّاً (قائداً، شخصيّة رسميّة)، لكنّ السياسيّين يختلفون بعضهم عن بعض، يُبَلورون شخصيات مختلفة من حيث إدارتهم للتوتّر ونوعيّة المزيج وطبيعة العناصر المميِّزة الأخرى التي يحويها المزيج. أحد العناصر، على سبيل المثال، التي نجد أنّ بلير قد تعلّمها من مارغريت تاتشر (Margaret Thatcher) هو «السياسيّ صاحب القناعات»، رجل المبادئ وحتى الشغف، وهذا عنصر لا يملكه، أو ينمّيه، كلّ السياسيّين.

«تجميل» هويات الحياة العامة

يُرجع بعض الباحثين بداية «تجميل» السياسة[22] إلى المرحلة النازيّة، مثال ذلك الإدارة التجميليّة للمسيرات الكبيرة التي نظّمها الألمان في ثلاثينيّات القرن العشرين. في زمن أقرب إلينا، يشير المحلّلون إلى انتشارٍ أكبر لـ «تجميل» الحياة الاجتماعيّة، حياة المستهلكين الخاصة والحياة العامة[23]. وما الانشغال بالصورة سوى جانب من ذلك، ويمكن مُتابعة هذا الأمر في مجال السياسة، وحديثاً في التربية («صورة» الأكاديميّ الناجح، على سبيل المثال[24]، وفي

(22) David Harvey, *The Condition of Postmodernity: An Enquiry into the Origins of Cultural Change* (Oxford: Blackwell, 1990).

(23) Lilie Chouliaraki and Norman Fairclough, *Discourse in Late Modernity* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1999); Mike Featherstone, *Consumer Culture and Postmodernism* (London: Sage Publications, 1991), and Celia Lury, *Consumer Culture* (Cambridge: Polity Press, 1996).

(24) انظر: Pierre Bourdieu, *On Television* (New York: New Press, 1998).

فردانيّة الحياة الخاصة. وتشييد صورة مُجمَّلة جزء من تحديد «الأدوار»، كدور السياسيّ أو مدير الأعمال أو ـ على مستوى أعمّ ـ الخبير، وهذه سيرورة ـ أقولها ثانيةً ـ نصيّة في جزء منها.

بالنسبة إلى طوني بلير، يشير الاقتباس الذي ذكرته في الفصل التاسع من مستشاره فيليب غولد (Philip Gould) إلى سيرورة بناء صورة القائد السياسيّ باعتبارها جزءاً من السياسة الحديثة لا يمكن تلافيه. توجد حاجة إلى اعتبار كلّ ظهور سياسيّ لبلير، بخاصة عندما يُلقي خطبة، في جانبٍ منه حدثاً تمّ تجميله وجزءاً من تحديد هويّة بلير كصورة مُجمَّلة يتمّ تشييدها. ويستلزم ذلك، بالطبع، تخطّي نصّ الكلام الذي قيل في مناسبة معيّنة والنظر في المناسبة ككلّ. ويتضمّن هذا الأمر الهندسة المنظورة لمكان إلقاء الخطبة: الطريقة التي يتمّ فيها تصوير المكان وتصوير بلير باعتباره النقطة المركزيّة، و«توجيه الأذهان» نحو الحدث، ويقوم بذلك «أساتذة التوجيه» بهدف بلورة التغطية الإعلاميّة قبل الحدث وبعده. ويتضمّن أيضاً الظهور الجسديّ لبلير (الذي بدأت مناقشته أعلاه)، بما في ذلك وقفته وإيماءاته وتعابير وجهه وحركة رأسه ويدَيه، وما إلى ذلك. لكن نحتاج أيضاً إلى دراسة اللغة ضمن الإطار التجميليّ المذكور، فهي أيضاً تمّت هندستها إلى حدّ ما لإحداث أثر تجميليّ. ويمكننا اعتبار ذلك جزءاً ممّا تستلزمه دراسة لغة السياسة على أنّها «لغة بلاغيّة» تتألّف من طرق نحويّة ومفرداتيّة وإيقاعٍ يتشكّل في الخطاب.

والمنظور البلاغيّ يُعيدنا إلى حدّ ما إلى البلاغة التقليديّة. على سبيل المثال، «التوازي»[25] في بداية النصّ الخامس وسيلة بلاغيّة أو أسلوبيّة مُعتمدة:

---

(25) Geoffrey N. Leech and Michael H. Short, *Style in Fiction: A Linguistic Introduction to English Fictional Prose* (London: Longman, 1981).

لا تبالغوا في ردّة الفعل. نحن لا نفعل.
نحن لم نضرب على حين غرّة. لم نُطلق صواريخ في اللّيلة الأولى سعياً وراء التأثير، ليس إلاّ.
لا تقتلوا الأبرياء. لسنا نحن من أعلن الحرب على الأبرياء. نحن نبحث عن المذنبين.
ابحثوا عن حلّ ديبلوماسيّ. ليس من ديبلوماسيّة مع ابن لادن أو الطالبان.
وجّهوا إنذاراً نهائيّاً وانتظروا الإجابة. فعلنا ذلك، ولم يجيبوا.
افهموا أسباب الإرهاب. نعم، يجب أن نجرّب، لكن ليكن الأمر الآتي واضحاً من الناحية الأخلاقيّة: ليس من شيء يبرّر أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر.

يوجد في هذا المثال توازٍ نحويّ: سلسلة من الجُمل الأمريّة («لا تبالغوا في ردّة الفعل»، «لا تقتلوا الأبرياء»... إلخ) يتبعها سلسلة من الجمل التصريحيّة في معظمها - ممّا يجعل النصّ يُحاكي حواراً، كما ذكرت في الفصل الثالث. ويجب أيضاً، كما ذكرت، دراسة الإلقاء، ويتضمّن ذلك الإيقاع. لكنّ التجميل عند بلير مرتبط جدّاً بشخصيّته، لأنّ الشخصيّة في السياسة الحديثة مُعطاة جزئيّاً، وجزئيّاً مشغولة ومنمّاة، إنّها مسألة «صورة». لذلك إنّ خليط الأساليب المختلفة المُميَّز، الذي أشرتُ إليه أعلاه، هو أيضاً جزء من الصورة المُجمَّلة.

المواطنون والخبراء ونطاق الحياة العامة

جذبت العلاقة بين الجمهور وأنماط مختلفة من الخبراء اهتمام عدد من مجالات البحث الاجتماعيّ، بما في ذلك علم

الاجتماع[26] ودراسة وسائل الاعلام[27]. ويمكن أن نعتبر هذا الشأن مرتبطاً بتساؤلات ومشاكل تخصّ المُواطنة في المجتمع المُعاصر، وبالمكانة المعاصرة للحياة العامة وازدهار هذه الأخيرة، وقد تناولتُ نوعاً ما هذا الموضوع في الفصول السابقة[28].

أريد الآن أن أناقش مفهومَي المواطن والخبير باعتبارهما «دورَين»، بالاستناد إلى معطيات اجتماع عُقد في مكان ما في إنجلترا لمُناقشة تجارب زراعيّة في التعديل الجينيّ للطعام تمّت في منطقة الاجتماع (النصّ الخامس عشر في المُلحق). وهو اجتماع حصل فعلاً، لكن اشترطَ علينا منظّموه عدم تحديد حيثيّاته[29]. والهدف من

---

(26) Anthony Giddens, *Modernity and Self-Identity: Self and Society in the Late Modern Age* (Cambridge: [Polity Press], 1991).

(27) Sonia M. Livingstone and Lunt, *Peter K. Talk on Television: Audience Participation and Public Debate* (London: Routledge, 1994).

انظر أيضاً: Norman Fairclough, *Media Discourse* (London: Edward Arnold, 1995).

ودراسة العلوم: B. Wynne, «Creating Public Alienation: Expert Discourses of Risk and Ethics on GMO's,» *Science as Culture*, vol. 10, no. 4 (2001), pp. 445-481.

(28) Craig Calhoun, ed., *Habermas and the Public Sphere* (Cambridge, Mass.: MIT Press, 1992); Jürgen Habermas: *The Structural Transformation of the Public Sphere: An Inquiry into a Category of Bourgeois Society*, Translated by Thomas Burger with the Assistance of Frederick Lawrence (Cambridge: Polity Press, 1989); *Between Facts and Norms: Contributions to a Discourse Theory of Law and Democracy*, Translated by William Rehg (Cambridge: Polity Press, 1996), and Richard Sennett, The Fall of Public Man (New York: W. W. Norton, 1974).

(29) هذا المثال مأخوذ من مشروع بحث موّله الاتحاد الأوروبيّ، ويتناول تشبيه المُواطنيّة في سياق إجراءات الموافقة على اختبارات الزراعات المعدّلة جينيّاً («المُساهمة ومناقشة التموقع الاجتماعيّ موضوع الكيمياء البيولوجيّة. صُور الأنا والآخرين في إجراءات اتخاذ القرارات»). وزميلي في الفريق البريطانيّ، في هذا المشروع الذي شاركت فيه ثمانية أوطان، هما سايمون باردو (Simon Pardoe) وبرون سزارزينسكي (Bron Szerszynski). وأنا مدين لهما في تحليلي لهذا المثال.

تلك التجارب هو معرفة ما إذا كانت المزروعات المُعدَّلة جينياً تؤثّر سلباً على البيئة أكثر من مثيلاتها غير المعدَّلة. والشكل العام للاجتماع مماثل للكثير من اجتماعات الشأن العام. شارك فيه عدد من الشخصيّات المحليّة المعروفة. في القسم الأوّل من الاجتماع، أعطِيَ عدد من المُحاضرين حقّ الكلام، أمّا في القسم الثاني فقد سُمح للجمهور بطرح أسئلة على المحاضرين. كان المحاضرون خبراء من أنماط مختلفة: موظّف حكومي يملك خبرة في مجال التجارب الزراعيّة، وممثّل شركة تُنتج بذوراً معدّلة جينياً يستخدمها المزارعون ـ وهو عالم، وممثّل مؤسّسة تسوّق الزراعة العضويّة ـ وهو خبير بمستلزمات الزراعة المعدّلة جينيّاً في إطار الزراعة العضويّة.

أبدأ بالخبراء. إليكم مقتطف من كلمة الافتتاح التي ألقاها الموظّف الحكوميّ، ويتحدّث فيها عن «السيرورة التشاوريّة» وتوجيهات هيئة الاتّحاد الأوروبيّ التي تتحكّم بها:

> إحدى المسائل التي تظهر كثيراً في الاجتماعات العامة هي مسألة التشاور. وأودّ أن أخصّص قليلاً من الوقت لأشرح القيود التي تحيط بسيرورة التشاور حاليّاً. لدينا الآن هيئه توجيه بدأت عملها في العام 1990، وهي لا تتيح، إلاّ بشكل محدود جدّاً، التشاور بشأن مواقع محدَّدة يمكن استخدامها لزراعةٍ فيها تبديل جينيّ. يتطلّب التشريع أن يتمّ الحكم على الطلبات المقدَّمة إلى الحكومة وفق قيمة كلّ منها، وحين تتمّ الموافقة لا يمكن إلغاؤها إلاّ بالاستناد إلى أسس علميّة مقبولة. والمجال مُتاح دائماً للنظر في دلائل علميّة جديدة.
>
> تكمن سيرورة إعلام الناس بمواقع الزراعة المعدّلة المقبلة في الإعلان عن المعلومات المتعلّقة بها في الصحف المحليّة. ننشر أنباءً جديدة في كلّ مرّة ستتمّ زراعة بذور جديدة، ونحدّد في

نشرتنا المواقع المعيّنة ضمن شبكة من ستّ خانات تصلح كمرجع. ونكتب أيضاً لكلّ مجالس الدوائر، كالمجلس الموجود هنا، لنبلغهم عن مكان المواقع ونقدّم لهم قدر الإمكان معلومات مناسبة تتعلّق بالمواقع. ونقول دائماً إنّنا مستعدّون للقدوم إلى الاجتماعات، الشبيهة بهذا، والتحدّث فيها لشرح مضمون البرامج.

وفي ما يلي مقتطف من كلمة الافتتاح التي ألقاها العالم، ممثل إحدى شركات البذور المبدّلة جينيّاً:

لماذا يمكن أن يهتمّ المزارع بهذه التقنية؟ حسناً، سبق وتحدّثتُ عن المحصول، وسأعود للحديث عنه بعد قليل. لكن المهمّ في هذا الأمر هو أنّه يمكنكم استخدام نوع خاص من مبيدات الأعشاب يُسمّى «حريّة». الآن، ما يفعله المُزارع عادةً عند زراعة اللّفت هو وضع طبقة رقيقة من مبيدات الأعشاب على التراب، حسناً. هذا ما يسمّونه مبيدات تستبق انبعاث العشب. وما يحصل هو أنّ العشب عندما يبدأ بالنموّ يصطدم بالمبيدات ويموت. أليس كذلك؟... المبيد «حريّة» يختلف، لا حاجة لرشّه على التراب، هو بالتحديد يطيح بالأعشاب عندما يوضع عليها. يعني ذلك أنّ عليكم رشّه على الأعشاب. لا ينفع رشّه على التراب، فينبت العشب بعد ذلك وينمو. واضح؟
في هذه الحالة لا يقول المزارع «أرشّ كي لا ينبت العشب»، إنّما يعرف فعلاً إذا كان يحتاج أن يرشّ. يراقب المزروعات، وإذا رأى أعشاباً ضارّة يقول لنفسه: «حسنا، هل أحتاج أن أرشّ؟»، و«إذا كنت سأرشّ، ما هي الكميّة؟». توجد أعشاب في حقله، وهو يتّخذ القرار. إذاً، نحن نبتعد عن الفكرة القائلة:

«في كلّ الأحوال سأرشّ، ربّما سينبت شيء ما»، ونقترب من القول: «إذا احتجنا للمبيد نستخدمه». وهذا أمر مثير جدّاً بالنسبة إلى المزارع.

من المهمّ أوّلاً مُلاحظة ما يعتبر هذان الخبيران أنّهما يفعلانه في كلمتي الافتتاح. يعتبر الموظّف الحكوميّ أنّه «يشرح» الأشياء، بينما يقول ممثّل الشركة إنّ هدفه «إعطاء الناس فكرة عمّا يجري». وهذان أسلوبان مختلفان يميّزان بين نمطين من الخبراء. توجد بينهما بعض الأشياء المشتركة: وجهة القول السلطويّة، والأقوال التصريحيّة الجازمة (غير الاحتماليّة)، وإنكارٌ أو إنكارين (مثال ذلك: «لا حاجة لرشّه على التراب»). لكن توجد أيضاً فوارق مُلفتة. كلا المقتطفَين تبادلان معرفيّان، لكنّ العالِم، ممثّل الشركة، يُظهر ميلاً أكبر إلى التفاعل مع الجمهور من خلال التأكّد (باستخدام «أليس كذلك؟»، «واضح؟») من أنّ أقواله قد فُهمت. إضافة إلى ذلك، يبدأ مُقتطف العالِم بسؤال، بينما أسلوب الموظّف ينزع أكثر إلى المخاطبة الذاتيّة: يصرّح الموظّف بشكل أساسيّ بأقوال خبرية، بينما يُنشأ العالِم، ممثّل الشركة، تبادلاً يحوي سؤالاً يتطلّب إجابة، ممّا يُسهم في زيادة التوجّه التبادليّ. من المُلاحظ أيضاً أنّ ممثّل الشركة يستخدم بشكل ظاهر أقوالاً تقييميّة تصحب الأقوال الخبرية الوقائعيّة («المهمّ في هذا الأمر»، «هذا أمر مثير جدّاً بالنسبة إلى المزارع»)، بينما لا يفعل الموظّف ذلك. وهو يقلّد صوت المُزارع، مضيفاً بذلك إلى نصّه بعداً دراميّاً. ويوجد تناقض آخر بين النصّين يتعلّق بالعلاقات الدلاليّة بين الجُمل وبين أركان الجملة: إنّها في النصّ الأوّل بشكل أساسيّ علاقات إسهاب وإضافة، بينما هي في النصّ الثاني أكثر تعقيداً (تفيد الإسهاب والتباين والشرط والنتيجة). تُضاف هذه السمات وغيرها إلى المخاطبة التفاعليّة التي يقوم بها ممثّل الشركة، بعكس الموظّف

الحكوميّ: يستخدم الأوّل «وَسمات خطابيّة» تسم علاقات وظيفيّة بين المقولات («حسناً»، «الآن»)، وعدداً من البناءات «التكافئيّة المَواضيعيّة»[30] التي تقدّم بنيةً إبلاغيّة أكثر كثافة، إذ تقسم العبارة إلى جزأين تقوم بينهما علاقة تكافئيّة (قارن بين «يضع المزارع طبقة رقيقة من مبيدات الأعشاب على التراب» من ناحية، وما يقوله ممثّل الشرْكة: «ما يفعله المُزارع» هو (عبارة تكافئيّة) «وضع طبقة رقيقة من مبيدات الأعشاب على التراب» من ناحية أخرى).

نحن، كما قُلت، أمام أسلوبَين مختلفَين لنمطَين من الخبراء. أسلوب الموظّف الحكوميّ تقليديٌّ أكثر، مرتبط بالسلطة البيروقراطيّة، أمّا أسلوب العالِم فمرتبط بنموّ العلاقة بين الخبراء والإعلام، بمعنى أنّ اعتماد الخبراء على وسائل الإعلام، في أيامنا، لتوصيل ونشر آرائهم، في ازدياد. ولا يعني ذلك أنّ موظّفي الحكومة لا يتأثّرون بهذا التطوّر، إنّما ربّما، بخلاف الأنماط الأخرى من الخبراء، لم يتأثّروا حتّى الآن بما يكفي لتغيير أسلوبهم بشكل جذريّ. لم يكن عليهم العمل بجدٍّ لاكتساب القدرة على «التواصل» مع جماهير كبيرة (التوصّل إلى الوضوح، جذب السامع، الإقناع... إلخ)، أو رفع مستوى علاقاتهم العامة. ما تجدر الإشارة إليه بشأن الأسلوب الجديد في تقديم الخبرات هو الربط بين العلم والأعمال ووسائل التواصل: ليس من المُخزي في أيامنا، بعكس ما كان الأمر عليه في ما مضى، أن يتحدّث المرء كخبير علميّ، ونيابةً عن مؤسّسة تجاريّة، مستخدماً «المهارات» الخاصة بالعلاقات العامة. لكن ربّما يُسهم الربط بين كلّ هذه الأمور في انتشار انعدام الثقة بالخبراء انتشاراً واسعاً[31].

---

(30) Halliday, *An Introduction to Functional Grammar.*

(31) Wynne, Ibid.

يرتبط الشكل العام للاجتماع، كما ذكرت باختصار أعلاه، بأساس الجدل المُعاصر حول «مشاركة» الرأي العام عامةً، وحول صياغة القرار السياسيّ بشأن الطعام المُبدَّل جينياً على وجه الخصوص. في الاجتماع طلبَ رئيس الجلسة من الجمهور الاقتصار على طرح الأسئلة، ممّا يعني أنّ المقصود «توصيل المعلومات» وليس «التشاور»: «يبلّغ» الخبراء الجمهور أو «يفسّرون» له الأمور، ويطلب الجمهور توضيح المعلومات عن طريق طرح الأسئلة. لكن في الواقع لا يكتفي المنتمون إلى الجمهور بطرح الأسئلة ـ كثيرون منهم يقدّمون طروحات، أو يصرّحون بأقوال خبرية، أو يُنشئون مُحاجّات، أو يتحدّون المُحاضرين. يمكن النظر إلى ما يحصل في اجتماعٍ من هذا النوع من منطلق اعتبار المعنيّين يتفاوضون حول مفهومِ المُواطنة ـ هو مناسبة (جديدة بالنسبة إلى بعض الحضور) يعتبر الناس أنفسهم فيها مُنخرطين في سيرورة تداول بشأن بعض مسائل الشأن العام، وأنّهم يمكن أن يُؤثّروا في سيرورة صُنع السياسات.

في ما يلي مُقتطف من كلمة قالها أحد أفراد الجمهور، قدّم لها المتكلّم بقوله إنّ لديه «سؤالاً من ثلاثة أجزاء». إليكم الجزء الأوّل منه ـ «النقطة الأولى»:

أوّلاً، إنّ كلمة «تشاور» تُستخدم كثيراً. أودّ أن أقول للسيّد الذي ينتمي إلى «قسم البيئة والغذاء ومسائل الريف» (Department for Environment Food and Rural Affairs -DEFRA-) في الحكومة إنّنا قمنا باستفتاء في قريتنا السنة الماضية، وقرّرنا أنّنا لا نريد تجارب تبديل جينيّ. وأجرينا استطلاعاً آخر هذه السنة، فقال معظم الناس إنّنا لا نريد تلك التجارب في قريتنا.

وليس هناك من يسمع ويفهم. لا تؤخذ وجهة نظرنا بعين الاعتبار، بينما أنتم، من الحكومة، تقولون أنّكم تفعلون ذلك. إنّه حوار مع الطُرشان، على ما أظنّ. بشكل أساسي، لا توجد مُشاورات، لا يُؤخذ رأينا بعين الاعتبار. النقطة الأولى.

النقطة الأولى هي أنّه من الواضح أنّ المتكلّم هنا لا يسأل سؤالاً، إنّما يصرّح بأقوال خبرية ـ يضع أمام الموظّف الحكومي معلومات رسميّة ثمّ يحكم على سيرورة التشاور. يحاول رئيس الجلسة أن يجعل الناس تكتفي بطرح الأسئلة، لكن من الواضح عامة أنهم لا يكتفون بذلك. **ثانياً**، مع أنّه يمكن اعتبار «أودّ أن أقول» تخفّف من قوّة القول الموجِب في الجملة الثانية، نحن بشكل أساسيّ أمام التزام يقينيّ شديد، أمام وجهة قول تحمل أقوالاً موجبة وأقوالاً إنكاريّة. يمكن القول إنّ المتكلّم مستعدّ لتقديم التزامات يقينيّة وأحكام شديدة، وذلك باعتباره مُواطناً (ليست الالتزامات من صلاحيّات الخبراء فقط). **والنقطة الثالثة** هي أنّ الطرح القائل إنّ «السيرورة الاستشاريّة قائمة» (كما يذكر الموظّف الحكوميّ) موضع تشكيك علَنيّ.

في ما يلي تبادل كلاميّ أوسع شارك فيه رجلان (ر1، ر2) من الجمهور والموظّف الحكوميّ. وحذفتُ الشرح المفصّل لإجراءات الإبلاغ الذي ذكرها الموظّف.

ر1: توجد بالفعل مشكلتان، مسألتان، أو ثلاث. **المشكلة الأولى** هي عدم إبلاغ الدوائر في وقت مُبكر، وبالتالي عدم إعطائها الوقت الكافي. لا نعرف بالموقع عندما يتمّ تحديده، نعرف فقط متى سيتمّ حفره. صوّت مجلس الإقليم على قرار يطلب فيه من

قسم البيئة والغذاء ومسائل الريف في الحكومة (DEFRA) السماح لنا بمعرفة زمن الاتّفاق على الموقع، وبعد ذلك يمكننا عقد اجتماع كهذا، إن شئتم، قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة. **المسألة الثانية** هي أنّه يوجد ازدياد كبير في مشاكل صحّة الأنف بسبب بذور في الهواء الآن. في الماضي كنّا نتعرّض لمشاكل حمّى القشّ في زمن القشّ. يبدو أنّنا نتعرّض للمشاكل نفسها اليوم - هل هناك فرق بين بذور المزروعات المُبدَّلة جينياً وبذور المزروعات التقليديّة؟ أعتقد أنّ هاتين قضيّتان كبيرتان تتسبّبان بالمشاكل. لا أعرف إذا كانت توجد إجابة عن كلّ منهما، لكن من المؤكّد أنّه توجد إجابة عن التأخير في الإبلاغ، وربّما توجد إجابة بخصوص المسألة الثانية. **ر2**: أيمكنني أن أشير إلى نقطة أيضاً؟ أقصد الجزء الأوّل من ذلك. هذه السنة، المرّة الأولى التي علمنا بأمر هذه المزروعات كانت من الصُّحف.

ر1: بالضبط.

ر2: واليوم الذي حصلنا فيه على بعض المعلومات من شبكة المعلوماتيّة، كان يوم الإعلان عن رشّ البزور. عندها فقط علمت الدائرة بالأمر.

ر1: طلب مجلس الإقليم من الحكومة أن تعلن، إذا أمكن، عن الموقع عند تحديده. عندها نحصل على معلومة نحتاجها. وبذلك سيكون أمامنا مدّة زمنيّة معقولة لنقدّر ما إذا كان الموقع المختار يحمل مشاكل أم لا.

الموظّف الحكوميّ: هل لي أن [كلمة غير واضحة]؟ حسناً، قلت إنّ ما نفعله هو إرسال كِتاب إلى كلّ مجالس الدوائر عندما يتمّ اقتراح موقع للاختبار. وهذا ما فعلناه.

ر1: لا، لم يحصل ذلك. الموظّف الحكوميّ: هل بإمكاني فقط أن أوضح ما نفعله؟ [حذفنا هنا شرحاً مطوّلاً لإجراءات التبليغ].

فنحن نبذل ما بوسعنا للتأكّد من أنّ المعلومة تصل إلى الناس.
ر1: في أيّ مرحلة تعلمون أيّ موقع ستستخدمون؟

يبدأ الرجل الأوّل بإنشاء قولَين خبريَّين حول مشكلتَين، ثمّ يطرح سؤالاً حول الثانية منهما، ثمّ يشير إليهما باعتبارهما «قضيّتين» تسبّبان «مشاكل» ويتساءل عن إمكانيّة وجود «إجابات». يمكن أن نرى في ذلك نمطاً ملتبساً من التبادل: يبدو أنّ الرجل الأوّل يسأل أسئلة أكثر من كَونه يُعطي إجابات، أي يبدو أنّه يطلب حلولاً أكثر من كونه يعطي معلومات - ممّا يجعل التبادل أدائياً. وفي هذا نوعٌ من التوتّر الاحتماليّ في التبادلات الكلاميّة بين الخبراء والمواطنين، يغلب على الأوّل «إبلاغ المعلومات» (والتبادلات المعرفيّة)، ويغلب على الثاني التبادلات الأدائيّة. واللّقاء في المثال المذكور محدّد مسبقاً من حيث كونه مجموعة تبادلات معرفيّة، لكنّ الجمهور تمكّن أحياناً من تحويل التركيز إلى الأداء.

والمُلفتُ للانتباه أيضاً هو الابتعاد عن توقّع مشاركة معياريّة حيث يتحدّث متكلّم واحد كلّ مرّة. يعمل الرجل الأوّل والرجل الثاني معاً على صياغة مشكلة وطرح حلّ لها. لعلّ المهمّ هنا هو الافتراض («يمكننا عقد اجتماع كهذا، إن شئتم، قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة»، «بذلك سيكون أمامنا مدّة زمنيّة معقولة لنقدّر ما إذا كان الموقع المختار يحمل مشاكل أم لا») أنّ الناس المحليّين يجب أن يكون لهم دور في صناعة السياسات (راجع أيضاً الشكوى التي ترد في المُقتطف السابق: «لا تؤخذ وجهة نظرنا بعين الاعتبار»)، وهذا في الحقيقة أمر غير ممكن في إطار ما تنصّ عليه توجيهات هيئة الاتّحاد الأوروبيّ. يبدو أنّ الناس، كمواطنين، يفترضون أنّه يجب أن يكون لهم كلمة في ما يحصل، مهما صدر

من إجراءات رسميّة. النقطة الأخرى هي أنّ الرجل الأوّل يُقاطع في الحقيقة الموظّف الحكوميّ لمناقضة ما يقوله. يمكن القول إنّ الناس يسعون بهذه الطرق المختلفة إلى التصرّف كمواطنين، من خلال مَطّ قواعد الاجتماع الإجرائيّة ومُخالفتها.

يبدو أنّ ما يُزعج الجمهور على وجه الخصوص هو غياب التشاور الحقيقيّ، لكن هناك سبباً آخر، هو أنّ الخبراء، بكلّ بساطة، لا يعرفون النتائج والتأثيرات الممكنة للمزروعات المعدّلة جينياً[32]. يمكن، انطلاقاً من جدليّة الخطاب (راجع الفصل الثاني)، اعتبارُ ما يحصل ـ في اجتماع مثل الاجتماع المذكور ـ الطرق التي بوساطتها يخرق الناس، بدون تباهٍ لكن بإصرار، «القواعد» المتعلّقة بـ «الأسئلة» لتوصيل النقاط النقديّة والتحدّيات التي يريدون توصيلها ـ تعبيراً عن الممثليات التي تشكّك في الخبراء، وذلك من خلال الطرق التي يتفاعل فيها الناس، كمواطنين، مع الخبراء، في مناسبة كهذه.

مُلَخّص

بدأنا هذا الفصل بتقديم إطار لتحليل صيغتَي القول المعرفيّة والوجوبيّة. ويستند الإطار المذكور إلى التمييز بين نَمطَي التبادل والوظائف الكلاميّة التي ناقشناها في الفصل السادس. ثمّ ناقشنا فئتَي التقييم الظاهر والمستتر، ثمّ استخدمنا هذَين المنظورَين في التحليل لمُعالجة مجموعة من المسائل الاجتماعيّة. كانت أولى هذه المسائل «الأدوار» الموجودة في الرأسمالية الجديدة: قارنّا بين أسلوب السياسيّ وأسلوب الخبير من حيث الالتزام اليقينيّ الضرورة والقِيَم. ثمّ انتقلنا إلى مناقشة مزج الهويّات وعدم

(32) انظر المصدر نفسه.

التجانس والتناقض في هويّة السياسيّين وأسلوبهم، وإلى إمكانيّة مُساهمة التحليل النصي وكيفيّتها، الذي يركّز على وجهة القول والتقييم، في دراسة التوتّر بين الهويّة الاجتماعيّة والشخصيّة، وفي دراسة تجميل الهويّات العامة. وعدنا أخيراً إلى الحديث عن مسألة نطاق الحياة العامة من حيث العلاقة بين الخبراء والمواطنين.

الخلاصة

لهذه الخلاصة هدفان. **أوّلاً**، الربط بين جوانب التحليل النصي المختلفة التي عرضتها وناقشتها في هذا الكتاب، وتلخيصها. وأقدّم ذلك هنا على شكل مجموعة أسئلة يمكن طرحها عند تحليل أيّ نصّ. كذلك أوضح بأمثلة كيفيّة الجمع بين مختلف المسائل والمنظورات والفئات التحليليّة عند تحليل نصّ معيّن ـ أتناول على وجه الخصوص النصّ السابع المذكور في المُلحق.

الهدف الثاني هو إصدار «بيان» مختصَر أدافع فيه عن البرنامج البحثيّ للدراسة النقديّة للخطاب، وكتابي هذا مُساهمة في البرنامج المذكور. شدّدتُ منذ بداية الكتاب على أنّ التحليل النصي ليس إلاّ إحدى مسائل ذاك البرنامج الواسع، لكنّني آملُ أن تساعد هذه الخلاصة، التي تقدّم تصميماً أوسع قليلاً لمُجمل البرنامج البحثيّ، القارئ على تكوين رؤية واضحة عن موقع التحليل النصي وحجمه. وكما ذكرتُ في الفصل الأوّل، لا يعني ذلك أنّ المعنيّين بهذا البرنامج، أو الذين يقدّرونه، هم فقط العاملون فيه؛ جزء كبير من الذي ذكرناه عن التحليل النصي يمكن تطبيقه ضمن نطاق بحثيّ اجتماعيّ واسع جدّاً.

التحليل النصي

لخصتُ في القائمة الآتية، على شكل أسئلة، النقاط الأساسية في التحليل النصي التي ناقشتها في الفصول السابقة، وأشرتُ إلى أرقام الفصول التي ناقشتها فيها:

- **الأحداث الاجتماعيّة (الفصل الثاني)**

ما هو الحدث الاجتماعيّ أو سلسلة الأحداث الاجتماعيّة التي يشكّل النصّ جزءًا منها؟

في أيّ إطار من الممارسات الاجتماعيّة أو من شبكة الممارسات الاجتماعيّة يمكن أن تدخل الأحداث المُشار إليها؟

هل النصّ جزء من سلسلة أو شبكة من النصوص؟

- **الصنف (الفصلان الثاني والرابع)**

هل للنصّ موقعٌ ضمن سلسلة أصناف؟

هل يتّصف النصّ بمزيج من الأصناف؟

ما هي الأصناف التي يستند إليها النصّ وما هي مواصفاتها (من حيث الأنشطة والعلاقات الاجتماعيّة وتقانات التواصل)؟

- **الاختلاف (الفصل الثالث)**

بأيٍّ من السيناريوهات الآتية (أو بأيّ مزيج منها) يتّصف النزوع إلى الاختلاف في النصّ؟:

أ) الانفتاح على الاعتراف بالاختلاف، أو قبوله، تفحّص الاختلاف، كما في «الحوار» بالمعنى الأغنى للكلمة.

ب) التشديد على الاختلاف، النزاع، الجَدَل، الصراع على المعنى، المعايير، السلطة.

ج) مُحاولة حلّ الاختلاف أو تخطّيه.

د) تحييد الاختلاف والتركيز على المُشاركة والتضامن.

هـ) الإجماع، تطبيع الاختلافات في مقدار السلطة وقبولها، ممّا يحيّد الاختلافات بشأن المعنى والمعايير أو يقمعها.

• التناص (الفصل الثالث)

من بين النصوص/ الأصوات الأخرى، ما هي التي يتضمّنها النصّ، وما هي التي يتميّز باستبعادها؟

أين تقع الأصوات الأخرى في النصّ؟ هل يُشار إلى أصحابها؟ وهل يُشار إليهم بشكل محدّد أو غير محدّد؟

هل يتمّ استحضار الأصوات المُشار إلى أصحابها عن طريق الاقتباس بالحرف أو بغير الحرف؟

كيف يتمّ نسج الأصوات الأخرى داخل النصّ من حيث علاقتها بصوت المؤلّف، ومن حيث علاقتها ببعضها؟

• المسلّمات (الفصل الثالث)

ما هي المسلّمات الوجودية أو الخبريّة أو القيميّة في النصّ؟

هل يمكن اعتبار أيّ من المسلّمات أيديولوجيّة؟

• العلاقات الدلالية والنحوية بين الجُمَل وبين العبارات (الفصل الخامس)

ما هي العلاقات الدلاليّة المُسيطرة بين الجُمل وبين العبارات (علاقة سببية ـ الموجب، النتيجة، الغاية، علاقة شرطية، علاقة زمنية، علاقة إضافة، علاقة إسهاب، علاقة تباين/ استدراك)؟

هل توجد علاقات دلاليّة ذات مستوى أعلى تشمل أجزاء نصيّة كبيرة (مثال ذلك: مشكلة ـ حلّ)؟

هل العلاقات النحويّة السائدة بين العبارات علاقات نظيرية أو تبعية أو احتوائيّة؟

هل تقوم في النصّ علاقات تساوٍ واختلاف ذات أهميّة خاصة؟

● **التبادلات، الوظائف الكلاميّة والصيغ النحوية** (الفصل السادس)

ما هي أنماط التبادل المُسَيطرة (تبادل أدائي أو تبادل معرفي) والوظائف الكلاميّة (قول خبريّ، سؤال، قول طلبيّ، عرض)؟

ما هي أنماط الأقوال الخبرية في النصّ (أقوال خبرية وقائعيّة، توقّعات، أقوال افتراضيّة، تقييمات)؟

هل توجد في النصّ علاقات «استعاريّة» بين التبادلات أو الوظائف الكلاميّة أو أنماط الأقوال الخبرية (مثال ذلك: الأقوال الطلبيّة التي تظهر كأقوال خبرية، التقييمات التي تظهر كأقوال خبرية وقائعيّة)؟

ما هي الصيغة النحوية المسيطرة (تصريحيّة، استفهاميّة، أمريّة)؟

● ضروب الخطاب (الفصل السابع)

ما هي ضروب الخطاب التي يستند إليها النص، وكيف تُنسج بعضها مع بعضٍ فيه؟ هل يحوي النصّ مزيجاً من ضروب الخطاب جديراً بالذكر؟

ما هي السمات التي تتّصف بها ضروب الخطاب التي يستند إليها النصّ (العلاقات الدلاليّة بين الكلمات، علاقات التلازم، الاستعارات، المسلّمات، السمات النحويّة ـ راجع ما يتبع مباشرة هذا المقطع)؟

• **تمثيل الأحداث الاجتماعية (الفصل الثامن)**

أيّ عناصر من الأحداث الاجتماعيّة المُمَثَّلة يحويها النصّ، وأيّ عناصر يستبعدها؟ وفي ما يخصّ العناصر التي يحويها، أيّ منها أكثر بروزاً؟

هل التمثيل تجريديّ أو محسوس، وإلى أيّ حدّ؟

كيف يتمّ تمثيل السيرورات؟ ما هي أنماط السيرورات المُسَيطرة (ماديّة، عقليّة، كلاميّة، علائقيّة، وجوديّة)؟

هل توجد استعارات نحوية في تمثيل السيرورات؟

كيف يتمّ تمثيل الفاعلين الاجتماعيّين (كَناشطين/ كتقبّليّين، من منظور شخصيّ/ غير شخصيّ، عن طريق التسمية/ التصنيف، بالتعيين/ بالشمول)؟

كيف يتمّ تمثيل الزمان والمكان والعلاقة بين «الأمكنة - الأزمنة»؟

• **الأساليب (الفصل التاسع)**

ما هي الأساليب التي يستند إليها النصّ، وكيف يتمّ نسجها بعضها مع بعضٍ؟

هل يحوي النصّ مزجاً بين الأساليب جديراً بالذكر؟

ما هي السمات التي تتّصف بها الأساليب التي يستند إليها النصّ («لغة جسديّة»، اللّفظ وسِمات صوتيّة وظيفيّة أخرى، المفردات، الاستعارة البلاغية، وجهة القول، التقييم - بالنسبة إلى السمَتَين الأخيرتَين، راجع ما يتبع مباشرة هذا المقطع)؟

• **صيغة القول (الفصل العاشر)**

ما الذي يلتزم به المؤلّفون من حيث اليقين (صيغ القول المعرفيّة)، ومن حيث الواجب والضرورة (صيغ القول الوجوبيّة)؟

إلى أيّ حدّ تُعتبر صيغ القول في النصّ جازمة (قول موجب، إنكار . . . إلخ)، إلى أيّ حدّ يدخلها الاحتمال (تصحبها سمات ظاهرة لوجهات القول)؟

عند وجود صيغ قول احتماليّة، ما هي مستويات الالتزام في النصّ (عالية، وسَط، منخفضة)؟

ما هي سِمات الاحتمال (أفعال، ظروف. . . إلخ)؟

● **التقييم (الفصل العاشر)**

بأيّ قِيَم يلتزم المؤلّفون (انطلاقاً من المرغوب وغير المرغوب فيه)؟

كيف يتمّ تحقيق القِيَم ـ كأقوال تقييميّة، أو أقوال خبرية ذات صيغ قول وجوبيّة، أو أقوال خبرية ذات سيرورات عقليّة عاطفيّة، أو قِيَم مسلَّم بها؟

مِثال

أورد هنا النصّ السابع. ومن المؤكّد أنّ تعليقاتي عليه لا تستنفده، لكنّ هدفي هو إظهار كيفيّة المزج بين بعض وسائل التحليل التي ذكرتها في هذا الكتاب في تحليل نصّ بعَينه.

كيف تؤمّن العولمة السِّلع المطلوبة: وجهة نظر الجنوب
العولمة في أيّامنا اصطلاح محمّل بالمعاني في أجزاء كثيرة من العالم. وغالباً ما يتمّ ربطه، بالدرجة الأولى، بالتحدّيات الاجتماعيّة التي يواجهها النصف الجنوبيّ من الكرة الأرضيّة،

وليس بالفُرص الاقتصاديّة. ما هي القضايا الأساسيّة التي يجب طرحها لتتمكّن العولمة من الاستجابة لتوقّعات النصف الجنوبيّ من الأرض؟

غالباً ما ترتبط العولمة بالدرجة الأولى بالتحدّيات الاجتماعيّة التي يواجهها النصف الجنوبيّ من الكرة، وليس بالفُرص الاقتصاديّة. يتطلّب النجاح المستقبليّ للعولمة أن تشارك الدول النامية بشكل كامل في إدارة الاقتصاد وأن يصبح صوتها مسموعاً.

طالبت التظاهرات الجديدة بوضوح بأخذ أوّليات العالم النامي وجداول أعماله بعين الاعتبار. لا تستطيع الولايات المتّحدة وأوروبا الاستمرار بتحديد جدول الأعمال العالميّ بمفردهما. لكن قد لا يكون دمج المعايير البيئيّة والمرتبطة بالعمل في عمليّة الحكم العالميّة أمراً سهلاً بالدرجة التي ارتآها المحتجّون. وكثيرون في العالم النامي يعتبرون هذه القضايا أسباباً محتملة لإقامة الحواجز أمام التبادل التجاريّ.

في ما يخصّ عمليّة الحكم العالميّة، كان إنشاء مجموعة العشرين خطوةً في الاتّجاه الصحيح. في مجموعة العشرين، بخلاف مجموعة السبعة، للبلدان الصناعيّة والبلدان النامية رأيٌ في التنسيق الاقتصاديّ. لكن ليس الاقتصاد هو السبب الوحيد. الهيمنة الثقافيّة تُقلق الكثيرين. يوجد تخوّف من أنّ ازدياد قوّة العولمة سيقضي على الثقافات الوطنيّة والتقاليد، بخاصة في النصف الجنوبي من الأرض. يعترض البعض على ذلك، قائلين إنّ المجتمعات كانت ولاتزال في تطوّر دائم. العولمة تزيد من الخيارات والحريّة، في حين تقوم هويّة المجموعة الوطنيّة بعكس ذلك. في عالم تقوم فيه صِلات تقارب بين هويّات ثقافيّة وممارسات إتنيّة مختلفة، يجب أنّ يتنبّه الحكّام لِئلاّ يقودهم الدفاع عن التنوّع إلى دروب الماضي المدمّرة. هناك أيضاً قلق من أن تعني العولمة مزيداً من الغِنى

للأغنياء، ومن الفقر للفقراء. لكن يجب التوضيح أنّ منافع النموّ العام يجب أن تصل إلى الجميع، وأنّ الاقتصاديات الشفافّة تنزع أكثر من غيرها إلى التقليل من عدم المُساواة في الدخل.
ومع ذلك، صحيح أنّ بعض البلدان لا يتقدّم. اتّبعت غانا، على سبيل المثال، بدقّة برامج التصحيح البُنيوي لمدّة 15 سنة، لكنّها لا زالت تُكافح لجذب التوظيف والنموّ. من الشائع لوم العولمة، لكن يقول البعض إنّ النموّ المطلوب لا يصنعه فقط التركيز على تغييرات في الاقتصاد الكلّي. لابدّ أوّلاً من إقامة البنى الأساسيّة لاقتصاد السوق، الذي يحرّك بحريّة الأسعار والعقود المضمونة والملكيّة.
عندما يواجه القادة هذه الهموم، سوف يُساعدون على جعل العولمة تلبّي التوقّعات في نصف الكرة الجنوبيّ بكفاحهم في سبيل حاكميّة جيّدة. إنّ مزيداً من الشفافيّة والمُحاسبة والمشاركة المطلوبة من جميع المعنيين سيجعل السيرورة تبدو إنسانيّةً أكثر.

النصّ السابع مأخوذ من قِسم من موقع المُنتدى الاقتصاديّ العالميّ على شبكة المعلوماتيّة. ويحوي الموقع ثلاثة أنماط مختلفة من النصوص: تلخيصاً لإحدى جلسات المنتدى (النصّ أعلاه)، أقوال مُختارة من الجلسة، ومُختارات من رسائل إلكترونيّة بعث بها إلى الموقع أناس من عدّة بلدان كمُشاركة منهم في المناظرة. يُطلعنا النصّ المُختار على سلسلة الأحداث المُعقّدة التي يشكّل هو جزءاً منها: لقاء، وإنتاج العاملين في المُنتدى الاقتصاديّ العالميّ تلخيصاً للاجتماع وتوزيعهم له، ومجموعة كبيرة من الأحداث الموزّعة في العالم حيث شاهد أناسٌ تسجيلات للمُناظرة أو قرؤوا نبذة عنها أو ربّما ناقشوها أو قرؤوا كتابات عنها وأرسلوا آراءهم إلى موقع المنتدى. ويمكن توسيع شبكة الأحداث هذه لِتَشمل الأحداث

المُحَضِّرة للاجتماع، في المنتدى الاقتصاديّ العالميّ وفي مختلف المؤسّسات المُمثَّلة في المُناظرة، ولتشمل الأحداث التي تبعَت الاجتماع. أعتقد أنّ ما يَنتُج من تحديد شبكة الأحداث هذه هو أهميّة لِقاءات المنتدى الاقتصاديّ العالميّ وتأثيرها، وأهميّة ما يمكن تسميته سلطة التلخيص، سلطة إنتاج تقرير عمّا جَرى مُصادقٍ عليه، كما في النصّ السابع.

يمكن أن ننظر إلى النصّ السابع باعتباره جزءاً من **شبكة من المُمارسات الاجتماعيّة،** من سلسلة صِنفيّة. المنتدى الاقتصاديّ العالميّ نوع من «حوض تفكير» يجمع بين شخصيّات قياديّة من الحكومة والأعمال والمجتمع المدنيّ، وهدفه فهم سيرورات «العَولَمة» والتوقّع بشأنها وفي نهاية المطاف توجيهها. ولقد اعتُبِرَ المُنتدى فعّالاً في أداء هذا الدور. وليس له صفة رسميّة، وليس منظّمة تخضع للمُحاسبة الديموقراطيّة. منذ بضع سنوات لم يكن يحظى بانتباه جمهور واسع، لكنّ لقاءاته الآن تستقطب الاحتجاجات والتظاهرات (كما حصل في نيويورك في العام 2002). ولقد نمّى في الوقت نفسه قدرته الإعلاميّة، بما في ذلك موقع «تفاعليّ» متطوِّر على الشبكة الإلكترونيّة، وسمح لمُنتقدي العولمة بحضور اجتماعاته. ما يشير إليه المثال هو شبكة غير رسميّة، لكنها موقع مؤثِّر ضمن مُمارسات الحاكمية العالميّة والمجتمع المدنيّ. يمكن، إذاً، النظر إلى النصّ السابع من مُنطلق المسائل المرتبطة بـ «نطاق الحياة العامة» التي ناقشتها في الفصول السابقة. يمكن اعتبار الجزء الأساسيّ من النصّ السابع، تلخيصاً للمُناظرة، وجزءاً من حملة إعلانيّة هي صلة الوصل بين المنظّمة والمجتمع المدنيّ. تتضمّن السلسلة الصنفيّة المُناظرة والتقرير الرسميّ والرسائل الإلكترونيّة وتقارير صحافيّة وإذاعية أو تِلفازيّة، يُضاف إليها، من دون شكّ، أنماط أخرى من

التقرير والمُناقشة نجدها في المنظّمات المرتبطة بالمنتدى والمُمثّلة فيه.

ويتّسم **صنف** المُلخّص بكونه يندرج، بالدرجة الأولى، ضمن العمل الداخليّ للمنظّمات (وهو بهذا المعنى تقرير «رسميّ»)، وليس صنفاً توسطيّاً تقليديّاً. ليس تقريراً إخباريّاً ولا بياناً عمّا حصل أثناء المُناظرة، إنّما هو في ظاهره ملخّصاً للحجج التي تُستخدم في المنظّمات، والهدف هو تسجيلها. أقول «في ظاهره» لأنّ النشاط المذكور، ما يحدث فيه، أمرٌ مُلتبس. هل يقتصر التلخيص على تسجيل الحجج المُستخدمة في المناظرة، أم إنّه بحدّ ذاته تدخّل في المُناظرة، جدلٌ يُناهض بشكل مستتر الحجج التي تعترض على شكل العولمة الذي يدعو إليه المنتدى الاقتصاديّ العالميّ، أيّ «نقاش»، بحسب تحديد مارتن (Martin) لهذه الكلمة؟ وقد ناقشتُ بعض جوانب الاحتجاج في الفصل الرابع (مقطع «الاحتجاج والمسلّمات والأيديولوجيّات»). إحدى نتائج استخدام مُلخّص صادر عن المنظّمة، يصيغه موظّفون داخل المنظّمة غير محدّدين، هو الاحتفاظ إلى حدّ بعيد بالقدرة على التحكّم بسيرورة «التحوّل إلى التحاور»، بإنشاء موقع على الشبكة الإلكترونيّة والانفتاح، في الظاهر، على المجتمع المدنيّ.

في ما يخصّ **الاختلاف**، ما يظهر هو في الأساس سيناريو (أ)، خوضٌ في وجهات نظر مختلفة (ممّا يجعله «نقاشاً»، بحسب تحديد مارتن لهذه الكلمة). لكن، كما أشرتُ في التحليل الذي يتضمّنه الفصل الرابع، هناك تغييب للاختلاف، لأنّ وجهات النظر والطروحات غير منسوبة بوضوح إلى قائليها. يبدو أنّنا أمام نشاط يشبه أكثر السيناريو (ب)، أمام جدل، إذ إنّ علاقة التأييد والمعارضة تقوم بين جهتين: جهة مؤيّدة غير محدّدة (هل تمثّل قادة المنتدى الاقتصاديّ العالميّ؟) تعترض على طروحات الجنوب (الجهة

المُعارضة). مجدّداً، لمزيد من التفصيل راجع الفصل الرابع.

أما بالنسبة إلى **التناص**، فيمكن القول إنّ إحدى مجموعات الأصوات المُستبعدة تتألّف من مُنتقدي العولمة الأكثر أصوليّة ـ في النصّ، التعبير الأقرب من موقف هؤلاء هو «قلق من أن تعني العولمة مزيداً من الغِنى للأغنياء، ومن الفقر للفقراء»، لكن لا شكّ أنه توجد أصوات كثيرة في «الجنوب» (وفي أماكن أخرى) تعتبر أنّ العولمة، على سبيل المثال، شكلٌ جديد من أشكال الإمبرياليّة يرتبط بطبيعته باستغلال تقوم به شركاتٌ تتمركز في أميركا الشماليّة وأوروبا وآسيا الشرقيّة، أو حتى تعتبرها «إمبرطوريّة» أميركيّة. ليس من الواضح ما إذا كانت هذه الأصوات مستبعدة من المُلخّص فقط أو حتى من المناظرة، لكن يمكن معرفة ذلك. في ما يخصّ نسبة الأصوات إلى أصحابها، عندما تُنسب الطروحات في النصّ إلى مصدر، لا يكون محدّداً (مثال ذلك: «يوجد تخوّف من أن...»، «يعترض البعض على ذلك»، «يقول البعض إنّ...»)، وفي عدد من الحالات ليست الأصوات منسوبة إلى أحد (مثال ذلك: «عندما يواجه القادة هذه الهموم... فهم يكافحون في سبيل حاكميّة جيّدة»)، ممّا يُسهم في تغييب الاختلاف الذي أشرتُ إليه أعلاه ويعطي الانطباع بأنّ هناك صوتاً مُؤيّداً غير مُحدّد يَدحَض بعض الطروحات. ولا يحوي النصّ اقتباساً بالحرف من أيّ صوت، الأصوات التي يُنقل عنها بغير الحرف منسوبة إلى أصحابها (ممّا يطرح تساؤلات حول العلاقة بين ما قيل فعلاً وتلخيصه في النصّ).

يحوي النصّ عدداً من **المسلّمات** المهمّة، أكثرها وضوحاً المسلّمة الخبرية (تُطلقها «كيف» التي ترد في عنوان النصّ) القائلة إنّ العولمة يمكنها تأمين السلع (فتستجيب لتوقّعات النصف الجنوبيّ من الأرض). ومن المسلّمات الخبرية في النصّ: يملك «الجنوب» وجهة نظرٍ، ويملك توقّعات ترتبط بالعولمة ـ ووجهة نظر الجنوب وتوقّعاته

مُوحّدَة، وتضع الولايات المتّحدة وأوروبا لوحدهما برنامج عمل العولمة، ويعتقد المحتجّون أنّه سيكون من السهل إدخال معايير بيئيّة وعُماليّة على إطار الحاكميّة العالميّة. ونذكر من بين المسلّمات الوجودية: يوجد ما يُسمّى «الجنوب» وما يسمّى «العالم النامي»: من المسلّم به أنّ هذين التعبيرَين فئتان تصنيفيّتان مسلّم بوجودهما. لكن هذا التصنيف موضع جدل: يرى البعض أنّ أجزاء كبيرة من العالم غير المتطوّر (أو الأقلّ تطوّراً) «لا تتطوّر» حالياً بشكل ملحوظ، وأنّ تعبير «الجنوب» حلّ مكان التعبير المرفوض عامةً، أي «العالم الثالث». ويحوي النصّ أيضاً الكثير من المسلّمات القيمية، منها التسليم بأنّ تأمين العولمة للسلع واستجابتها لتوقّعات النصف الجنوبي من الأرض أمران مرغوب فيهما، كذلك الأمر بالنسبة إلى «الاختيار والحريّة» و«الشفافية» و«المُحاسبة» و«المُشاركة» (تُطلقها كلمة «يُساعد»)، بينما «الحواجز أمام التبادل التجاري» غير مرغوب فيها (تطلقها كلمة «أسباب»). من الواضح أنّ النصّ يَتَموقع بوضوح داخل منظومة قيميّة تنتمي إلى الليبراليّة الجديدة.

أمّا العلاقات **الدلاليّة** بين العبارات وبين الجُمَل فتنتمي بشكل أساسيّ إلى نَمَطين: علاقات إسهاب وعلاقات تباين/ استدراك، وأحد الطُرز المتكرّرة عدّة مرّات هو كالآتي: توسيع طرح مُعيّن في عبارتَين أو جملتَين أو أكثر في علاقة إسهاب، ووضعه في علاقة تَباين/ استدراك مع طَرح آخر (قد يكون موسّعاً أيضاً في عبارتَين أو جملتَين أو أكثر في علاقة إسهاب). مثال ذلك:

طالبَتِ التظاهرات الجديدة بوضوح بأخذ أوّليات العالم النامي وجَداول أعماله بعين الاعتبار. (إسهاب) لا تستطيع الولايات المتّحدة وأوروبا الاستمرار بتحديد جدول الأعمال العالميّ بمفردهما. (تَباين) لكن قد لا يكون دمج المعايير البيئيّة والمرتبطة

بالعمل في الحاكمية العالميّة أمراً سهلاً بالدرجة التي ارتآها المحتجّون.

تَرِد علاقات الإسهاب والتباين بشكل متكرّر في النصّ. تسِم أدواتُ الربط «لكنّ» (أربع مرّات) و«في حين» و«عندما» علاقات التباين/ الاستدراك. ويمكن اعتبار علاقة التباين قائمة بين الجملة التي تبدأ بـ «يعترض البعض على ذلك» والجملة التي تسبقها (في المقطع الرابع)، علماً أنّها في هذه الحالة ليست موسومة بأداة وصل. توجد أيضاً بضع حالات تمثّل العلاقات الدلاليّة الأخرى ـ الغاية («ما هي القضايا الأساسيّة التي يجب طرحها لتتمكّن العولمة من الاستجابة لتوقّعات النصف الجنوبيّ من الأرض؟») والإضافة («هناك أيضاً قلق من أن تعني العولمة مزيداً من الغِنى للأغنياء، ومن الفقر للفقراء»). يتميّز النصّ أيضاً بالعلاقة الدلاليّة العامة مشكلة ـ حلّ، كما ذكرتُ في الفصل الخامس (فقرة «المستوى الأعلى من العلاقات الدلاليّة»). **والعلاقات النحويّة** السائدة بين العبارات هي العلاقات النظيرية.

ونمط التبادل السائد هو التبادل المعرفيّ، **والوظيفة الكلاميّة** السائدة هو القول الخبريّ. يحوي النصّ سؤالان: ـ الجزء الأوّل من العنوان («كيف تؤمّن العولمة السلَع المطلوبة: وجهة نظر الجنوب») و ـ الجملة الأخيرة من المقطع الافتتاحيّ. هذان السؤالان يطرحهما النصّ ويجيب ـ بالطبع ـ عنهما أيضاً، لكنّهما يعطيانه نوعاً من البعد الحواريّ. معظم الأقوال الخبرية التي يحويها النصّ وقائعيّة، لكنه يحوي أيضاً توقّعاتٍ غير وقائعيّة، بخاصة الجملتين اللّتين تؤلّفان المقطع الأخير («عندما يواجه القادة هذه الهموم، ويُساعدون على جعل العولمة تلبّي التوقّعات في نصف الكرة الجنوبيّ، فهم يكافحون في سبيل حاكميّة جيّدة. إنّ مزيداً من الشفافيّة... سيجعل السيرورة تبدو إنسانيّةً أكثر»). وتقوم العلاقة الاستعاريّة الأكثر ظهوراً بين

الأقوال الخبرية الوقائعيّة والتقييمات ـ يمكن قراءة عدد من الأقوال الخبرية الوقائعيّة على أنّها تقييمات مستترة (مثال ذلك: «العولمة تزيد من الخيارات والحريّة»). لكن يمكن التساؤل ما إذا كان يحوي النصّ أيضاً علاقة استعاريّة بين التبادل المعرفيّ والتبادل الأدائيّ، ما إذا كانت الأقوال التي في ظاهرها خبريّة هي أيضاً أقوال طلبيّة، ما إذا كان النصّ، وفق تعبير لهابرماس (Habermas)، إستراتيجيّاً بشكل مستتر: ما أطلقتُ عليه في الفصلَين الخامس والسادس تسمية «تقرير توجيهيّ». التركيب اللغوي السائد في النص تصريحيّ، باستثناء السؤالين اللذَين يشكّلان استفهاماً.

أورَدتُ في الفصل الثالث بعض التعليقات على ضروب خطاب النصّ المذكور (راجع فقرة «الاختلاف والبعد الحواري»). تتضمّن المواضيع الأساسيّة: التغيُّر الاقتصاديّ («العولمة»)، سيرورات عمليّة الحكم العالميّة والوطنيّة، وجهات نظر حول العولمة (في «الجنوب»)، المُقاومة السياسيّة لِلعولمة. من المُلاحظ أنّ التغيير الاقتصاديّ والحُكم لا يتمّ تصويرهما فقط بتعابير متخصّصة، إنّما أيضاً بتعابير معروفة ـ مثال النوع الأوّل: «تأمين السلَع»، ومثال الثاني: جعل «أصوات» الدول النامية «مسموعاً»، ووصف هذه الأخيرة بأنّ «لها كلمتها». تختار إحدى الرسائل الإلكترونيّة تعبير «الأصوات المسموعة» وتصفها بأنّها «رعائيّة»، تعتبر الدول النامية «دُوَل زبائن». في الواقع ترد العبارة في علاقة تساوٍ: «يتطلّب النجاح المستقبليّ للعولمة أن تشارك الدول النامية بشكل كامل في إدارة الاقتصاد وأن يصبح صوتها مسموعاً». يمكن اعتبار التعبير الأوّل يُرجع إلى تمثيل الحُكم انطلاقاً من خِطاب متخصّص عن «الحاكميّة» (حيث يتمّ تمثيل الحُكم على أنّه «إدارة» للأمور). أمّا التعبير الثاني فمصدره، كما قُلت، اللغة الشائعة أو العاديّة، ويوحي بخطاب «مُشاركة» مُلتبِس عامة حين يتعلّق الأمر بما إذا كان الذين «تسمع

أصواتهم (أو «لهم كلمتهم») يؤثّرون فعلاً في صناعة السياسات.

يمكن اعتبار مَفصَلة هذين الضربَين من الخطاب بعضهما مع بعض إستراتيجيّة شائعة لـ «ترجمة» اللغة المتخصّصة إلى لغة اعتياديّة لأجل جمهور غير متخصّص. لكن يمكن، من ناحية أخرى، اعتبار تلك المَفصلة ازدواجيّة وتناقضاً في المُقترح الداعي إلى «إشراك» الدول النامية في إدارة الشؤون العالميّة ـ لعلّ المطلوب «مشاركة» لا تؤثّر في سلطة مجموعة الدول النخبة التي «تحدّد جدول الأعمال» العالميّ. في الواقع، إنّ مسألة «المُشاركة» تبدو مركزيّة في النصّ السابع على أكثر من صعيد. يمكن التعبير عنها بسؤال مثير للجدل، هو الآتي: هل المُشاركة المطلوبة من «الجنوب» في «الحاكمية العالميّة»، أو الانفتاح الظاهريّ لمُداولات منتدى الاقتصاد العالميّ على «مُشاركة» المُجتمع المَدنيّ، أكثر من تجميل خارجيّ؟ هل «المشاركة» لا تعدو كونها تنميَة أشكال ديمقراطيّة سطحيّة تستمرّ تحتها العلاقات السلطويّة الحصريّة نفسها؟ هل المُشاركة موجودة في الخطاب فقط، نصيّة فقط، لا تعدو مستوى البيان؟

يتمّ تمثيل التغيير الاقتصاديّ في النصّ السابع من مُنطلق خطاب الليبراليّة الجديدة عن تحرير السوق. ويتضمّن هذا التمثيل استخدام سردٍ توقّعيٍّ يقود فيه «برنامج التعديل البنيويّ» إلى «جذب الاستثمار» و«النموّ» (لم يتحقّق ذلك في ما يخصّ غانا، المُشار إليها في النصّ). ويتضمّن أيضاً اعتبار النتائج الإيجابيّة «للعولمة» فُرصاً، بينما النتائج السلبيّة «تحدّيات» (ممّا يعني أنّه يمكن تخطّي المَشاكل). لكن يُمثّل التغيير الاقتصاديّ أيضاً في النصّ انطلاقاً من خطابٍ «مُناهض للعولمة» يمثّل العولمة، في لغة شعبيّة ـ كما ذكرنا، على أنّها تعني «مزيداً من الغِنى للأغنياء، ومن الفقر للفقراء». نضيف أنّ هذا الخطاب يتمفصل مع ما يمكن تسميته التمثيل «ذات الصبغة النفسيّة»، في جزء منه، لِ «وجهات نظر جنوبيّة» عن العولمة ـ يوجد «قلق» من

أن تعني العولمة المزيد من الغنى للأغنياء، ومن الفقر للفقراء، كما أنّ كثيرين قلقون بشأن الهيمنة الثقافيّة ويتخوّفون منها. بشكل عام، يتمّ التصريح بممثّليات العولمة أو ذكرها في إطار النقل ممّا يقوله الناس، في حين تُصاغ الممثليات المُعارضة والناقدة كسيرورات عقليّة (هي «هموم»، «مَخاوف»... إلخ).

أمّا في ما يخصّ ما هو تفصيليّ أكثر ممّا سبق، أيّ تمثيل الأحداث الاجتماعيّة، يمثّل النصّ السابع الأحداث بطريقة تجريديّة وتعميميّة، علماً أنّ مستوى التجريد ينخفض عند الإشارة إلى أحداث محدّدة (إنشاء مجموعة العشرين) أو حالات معيّنة (غانا). وهو يحوي مجموعة من أنماط السيرورات، لكن معظم السيرورات في العبارات الرئيسية سيروراتٌ علائقيّة، في نمطيها. ويوجد أيضاً عدد من السيرورات العقلية (مثال ذلك: «الهيمنة الثقافيّة تُقلق الكثيرين»)، كما ذكرتُ أعلاه، وسيروراتٌ كلاميّة («يعترض البعض على ذلك»). وتوجد سيرورات ماديّة، لكنّها بشكل أساسيّ استعاريّة (مثال ذلك: يمكن اعتبار «تحديد جدول الأعمال العالميّ» في المقطع الثالث سيرورةً علائقيّة، تُعرب استعاريّاً عن «كَون أحدهم متحكّماً بالأمور» بسيرورة ماديّة). يمكن الربط بين كثرة السيرورات العلائقية في العبارات الرئيسيّة وكثافة التحويل الاسمي، فهذا الأخير يُبلور السيرورات ككيانات. على سبيل المثال، تحوي «كان إنشاء مجموعة العشرين خطوةً في الاتّجاه الصحيح» سيرورةً علائقيّة من النمط الثاني تصنّف سيرورة مُحوّلة اسمياً («إنشاء مجموعة العشرين») بالقياس إلى سيرورة أخرى من النوع نفسه («خطوة في الاتّجاه الصحيح»). ويرتبط التحويل الاسمي بتمثيل تجريديّ للأحداث وباستبعاد عناصر تشكّل تلك الأحداث. لِننظرْ، على سبيل المثال، في «التحدّيات الاجتماعيّة التي يواجهها النصف الجنوبيّ من الكرة الأرضيّة»: يمكن أن يتضمّن تمثيلٌ أكثر محسوسيّة، لسلسلة ومجموعات الأحداث التي يمكن

اعتبار التعبير يشير إليها، مجموعاتٍ اجتماعيّة مختلفة وعلاقات بينها، وتوضيحاً لكيفيّة تأثير العولمة في العلاقات السلطويّة المحليّة في «الجنوب» (لا توجد سوى إشارة بسيطة إلى ذلك في النصّ السابع: «مزيد من الغنى للأغنياء، ومن الفقر للفقراء»). وتتناول الإجابات بالبريد الإلكترونيّ إغفال النصّ هذا الجانب.

الفاعلون الاجتماعيون الأساسيّون هم بُلدان (دول)، وبخاصة مجموعات بلدان تُمثَّلُ باعتبارها فاعلات اجتماعيّة تملك، على سبيل المثال، «وجهات نظر» (وليس مواقع جغرافيّة). وهي مصنّفة («بلدان نامية»، «بلدان صناعيّة») وتملك أسماء («غانا»، «الولايات المتّحدة»، «أوروبا»). ويمكن أيضاً اعتبار «الجنوب» و«النصف الجنوبيّ من الأرض» و«العالم الناميّ» أسماء. من الواضح أنّ السياسة المتّبعة في التسميات موضع جدل، كما أشرتُ سابقاً. على سبيل المثال، نجد في الجزء الجنوبيّ من الأرض بلداناً متطوّرة نسبيّاً، وليس من المسلّم به أنّ الدول المسمّاة «النامية» تنمو فعلاً. والتمثيل في التصنيف المُتّبع شامل وليس معيّناً، ينطبق ذلك على البلدان وعلى مجموعات أخرى من الفاعلين الاجتماعيّين يتمّ تمثيلها: «القادة» (أو «الحكّام») و«المحتجّون» و«الفقراء» و«الأغنياء». يُسهم التمثيل الشامل في هيمنة تعميم عالميّ لممثّلية خاصة. ويحوي النصّ أيضاً فئة من الفاعلين الاجتماعيّين غير محدّدة جيّداً، قد تكون هذه الفئة، غير المعلنة صراحة، «شعب الجنوب»: الأقرب إليها «كثيرون في العالم الناميّ» المذكورة في النصّ وفيها تحديد كميّ: «كثير»، «بعض»، «آخرون».

من حيث تمثيل «المكان ـ الزمان»، يمكن اعتبار النصّ مُتناقضاً: يتحدّث عن مكان ـ زمان احتوائيّ وعالميّ، وعن مكان ـ زمان إقليميّ («جنوبيّ») موضوع ـ بحُكم تعريفه ـ داخل الأوّل، لكنّه في الوقت نفسه خارجه. تقوم حركة متنقّلة بين أقوال خبرية

وطروحات محدودة من حيث الزمان والمكان، محصورة بـ «الجنوب»، وبين أقوال وطروحات ليست كذلك، بل لها مجال «عالميّ». ويرتبط ذلك بما ذكرته سابقاً من وجود علاقة مستترة بين مؤيّدين ومُناهضين: الانتقال من طروحات المؤيّدين إلى طروحات المُناهضين هو في الحين نفسه انتقالٌ من المكان ـ الزمان الإقليميّ الجنوبيّ إلى المكان ـ الزمان العالميّ. على سبيل المثال، يملك الطرح القائل إنّ «الاقتصاديات الشفافّة تنزع أكثر من غيرها إلى التقليل من عدم المُساواة في الدخل» (نهاية المقطع الرابع) مجالاً عالميّاً.

أمّا مسألة الأسلوب فمعقّدة، وذلك بسبب التباسٍ أشرتُ إليه يتعلّق بعمليّة التأليف. يمكن مُعالجة ذلك انطلاقاً من تمييز غوفمان (Goffman) بين «المصدر» و«المؤلّف» و«المُنظِّم» الذي تحدّثتُ عنه باختصار في الفصل الأوّل. على وجه الخصوص، ما هي العلاقة بين مؤلّف النصّ السابع، باعتباره الشخص (أو الأشخاص، إذ يمكن أن يكون التأليف جماعيّاً) المسؤول عن إنشاء النصّ، وبين المنظِّمين الذين يتمّ تمثيل مواقفهم؟ هل يقتصر دور المؤلّف على نقل مواقف المصادر «الجنوبيّة» التي ساهمت في المُناظرة؟ يبدو الأمر كذلك، أم يُقحم صوته في ما ينقل، أي يتحدّث نيابة عن مصدر آخر غير محدَّد، وكجزء منه، وقد يكون هذا المصدر الآخر هو المنتدى الاقتصاديّ العالميّ بالذات؟ إذا كانت الحالة الثانية هي الصحيحة، يمكننا القول إنّ النصّ يمزج بين أسلوبَين: المؤلّف كناقل والمؤلّف كمؤيّد.

في ما يخصّ وجهة القول، يحوي النصّ مزيجاً من وجهات القول المعرفيّة والوجوبيّة، مع هيمنة الأولى. ومعظم وجهات القول المعرفيّة أقوالٌ موجبة لا يدخلها الاحتمال (مثال ذلك: «العولمة في أيّامنا اصطلاح محمّل بالمعاني»، «يعترض البعض على ذلك»)،

ففيها التزام يقينيّ شديد، أكان ذلك يتناول ما قاله أو فكّر به المتحاورون أم حال الأمور في العالم. يوجد قول خبريّ واحد يحمل التزاماً يقينياً ضعيفاً، إذ يدخله الاحتمال («قد لا يكون دمج المعايير البيئيّة والمرتبطة بالعمل في الحاكميّة العالميّة أمراً سهلاً بالدرجة التي ارتآها المحتجّون»). وهناك قول خبريّ آخر هو: «لا تستطيع الولايات المتّحدة وأوروبا الاستمرار بتحديد جدول الأعمال العالمي بمفردهما »، فيه التزام قويّ باحتمال معيّن، لكنّه مُلتبس: قد يكون معرفيّاً («غير ممكن») أو وجوبيّاً («غير مسموح»). في النصّ أيضاً توقّعان شديدان تُستخدم فيهما «سوف» («... القادة... سوف يساعدون على جعل العولمة تلبّي التوقّعات في نصف الكرة الجنوبيّ بكفاحهم في سبيل حاكميّة جيّدة»). وفيه أيضاً عددٌ من وجهات القول الوجوبيّة الاحتماليّة التي تحمل درجة عالية من الالتزام («لابدّ أوّلاً من إقامة البنى الأساسيّة لاقتصاد السوق...»)، ويبدو أنّها مرتبطة بالصوت المؤيّد.

ولقد سبق وناقشتُ التقييم من منطلق المسلّمات القيمية، واعتبرتُ أنّ النصّ السابع يتموقع ضمن منظومة قيميّة تنتمي إلى الليبراليّة الجديدة. في ما يخصّ الأساليب وتحديد الهوية، يلتزم المؤلّف بقيَم مردُّها إلى الليبراليّة الجديدة، مع العلم أنّه من غير الواضح، بسبب التباس عمليّة التأليف، إن كانت الالتزامات المذكورة تعود إلى المَصادر التي ساهمت في المُناظرة أو إلى «صوت المؤلّف»، أو كِلَيهما. يمكننا أن نستنتج أنّ كلّ المعنيين في النصّ يتَموقعون داخل المنظومة القيميّة المذكورة، لكن يُمكن الطعن في ذلك.

أكرّر القول إنّ هذا التحليل لا يستنفد النصّ. كما بيّنتُ في الفصل الأوّل، ما من تحليل لنصّ يمكن أن يخبرنا عن كلّ ما يمكن أن يُقال بشأنه. انطلاقاً من موقفٍ واقعيّ نقديّ، علينا أن نميّز بين

«القائم» و«التجريبيّ»، فلا نفترض أنّ طبيعة الأحداث والنصوص وصفاتها الحقيقيّة يُعبّر عنها بشكلٍ وافٍ ما يُصادفُ أنّنا نراه فيها من منظور معيّن خلال برهة معيّنة من الزمن. لكن آمل أن يكون هذا التحليل قد بيّن كيف يمكن المزج بين فئات تحليليّة ومنظورات مختلفة بشكل مُثمر لتحسين قدرتنا على اكتشاف ما في النصوص. على سبيل المثال، بيّنتُ أنّ إحدى المسائل الأساسيّة في ما يخصّ النصّ السابع هي معرفة ما إذا كان مجرّد تقرير عن مُناظرة أم دحضاً لـ «وجهات نظرٍ مُناهضة» يقوم به أحد «المؤيّدين». يُساعدنا عدد من الفئات التحليليّة على الإجابة عن هذا السؤال: من الواضح أنّه يوجد التباس في هويّة صنف النصّ وتحليله لنزعات الاختلاف ونسبته الأصوات إلى أصحابها وتحديده لأنماط التبادل وتوزيع أنماط السيرورات العقلية فيه وهويّة أسلوبه والالتزامات المرتبطة بوجهة القول والتقييم فيه.

بيان الدفاع عن التحليل النقديّ للخطاب

كما ذكرتُ في الفصل الأوّل، يتناول هذا الكتاب جزءاً صغيراً ممّا أعتبِرُه مشروعاً كبيراً: بلورة التحليل النقديّ للخطاب كشكل من أشكال البحث الاجتماعيّ النقديّ. يبدأ هذا الأخير عند طرح أسئلة كالأسئلة الآتية: كيف توفّر المجتمعات القائمة لبعض الناس إمكانيّات وموارد ليحصلوا على حياة غنيّة وتُشعرهم بالاكتفاء، وكيف من ناحية أخرى تمنع هذه الإمكانيّات والموارد عن البعض الآخر؟ ما الذي يُنتج في المجتمعات القائمة الفقرَ والحرمان والتعاسة وعدم إحساس الناس بالأمان في حياتهم؟ ما هي الإمكانيّات المتوفّرة لإحداث تغيير اجتماعيّ يقلّل من هذه المشاكل ويُحسّن نوعيّة حياة الكائنات البشريّة؟ يهدف البحث الاجتماعيّ النقديّ إلى تحسين فهمنا لكيفيّة

عمل المجتمعات وإفرازها، على حدٍّ سواء، نتائج نافعة وأخرى مضرّة، ولكيفيّة التخفيف من النتائج المضرّة أو حتى إزالتها.

يحاول البحث الاجتماعيّ النقديّ تصميم برنامجه البحثيّ وتعديله بهدف دراسة المسائل والمشاكل الكبيرة المستجدّة. ويركّز الجزء الأكبر منه في أيّامنا على «الرأسمالية الجديدة» - أي التغيّرات المُعاصرة في الرأسماليّة و«العولمة» والليبراليّة الجديدة وما إلى ذلك، ذلك أنّ فهمَ هذه التغيّرات ونتائجها وإمكانيّات تعديلها في اتّجاهات معيّنة أو مُقاومتها وتطوير بدائل لها، فهماً واضحاً، يُعتبر أساسيّاً لتحسين أحوال البشريّة. وتجعل هذه التغيّرات الاجتماعيّة بعض الناس من الخاسرين وآخرون من الرابحين. ومن الخسائر: اتّساع الهوّة بين الأغنياء والفقراء، تناقص الأمان بالنسبة إلى معظم الناس، تناقص الديمقراطيّة، تضرّر البيئة بشكل كبير. ويزداد الاعتقاد في أيّامنا، ليس فقط عند سياسيّي اليسار، لكن وسط شرائح كبيرة من الناس في بلدان كثيرة من العالم، أنّه إذا لم تُلجَم الأسواق ستكون النتائج كارثيّة. وقد ناقشتُ باختصار في الفصل الأوّل لغة الرأسمالية الجديدة، واعتبرتُ ذلك برنامج بحث يوكَلُ إلى التحليل النقديّ للخطاب. أتناول في هذا البيان، بالدرجة الأولى، هذا البرنامج البحثيّ، مع التشديد على أنّ الطروحات التي ترى في التحليل النقديّ للخطاب مورداً للبحث الاجتماعيّ لا يقتصر على تثمين إسهام هذا الأخير في دراسة الرأسمالية الجديدة، فمن الممكن صياغتها كطروحات أوسع[1]. ولقد سمّيته «بياناً»، لأنّي أبدأ بالجزء السياسيّ من برنامج البحث.

---

(1) كما في فاركلوف: Norman Fairclough, *Discourse and Social Change* (Cambridge, MA: Polity Press, 1992).

لكن لماذا التركيز على اللغة والخطاب في البحث النقديّ الذي يتناول الرأسمالية الجديدة؟ يمكن أن نعتبر القول إنّ البحث الاجتماعيّ النقديّ يركّز جهوده على تحوّلات الرأسماليّة وتشعّباتها حجّةً مقنعة، لكن نحتاج أيضاً أنّ نبيّن أهميّة التركيز على اللغة. تفيد إحدى الحجج الممكنة أنّ هذه التغيّرات تُحدِث تبديلاً في جوانب عديدة من الحياة الاجتماعيّة، فلابدّ من أنّها تغيّر في اللغة باعتبارها أحد عناصر الحياة الاجتماعيّة التي ترتبط بالعناصر الأخرى ارتباطاً تفاعليّاً. لكن ليست هذه هي الحجّة الأقوى، المسألة الأهمّ هو أنّ عنصر اللغة أصبح، من بعض النواحي الأساسيّة، أكثر بروزاً وأكثر أهميّة ممّا كان عليه، وأصبح في الواقع جانباً أساسيّاً في التحوّلات الاجتماعيّة القائمة: لا يمكن إضفاء معنى على هذه التحوّلات من دون التفكير باللغة.

لا يحتاج المرء أن يكون من دارسي الخطاب ليعتقد هذا الأمر. لقد قال به كثيرون من الباحثين الاجتماعيّين ذوي الاختصاصات المختلفة. على سبيل المثال، كتب عالم الاجتماع الفرنسيّ المميّز بيار بورديو (Pierre Bourdieu)، في آخر سنين حياته، عدداً من المؤلّفات عن الليبراليّة الجديدة، توجّه بها بخاصةٍ إلى غير المتخصّصين، وشدّد فيها على أهميّة الخطاب الليبراليّ الجديد في مشروع الليبراليّة الجديدة السياسيّ. ورأى أنّ الهدف الأوّل من هذا المشروع هو إزالة العوائق (أكانت دولة الرّفاهة (welfare state) أو النقابات الناشطة أو ما إلى ذلك) من أمام الرأسمالية الجديدة. ويشير بورديو[2] إلى ظهور «طريقة تعبير عالميّة جديدة» يصفها بأنّها

(2) Pierre Bourdieu and Loïc Wacquant, «New Liberal Speak: Notes on the New Planetary Vulgate,» *Radical Philosophy*, no. 105 (January - February 2001), pp. 2-5.

مجموعة مفردات («العولمة»، «المرونة»، «الحاكمية»، «إمكانيّة التوظيف»، «الاستبعاد»... وما إلى ذلك)، و«توكَل إليها القدرة الإنجازيّة على جعل الحقائق التي تصفها موجودةً فعلاً». فالمشروع السياسيّ الليبراليّ الجديد، القاضي بإزالة العوائق أمام الترتيب الاقتصاديّ الجديد، قائمٌ إلى حدّ بعيد على الخطاب، أو يوجّهه الخطاب. يمكن اعتبار ذلك تحسيناً لدور الخطاب في إطلاق التغيير الاجتماعيّ استناداً إلى وصف الاقتصاديّات المُعاصرة بأنّها «اقتصاديّاتٍ معرفيّة»، أو المجتمعات المُعاصرة بأنّها «مجتمعات معرفيّة» أو معلوماتيّة. من حيث الممارسة، يعني البروز الكبير لِ «المعرفة» و«المعلومة» في الاقتصاد والسيرورات الاجتماعيّة والتغيّرات أنّ للّغة والخطاب بروز أكبر أيضاً، إذ هما الشكل الذي به تُنتَج «المعرفة» وتوزَّع وتُستهلك. (سأعود للحديث عن ذلك أدناه).

وإضافة إلى إشارة مقالة بورديو وواكان إلى أهميّة اللغة في هذه التحوّلات الاجتماعيّة الاقتصاديّة، فهي تبيّن أنّ البحث الاجتماعيّ يحتاج إلى مُساهمة دارسي الخطاب. لكن لا يكفي وصف «طريقة التعبير العالميّة الجديدة» بأنّها قائمة كلمات، مفردات، كما يفعلان. نحتاج إلى تحليل النصوص والتفاعلات لمعرفة كيفيّة ظهور بعض النتائج التي يقول بورديو وواكان بوجودها. وتتضمّن هذه النتائج: إظهار التحوّلات الاجتماعيّة الاقتصاديّة في الرأسمالية الجديدة وسياسات الحكومات وكأنّها لابدّ منها، بهدف تسهيل قيامها، وتقديم الرغبات وكأنّها وقائع، أي تمثيل الطريقة التي تصوّر بها السياساتُ الواقعَ وكأنّها ما هو العالم عليه. وقد تناولتُ بعض هذه المسائل في فصول هذا الكتاب. إنّ رؤية بورديو وواكان لفاعليّة خطاب الليبراليّة الجديدة يتخطّى إمكانيّات طرائق بحثهما الاجتماعيّ. وفي قولي هذا تثمين ونقد لعملهما، من وحي البعد التحاوري الذي نجده في هذا

الأخير: يستطيع التحليل النقديّ للخطاب تحسينه، كما أنّ العمل في إطار نظريّة بورديو الاجتماعيّة يحسّن التحليل النقديّ للخطاب. فأساس المسألة الاعتراف، من ناحية، بأنّ المنظّرين الاجتماعيّين هم الذين غالباً يُنتجون أهمّ الإيحاءات حول اللغة باعتبارها عنصراً في الحياة الاجتماعيّة، ومن ناحية أخرى مُواجهتهم ومساعدتهم على التعامل مع اللغة بطريقة محسوسة ومفصّلة أكثر ممّا يفعلون عامة. لا يمكن من دون التحليل التفصيليّ أن نبيّن فعلاً أنّ اللغة تقوم بالعمل الذي ننسبه إليها نظريّاً. أقول، بكلمات تحتمل الجدل، إنّه حان للمنظرّين والباحثين الاجتماعيّين أن يبيّنوا لنا ما جاء في أقوالهم عن أهميّة اللغة والخطاب في الحياة الاجتماعيّة المعاصرة.

فما هي، إذاً، المعالجة اللغوية التي تلائم أكثر من غيرها حاجات البحث الاجتماعيّ النقديّ؟ سأبيّن في ما يلي كيف أنّ التحليل النقديّ للخطاب (على وجه الخصوص، الصياغة التي اقترحها للدراسة النقديّة للخطاب - راجع فاركلوف وووداك (Wodak) للمقارنة بين مختلف الصياغات) يمكن أن يقوم بهذا الدور. سبق وذكرتُ في هذا الكتاب بعض ما سأقوله، لكنيّ أريد الآن أن أقدّم تصميماً شاملاً للدراسة النقديّة للخطاب.

مسائل نظريّة

يستند التحليل النقديّ للخطاب إلى اعتبار سيرورة المعنى مكوّناً في كلّ السيرورات الاجتماعيّة الماديّة لا يمكن تجاوزه[3]. يمكن اعتبار الحياة الاجتماعيّة مجموعة شبكات مترابطة من الممارسات

(3) Raymond Williams, *Marxism and Literature* (Oxford: Oxford University Press, 1977).

الاجتماعيّة المتعدّدة الأنواع (اقتصاديّة، سياسيّة، ثقافيّة، عائليّة... إلخ). وما يجعلنا نولي مفهوم «الممارسة الاجتماعيّة» موقعاً مركزيّاً هو أنّه يُرجع إلى منظورين، منظور البنية الاجتماعيّة ومنظور الفعال الاجتماعيّة وعمليّة الفعل، وكلاهما ضروريّان في البحث والتحليل الاجتماعيّين[4]. وأعني بـ «الممارسة الاجتماعيّة» شكلاً ثابتاً نسبيّاً من النشاط الاجتماعيّ (مثال ذلك: التعليم في قاعة تدريس، الأخبار المُتلفزة، الوجبات العائليّة، الاستشارات الطبيّة). وكلّ ممارسةٍ تُمَفْصِل عناصر اجتماعيّة معيّنة في إطار تشكيلٍ ثابت نسبيّاً، يحوي دائماً خطاباً. لنقل إنّ كلّ ممارسة تحوي العناصر الآتية:

الأنشطة
الذوات وعلاقاتها الاجتماعيّة
الأدوات
المَوجودات
الزمان والمكان
أشكال الوعي
القِيَم
الخطاب

وتقوم بين هذه العناصر علاقة منطقيّة جدليّة[5]، أي إنّها مختلفة بعضها عن بعضٍ لكنّها غير متمايزة، غير منفصلة بشكل كامل. كلّ عنصر «يتضمّن» بمعنى من المعاني العناصر الأخرى بدون أن يتساوى

(4) انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب، و Lilie Chouliaraki and Norman Fairclough, *Discourse in Late Modernity* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1999).

(5) David Harvey, *Nature, and the Geography of Difference* (Oxford: Blackwell, 1996).

مع أيّ منها. فالعلاقات الاجتماعيّة والهويّات الاجتماعيّة والقيم والوعي الثقافيّين خِطابيّةٌ إلى حدّ ما، لكن لا يعني ذلك أننا ننظر حول العلاقات الاجتماعيّة، مثلاً، وننظر فيها بالطريقة نفسها التي ننظُر حول اللّغة وفيها. لكلّ منهما سِماته التي تستدعي دراستها اختصاصاً مختلفاً. لكن من الممكن والمطلوب العمل عبر الاختصاصات، بطريقة «عابرة للاختصاصات»[6].

التحليل النقديّ للخطاب هو تحليلٌ للعلاقات بين الخطاب (يتضمّن اللغة وأشكال سيرورة المعنى الأخرى، كالتعبير بالجسد والصور المرئيّة) والعناصر الأخرى في الممارسات الاجتماعيّة. وهو يُعنى على وجه الخصوص بالتغيّرات الجذريّة التي تلحق بالحياة الاجتماعيّة المُعاصرة: مكان الخطاب في سيرورات التغيير، والتحوّلات في العلاقات بين الخطاب وسيرورات المعنى عامةً من جهة والعناصر الاجتماعيّة الأخرى في شبكات الممارسات من جهة أخرى. لا يمكننا التسليم مسبقاً بدور للخطاب في الممارسات الاجتماعيّة، يجب اعتماد التحليل لإظهار ذلك. ويمكن أن يكون الخطاب أكثر أو أقلّ أهميّة أو بروزاً في ممارسة ما، منه في ممارسات أخرى، ويمكن أن تتغيّر أهميّته مع الزمن.

توجد عامةً ثلاث طُرُق لظهور الخطاب في الممارسات الاجتماعيّة. **أوّلاً**، يظهر كجزءٍ من النشاط الاجتماعيّ في ممارسة ما. على سبيل المثال، تُستخدم اللغة بطريقة معيّنة كجزءٍ من القيام بعمل ما (مثال ذلك: عمل مُساعد بائع)، وتُستخدم أيضاً كجزءٍ من القيام بحُكم البلاد. **ثانياً**، يظهر الخطاب في الممثليات. أيّاً كانت

(6) انظر فاركلوف: Norman Fairclough, «Discourse, Social Theory, and Social Research: The Discourse of Welfare Reform,» *Journal of Sociolinguistics*, vol. 4, no. 2 (2000), pp. 163-195.

الممارسة، يُنتج الفاعلون الاجتماعيون ممثّليات عن «ممارسات أخرى، كما يُنتجون، خلال نشاطهم ضمن الممارسة، ممثّليات «تعكس» ممارساتهم بالذات. و«يجدّدون سياق» ممارسات أخرى، أي يُدرجونها ضمن ممارساتهم الخاصة. وتختلف طبيعة التمثيل باختلاف الفاعلين الاجتماعيين، وفقَ تموقُعهم في ممارستهم. والتمثيل سيرورةٌ تبني الممارسات اجتماعياً، بما في ذلك البناء الذاتيّ الانعكاسي - تدخل الممثليات في السيرورات والممارسات الاجتماعيّة وتُبلورها. **ثالثاً**، يظهر الخطاب في طرق التواجد، في تشكيل الهويّات. على سبيل المثال، إنّ هويّة القائد السياسيّة، كهويّة طوني بلير في بريطانيا، تتشكّل جزئياً بالخطاب كطريقة تواجد معيّنة.

ويشكّل الخطاب، باعتباره جزءاً من النشاط الاجتماعيّ، الأصنافَ. وهذه الأخيرة طُرقٌ متنوّعة من الفعلِ والإنتاج للحياة الاجتماعيّة وفقَ الصيغة السيميائيّة. ومن الأمثلة على ذلك: المحادثة اليوميّة، واللّقاءات في أنماط المنظّمات المختلفة، والمُقابلات السياسيّة وغير السياسيّة، ومقالات التعريف بالكُتب. يشكّل الخطاب في التمثيل الذاتيّ وغير الذاتيّ للممارسات الاجتماعيّة ضروبَ الخطاب (لاحظ الفرق بين «الخطاب» كاسم مجرّد و«ضروب الخطاب» كجمع). فضروب الخطاب ممثّليات مختلفة للحياة الاجتماعيّة، وهي بطبيعتها مُتَمَوْقِعَة: «ينظر» الفاعلون الاجتماعيون إلى الحياة الاجتماعيّة ويمثّلونها بطرقٍ وضروب خطابٍ تختلف باختلاف مواقعهم. على سبيل المثال، يتمّ تمثيل حياة الفقراء والمحرومين من خلال ضروب خطابٍ مختلفة في الممارسات الاجتماعيّة الآتية: الحكم والسياسة والطبّ والعلوم الاجتماعيّة، كما يتمّ تمثيلها، ضمن كلٍّ من هذه الممارسات، في ضروب خطاب مختلفة، وفق مواقع الفاعلين الاجتماعيّين المختلفة. أخيراً، يشكّل

الخطابُ الأساليبَ، وذلك باعتباره جزءاً من طُرق التواجد. مثال ذلك: أساليب مُديري الأعمال أو القادة السياسيّين.

وتشكّل الممارسات الاجتماعيّة المترابطة بطريقة معيّنة ترتيباً اجتماعيّاً، ومثال ذلك: ترتيب الليبراليّة الجديدة العالميّ الناشئ الذي أشرنا إليه أعلاه، أو، على مستوى محليّ أكثر، الترتيب الاجتماعي لحقل التربية في مجتمع وزمن معيّنَين. ونُطلق على الجانب الخطابيّ/ السيميائيّ من الترتيب الاجتماعيّ «النطاق الخطابي». إنّ هذا الأخير هو الطريقة التي يتمّ وفقها الربط بين الأصناف وضروب الخطاب والأساليب المختلفة. إنّه البناء الاجتماعيّ الذي يجمع الاختلافات السيميائيّة - ترتيب اجتماعيّ معيّن للعلاقات بين مختلف طُرق صناعة المعنى، أي ضروب الخطاب والأصناف والأساليب المختلفة. وأحد جوانب هذا البناء هي السيطرة، إذ إنّ بعض طرق صناعة المعنى تسود أو تُصبح هي الاتّجاه السائد ضمن نطاقٍ خطابيّ معيّن، وتصبح طُرقٌ أخرى هامشيّةً أو مُعارضة أو «بديلة». على سبيل المثال، ربّما تسود طريقة محدّدة في معاينة الطبيب للمريض في بريطانيا، لكن توجد أيضاً طُرقٌ أخرى مختلفة يمكن تبنّيها أو تطويرها فتتعارض، قليلاً أو كثيراً، مع الطريقة السائدة. والأرجح أنّ الطريقة السائدة لا تزال تحتفظ بمسافة اجتماعيّة بين الأطبّاء والمرضى، وبسيطرة الطبيب على طريقة التفاعل مع المريض، لكن توجد طرق أخرى أكثر «ديمقراطيّة» يخفّف الأطبّاء فيها من سلطتهم. ويمكن عامةً استخدام مفهوم «الهيمنة» السياسيّ بشكلٍ مفيد في تحليل النطق الخطابية(7). يمكن أن يُهيمن بناء اجتماعيّ معيّن بعمل

(7) Judith Butler, Ernesto Laclau and Slavoj Žižek, *Contingency, Hegemony, Universality: Contemporary Dialogues on the Left*, Phronesis (London: Verso, 2000); Norman Fairclough, *Discourse and Social Change* (Cambridge, MA: Polity

عن اختلاف سيميائيّ، أي يصبح جزءاً من الحسّ العام المُشرعِن الذي يصون علاقات التسلّط، لكن يتمّ، في الصراع على الهيمنة، الاعتراض عليه بشكل دائم. إنّ نطاق الخطاب ليس مغلقاً وجامداً، بل هو منظومة منفتحة تتعرّض للتغيير جرّاء ما يحصل في تفاعلات على أرض الواقع.

ذكرتُ أعلاه أنّ بين الخطاب والعناصر الأخرى في الممارسات الاجتماعيّة علاقةٌ جدليّة: يتضمّن الخطاب العناصر الأخرى وهي تتضمّنه، من دون أن تتساوى العناصر المختلفة مع بعضها. إنّها مختلفة عن بعضها، لكنّها غير مُتمايزة. وإذا فكّرنا في جدليّة الخطاب من منطلق تاريخيّ، من منطلق سيرورات التغيُّر الاجتماعيّ، يبرز التساؤل عن الطرق والظروف التي تجعل سيرورات تضمين العناصر بعضها ببعضٍ أمراً قائماً. لنأخذ مفهوم «الاقتصاد المعرفيّ» و«المجتمع المعرفيّ». إنّه يوحي بوجود تغيير نوعيّ في الاقتصاديّات والمجتمعات، مثال ذلك اعتبار المعرفة تقود السيرورات الاقتصاديّة والاجتماعيّة، أي أنّ التغيير ينجم، بوتيرة سريعة متصاعدة، عن إنتاج المعارف ونشرها وتفعيلها في السيرورات الاقتصاديّة والاجتماعيّة. بالطبع إنّ المعرفة (العلم، التقنية) تشكّل منذ زمن طويل عاملاً مهمّاً في التغيير الاقتصاديّ والاجتماعيّ، لكن ما يشير إليه المفهوم المذكور هو الازدياد الكبير في أهميّتها. يكمن لبّ هذه الأفكار في أنّ «التوجيه بالمعرفة» يعني «التوجيه بالخطاب»: يتمّ إنتاج المعارف ونشرها كَضروب خطاب، والسيرورة التي بها يتمّ تفعيل ضروب الخطاب في الاقتصاديّات والمجتمعات هي بالتحديد المنطق الجدليّ للخطاب.

Press, 1992), and Ernesto Laclau and Chantal Mouffe, *Hegemony and Socialist* = *Strategy* (London: Verso, 1985).

تتضمّن ضروب الخطاب ممثّليات عن حال الأشياء في الحاضر والماضي، كما تتضمّن متخيّلات، أي ممثّليات عمّا يُحتمل أو يمكن أو يجب أن تكون عليه الأشياء. وبهذا المعنى، إنّ المعارف المتّصلة بالمنظومة الاقتصاديّة المعرفيّة والمجتمع المعرفيّ متخيّلات، إنها تصوّرات لأحوال محتملة الوجود، لـ «عوالم محتملة». وأقول، من منطلق مفهوم «الممارسة الاجتماعيّة»، إنّه يتمّ تخيّل ممارسات اجتماعيّة وشبكات من الممارسات الاجتماعيّة المحتملة، توليفاتٍ محتملة من الأنشطة والمواضيع والعلاقات الاجتماعيّة والأدوات والمَوجودات والأمكنة ـ الأزمنة[8] والقيم وأشكال الوعي. ويمكن تحقيق هذه المتخيّلات بتحويلها إلى (شبكات) ممارسات قائمة ـ يمكن أن تصبح الأنشطة والمواضيع والعلاقات الاجتماعيّة، وما إلى ذلك، أنشطةً ومواضيع وعلاقات اجتماعيّة حقيقيّة. ويتضمّن هذا التحقيق تجسيداً لضروب خطاب معيّنة، يتمّ مثلاً تجسيد الخطاب الاقتصاديّ بواسطة أدوات الإنتاج الاقتصاديّ التي تتضمّن «مواد صلبة» (المعمل، الآلات. . . إلخ) و«مواد فكريّة» (منظومات إداريّة. . . إلخ). وأنواع التحقيق هذه أيضاً، في جزء منها، خطابيّة/ سيميائيّة: يتمّ تحقيق ضروب الخطاب في أصناف. انظر مثلاً في ضروب الخطاب الإداريّ الجديد الذي يصوّر المنظومات الإداريّة على أنها تستند إلى «العمل كفريق»، وإلى طُرق تستبعد نسبيّاً التراتبيّة وتحقّق شبكة تواصل. يتمّ تحقيق هذه الضروب خطابيّاً في أصناف جديدة، على سبيل المثال، في أصناف تخصّ الاجتماع كفريق. هذه التحقيقات الخطابيّة المحدّدة تدخل في عمليّة تحقيقها باعتبارها طُرق جديدة من الأداء والتفاعل في سيرورات إنتاج، وقد تكون تحقيقات مادية

(8) Harvey, *Nature, and the Geography of Difference.*

ممكنة في أمكنة جديدة (كقاعات الحلقات الدراسيّة) لأنشطة الفريق.

ويمكن أن تتحقّق ضروب الخطاب، باعتبارها متخيّلات، كطرق جديدة من الكينونة، كهويّات جديدة. من الشائع أن تستند التشكيلات الاجتماعيّة والاقتصاديّة الجديدة إلى ذواتٍ جديدة: على سبيل المثال، استندت «التايلوريّة» (نسبة إلى تايلور Taylor)، باعتبارها منظومة إنتاج وإدارة، إلى تغييرات في طُرق كينونة العمّال، في هويّاتهم[9]. ويمكن تناول سيرورة «تغيير الذات» من منطلق ترسيخ ضروب خطاب جديدة، والتايلوريّة مثال على ذلك. ويعني الترسيخ، في اللغة الاصطلاحيّة السائدة، أن «يمتلك» الناس ضروب الخطاب، أن يُموقِعوا أنفسهم داخلها، أن يتصرّفوا ويفكّروا ويتكلّموا وينظروا إلى أنفسهم وفقَ ضروب خطاب جديدة. والترسيخ سيرورة معقّدة، وهي على الأرجح أقلّ حدوثاً من التحقيق. وإحدى مراحل الترسيخ هي الانتشار البلاغيّ: يمكن أن يتعلّم الناس ضروب خطاب جديدة ويستخدمونها لأهداف معيّنة، بينما يبقون في أذهانهم على مسافة منها. فإحدى مُعضلات جدليّة الخطاب هي السيرورة التي بها يتحوّل ما بدأ كانتشار بلاغيّ خجول إلى «ملكيّة»: كيف أنّ الناس يصبحون متَموقعين بطريقة غير واعية داخل أحد ضروب الخطاب. وللترسيخ جوانبه المادّيّة أيضاً: لا يتمّ ترسيخ ضروب الخطاب بمنطق جدليّ في الأساليب وطُرق استخدام اللغة فقط، إنّما تُجسَّم أيضاً في الأجساد، والوَضعات، والإيماءات، وطُرق التحرّك، وما إلى ذلك.

ولا تتوقّف السيرورة الجدليّة عند التحقيق والترسيخ، إذ إنّ

---

(9) Antonio Gramsci, *Selections from the Prison Notebooks of Antonio Gramsci*, Edited and Translated by Quintin Hoare and Geoffrey Nowell Smith (London: Lawrence & Wishart, 1971).

الحياة الاجتماعيّة انعكاسيّة: لا يكتفي الناس بالفعل والتفاعل داخل شبكات الممارسات الاجتماعيّة، إنّما أيضاً يفسّرون ويمثّلون بعضهم لبعضٍ ما يقومون به، وهذه التفسيرات والممثليات تبلور وتعيد بلورة ما يقومون به. زيادة على ذلك، إذا نظرنا على وجه الخصوص في الممارسات الاقتصاديّة في المجتمعات المعاصرة، نجد أنّ أنشطة الناس تخضع باستمرار للتفسير والتمثيل، وممّن يقوم بذلك الخبراءُ على أنواعهم (كالمستشارين في إدارة الأعمال) وعلماء الاجتماع الأكاديميّين (ومنهم دارسو الخطاب). ويعني ذلك أنه يتمّ تمثيل طُرق الفعل والتفاعل وطُرق الكينونة (بما في ذلك جوانب الخطاب وأصنافه وأساليبه) في ضروب الخطاب، ممّا قد يُساهم في إنتاج متخيّلات جديدة، وهذه الأخيرة قد تتحقّق أو حتى يتمّ ترسيخها. تتضمّن السيرورة المنطقيّة الجدليّة، إذاً، قيام حركة من وإلى العناصر الاجتماعيّة المختلفة، بما في ذلك بين المادي وغير الماديّ، وحركة داخل الخطاب بين ضروب الخطاب والأصناف والأساليب.

في ما يخصّ المنطق الجدليّ للخطاب، ليس من أمر محتوم، كما سبق وذكرت. قد يدخل خطاب جديد مؤسّسة أو منظّمة ما بدون أن يتمّ تحقيقه أو ترسيخه. ويمكن أن يتمّ تحقيقه بدون ترسيخه بشكل تام. والأمثلة كثيرة. على سبيل المثال، تمّ تحقيق ضروب الخطاب الإداريّ بشكل موسّع في الجامعات البريطانية (كإجراءات لتقييم الأساتذة مثلاً، ومنها صنف جديد هو «المقابلة التقييميّة»)، ومع ذلك لا يزال الترسيخ محدوداً (وهذا رأي خلافيّ)، إذ إنّ معظم الأكاديميّين لا «يمتلكون» ضروب الخطاب الإداري هذه. علينا أن ننظر في الظروف التي تجعل المنطق الجدلي للخطاب ممكناً في حالات معيّنة، والقيود التي تحدّ

من ذلك المنطق. ولهذا الأمر أثره في نظريات «التشييدية الاجتماعية»[10]. من الشائع في العلوم الاجتماعيّة المعاصرة القول إنّ الكيانات الاجتماعيّة (المؤسّسات، المنظّمات، الفاعلين الاجتماعيّين... إلخ) تتأسّس بفعل سيرورات اجتماعيّة، ومن الشائع أيضاً التشديد على فعاليّة ضروب الخطاب في هذه السيرورات، كما فعلتُ أعلاه: بمعنًى ما، الكيانات الاجتماعيّة نتائج لضروب الخطاب. وتصبح التشييدية الاجتماعية موضع جدل عندما لا تأخذ بعين الاعتبار نسبة صلابة الكيانات واستمراريّتها ومقاومتها للتغيير. حتى ضروب الخطاب القادرة، كضروب الخطاب الإداري الجديد، يمكن أن تواجهها مستويات من المقاومة تحرمها من التحقّق والترسيخ. عندما نستخدم نظريّة خطابيّة ذات منطق جدليّ في البحث الاجتماعيّ، علينا أنّ نأخذ بعين الاعتبار، في كلّ حالة، الظروف التي تتحكّم بإمكانيّة مقاومة الكيانات الاجتماعيّة لضروب الخطاب الجديدة وبدرجة تلك المقاومة.

المنهج

في ما يلي تصوّر إجماليّ عن طريقة عمل التحليل النقديّ للخطاب[11]. وهو صياغة أخرى لـ «النقد الإيضاحيّ» الذي توسّع فيه بهاسكار[12]:

---

(10) Andrew Sayer, *Realism and Social Science* (London: Sage, 2000).

(11) لقراءة نقاش كامل عن الموضوع، انظر: Chouliaraki and Fairclough, *Discourse in Late Modernity*.

(12) Roy Bhaskar, *Scientific Realism and Human Emancipation* (London: Verso, 1986).

1 ـ ابدأ بمشكلة اجتماعيّة ذات جانب سيميائيّ. ويتلاءم البدء بمشكلة اجتماعيّة، وليس بـ «إشكاليّة بحث» كما في المنهج التقليديّ، أكثر مع الطابع النقديّ لهذه المعالجة ـ لأجل إنتاج معرفة يمكن أن تُحدث تغييراً مُحَرِّراً.

2 حدّد العوائق أمام معالجة الموضوع، وذلك بتحليل:

أ) شبكة الممارسات التي تتواجد فيها المشكلة

ب) علاقة سيرورة المعنى بالعناصر الأخرى في الممارسة أو الممارسات المعنيّة

ج) الخطاب نفسه (سيرورة المعنى):

(1) تحليل بنائيّ: نطاق الخطاب

(2) تحليل نصي/ تفاعلي، من منظور التفاعل الخطابي والتحليل الألسني (والسيميائي)

الهدف من هذا هو معرفة كيفيّة نشوء المشكلة وكيفية تجذّرها في طريقة تنظيم الحياة الاجتماعيّة، وذلك بالتركيز على العوائق أمام حلّها، على ما يجعلها إلى حدّ ما مستعصية.

3 ـ انظر في ما إذا كان النطاق الاجتماعيّ (شبكة الممارسات) «يحتاج»، بمعنى ما، للمشكلة. المسألة المطروحة هنا هي ما إذا كان من مصلحة الذين يستفيدون، أكثر من غيرهم، من الطريقة التي تُنظَّم فيها الحياة الاجتماعيّة في حينه، أن لا يتمّ حلّ المشكلة.

4 ـ حدّد الطرق المحتملة لتخطّي العوائق. هذه المرحلة تكملة أساسيّة، في الإطار المطروح، للمرحلة الثانية: يتمّ فيها البحث عن احتمالاتٍ، لم يتمّ إنجازها بعد، تؤدّي إلى تغيير الطريقة التي تُنظَّم وفقها الحياة الاجتماعيّة.

5 ـ تفحّص المراحل الأربع السابقة بعين ناقدة. ليس هذا بالضبط جزءاً من نقد بهاسكار التوضيحيّ، لكنه إضافة مهمّة.

يُركّز كتابي هذا على الجزء «ج» من المرحلة الثانية في التصوّر الإجماليّ، وبخاصة على التحليل الألسنيّ للنصوص، مع أنّني أشرتُ إلى تحليل التفاعل الخطابيّ (من منطلق تهجين الأصناف، وبين ضروب الخطاب، وبين الأساليب) وإلى جوانب من النطق الخطابية (مثال ذلك: في مناقشة سلسلات الأصناف).

يعطي التصوّر المُبيّن أعلاه شيئاً من المعنى للتحليل النقديّ للخطاب باعتباره «منهجاً». وتجدون في كتاباتي الأخرى[13] تفاصيل أكثر عن هذا الموضوع. لكنّ المنهج النقديّ المُلخّص هنا لا يخصّ بأجمعه التحليل النقديّ للخطاب فقط، إنّما له أهميّة عامة في البحث النقديّ الاجتماعيّ. كلّ ما في الأمر هو أنّني عبّرتُ عنه هنا بطريقة تُبرز التحليل النقديّ للخطاب، على وجه الخصوص، ومنهجه التحليليّ في الجزأين (ب) و(ج) من المرحلة الثانية. لكن يجدر القول أيضاً إنّ التحليل النقديّ للخطاب لا يقدّم كلّ الفئات والإجراءات التحليليّة التي ذكرتها: استعرتُ الكثير من الفئات

---

(13) Norman Fairclough: «The Discourse of New Labour: Critical Discourse Analysis,» in: Margaret Wetherell, Stephanie Taylor and Simeon Yates, eds., *Discourse as Data: A Guide for Analysis* (London: Sage, 2001); «Critical Discourse Analysis as a Method in Social Scientific Research,» in: R. Wodak and C. Ludwing, eds., *Methods of Critical Discourse Analysis* (London: Sage, 2001); *Discourse and Social Change* (Cambridge, MA: Polity Press, 1992); *Critical Discourse Analysis: The Critical Study of Language* (London: Longman, 1995), and *Media Discourse* (London: Edward Arnold, 1995).

التحليليّة التي استخدمتها في هذا الكتاب من الألسنية الوظيفية النسقية، كما ذكرتُ في الفصل الأوّل. وهناك مناهج أخرى للتحليل اللّغوي، كتلك التي تمّ تطويرها في تحليل التحادُث أو الألسنية التداولية، يمكن إدراجها في التحليل النقديّ للخطاب بشكل أوسع ممّا ذكرت في هذا الكتاب. وبهذا المعنى، إنّ التحليل النقديّ للخطاب منهجٌ يمكنه أن يستعير من المناهج الأخرى. وتتضمّن هذه الأخيرة أيضاً مناهج التحليل الألسنيّ العينيّ (corpus Linguistics)، كما بيّنتُ في الفصل الأوّل.

لكنّ التحليل النقديّ للخطاب يذهب إلى أبعد من ذلك: لقد اعتبرتُه أحدَ مصادر البحث الاجتماعيّ النقديّ، ويعني ذلك أنّه من الأفضل استخدامه مع مصادر نظريّة وتحليليّة هي جزء من مجالات مختلفة في العلوم الاجتماعيّة. على سبيل المثال، يوجد في عدد كبير من أنماط البحث، ما يستدعي استخدام التحليل النقديّ للخطاب في إطار مَبحث الثقافات والأعراق النقديّ[14]، هذا إذا كان غرض الباحث الأوّل التوصّل إلى فهم أعمق لطريقة عيش الناس في الترتيب الرأسماليّ الجديد (مثال ذلك موضوع المراهقين في برشلونة، الذي تناوله بوجولار (Pujolar) في بحثه) ولحضور الخطاب كجزء من طُرق عيشهم. وأحد الاحتمالات التي يفتحها هذا المزج بين المصادر هو دراسة كيفيّة فهم النصوص

(14) Lilie Chouliaraki, «Regulation in «Progressivist» Pedagogic Discourse: Individualized Teacher-Pupil Talk,» *Discourse and Society*, vol. 9, no. 1 (1995), pp. 5-32; Joan Pujolar, *De què vas, tio?* (Barcelona: Editorial Empúries, 1997), and R. Rogers, ed., *New Directions in Critical Discourse Analysis: The Role of Language Learning in Social Transformation* (New York: Erlbaum, [n. d.]).

وتفسيرها (راجع الفصل الأول). ويمكن، بشكل فعّال، الجمع بين التحليل النقديّ للخطاب بمختلف أنماطه[15] والتحليل الاقتصاديّ السياسيّ والتحليل الاجتماعيّ. في الواقع، هناك الآن عدد كبير جداً من الباحثين في عدد كبير جداً من الاختصاصات يحاولون المزج بين التحليل النقديّ للخطاب ومصادر نظريّة وتحليليّة أخرى. ومع أنّ التحليل النقديّ للخطاب يشكّل، بمعنى ما، منهجاً تحليلياً، من المرجّح أن تشكّل أيّ مناهج تُستخدم في بحث معيّن يعتمد على التحليل النقديّ للخطاب خليطاً يجمع بين منهج هذا التحليل وغيره.

ولا يمكن التأكّد من أنّه من المناسب الجمع بين التحليل النقديّ للخطاب ومناهج أخرى معيّنة في مشروع بحث ما، إلاّ على ضوء التقدّم في بناء «موضوع البحث» أثناء سيرورة البحث. فبناء الموضوع هو بالضرورة سيرورة نظريّة تعتمد على جمع المعلومات، إنّها تعني تحديد كيفيّة التنظير بشأن مجال اهتمام معيّن. وكما يقول بورديو (Bourdieu): «لا يفرض هذا المنهج لدراسة العيّنات ـ هذه التقنيّة لجمع المعطيات وتحليلها... إلخ ـ نفسه إلاّ باعتباره مرتبطاً ببناء محدّد لموضوع ما»[16].

---

(15) Eve Chiapello and Norman Fairclough, «Understanding the New Management Ideology: A Transdisciplinary Contribution from Critical Discourse Analysis and New Sociology,» *Discourse and Society*, vol. 13, no. 2 (2002), pp. 185-208, and Norman Fairclough, Bob Jessop and A. Sayer, «Critical Realism and Semiosis,» *Journal of Critical Realism*, vol. 5, no. 1 (2002), pp. 2-10.

(16) Pierre Bourdieu and Loïc Wacquant, *An Invitation to Reflexive Sociology* (Chicago: University of Chicago Press, 1992), p. 225.

ملخّص

في فصل الخلاصة هذا قمنا أوّلاً بجمع المنظورات والفئات التحليليّة المختلفة التي تناولناها في هذا الكتاب، وذلك بصياغة أسئلة يمكن طرحها عند معالجة أيّ نصّ. وبيّنا أيضاً كيف يمكن الجمع بين الفئات والمنظورات المختلفة في التحليل النصي للإضاءة على مسائل البحث الاجتماعيّ. أمّا الموضوع الثاني الذي تناولناه فهو تقديم إطار للتحليل النصيّ ضمن سيرورة أوسع هي التحليل النقديّ للخطاب، واتخذ ذلك شكل «بيان» قصير يُدافع عن التحليل النقديّ للخطاب باعتباره أحد مصادر البحث العلميّ الاجتماعيّ.

الثبت التعريفي(*)

اختلاف اجتماعي (Social Difference): تتنوّع النصوص من حيث علاقتها بالاختلاف الاجتماعي، فتسبر البعد الحواري والاختلاف للاختلاف، أو تشدّد على جدلّية الاختلاف، أو تحاول تخطّيه، أو تحيّده للتركيز على وحدة الجماعة، أو كَظمه. وقد تمزج نصوص معيّنة بين هذه السيناريوهات. إنّ طبيعة تعامل النصّ مع الاختلاف هي التي تحدّد مدى حضور البعد الحواري والاختلاف فيه[1].

«أدوار» في الرأسمالية الجديدة («Characters» of New Capitalism): إنّ «الأدوار» في أيّ ترتيب اجتماعيّ معيّن هي أنماطه الاجتماعيّة التي تميّزه أكثر من غيرها (مثال ذلك: «مدير الأعمال»

(*) الثبت التعريفي وثبت أهم أصحاب النظريات هما من أصل الكتاب، أما ثبت المصطلحات فهو من وضع المترجم.

(1) Seyla Benhabib, ed., *Democracy and Difference: Contesting the Boundaries of the Political* (Princeton, N. J.: Princeton University Press, 1996); Michael Holquist, *[Dialogism: Bakhtin and his World]* (London: Routledge, 1981), and Gunther Kress and Theo van Leeuwen, *Multimodal Discourse: The Modes and Media of Contemporary Communication* (London: Arnold, 2001).

في الرأسمالية الجديدة). ويمكن أن يُسهم التحليل النصي في دراسة هويّات الأدوار ويبيّن، من خلال تحليل وجهة القول والتقييم، ما تلتزم به هذه الأدوار باعتباره حقيقياً أو ضرورياً أو مرغوباً فيه. ويمكن اعتبار «الأدوار» توظيفاً شخصياً لأدوارٍ اجتماعيّة (راجع الهوية العامة والشخصيّة). على سبيل المثال: يمكن أن نبيّن، بوساطة التحليل، ليس فقط ما يجعل من طوني بلير سياسيّاً، إنمّا ايضاً كيف يوظّف هذا الدور بشكل مُميّز[2].

أساليب (Styles): راجع الهويّة الاجتماعيّة والشخصيّة.

استعارة نحْويّة (Grammatical Metaphor): تستند الاستعارة النحويّة إلى توسيع مفهوم الاستعارة الذي يُطبَّق على الكلمة ليشمل النحو. على سبيل المثال، يمكن تمثيل السيرورات استعارياً أو بطريقة غير استعاريّة: عندما تطرد شركة ما بعض مُستخدميها، يمكن تمثيل ذلك بالقول «طردتهم الشركة» (غير استعاريّ) أو «خسروا وظائفهم» (استعاريّ) ـ راجع أيضاً مدخل التحويل الاسمي. والتمييز المذكور مفيد، لكنّه يستلزم اعتبار مُقارنة الممثليات بما يحصل فعلاً أمراً مُمْكناً، وهذه مسألة مَحلّ إشكال[3].

أصناف (Genres): الصنف طريقة للفعل، لما للفعل من جانب خطابيّ ـ على سبيل المثال توجد ضروبٌ من صنف

---

(2) Alasdair McIntyre, *After Virtue: A Study in Moral Theory*, 2nd Ed. (Notre Dame, Ind.: University of Notre Dame Press, 1984).

(3) Roger Fowler [et al.], *Language and Control* (London: Routledge & K. Paul, 1979); Michael Halliday, *An Introduction to Functional Grammar*, 2nd Ed. (London: E. Arnold, 1994); Robert Hodge and Gunther Kress, *Language as Ideology*, 2nd Ed. (London: Routledge, 1993), and J. Martin, *English Text* (Amsterdam: John Benjamins, 1992).

المُقابلة، كمُقابلة طلب العمل. ويمكنُ القول بوجود الأصناف على عدّة مستويات من التجريد: «ممهِّدات الصنف» الشديدة التجريد، كالسرد والتقرير - فهذان يشملان في عموميّتهما أشكال عديدة من السرد والتقرير توجد على مستوى أكثر محسوسيّة، في أصناف مُنعتقة (راجع مدخل الإعتاق) - وأصناف قائمة ترتبط بشبكات معيّنة من المُمارسات الاجتماعيّة (مثال ذلك: أصناف المقابلات السياسيّة المستخدمة في برنامج «الأميركيّ المُعاصر» على التلفاز البريطانيّ)[4].

إعتاق (Disembedding): الإعتاق سيرورة اجتماعيّة تاريخيّة تصبح فيها العناصر التي نَمَت في إحدى مجالات الحياة الاجتماعيّة منفصلةً عن سِياقها الأوّل ومتوفِّرة في مجالات أخرى. وهذه السيرورة سِمَة مهمّة من سِمات العولمة. ويمكن أن تصبح الأصناف (مثال ذلك: مختلف أنماط المُقابلة) مُنعتقة، أي تتحوّل إلى نمط من أنماط التقنية الاجتماعيّة يمكن استخدامه في حقول مختلفة ومستويات متعدّدة من الحياة الاجتماعيّة[5].

---

(4) M. Bakhtin, «The Problem of Speech Genres,» in: M. Bakhtin, *Speech Genres and other Late Essays*, Translated by Vern W. McGee; Edited by Caryl Emerson and Michael Holquist (Austin: University of Texas Press, 1986); C. Bazerman, *Shapping Written Knowledge: The Genre and Activity of the Experimental Article* (Madison, Wis.: University of Wisconsin Press, 1988); Lilie Chouliaraki and Norman Fairclough: *Discourse in Late Modernity* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1999); *New Labour, New Language?* (New York: Routledge, 2000); Martin, *English Text*, and John M. Swales, *Genre Analysis: English in Academic and Research Settings* (Cambridge: Cambridge University Press, 1990).

(5) Anthony Giddens, *Modernity and Self-Identity: Self and Society in the Late Modern Age* (Cambridge: [Polity Press], 1991).

أماكن ـ أزمنة (Space-Times): يُستخدم مصطلح «الأماكن ـ الأزمنة» للتعبير عن وجهة النظر القائلة إنّه من الصعب، لا بل من المستحيل، اعتبار المكان والزمان كيانَين نوعيَّين مختلفين. إنهما لَيسا مجرّد معطيَين طبيعيّين. هما مُشيّدان اجتماعيّان، إذ إنّ المنظومات الاجتماعيّة المختلفة تشيّد المكان ـ الزمان بشكل مُختلف، وتشييدهما يرتبط ارتباطاً منطقيّاً جدليّاً بعناصر اجتماعية أخرى تدخل في تشييد المنظومة الاجتماعيّة كَشبكات من المُمارسات الاجتماعيّة. إضافةً إلى ذلك، تشيّد المنظومة الاجتماعية علاقاتٍ بين أماكن ـ أزمنة مختلفة (مثال ذلك: بين المحلي والعالميّ في المجتمع المُعاصر)، وتدور حول هذه العلاقات احتجاجات وصراعات. ونحن، في أنشطتنا ونصوصنا الاعتيادية، نسلّم بهذه العلاقات، وأحياناً تعترض عليها. يستطيع التحليل النصي المُساهمة في دراسة ذلك، ومفهوم باختين (Bakhtin) «الأماكن ـ الأزمنة الاصطلاحيّة» من الأفاهيم المفيدة في هذا المجال(6).

أنماط تبادل (Exchange Types): يتألّف «التبادل» في أبسط الحالات من دَورَين في مُحادثة يصدر فيها كلّ دور عن متكلّم مختلف. لكن يمكن توسيع هذا المفهوم ليشمل اللغة المكتوبة. ويمكن التمييز بين نمطَي تبادل أساسيّين: التبادلات المعرفية، وتتضمّن تبادل المعلومات (مثال ذلك: ـ «هل هذا بَبّغاء؟» ـ «نعم إنه ببّغاء»)، والتبادلات الأدائيّة، وهي تخدم الفعال (مثال ذلك: ـ

---

(6) M. Bakhtin, *The Dialogical Imagination* (Austin: University of Texas Press, 1981); Pierre Bourdieu, *Outline of a Theory Practice* (Cambridge: Cambridge University Press, 1977); Giddens, *Modernity and Self-Identity: Self and Society in the Late Modern Age*, and David Harvey, *Justice, Nature, and the Geography of Difference* (Oxford: Blackwell, 1996).

«أعطني شراباً» - «إليكَ الشراب»). ويستلزم كلّ نمط تبادليّ وظائف كلاميّة مختلفة[7].

أنماط سيرورات (Process Types): نشير بأنماط السيرورات إلى السيرورات الدلاليّة والنحويّة المتوفّرة في اللغة الإنجليزيّة لتمثيل الأحداث. ويتمّ التمييز بين الأنماط الآتية: الماديّة والعقليّة والكلاميّة (تحوي نمطين فرعيّين) والوجوديّة. ويمكن استخدام أنماط السيرورات لتمثيل الأحداث بطرق استعاريّة وغير استعاريّة[8].

أنماط معنى: «الفعال، التمثيل، تحديد الهوية» (Types of Meaning: «Action, Representation, Identification») من أجل القيام بالتحليل النصي، يمكن التمييز بين ثلاثة أنماط معنى أوليّة: معانٍ يملكها النصّ باعتباره جزءاً من الفعال في الأحداث الاجتماعيّة (فِعاليّة)، ومعانٍ مصدرها تمثيل العالم في النصوص (تمثيليّة)، ومعانٍ مصدرها التشييد النصي لهويّات الناس (مُحدِّدة للهويّة). وأنماط المعنى الثلاثة هذه، أو جوانبه، تتواجد دائماً مع بعضها في النصوص. ويُشاكل التمييز بين هذه الأنماط تمييزَ الألسنية الوظيفية النسقية بين وظائف اللغة الكبرى أو الكليّة[9].

---

(7) Martin, *English Text*.

(8) انظر الاستعارة النحويّة: Fowler [et al.], *Language and Control*; Halliday, *An Introduction to Functional Grammar*; Martin, *English Text*, and T. Van Leeuwen, «Representing Social Action,» *Discourse and Society*, vol. 6, no. 1 (1995), pp. 81-106.

(9) Halliday, *An Introduction to Functional Grammar*; Jay L. Lemke, *Textual Politics: Discourse and Social Dynamics* (London: Taylor & Francis, 1995), and Martin, *English Text*.

أيديولوجية (Ideology): الأيديولوجيّات ممثّليات لجوانب من العالم تُسهم في علاقات السلطة والسيطرة والاستغلال وصيانتها، ويمكن أن تجسّمُها طُرق التفاعل (في الأصناف) وأن تتحقّق في طُرق الوجود وصياغة الهويّات (في الأساليب). وتحليل النصوص (الذي يمكن أن يشمل ما فيها من مُسلّمات) جانب مهمّ من التحليل والنقد الأيديولوجيّين، هذا إذا وُضع في إطار تحليل اجتماعيّ أوسع يتناول الأحداث والمُمارسات الاجتماعيّة[10].

بعد حواري واختلاف (Dialogicality): من منظور باختين (Bakhtin) اللّغويّ، الذي يتبنّاه التحليل النقديّ للخطاب، كلّ النصوص (المكتوبة والشفويّة) ذات بعدٍ حواري، أي إنّها تُقيم بطريقة أو بأخرى علاقاتٍ بين «أصوات» مختلفة. لكن لا تملك كلّ النصوص القدر نفسه من البعد الحواريّ. يُعنى البعد الحواري والاختلاف بمدى وجود علاقة تحاوريّة بين صوت المؤلّف وأصوات أخرى، ومدى تمثيل هذه الأصوات في النصّ والردّ عليها، أو مدى إقصائها وإخفائها. ويمكن تناول هذا الجانب من النصوص من خلال التمييز بين مختلف التوجّهات في مُعالجة الاختلاف (راجع المدخل المُعنون الاختلاف الاجتماعي)[11].

---

(10) T. Eagleton, *Ideology* (London: Verso, 2000); Jorge Larrain, *The Concept of Ideology* (London: Hutchinson, 1979), and John B. Thompson, *Studies in the Theory of Ideology* (Cambridge [Cambridgeshire]: Polity Press, 1984).

(11) Bakhtin: *The Dialogical Imagination*; «The Problem of Speech Genres,» in: Bakhtin: *Speech Genres and other Late Essays;* Norman Fairclough, *Discourse and Social Change* (Cambridge, MA: Polity Press, 1992); Michael Holquist, *[Dialogism: Bakhtin and his World]* (London: Routledge, 1981), and Michael Gardiner, *The Dialogics of Critique: M. M. Bakhtin and the Theory of Ideology* (London: Routledge, 1992).

بـنـى اجـتـمـاعـيّـة (Social Structures): راجـع الأحـداث والمُمارسات والبِنى الاجتماعيّة.

بنية عامة (Generic Structure): إنّها مُجمل بنية النصّ أو تنظيمه، وهي تسند إلى الصنف الأساسيّ الذي يعتمد عليه النصّ. على سبيل المثال، تتبنّي التقارير الجديدة عامةً كالآتي: عنوان + مقطع توطئة + «مقاطع تابعة» (توسّع العنوان وتعطي تفاصيل القصّة). وتملك بعض النصوص، بخاصة نصوص المؤسّسات التي تملك أهدافاً واضحة، بنيةً عامةً محدّدة تحديداً جيّداً، لكن توجد نصوص لا تملك[12].

البنية وعمليّة الفعل (Structure and Agency): يتيح التشديد على البِنية في البحث الاجتماعيّ (بما فيه من بحث ألسنيّ ونصيّ) إبرازَ الطرق التي وفقها تُبلور البنى والمنظوماتُ، الموجودة مُسبقاً، الأحداثَ والفعال وتحدّدها. من ناحية أخرى، يُبرز التشديد على عمليّة الفعل الطرقَ التي وُفْقها يعمد الفاعلون في المقام إلى إنتاج الأحداث والفعال والنصوص... إلخ، بأساليب يمكن أن تكون خلّاقة ومجدِّدة. وأعتبرُ في هذا الكتاب أنّه من غير المجدي التشديد على أيّ من الأمرين المذكورَين. وأرى بدلاً من ذلك أنّ البنية وعمليّة الفعل، كلاهما يملكان «قدرة تَسَبّبيّة»، وأنّنا نحتاج إلى اعتبار الأحداث (بما فيها النصوص) ناجمة عن توتّر بين البنى وعمليّة

---

(12) Michael Halliday, *Language, Context and Text: Aspects of Language in a Social-Semiotic Perspective* (Oxford: Oxford University Press, 1989); Ruqaiya Hasan, *Ways of Saying, Ways of Meaning: Selected Papers of Ruqaiya Hasan* (London: Cassell, 1996); J. Martin, *English Text* (Amsterdam: John Benjamins, 1992), and John M. Swales, *Genre Analysis: English in Academic and Research Settings* (Cambridge: Cambridge University Press, 1990).

الفعل، واعتبار العلاقة بين هذين الأخيرَين تخضع لمنطق جدَليّ[13].

تبادل خطابيّ منطقيّ (Interdiscursivity): يُعنى تحليل التفاعل الخطابيّ في النصّ بدراسة ما فيه من مزج بين الأصناف، وبين ضروب الخطاب، وبين الأساليب التي يستند إليها، ودراسة كيفيّة تَمفصُل (أو «صياغة») هذه الأصناف، أو ضروب الخطاب، أو الأساليب، مع بعضها. ويجمع هذا المستوى من التحليل بين التحليل الألسنيّ للنصّ وعدّة أشكال من التحليل الاجتماعيّ للأحداث والمُمارسات الاجتماعيّة[14].

تجاوز رسميّات مجتمعيّة (Societal Informalization) وتحول حواري (Conversationalization): إنّ تجاوز الرسميّات المجتمعيّة هو نزوع علاقات السلطة والنفوذ إلى أن تكون أكثر استتاراً، واتّجاه التفاعل الذي يحوي هذه العلاقات إلى أن يكون رسميّاً أقلّ (على سبيل المثال، بشكل مُتزايد، يظهر مدراء الأعمال والسياسيّون، وحتى العائلة المالكة في بريطانيا، كـ «أشخاص عاديّين» في تفاعلهم مع المستخدَمين والجمهور). وقد ظهر هذا الاتّجاه في الحياة الاجتماعيّة بعد الحرب العالميّة الثانية، على وجه الخصوص، في المجتمعات الحرّة الأكثر تطوّراً. ويمكن دراسة هذه السيرورة في النصوص بشكل فعّال بالتركيز على «التحول الحواري» في خطاب

(13) Margaret S. Archer, *Realist Social Theory: The Morphogenetic Approach* (Cambridge: Cambridge University Press, 1995); Roy Bhaskar, *Reclaiming Reality: A Critical Introduction to Contemporary Philosophy* (London; New York: Verso, 1989); Pierre Bourdieu and Loïc Wacquant, *An Invitation to Reflexive Sociology* (Chicago: University of Chicago Press, 1992); Anthony Giddens, *The Constitution of Society* (Cambridge: Polity Press, 1984).

(14) Chouliaraki and Fairclough, *Discourse in Late Modernity*, and Fairclough, *Discourse and Social Change*.

الحياة العامة ـ النزوع إلى مُحاكاة المُحادثة في تفاعلات الحياة العامة ونصوصها[15].

تجديد سياق (Recontextualization): تجديد السياق علاقة تقوم بين مُمارسات اجتماعيّة مختلفة (أو بين شبكات من المُمارسات). وموضوعه كيفيّة استحواذ سياق جديد على عناصر تنتمي إلى مُمارسة اجتماعيّة أخرى، وكيفيّة دمجها فيه. وهو في الأصل مفهوم اجتماعيّ[16]، لكن يمكن تفعيله في تحليل الخطاب وفق طريقة جامعة للاختصاصات، وبوساطة فئات كسلسلة الأصناف، تزيد من قدرتنا على توضيح كيفيّة تجديد سياق خطاب المُمارسة الاجتماعيّة[17].

تجميل هويّات عامة (Aestheticization of Public Identities):
إنّ «تجميل» مجالات معيّنة، كالسياسات والأعمال، فيه ابتعاد عن اعتبارها تعمل وفق مبادئ محض عقليّة ويعني نزوع الفاعلين الاجتماعيّين والمحلّلين إلى الاهتمام أكثر بالجوانب الجماليّة في هذه المجالات. فتجميل الهويّات العامة هو إلى حدّ ما تشييد واعٍ لهويّات عامة (مثال ذلك: هويّات السياسيّين وكبار رجال الأعمال) لابتكار «صور» معيّنة. ويمكن أن يُسهم التحليل النصي في دراسة هذه السيرورة (ودراسة السيرورات الأعمّ، سيرورات «تجميل» الحياة

---

(15) Fairclough, *Discourse and Social Change; Critical Discourse Analysis: The Critical Study of Language;* Mitzal, *Informality: Social Theory and Contemporary Practice*, and Adam B. Seligman, *The Problem of Trust* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1997).

(16) Basil Bernstein, *The Structuring of Pedagogic Discourse* (London: Routledge, 1990).

(17) المصدر نفسه، و Chouliaraki and Fairclough, *Discourse in Late Modernity*.

العامة، بما فيها الحياة اليوميّة) من خلال تحليل الجوانب الجمالية (بما فيها «البلاغيّة») والقيَم التي تحويها النصوص[18].

تحويل اسمي (Nominalization): التحويل الاسمي نمط من أنماط الاستعارة النحويّة تمثّل السيرورات ككيانات، وذلك بتحويل العبارة (مع الفعل الذي تحويه) إلى أحد أنماط الأسماء. على سبيل المثال، إنّ عِبارة «المُستخدمون يُنتجون الفولاذ» ليست مُمثلية استعاريّة لسَيرورة، أمّا «إنتاج الفولاذ» فتحويل اسميّ يشكّل مُمثلية استعاريّة. في هذا المثال استُبعِد المُنتجون. والتحويل الاسمي غالباً ما يستلزم استبعاد الفاعلين الاجتماعيّين في تمثيل الأحداث، إنّه مصدر تعميم وتجريد لابدَّ منهما في حقول مختلفة، منها العلوم، لكن يمكن أيضاً أن يحجب هويّة الفاعل ومسؤوليّته[19].

تداولية (Pragmatics): الألسنية التداولية هي دراسة «اللغة من حيث علاقتها بمُستخدميها» (Mey). إنّها تُعنى بالمعنى، بصناعة المعنى في التواصل، وليس بالمعنى من حيث هو علاقات في المنظومات اللّغويّة المجرّدة البعيدة عن التواصل الفعليّ: غالباً ما تُعتبر دراسة المعنى من هذا المنظور مَوضوعَ علم المعاني. وعلى وجه الخصوص، طوّرت التداولية منظورات حول اللغة مصدرها

(18) Chouliaraki and Fairclough, *Discourse in Late Modernity;* Mike Featherstone, *Consumer Culture and Postmodernism* (London: Sage Publications, 1991); David Harvey, *The Condition of Postmodernity: An Enquiry into the Origins of Cultural Change* (Oxford: Blackwell, 1990); Stephen Linstead and Heather Hopfl, eds., *The Aesthetics of Organization* (London: Sage Publications, 2000), and Celia Lury, *Consumer Culture* (Cambridge: Polity Press, 1996).

(19) Fowler [et al.], *Language and Control;* Halliday, *An Introduction to Functional Grammar*, and Lemke, *Textual Politics: Discourse and Social Dynamics.*

فلسفة الألسنية، ومنها الأفعال الكلامية ومقتضيات الكلام والتضمين السياقيّ (راجع المسلّمات)[20].

تساو واختلاف (Equivalence and Difference): يمكن اعتبار سيرورات التصنيف تستلزم «مَنطقَين» متزامنَين: منطق الاختلاف الذي يولّد الفروق، ومنطق التساوي الذي يقوّض الاختلافات ويُنتج مُتساويات جديدة. ويمكن القول إنّ هذه السيرورة قائمة في النصوص: تستلزم صناعة المعنى إنشاء علاقات تساوٍ واختلاف جديدة بين الكلمات والتعابير[21].

تصنيف (Classification): التصنيف، بحسب بورديو (Bourdieu)، هو علاقة بين «رؤية عامة» و«رؤية جزئيّة»: إنّ الطرق - المُشيَّدة مسبقاً والمسلَّم بها - المُستَخدمة لتقسيم أجزاءٍ من العالم تُوَلِّد باستمرار «رؤى» معيّنة للعالم، طُرقاً في رؤية العالم والتعامل معه. تجسّد ضروب الخطاب المختلفة تصنيفات مختلفة، لذلك يتيح لنا تحليل طرق الاستناد إلى ضروب الخطاب، والمزج بينها في النصوص وتحقيقها في مُمثّليات ومعانٍ وأشكال، دراسةَ استخدام الأنساق التصنيفيّة وطُرُق المزج بينها وما فيها من تحدٍّ واعتراض[22].

---

(20) J. L. Austin, *How to Do Things with Words*, The William James Lectures, 1955 (Oxford: Clarendon Press, 1962); D. Blakemore, *Understanding Utterances: An Introduction to Pragmatics* (Oxford: Blackwell, 1992); Stephen C. Levinson, *Pragmatics*, Cambridge Textbooks in Linguistics (New York: (Cambridge University Press, 1983); Jacob L. Mey, *Pragmatics: An Introduction* (Oxford, UK: Blackwell, 1993), and Jef Verschueren, *Understanding Pragmatics* (London: Arnold, 1999).

(21) Eggins, *Introduction to Systemic Functional Linguitics*; Halliday, *An Introduction to Functional Grammar*; Martin, *English Text*, and Quirk, *A Comprehensive Grammar of the English Language*.

(22) Pierre Bourdieu: *Distinction: A Social Critique of the Judgement of* =

تقييم (Evaluation): إنّه جانب من معنى النصّ يرتبط بالقيم. ويتضمّن الأقوال الخبرية التقييميّة الظاهرة (مثال ذلك: «هذا قميص جميل») والمسلّمات القيمية. وفي معظم الأحيان تكون القيَم في النصوص مسلّماً بها وغير ظاهرة. وينزع الباحثون نسبيّاً إلى إهمال المسائل المرتبطة بالقيَم، لكنّ طرحها يتيح أمام التحليل النصي الإسهام في تناول المسائل القيميّة في البحث الاجتماعيّ، كمسألة الشرعة[23].

تَـنـاص واقـتـبـاس (Intertextuality and Reported Speech): التناص في النصّ هو احتواؤه على عناصر من نصوص أخرى (وهو بذلك من الممكن أن يحوي أصواتاً غير صوت المؤلّف)، ويرتبط النصّ بتلك العناصر الأخرى بطرق مختلفة (يتحاور معه أو يُسلّم به أو يرفضه... إلخ) (راجع البعد الحواريّ). وشكل التناص المعروف والأكثر انتشاراً هو الاقتباس (ويحوي، إلى جانب اقتباس الكلام،

Taste, *Translated by Richard Nice* (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, = 1984); *Language and Symbolic Power*, Edited and Introduced by John B. Thompson; Translated by Gino Raymond and Matthew Adamson (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1991); Bourdieu and Wacquant, *An Invitation to Reflexive Sociology*, and Emile Durkheim and Marcel Mauss, *Primitive Classification* ([Chicago]: University of Chicago Press, [1963]).

(23) Philip Graham, «Predication and Propagation: A Method for Analyzing Evaluative Meanings in Technology Policy,» *Text*, [vol. 33] (2002), pp. pp. 227-268; Susan Hunston and Geoff Thompson, eds., *Evaluation in Text: Authorial Stance and the Construction of Discourse* (Oxford: Oxford University Press, 2000); J. Lemke, «Resources for Attitudinal Meaning: Evaluative Orientations in Text Semantics,» *Functions of Language*, vol. 5 (1998), pp. 33-56; T. Van Leeuwen, «Legitimizing Immigration Control: A Discourse-Historical Analysis,» *Discourse Studies*, vol. 1, no. 1 (1999), pp. 83-118; P. White, «An Introductory Tour Throught Appraisal Theory,» Appraisal Website www.grammatica.com/appraisal.

اقتباس المكتوب والأفكار)، لكن توجد أشكال أخرى منه (ومنها السخرية). ويمكن نسبة المُقتبس إلى أصوات معيَّنة، أو عدم نسبته إليها. ويمكن اقتباس الكلام (والنص المكتوب والأفكار) بأشكال مختلفة، ومنها الاقتباس بالحرف (تكرار الكلمات التي استُخدمت فعلاً) والاقتباس بغير الحرف (كالتلخيص)[24].

تهجين ومابعد حداثة (Hybridity and Postmodernity): تشدِّد المقولات التي تتناول الحياة الاجتماعيّة في «مابعد الحداثة» على أنّ المجتمعات «الحديثة» تتميّز بانمحاء ضروب الحدود الفاصلة وزوالها وما ينجم عن ذلك من انتشار التهجين (الخلط بين المُمارسات، وبين الأشكال... إلخ). ويقدِّم تحليل التهجين في التفاعل بين ضروب الخطاب داخل النصوص مصدراً لدراسة هذه السيرورات دراسة تفصيليّة[25].

ثقافة ترويجية (Promotional Culture): ينتمي هذا المصطلح إلى تيّار يعتبر أنّ كلّ ظاهرة ثقافيّة مُعاصرة يُحتمل دائماً أن تقوم بوظيفة ترويجيّة، إلى جانب وظائفها الأخرى، أيّاً كانت، فهي في الحين نفسه

---

(24) M. Bakhtin, *The Dialogical Imagination* (Austin: University of Texas Press, 1981); Norman Fairclough, *Media Discourse* (London: Edward Arnold, 1995); Julia Kristeva: «Word, Dialogue and Novel,» in: Julia Kristeva, *The Kristeva Reader*, Edited by Toril Moi (New York: Columbia University Press, 1986); «The System and the Speaking Subject,» in: Kristeva, *The Kristeva Reader*, pp. 24-33, and Geoffrey N. Leech and Michael H. Short, *Style in Fiction: A Linguistic Introduction to English Fictional Prose* (London: Longman, 1981).

(25) David Harvey, *The Condition of Postmodernity: An Enquiry into the Origins of Cultural Change* (Oxford: Blackwell, 1990), and Fredric Jameson, *Postmodernism, or, The Cultural Logic of Late Capitalism* (Durham: Duke University Press, 1991).

تمثّل ما تُرجع إليه وتُدافع عنه وتتوقّع حصوله. ويحمل مفهوم «ثقافة الاستهلاك» المعنى نفسه. ويمكن دراسة التزامن في تواجد وظيفة الترويج والوظائف الأخرى دراسةً تفصيليّة ومُثمرة من خلال التحليل النصي ـ في نصوص السياسات، على سبيل المثال[26].

جامع للاختصاصات (Transdisciplinary): البحث الجامع للاختصاصات شكل من أشكال البحث البيختصاصيّ، أو «المابعد اختصاصيّ». وهو يعتمد منظوراً خاصاً مفاده أنّ لقاء الاختصاصات والحوار بينها، لدراسة مسائل معيّنة، يجب أن يوجّهه السعيّ إلى تطوير فئات الاختصاص المعيّن النظريّة ومناهجه في التحليل وجدول أعمال بحوثه. . . إلخ، انطلاقاً من استخدام «منطق» اختصاص آخر. على سبيل المثال، يمكن اعتبار التطوير النظريّ والمنهجيّ لفئة الصنف في تحليل الخطاب، من خلال الحوار مع الاختصاصات والنظريّات الأخرى، أمراً ممكناً (من خلال نظريّة برنشتاين (Bernstein) الاجتماعيّة مثلاً، كما يقترح تشولياراكي)[27].

حاكمية (Governance): الحاكمية أداءٌ داخل موسّسة أو مُنظمة

---

(26) Featherstone, *Consumer Culture and Postmodernism;* Graham, «Predication and Propagation: A Method for Analyzing Evaluative Meanings in Technology Policy»; Lury, *Consumer Culture*, and Andrew Wernick, *Promotional Culture: Advertising, Ideology, and Symbolic Expression* (London: Sage Publications, 1991).

(27) Chouliarki, «Media Discourse and National Identity: Death and Myth in a News Broadcast,» in: Wodak and Ludwing, eds., *Challenges in a Changing World: Issues in Critical Discourse Analysis*; Chouliaraki and Fairclough, *Discourse in Late Modernity;* Helmut Dubiel, *Theory and Politics: Studies in the Development of Critical Theory*, Translated by Benjamin Gregg; with an Introduction by Martin Jay (Cambridge, Ma: MIT Press, 1985), and Norman Fairclough, «The Dialectics of Discourse.» *Textus*, vol. 14 (2001), pp. 231-242.

يهدف إلى إدارة مُمارسات اجتماعيّة معيّنة أو تنظيمها. وتُعبّر الشعبيّة المُتزايدة لِخطاب «الحاكمية» («الحاكمية المُشتركة»، «الحاكمية العالميّة»... إلخ) عن السّعي وراء بديل من فَوضى الأسواق وعمليّة الفرض الفوقيّ الذي تقوم به الدولة. لذلك يزداد التشديد على أهميّة العمل كشبكة والحوار والتداول. لكن يمكن القول إنّ واقع الحاكمية في المجتمعات المُعاصرة يَمزج ثلاثة أشكال: السوق والتراتبيّة والعمل كشبكة. وتوجد أصناف خطابيّة، تتعلّق بالحاكمية، ذات دور خاص هو تجديد سياق عناصر نصيّة بنقلها من مُمارسة اجتماعيّة إلى أخرى وتحويلها بطرق معيّنة (مثال ذلك: التقارير الرسميّة). ويستند التغيير في الحاكمية إلى تغيّرات في الأصناف وسلسلة الأصناف[28].

خطاب وضُروب خطاب (Discourse and Discourses): يُستخدم مُصطلح «الخطاب» في العلوم الاجتماعيّة بِطرق مختلفة، وغالباً ما يكون ذلك تأثُراً بفوكو (Foucault). يُستخدَم «الخطاب»، بمعناه العام، في دراسة اللغة (والصور المرئيّة أيضاً، على سبيل المثال)، كأحد عناصر الحياة الاجتماعيّة الذي تربطه علاقة جدليّة مع عناصر أخرى. ويُستخدم «الخطاب» بمعنى أكثر تحديداً: ضروب الخطاب المختلفة هي طُرق مختلفة في تمثيل جوانب من العالم. في هذا الكتاب، يستلزم تحليل الخطاب تحليلاً لسانيّاً مفصّلاً للنصوص، ويختلف هذا عن معظم دراسات الخطاب التي تستند إلى دراسات فوكو[29].

(28) Bob Jessop, «The Crisis of the National Spatio-Temporal Fix and the Ecological Dominance of Globalizing,» *International Journal of Urban and Regional Research*, vol. 24, no. 2 (2000), pp. 323-360.

(29) Chouliaraki and Fairclough, Ibid.; Michel Foucault, «The Order of = Discourse,» in: Michael J. Shapiro, ed., *Language and Political Understanding: The*

رأسمالية جديدة (New Capitalism): تملك الرأسماليّة قدرة لافتة على تغيير نفسها، فتستمرّ على الرغم من التحوّلات الكبيرة. ويُستخدَم مصطلح «الرأسمالية الجديدة» للإشارة إلى الشكل الذي تتحوّل إليه الرأسماليّة في أيامنا. ويعني استخدام الباحث «الرأسمالية الجديدة» بدل «العَولمة» أنّه يعتبر إعادة ترتيب العلاقات بين العالميّ والمناطقيّ والوطنيّ والمحلّي أحدَ تحوّلات الرأسماليّة[30].

سلسلات أصناف (Genre Chains): تتألّف سلسلات الأصناف من أصناف مختلفة يتمّ دائماً الربط بينها، ويستلزم ذلك تحوّلات منتظمة من صِنف إلى آخر (مثال ذلك: الوثائق الرسميّة، البيانات الرسميّة المشتركة أو المؤتمرات الصحافيّة، التقارير في الصحافة أو

= *Politics of Discursive Practices* (Oxford: Blackwell, 1984); Michel Foucault, «The Order of Discourse,» in: Michael J. Shapiro, ed., *Language and Political Understanding: The Politics of Discursive Practices* (Oxford: Blackwell, 1984); Laclau and Mouffe, *Hegemony and Socialist Strategy;* Teun A. Van Dijk, ed., *Discourse as structure and Process: Discourse Studies: A Multidisciplinary Introduction* (London: Sage Publications, 1997), vol. 1: *Discourse as Social Interaction: Discourse Studies: A Multidisciplinary Introduction*, et vol. 2: *Discourse as Structure and Process: Discourse Studies: A Multidisciplinary Introduction;* Margaret Wetherell, Stephanie Taylor and Simeon Yates, eds.: *Discourse as Data: A Guide for Analysis* (London: Sage, 2001), and *Discourse Theory and Practice: A Reader* (London: Sage, 2001).

(30) Robert Boyer and J. Rogers Hollingsworth, eds., *Contemporary Capitalism: The Embeddedness of Institutions* (Cambridge; New York: Cambridge University Press, 1997); Robert Brenner, «The Economics of Global Turbulence,» *New Left Review*, no. 229 (1998); Colin Crouch and Wolfgang Streeck, eds., *Political Economy of Modern Capitalism: Mapping Convergence and Diversity* (London: Sage, 1997), and Jessop, «The Crisis of the National Spatio-Temporal Fix and the Ecological Dominance of Globalizing,» pp. 323-360.

على التلفاز). وتشكّل سلسلات الأصناف عاملاً مهمّاً في تطوير القدرة على «الفِعل عن بُعد»، الذي يُعتبر من سِمات «العَولمة». فالتغيّر في سلسلات الأصناف جزء مهمٌ من التغيّر الاجتماعيّ(31).

شرعنة (Legitimation): كلّ ترتيب اجتماعيّ يحتاج إلى شَرعنة، أي إلى اعتراف واسع بشرعيّة التفسيرات والتبريرات التي يطرحها لفهم طبيعة الأشياء وكيفيّة حصولها. وعمليّة التبرير نصيّة في معظمها، عِلماً أنّ درجة إظهار الشرعنة، أو تركها، مستترة، تختلف إلى حدّ بعيد من نصّ إلى آخر. ويستطيع التحليل النصي تحديد الإستراتيجيات المختلفة للشرعَنة ودراستها، فيَربطها بالنفوذ أو الصلاحيّة، في السرد على سبيل المثال، وما إلى ذلك(32).

صيغة قول/ موقفية (Deontic Modality): صيغة القول في العبارة أو الجملة هي العلاقة التي تقوم بين المؤلّف والممثّليات، هي ما يُلزم المؤلّفون أنفسهم به من حيث مدى يقينيّته أو ضرورته. ويوجد نمطان أساسيّان لصيغة القول، النمط المعرفيّ (مَوقفيّة الترجيحات) والنمط الوجوبيّ (موقفيّة الضرورة والالتزامات). في ما يخصّ الأقوال الخبرية، يمكن اعتبار الأشكال الظاهرة فيها لصيغة

---

(31) Fairclough, «Discourse, Social Theory, and Social Research: The Discourse of Welfare Reform»; Philip Graham, «Contradictions and Institutional Convergences: Genre as Method,» *Journal of Future Studies*, vol. 5, no. 4 (May 2001), pp. 1-30, and Rick Iedema, «Formalising Organizational Meaning,» *Discourse and Society*, vol. 10, no. 1 (1999), pp. 49-65.

(32) P. Berker and T. Luckmann, *The Social Construction of Reality* (Harmondsworth: Penguin, 1966); Jürgen Habermas, *Legitimation Crisis* (London: Heinemann, 1976); Van Leeuwen and R. Wodak, «Legitimizing Immigration Control: A Discourse-Historical Analysis», and Max Weber, *The Theory of Social and Economic Organization* (New York: The Free Press, 1964).

القَول (أي التي تتّسم بتعابير الاحتمال، كـ «قد» مع المُضارع) في موقع وَسَط بين القَول الموجب والإنكار، وهي تعبّر عن درجات مختلفة من الالتزام اليقينيّ أو الضرورة[33].

صيغة نحوية (Grammatical Mood): يُستخدم مصطلح «الصيغة النحوية» للتمييز النحويّ بين الجُمل التصريحيّة (مثال ذلك: «النافذة مفتوحة») والجُمل الاستفهاميّة (مثال ذلك: «هل النافذة مفتوحة؟») والجُمل الأمريّة (مثال ذلك: «افتح النافذة»)[34].

عالميّ وخاصّ (Universal and Particular): إنّ العلاقة بين العالميّ والخاص في السياسة هي علاقة بين ما ينتمي إلى الكائنات البشريّة، باعتبارها كذلك، وما ينتمي إلى مجموعات خاصة. ويُعاني العالميّ من أزمة في السياسة المُعاصرة، على سبيل المثال: هل يمكن أن يكون للرّغبة العامة في التحرّر أيّ معنى؟ أو: هل يمكن أن تصبح مشروعاً سياسيّاً حقيقيّاً (كما في التقليد الاشتراكيّ)؟ لايزال حقل العالميّ محلّ خلاف: يمكن اعتبار الصراعات لأجل الهيمنة تسعى وراء شَرعنة ادّعاء عالميّة منظورات ومصالح ومشاريع... إلخ، خاصة من حيث مصادرها. ويمكن تناول ذلك باعتباره إلى حدّ ما سيرورة نصيّة يتمّ فيها تشييد الممثليات والهويّات... إلخ، نصيّاً كممثليات وهويّات عالميّة (مثال ذلك: محاولة تشييد التغيير الاقتصادي

---

(33) Michael Halliday, *An Introduction to Functional Grammar*, 2nd Ed. (London: E. Arnold, 1994); Robert Hodge and Gunther Kress, *Social Semiotics* ([Cambridge: Polity Press], 1988); F. R. Palmer, *Mood and Modality* (Cambridge: Cambridge University Press, 1986), and Verschueren, *Understanding Pragmatics*.

(34) Norman Fairclough, «Discourse, Social Theory, and Social Research: The Discourse of Welfare Reform,» *Journal of Sociolinguistics*, vol. 4, no. 2 (2000), pp. 136-195, and Ernesto Laclau and Chantal Mouffe, *Hegemony and Socialist Strategy* (London: Verso, 1985).

والاجتماعيّ المُعاصر كتغيير «عَوْلَميّ» يخصّ كلّ المسكونة)[35].

عِبارة (Clause): العبارة جملة بسيطة، ويُقابلها الجملة المُركَّبة، التي تحوي عدّة عبارات (مثال ذلك: «جاءت متأخّرةً» هي عبارة، في حين «جاءت متأخرة لأنّ القطار تعطّل» جملة مركّبة تحوي العبارة «جاءت متأخّرة»). وتتشكّل العبارات من ثلاثة أنماط من العناصر: السيرورات (تحقّقها عادةً أفعال) والمُشاركين (فاعلين، مفعولين... إلخ) والأحوال (تحقّقها عادة ظروف)[36].

علاقات نظيرية وعلاقات تبعية واحتواء (Paratactic, Hypotactic and Embedded Relations): تميّز هذه العلاقات نَحْويّاً بين طُرق مزج العبارات مع بعضها في الجُمل. في العلاقة النظيرية تتساوى العبارات في ما بينها من حيث المكانة النحوية، فلا تكون تابعة ولا متبوعة (مثال ذلك: «تعطّلت السيارة» و«سُرق البيت»، حيث تربط الواو بين عبارتَين). وتقوم علاقة التبعية بين عبارة رئيسة (متبوعة) وعبارة تابعة (مثال ذلك: «كنت حزيناً لأنّها هجرتني»، حيث «لأنها هجرتني» تابعة لـ «كنت حزيناً»، ويمكن وضع العبارة الثانيّة قبل الأولى). أمّا في علاقة الاحتواء فتشكّل عبارةٌ جزءاً من عبارة أخرى (تكون فاعلها مثلاً) أو كجزء من رُكن (مثال ذلك: «الذي حَضر العشاء» واصفٌ في «الرجل الذي حضر العشاء»)[37].

(35) Judith Butler, Ernesto Laclau and Slavoj Žižek, *Contingency, Hegemony, Universality: Contemporary Dialogues on the Left*, Phronesis (London: Verso, 2000), and Ernesto Laclau, *Emancipation(s)* (London: Verso, 1996).

(36) Suzanne Eggins, *Introduction to Systemic Functional Linguistics* (London: Pinter, 1994); Halliday, *An Introduction to Functional Grammar*, and Randolph Quirk, *A Comprehensive Grammar of the English Language* (London: Longman, 1995).

(37) المصدر نفسه.

علاقة تلازم (Collocation): تقوم علاقة التلازم بين كلمات متلازمة من المُعتاد أن ترد مع بعضها فتشكّل طُرزاً: إنّها تستند إلى «الترافق بين الكلمات»، كما يقول فيرث (Firth). على سبيل المثال، «المُسنّ المسكين» (كما في «الرجل المسنّ المسكين») تعبير اعتياديّ، ويمكن توقّع ظهوره، أكثر من قولنا «الشابّ المسكين». ولقد تقدّمت دراسة علاقات التلازم إلى حدّ كبير بعد نموّ مبحث الألسنية العَينيّة، إذ إنّ هذه الأخيرة سمحت برصد طُرز التوارد في عيّنات بحث تحوي عدداً كبيراً جدّاً من النصوص[38].

علم معانٍ (Semantics): علم المعاني فرع من فروع الألسنية يدرس المعنى في اللّغات. ويتمّ اصطلاحيّاً التمييز بينه وبين النحو، الذي يدرس الجوانب الشكلانيّة في اللّغات. ويميّز الباحثون أيضاً بين علم المعاني والتداولية: غالباً ما يعتبرون أنّ علم المعاني يتناول المعنى (مثال ذلك: معاني الكلمات) بمعزل عن سياقات الاستعمال المعيّنة، في حين تتناول التداولية معنى النصوص الفعليّة في سياقاتها الاجتماعيّة الفعليّة. وتتضمّن العلاقات في علم المعاني العلاقات الدلاليّة بين العبارات (سببيّة ـ الموجِب والنتيجة والغاية، شرطيّة، زمنيّة، إضافيّة، إسهابيّة، تباينيّة/ استدراكيّة) والعلاقات الدلاليّة بين الكلمات (الترادُف، التفرع الدلالي، التضاد)[39].

عَولمة (Globalization): تشير «العولمة» إلى نزوع الاقتصاد

(38) John Rupert Firth, *Papers in Linguistics, 1934-1951* (London: University Press, 1957); John Sinclair, *Corpus, Concordance, Collocation* (Oxford: University Press, 1991), and Michael Stubbs, *Text and Corpus Analysis: Computer-Assisted Studies of Language and Culture* (Oxford: Blackwell Publishers, 1996).

(39) Keith Allan, *Natural Language Semantics* (Oxford: Blackwell, 2001); John Lyons, *Semantics* (Cambridge: Cambridge University Press, 1977), and Jef Verschueren, *Understanding Pragmatics* (London: Arnold, 1999).

والسياسة والسيرورات الاجتماعيّة والعلاقات في الحياة المُعاصرة إلى العمل بشكل مُتزايد على مستوى عالميّ. ومفهوم «العولمة» موضع جدل، لذلك نورده في الكتاب بين مزدوجين. و«العولمة» لا تخصّ عصرنا فقط، بل إنّها سيرورة طويلة الأمد، وهناك مناطق كثيرة من العالم يتمّ تهميشُها في الاقتصاد «العالميّ»، لكن لا إجماع على هذا الرأي. ولعلّه من الأفضل اعتبار التغيّرات المُعاصرة انعطافاً جديداً في سيرورة إعادة ترتيب العلاقات بين العالميّ والمناطقيّ والوطنيّ والمحليّ. وإعادة الترتيب هذه تؤثّر في الخطاب وتستند، في الحين نفسه، إلى التغيّرات في الخطاب (راجع مدخل سلسلات الأصناف)[40].

فاعلون اجتماعيون (Social Actors): يوجد عدد من الخيارات المتوفّرة لتمثيل الفاعلين الاجتماعيّين (أي المُشاركين في السيرورات الاجتماعيّة). السؤال الأوّل هو: هل يرد ذكرهم في مُمثّليّات الأحداث، أم يتمّ استبعادهم؟ إذا تمّ ذكرهم، يُشار إليهم بأسماء أو ضمائر، في دور نَحويّ يُقابله دور آخر (مثال ذلك: الفاعل أو المُتأثّر بالفعل)، وبشكل أعمّ، في دور «الناشط» أو دور «التقبُّلي». ويمكن تمثيلهم بشكل شخصيّ أو غير شخصيّ (مثال التمثيل غير

(40) Z. Baumon, *Globalization* (Cambridge: Polity Press, 1998); M. Castells, *The Information Age*, 3 vols. (Cambridge: Blackwell, [1996-1998]); Giddens, *Modernity and Self-Identity: Self and Society in the Late Modern Age*; David Harvey, «Globalization in Question,» *Rethinking Marxism*, [vol. 8] (1996), pp. 1-17; David Held [et al.], *Global Transformations: Politics, Economics, and Culture* (Cambridge: [Polity Press, 1999]), and B. Jessop, «The Social Embeddedness of the Economy and its Implications for Global Governance,» in: Fikret Adaman and Pat Devine, eds., *The Socially Embedded Economy* (Montreal: Black Rose Books, [n. d.]).

الشخصيّ الإشارة إلى المُستخدَمين بـ «الموارد البشريّة»)، وتسميتهم (ذكر أسمائهم الشخصيّة) أو تصنيفهم (ذكر نوعهم أو فئتهم، مثال ذلك: «المعلمون»)، والإشارة إليهم بمُعيَّن أو بشامل (مثال الشامل: «المعلّمون» بمعنى المعلّمون عامة). إنّ تمثيل فاعلين اجتماعيين معيّنين وطُرُق تمثيلهم أمران مهمّان من الناحية الاجتماعيّة، على سبيل المثال، إذا قُدِّم «الفقراء» دائماً كتقبّليّين (أي تُمارس عليهم فِعال الآخرين)، فيعني ذلك أنّهم غير قادرين على الفعل[41].

فعال تواصلية وإستراتيجية (Communicative and Strategic Action): الفعال التواصلية فِعال تهدف إلى فهم المعاني وتبادلها (مثال ذلك: معظم المُحادثات)، في حين تهدف الفعال الإستراتيجية إلى الفعل للحصول على نتائج معيّنة (مثال ذلك: نصوص الإعلانات، التي تهدف إلى بيع السلع). وهابرماس (Habermas) هو صاحب هذا التمييز، فهذا الأخير جزء مهمّ من نظريّة التحديث عنده: تتخصّص المنظومات الحديثة (الدولة، السوق) في الفعال الإستراتيجية، وهي إضافة إلى ذلك تنزع إلى «استيطان» المجالات غير المنظوميّة في الحياة اليوميّة («العالم اليوميّ»)، وتنزع الفعال الإستراتيجية إلى التوسّع على حساب الفعال التواصلية أو الاستيلاء عليها. وهذه السيرورات نصيّة بشكل جزئيّ. على سبيل المثال، يمكن أن يكون ما يبدو أنّه فعال تواصليّة فِعالاً إستراتيجيّة مُستخدمة خِفيةً[42].

---

(41) Halliday, *An Introduction to Functional Grammar*, and T. Van Leeuwen, «The Representation of Social Actors,» in: Carmen Rosa Caldas-Coulthard and Malcolm Couthard, eds., *Texts and Practices: Readings in Critical Discourse Analysis* (London: Routledge, 1996)

(42) Fairclough, *Discourse and Social Change;* Jürgen Habermas, *The Theory of Communicative Action* (London: Heinemenn, 1984), vol. 1: *Reason and*

مزج أصناف (Genre Mixing): في أغلب الأحيان، لا ينتمي النصّ إلى صنف واحد، فالنصوص تمزج أو تجمع بين أصناف مُختلفة (مثال ذلك: تنزع «الدردشة» على التلفاز إلى أن تكون مزيجاً من المُحادثة والمُقابلة والترفيه). فمزج الأصناف جانب من التفاعل الخطابيّ في النصوص، ويتيح لنا التحليل وضع النصوص في إطار سيرورات التحوّل الاجتماعيّ والكشف عن عمل الفاعلين الاجتماعيّين بما فيها من إمكانيّات الابتكار والتجديد في نسج النصوص[43].

مسلّمات (Assumptions): هي المعاني المستترة للنصوص. يُستخدم في كتابات التداولية وعلم المعاني عدد من المصطلحات الأخرى المُعادلة لـ «المسلّمة» (مُقتضى الكلام، استلزام، تضمين سياقيّ). أميّز في هذا الكتاب بين ثلاثة أنماط من المسلّمات: الوجوديّة والخبريّة والقيميّة (تتناول ما يوجد، وما عليه الحال، والمرغوب وغير المرغوب فيه)[44].

مُمارسات اجتماعية (Social Practices): راجع الأحداث والمُمارسات والبِنى الاجتماعية.

---

the Rationalization of Society, and William Outhwaite, ed., *The Habermas Reader* = (Cambridge: Polity Press, 1996).

(43) Bakhtin, «The Problem of Speech Genres,» in: M. Bakhtin, *Speech Genres and other Late Essays*; Chouliaraki, and Fairclough, *Discourse in Late Modernity*, Fairclough, *Discourse and Social Change*; *Critical Discourse Analysis: The Critical Study of Language*, *Media Discourse*, and «Discourse, Social Theory, and Social Research: The Discourse of Welfare Reform,» *Journal of Sociolinguistics*, vol. 4, no. 2 (2000), pp. 163-195.

(44) Blakemore, *Understanding Utterances: An Introduction to Pragmatics*; H. Grice, «Presupposition and Conversational Implicature,» in: P. Cole, ed., *Radical Pragmatics* (New York: Academic Press, 1981); Levinson, *Pragmatics*; Mey, *Pragmatics: An Introduction*, and Verschueren, *Understanding Pragmatics*.

منطق جدليّ (Dialectics): المنطق الجدليّ طريقة في التفكير والاحتجاج، منهج في التحليل. لا يمكن أن يُختزل بإجراء محدد بدقّة، لكن يمكن اعتباره تحقيقاً لبعض المبادئ أو المسلّمات في المَبحث الوجوديّ والمَعرفيّ. وأحد أهمّ هذه المبادئ هو أن السيرورات وطُرق الانسياب والعلاقات تتقدّم من حيث الأولويّة على العناصر والأشياء والبِنى... إلخ، وأنّ هذه الأخيرة ناتج يشكّل «حالات دائمة» نسبيّاً، وأنّ «الأشياء» مُتغايرة داخليّاً ومُتناقضة بسبب تنوّع السيرورات التي تُنتِجها، وأنّ التغيير ينبعث من التناقضات التي تحتويها «الأشياء» والبِنى والمنظومات(45).

نطاق حياة عامة (Public Sphere): نطاق الحياة العامة هو مجال الحياة الاجتماعيّة الذي يُشارك الناس فيه كَمواطنين لمناقشة القضايا الاجتماعيّة والسياسيّة وللعمل عليها بهدف التأثير في تشكيل السياسات. ومعظم الكتابات التي تتناول الحياة العامة تشدّد على طابعها الإشكاليّ في المجتمعات المُعاصرة، وعلى القيود البنيويّة (التي ترتبط مثلاً بموقع وسائل الإعلام) على الذين يتصرّفون بحسب الطريقة المذكورة كمواطنين. من منظور تحليل الخطاب، تتضمّن المشاكل المرتبطة بالحياة العامة مشاكلَ تخصّ أشكال الحوار: هل إنّ المقولات التي تُعتبر «حواراً» أو «مُداولة» أو «استشارة» أو «مُشاركة»، وما إلى ذلك، تملك فعلاً السمات التي تحتاجها لتكون فاعلةً في الحياة العامّة؟(46)

---

(45) Harvey, *Justice, Nature, and the Geography of Difference;* Richard Levins and Richard Lewontin, *The Dialectical Biologist* (Cambridge, Mass.: MIT Press, 1985), and Bertell Ollman, *Dialectical Investigations* (New York: Routledge, 1993).

(46) Hannah Arendt, *The Human Condition* ([Chicago]: University of Chicago Press, [1958]); Craig Calhoun, ed., *Habermas and the Public Sphere*

نطاق خطاب (Order of Discourse): إنّ نطاق الخطاب هو مزجٌ أو تشكيل خاص يجمع بين أصناف وضروب خطاب وأساليب تؤلّف الجانب الخطابيّ من شبكة مُمارسات اجتماعيّة. وتملك نُطق الخطاب نوعاً من الثبات والاستمراريّة، لكنّها بالطبع تتبدّل أيضاً. وميشال فوكو (Foucault) هو من وضع المُصطلح، لكنه لم يستعمله بالمعنى الذي يستخدمه به التحليل النقديّ للخطاب. ويمكننا اعتبار نُطق الخطاب، بمعناها العام، عمليّةُ بناء اجتماعيّ للمُتغيّر أو للاختلاف اللّساني ـ توجد دائماً في اللغة احتمالات مختلفة كثيرة، والاختيار منها عمليّة بناء اجتماعيّ[47].

هويّة اجتماعيّة وشخصيّة (Social Identity and Personality): يميّز التحليل بين الهويّة الاجتماعيّة والشخصيّة (أو الهويّة الشخصيّة)، إذ هما جانبان مختلفان من الهويّة. يرتبط جزء من هويّة المرء الاجتماعيّة بالظروف الاجتماعيّة التي يولد فيها ومرحلة الدمج الاجتماعيّ الأولى في حياته ـ جوانب الهويّة الجنسيّة، على سبيل المثال. ويكتسب المرء لاحقاً جزءاً آخر من هويّته الاجتماعيّة ـ على سبيل المثال، الدمج الاجتماعيّ في «أدوار اجتماعية» كدور السياسيّ أو المُعلّم. لكن توجد علاقة منطقيّة جدليّة بين الهويّة الاجتماعيّة والشخصيّة: يعتمد اكتمال

= (Cambridge, Mass.: MIT Press, 1992); Fairclough, «Democracy and the Public sphere in Critical Research on Discourse,» in: Wodak and Ludwing, eds., *Challenges in a Changing World: Issues in Critical Discourse Analysis*, Jürgen Habermas, *The Structural Transformation of the Public Sphere: An Inquiry into a Category of Bourgeois Society*, Translated by Thomas Burger with the Assistance of Frederick Lawrence (Cambridge: Polity Press, 1989).

(47) Chouliaraki and Fairclough, *Discourse in Late Modernity;* Fairclough: *Discourse and Social Change; Media Discourse;* Michel Foucault, «The Order of Discourse,» in: Michael J. Shapiro, ed., *Language and Political Understanding: The Politics of Discursive Practices* (Oxford: Blackwell, 1984).

تموّ الهويّة الاجتماعيّة، أي قدرة المرء على التصرّف فعلاً كفاعل اجتماعيّ يتدخّل في الحياة الاجتماعيّة وربّما يغيّر فيها، على توظيف «الأدوار الاجتماعية» توظيفاً شخصيّاً وتطويعها، أي على الدمج بين الهويّة الاجتماعيّة والشخصيّة. ويمكن للتحليل النصيّ المُساهمة في مَبحث الهويّة، وذلك بالتركيز على المنطق الجدليّ للنصّ، إذ إنّ هذا الأخير يربط بين الهويّة الاجتماعيّة والشخصيّة. ومن هذا المنظور، تكون أساليب واضعي النصوص هي «طُرق وجودهم»، هويّاتهم، في جانبها اللّغويّ (يُقابله الجانب الجسدي، الجسمانيّ)(48).

هيمنة (Hegemony): يُعبّر مصطلح «الهَيمنة» عن طريقة مُعيّنة (ترتبط بغرامشي Gramsci) لأفهَمَة السلطة والصراع لأجلها في المجتمعات الرأسماليّة. وفيه تشديد على كيفيّة اعتماد السلطة على الرضى أو القبول وليس فقط على القوّة، وعلى أهميّة الأيديولوجية والخطاب، وما يرتبط به من سيادة ممثّليّات معيّنة أو تطبيعها (مثال ذلك: تطبيع التغيير الاقتصاديّ «المُعَولَم») جانب أساسيّ من الهَيمنة، كذلك الصراع القائم حول الخطاب جانب مهمّ من الصراع على الهَيمنة(49).

---

(48) Margaret S. Archer, *Being Human: The Problem of Agency* (Cambridge: Cambridge University Press, 2000); Giddens, *Modernity and Self-Identity: Self and Society in the Late Modern Age*. R. Harré, *Personal Being* (Oxford: Blackwell, 1983); R. Ivanič, *Writing and Identity* (Amsterdam: John Benjamins, 1998), and C. Taylor, *Human Agency and Language* (Cambridge: Cambridge University Press, 1985).

(49) David Forgacs, *A Gramsci Reader* (London: Lawrence & Wishart, 1988); Antonio Gramsci, *Selections from the Prison Notebooks of Antonio Gramsci*, Edited and Translated by Quintin Hoare and Geoffrey Nowell Smith (London: Lawrence & Wishart, 1971), and Ernesto Laclau and Chantal Mouffe, *Hegemony and Socialist Strategy* (London: Verso, 1985).

وساطة (Mediation): معظم الفعال والتفاعل في المجتمعات المُعاصرة «تتمّ بالوساطة»، أي إنّها تستخدم تقانات النسخ التي تنشر التواصل لكنّها تستبعد التفاعل الحقيقيّ بين «المُرسل» و«المُتلقّي». وتشمل هذه التقانات الطباعة والتصوير والبثّ وشبكة المَعلوماتيّة. وإلى حدّ كبير، تستند طريقة عيشنا في المجتمعات المُعاصرة إلى نصوص تصلنا بالوَساطة، وهذه عمليّة أساسيّة في سيرورات الحاكمية[50].

وظائف كلامية (Speech Functions): يرتبط كلّ نمط من نَمطَي التبادل اللّذين ميّزتُ بينهما في هذا الكتاب بوظيفتَين كلاميّتَين أساسيّتَين: فالتبادلات المعرفيّة ترتبط بالأقوال الخبرية والأسئلة، والتبادلات الأدائيّة بالعروض والأقوال الطلبيّة. ويقع التمييز بين أنماط الأقوال هذه على مستوى عالٍ من التعميم يمكن اعتباره مفتوحاً على التفصيل بالاستناد إلى مفاهيم نظريّة «الأفعال الكلاميّة»[51].

---

(50) Niklas Luhmann, *The Reality of the Mass Media* (Cambridge: Polity Press, 2000); Marshall McLuhan, *Understanding Media: The Extensions of Man* (New York: McGraw-Hill, [1964]); Roger Silverstone, *Why Study the Media?* (London: Sage, 1999), and John B. Thompson, *The Media and Modernity: A Social Theory of the Media* ([Cambridge: Polity Press, 1995).

(51) J. L. Austin, *How to Do Things with Words*, The William James Lectures, 1955 (Oxford: Clarendon Press, 1962); Martin, *English Text*; M. Sbis, «Speech Act Theory,» in: Jef Verschueren, Jan-Östmona and Jan Blommaert, eds., *Handbook of Pragmatics* (Amsterdam: J. Benjamins, 1995), and John R. Searle, *Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language* (London: Cambridge U.P., 1969).

ثبت بأسماء أهمّ أصحاب النظريات

باختين، ميخائيل (Bakhtin, Mikhail): منظِّر ومحلّل أدب وثقافة ولغة، من أصل روسيّ. وضع في أواسط القرن العشرين (مع زملاء له، كَفولوسينوف (Volosinov)) منظوراً يُبرز الجانب الحواريّ في اللغة (راجع **البعد الحواريّ**)، وحديثاً أصبح لهذا المنظور تأثير كبير في نشوء طُرق تحليل تختلف عن الألسنية الشكلانيّة السائدة. ويمكن نسبة التركيز الحديث على **التناص** إلى تأثير باختين، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الطُرق الجديدة في تناول الصنف. أضف إلى ذلك أنّ مفهوم **«الأماكن ـ الأزمنة الاصطلاحية»** عند باختين مفيد في تحليل الأماكن ـ الأزمنة[1].

برنشتاين، بازيل (Bernstein, Basil): عالم اجتماع تربويّ بريطانيّ. بالنسبة إلى هذا الكتاب، ما يهمّنا عنده، على وجه

(1) M. Bakhtin: *The Dialogical Imagination* (Austin: University of Texas Press, 1981); «The Problem of Speech Genres,» in: M. Bakhtin, *Speech Genres and other Late Essays*, Translated by Vern W. McGee; Edited by Caryl Emerson and Michael Holquist (Austin: University of Texas Press, 1986); Chouliaraki and Fairclough, *Discourse in Late Modernity;* Michael Holquist, *[Dialogism: Bakhtin and his World]* (London: Routledge, 1981), and V. N. Volosinov, *Marxism and the Philosophy of Language*, Translated by Ladislav Matejka and I. R. Titunik (Cambridge: [Harvard University Press], 1973).

الخصوص، دراسته لـ «الخطاب التربويّ» وما يرتبط به من مسائل **التصنيف** والتأطير **وتجديد السياق**[2].

بهاسكار، روي (Bhaskar, Roy): فيلسوف عُنيَ بالعلوم والعلوم الاجتماعيّة، وهو أهمّ أعلام «الواقعيّة النقديّة» التي استندتُ إليها في الجزء الأوّل على وجه الخصوص[3].

بورديو، بيار (Bourdieu, Pierre): عالم اجتماع فرنسيّ ومُنظّر استخدمَ مفهوم «الحقول» الاجتماعيّة والتحوّل في الروابط بينها لدراسة بناء المجتمعات الحديثة المُعقَّدة. ويمكن الربط بين ذلك والتركيز في هذا الكتاب على الممارسات الاجتماعيّة وشبكاتها المتبدلة و«الاستعداد السلوكيّ» (القابليّات المكتسبة والمتجسّمة للتصرّف بطرق معيّنة) عند الفاعلين الاجتماعيّين على أنواعهم. ولقد استندتُ إلى منظور بورديو حول **التصنيف** والعلاقة بين **البنية** وعملية **الفعل**. ويشدّد بورديو في مُداخلاته السياسيّة الحديثة عن الليبراليّة الجديدة، وفي تحليله لها، على خطاب الليبراليّة الجديدة[4].

جيسّوب، بوب (Jessop, Bob) عالم اجتماع بريطانيّ وباحث في الاقتصاد السياسيّ. وتُشكّل كتاباته عن تحوّلات الرأسمالية

(2) Basil Bernstein, *The Structuring of Pedagogic Discourse* (London: Routledge, 1990), and Chouliaraki and Fairclough, *Discourse in Late Modernity*.

(3) Roy Bhaskar: *A Realist Theory of Science*, 2nd Ed. (Brighton: Harvester, 1979); *Scientific Realism and Human Emancipation* (London: Verso, 1986), and *Reclaiming Reality: A Critical Introduction to Contemporary Philosophy* (London; New York: Verso, 1989).

(4) Pierre Bourdieu, *Language and Symbolic Power*, Edited and Introduced by John B. Thompson; Translated by Gino Raymond and Matthew Adamson (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1991); Pierre Bourdieu and Loïc Wacquant, *An Invitation to Reflexive Sociology* (Chicago: University of Chicago Press, 1992), and Chouliaraki and Fairclough, *Discourse in Late Modernity*.

الجديدة والعولمة، بخاصة عندما تتعلّق **بالحاكمية**، مصدراً مميّزاً لهذا الكتاب[5].

غيدنز، أنطوني (Giddens, Anthony): عالم اجتماع بريطانيّ كتب بإسهاب عن «العولمة» والتحوّلات الاجتماعيّة في الرأسمالية الجديدة (مع أنّه لم يستخدم هذا التعبير). أستند إلى عدّة جوانب من كتاباته (راجع **الإعتاق، العولمة، الهويّة الاجتماعيّة والشخصيّة، الأماكن ـ الأزمنة، البنية وعمليّة الفعل**)[6].

فوكو، ميشال (Foucault, Michel): فيلسوف فرنسيّ، كان لدراسته النظريّة والتاريخيّة للخطاب أثر كبير في كافة العلوم الاجتماعيّة. ويمكن اعتبار كتاباته مصدر فئتي **التناص ونطاق الخطاب**، مع العلم أنّهما يُستخدمان بشكل مختلف في صياغتي للدراسة النقديّة للخطاب[7].

---

(5) Bob Jessop, «The Rise of Governance and the Risks of Failure: The Case of Economic Development,» *International Social Science*, vol. 155 (1998), pp. 29-45; «The Social Embeddeness of the Economy and its Implications for Global Governance,» in: Fikret Adaman and Pat Devine, eds., The *Socially Embedded Economy* (Montreal: Black Rose Books, [n. d.]), and «On The Spatio-Temporal Logics in Capital's Globalization and their Manifold Implications for State Power».

(6) Chouliaraki and Fairclough, *Discourse in Late Modernity*, and Anthony Giddens, *Modernity and Self-Identity: Self and Society in the Late Modern Age* (Cambridge: [Polity Press], 1991).

(7) Norman Fairclough, *Discourse and Social Change* (Cambridge, MA: Polity Press, 1992); Michel Foucault: *The Archaeology of Knowledge*, Translated from the French by A. M. Sheridan Smith (New York: Pantheon, 1972), and Michel Foucault, «The Order of Discourse,» in: Michael J. Shapiro, ed., *Language and Political Understanding: The Politics of Discursive Practices* (Oxford: Blackwell, 1984).

لاكلو، إرنستو (Laclau, Ernesto): منظّر سياسيّ أرجنتيني يعمل في بريطانيا. وأكثر ما اشتُهِرَ به (مع شانتال موف Chantal Mooffe) هو إعادة صياغة ماركسيّة غرامشي (Gramsci) ونظرية **الهيمنة** عنده بلغة تحليل **الخطاب**. ولقد رأيتُ في كتابي هذا أنه يمكن تفعيل تنظيره حول ضروب المنطق في **التساوي والاختلاف**، والعلاقة بين العالميّ والخاص، في التحليل النصي(8).

هابرماس، يورغن (Habermas, Jürgen): مُنظّر نقديّ ألماني يتبنّى تقليد مدرسة فرانكفورت. وهو مهمّ بالنسبة إلينا لأنه يعطي التواصل (واللغة جزء منه) أهميّة مركزيّة في صياغته للنظريّة النقديّة، ولأنّه يدرس التحديث بالاستناد إلى هذه النظريّة، وبسبب ما ذكره عن **نطاق الحياة العامّة**. وأستندُ إلى تمييزه بين الفعال التواصلية **والإستراتيجية**، وما كتبه عن **الشرعنة**(9).

هارفي، دايفد (Harvey, David): عالم جغرافية بريطانيّ ومُنظّر اجتماعيّ تُشكّل كتاباته عن تحوّلات الرأسمالية الجديدة والمنطق الجدليّ للخطاب مصدراً قيّماً لعدّة مواضيع مطروحة في هذا

---

(8) Judith Butler, Ernesto Laclau and Slavoj Žižek, *Contingency, Hegemony, Universality: Contemporary Dialogues on the Left*, Phronesis (London: Verso, 2000); Chouliaraki and Fairclough, Ibid., and Ernesto Laclau and Chantal Mouffe, *Hegemony and Socialist Strategy* (London: Verso, 1985).

(9) Chouliaraki and Fairclough, *Discourse in Late Modernity;* Jürgen Habermas: *Legitimation Crisis* (London: Heinemann, 1976); *The Theory of Communicative Action* (London: Heinemenn, 1984), vol. 1: *Reason and the Rationalization of Society*, and *The Structural Transformation of the Public Sphere: An Inquiry into a Category of Bourgeois Society*, Translated by Thomas Burger with the Assistance of Frederick Lawrence (Cambridge: Polity Press, 1989).

الكتاب: **العولمة، الأماكن ـ الأزمنة، تجميل الهويات العامة، التهجين ومابعد الحداثة**[10].

هاليداي، مايكل (Halliday, Michael): ألسنيّ بريطانيّ يتبنّى التقليد «الوظائفيّ» الذي أنشأه ج. ر. فيرث (J. R. Firth)، وهو أهمّ الذين اعتنَوا بتطوير الألسنية الوظائفيّة النسَقيّة كبديل عن الشكلانيّة (التي ارتبط بها اسم نعوم تشومسكي (Noam Chomsky)، على وجه الخصوص) المُعتمدة في الألسنية السائدة. وقد دخلت ألسنيّة هاليداي في حوار مع نظريّة بارنشتاين الاجتماعيّة، وهي من نواح عديدة مصدر مفيد لتحليل اللغة والخطاب تحليلاً اجتماعياً ونقدياً. وهاليداي هو المصدر الألسنيّ الأساسيّ الذي أعتمده في هذا الكتاب[11].

---

(10) Chouliaraki and Fairclough, *Discourse in Late Modernity*; David Harvey: *The Condition of Postmodernity: An Enquiry into the Origins of Cultural Change* (Oxford: Blackwell, 1990); *Justice, Nature, and the Geography of Difference* (Oxford: Blackwell, 1996), and «Globalization in Question,» *Rethinking Marxism*, [vol. 8] (1996), pp. 1-17.

(11) M. Halliday, «The Sociosemantic Nature of Discourse,» in: Jürgen Habermas, *Language as Social Semiotic: The Social Interpretation of Language and Meaning* (London: Edward Arnold, 1978); Halliday, *An Introduction to Functional Grammar*; M. Halliday and T. Hasan: *Cohesion in English* (London: Longman, 1976); *Language, Context and Text: Aspects of Language in a Social-Semiotic Perspective* (Oxford: Oxford University Press, 1989), and J. Martin, *English Text* (Amsterdam: John Benjamins, 1992).

المراجع

1 ـ العربية

تشاندلر، دانيال. **أسس السيميائية**. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2008.

2 ـ الأجنبية

Books

Adaman, Fikret and Pat Devine (eds.). *The Socially Embedded Economy*. Montreal: Black Rose Books, [n. d.].

Allan, Keith. *Natural Language Semantics*. Oxford: Blackwell, 2001.

Allan, Stuart. *News Culture*. Buckingham: Open University Press, 1999.

Althusser, Louis, and E. Balibar. *Reading Capital*. London: New Left Books, 1970.

Archer, Margaret S. *Being Human: The Problem of Agency*. Cambridge: Cambridge University Press, 2000.

———. *Realist Social Theory: The Morphogenetic Approach*. Cambridge: Cambridge University Press, 1995.

Arendt, Hannah. *The Human Condition*. [Chicago]: University of Chicago Press, [1958].

Austin, J. L. *How to Do Things with Words* Oxford: Clarendon Press, 1962. (The William James Lectures, 1955)

Bakhtin, M. *The Dialogical Imagination*. Austin: University of Texas Press, 1981.

———. *Speech Genres and other Late Essays*. Translated by Vern W. McGee. Edited by Caryl Emerson and Michael Holquist. Austin: University of Texas Press, 1986.

Bal, Mieke. *Narratology: Introduction to the Theory of Narrative*. 2nd Ed. Toronto: University of Toronto Press, 1997.

Barratt, Brown Michael and Ken Coates. *The Blair Revelation: Deliverance for Whom?* Nottingham: Spokesman, for Socialist Renewal, 1996.

Baumon, Z. *Globalization*. Cambridge: Polity Press, 1998.

Bazerman, C. *Shapping Written Knowledge: The Genre and Activity of the Experimental Article*. Madison, Wis.: University of Wisconsin Press, 1988.

Benhabib, Seyla (ed.). *Democracy and Difference: Contesting the Boundaries of the Political*. Princeton, N. J.: Princeton University Press, 1996.

Berker, P. and T. Luckmann. *The Social Construction of Reality*. Harmondsworth: Penguin, 1966.

Bernstein, Basil. *The Structuring of Pedagogic Discourse*. London: Routledge, 1990.

Bhaskar, Roy. *A Realist Theory of Science*. 2nd Ed. Brighton: Harvester, 1979.

———. *Reclaiming Reality: A Critical Introduction to Contemporary Philosophy*. London; New York: Verso, 1989.

———. *Scientific Realism and Human Emancipation*. London: Verso, 1986.

Blakemore, D. *Understanding Utterances: An Introduction to Pragmatics*. Oxford: Blackwell, 1992.

Boar, Alfons and H. Hausendorf. *Constructing Citizenship*. Amsterdam: John Benjamins, [n. d.].

Boltanski, Luc and Eve Chiapello. *Le Nouvel Esprit du Capitalisme*. [Paris]: Gallimard, 1999.

Bourdieu, Pierre. *Distinction: A Social Critique of the Judgement of Taste*. Translated by Richard Nice. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1984.

———. *Language and Symbolic Power*. Edited and Introduced by John B. Thompson; Translated by Gino Raymond and Matthew Adamson. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1991.

———. *Outline of a Theory* of Practice. Cambridge: Cambridge University Press, 1977.

———. *On Television*. New York: New Press, 1998.

——— and Loïc Wacquant. *An Invitation to Reflexive Sociology*. Chicago: University of Chicago Press, 1992.

Boyer, Robert and J. Rogers Hollingsworth (eds.). *Contemporary Capitalism: The Embeddedness of Institutions*. Cambridge; New York: Cambridge University Press, 1997.

Butler, Judith, Ernesto Laclau and Slavoj Žižek. *Contingency, Hegemony, Universality: Contemporary Dialogues on the Left*. London: Verso, 2000. (Phronesis)

Caldas-Coulthard, Carmen Rosa and Malcolm Couthard (eds.). *Texts and Practices: Readings in Critical Discourse Analysis*. London: Routledge, 1996.

Calhoun, Craig (ed.). *Habermas and the Public Sphere*. Cambridge, Mass.: MIT Press, 1992.

Callinicos, Alex. *Theories and Narratives: Reflections on the Philosophy of History*. Durham: Duke University Press, 1995.

Cameron, D. *Good to Talk? Living and Working in a Communication Culture*. London: Sage, 2000.

———. *Working with Spoken Text*. London: Sage, 2001.

Carter, Ronald [et al.]. *Working with Texts: A Core Introduction to Language Analysis*. 2nd Ed. London; New York: Routledge, 2001.

Castells, M. *The Information Age*. Cambridge: Blackwell, [1996-1998]. 3 vols.

Chouliaraki, Lilie and Norman Fairclough. *Discourse in Late Modernity*. Edinburgh: Edinburgh University Press, 1999.

Cole, P. (ed.). *Radical Pragmatics*. New York: Academic Press, 1981.

Connerton, Paul. *How Societies Remember*. Cambridge: Cambridge University Press, 1989.

——— and J. Morgan (eds.). *Syntax and Semantics 3: Speech Acts*. New York: Academic Press, 1975.

Crouch, Colin and Wolfgang Streeck (eds.). *Political Economy of Modern Capitalism: Mapping Convergence and Diversity*. London: Sage, 1997.

Dant, Tim. *Knowledge, Ideology, and Discourse: A Sociological Perspective*. London: Routledge, 1991.

De Beaugrande, Robert. *New Foundations for a Science of Text and*

Discourse: Cognition, Communication, and the Freedom of Access to Knowledge and Society. Norwood, N.J.: Ablex, 1997.

——— and Wolfgang Ulrich Dressler. *Introduction to Text Linguistics*. London: Longman, 1981.

Dubiel, Helmut. *Theory and Politics: Studies in the Development of Critical Theory*. Translated by Benjamin Gregg; with an Introduction by Martin Jay. Cambridge, Ma: MIT Press, 1985.

Durkheim, Emile and Marcel Mauss. *Primitive Classification*. [Chicago]: University of Chicago Press, [1963].

Eagleton, T. *Ideology*. London: Verso, 2000.

Eggins, Suzanne. *Introduction to Systemic Functional Linguistics*. London: Pinter, 1994.

Fairclough, Norman. *Critical Discourse Analysis: The Critical Study of Language*. London: Longman, 1995.

———. *Discourse and Social Change*. Cambridge, MA: Polity Press, 1992.

———. *Language and Power*. 2nd Ed. London: Longman, 2001.

———. *Media Discourse*. London: Edward Arnold, 1995.

———. *New Labour, New Language?*. New York: Routledge, 2000.

Featherstone, Mike. *Consumer Culture and Postmodernism*. London: Sage Publications, 1991.

Firth, John Rupert. *Papers in Linguistics, 1934-1951*. London: University Press, 1957.

Fiske, John. *Television Culture*. London: Routledge, 1987.

Forgacs, David. *A. Gramsci Reader*. London: Lawrence & Wishart, 1988.

Foucault, Michel. *The Archaeology of Knowledge*. Translated from the French by A. M. Sheridan Smith. New York: Pantheon, 1972.

Fowler, Roger [et al.]. *Language and Control*. London: Routledge & K. Paul, 1979.

Gardiner, Michael. *The Dialogics of Critique: M. M. Bakhtin and the Theory of Ideology*. London: Routledge, 1992

Gee, James Paul. *An Introduction to Discourse Analysis: Theory and Method*. London: Routledge, 1999.

Giddens, Anthony. *The Constitution of Society*. Cambridge: Polity Press, 1984.

———. *Modernity and Self-Identity: Self and Society in the Late Modern Age*. Cambridge: [Polity Press], 1991.

———. *New Rules of Sociological Method: A positive Critique of Interpretative Sociologies*. 2nd Ed. Cambridge: Polity Press, 1993.

Giglioli, Pier Paolo. *Language and Social Context: Selected Readings*. Harmondsworth: Penguin, 1960.

Goatly, Andrew. *The Language of Metaphors*. London: Routledge, 1997.

Goffman, Erving. *Forms of Talk*. Oxford: Blackwell, 1981.

Gramsci, Antonio. *Selections from the Prison Notebooks of Antonio Gramsci*. Edited and Translated by Quintin Hoare and Geoffrey Nowell Smith. London: Lawrence & Wishart, 1971.

Great Britain. Dept. for Education and Employment. *The Age: A Renaissance for a New Britain*. London: Stationery Office, [1998].

Habermas, Jürgen. *Between Facts and Norms: Contributions to a Discourse Theory of Law and Democracy*. Translated by William Rehg. Cambridge: Polity Press, 1996.

———. *Language as Social Semiotic: The Social Interpretation of Language and Meaning*. London: Edward Arnold, 1978.

———. *Legitimation Crisis*. London: Heinemann, 1976.

———. *The Structural Transformation of the Public Sphere: An Inquiry into a Category of Bourgeois Society*. Translated by Thomas Burger with the Assistance of Frederick Lawrence. Cambridge: Polity Press, 1989.

———. *The Theory of Communicative Action*. London: Heinemann, 1984.

Vol. 1: *Reason and the Rationalization of Society*.

Halliday, Michael. *An Introduction to Functional Grammar*. 2nd Ed. London: E. Arnold, 1994.

———. *Language, Context and Text: Aspects of Language in a Social-Semiotic Perspective*. Oxford: Oxford University Press, 1989.

——— and T. Hasan. *Cohesion in English*. London: Longman, 1976.

——— and J. Martin. *Writing Science: Literacy and Discursive Power*. London: Falmer, 1993.

Harré, R. *Personal Being*. Oxford: Blackwell, 1983.

Harvey, David. *The Condition of Postmodernity: An Enquiry into*

the Origins of Cultural Change. Oxford: Blackwell, 1990.

———. *Justice, Nature, and the Geography of Difference*. Oxford: Blackwell, 1996.

Hasan, Ruqaiya. *Ways of Saying, Ways of Meaning: Selected Papers of Ruqaiya Hasan*. London: Cassell, 1996.

Hawisher, Gail E. and Cynthia L. Selfe (eds.). *Global Literacies and the World-Wide Web*. London: Routledge, 2000.

Held, David [et al.]. *Global Transformations: Politics, Economics, and Culture*. Cambridge: [Polity Press, 1999].

Hobart, Michael E. and Zachary S. Schiffman. *Information Ages: Literacy, Numeracy, and the Computer Revolution*. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1998. 3 Vols.

Hodge, Robert and Gunther Kress. *Language as Ideology*. 2nd Ed. London: Routledge, 1993.

———. *Social Semiotics*. [Cambridge: Polity Press], 1988.

Hoey, Michael. *On the Surface of Discourse*. London: George, Allen & Unwin, 1983.

———. *Textual Interaction: An Introduction to Written Discourse Analysis*. Routledge, 2001.

Holquist, Michael. *[Dialogism: Bakhtin and his World]*. London: Routledge, 1981.

Hunston, Susan and Geoff Thompson (eds.). *Evaluation in Text: Authorial Stance and the Construction of Discourse*. Oxford: Oxford University Press, 2000.

Ivanič, R. *Writing and Identity*. Amsterdam: John Benjamins, 1998.

Jameson, Fredric. *Postmodernism, or, The Cultural Logic of Late Capitalism*. Durham: Duke University Press, 1991.

Kanter, Rosabeth Moss. *Evolve!: Succeeding in the Digital Culture of Tomorrow*. Boston, Mass.: Harvard Business School Press, 2001.

Kress, Gunther. *Linguistic Processes in Sociocultural Practice*. Geelon, Victoria: Deakin University Press, 1985.

——— and Theo van Leeuwen. *Multimodal Discourse: The Modes and Media of Contemporary Communication*. London: Arnold, 2001.

Kristeva, Julia. *The Kristeva Reader*. Edited by Toril Moi. New York: Columbia University Press, 1986.

Laclau, Ernesto. *Emancipation(s)*. London: Verso, 1996.

——— and Chantal Mouffe. *Hegemony and Socialist Strategy*.

London: Verso, 1985.

Lakoff, George and Mark Johnson. *Metaphors we Live by*. Chicago: University of Chicago Press, 1980.

Larraîn, Jorge. *The Concept of Ideology*. London: Hutchinson, 1979.

Leech, Geoffrey N. and Michael H. Short. *Style in Fiction: A Linguistic Introduction to English Fictional Prose*. London: Longman, 1981.

Lehtonen, Mikko. *Cultural Analysis of Texts*. Translated by Aija-Leena Ahonen and Kris Clarke. London: Sage, 2000.

Lemke, Jay L. *Textual Politics: Discourse and Social Dynamics*. London: Taylor & Francis, 1995.

Levins, Richard and Richard Lewontin. *The Dialectical Biologist*. Cambridge, Mass.: MIT Press, 1985.

———. ———. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1983.

Levinson, Stephen C. *Pragmatics*. New York: Cambridge University Press, 1983. (Cambridge Textbooks in Linguistics)

Linstead, Stephen and Heather Höpfl (eds.). *The Aesthetics of Organization*. London: Sage Publications, 2000.

Livingstone, Sonia M. and Lunt, *Peter K. Talk on Television: Audience Participation and Public Debate*. London: Routledge, 1994.

Luhmann, Niklas. *The Reality of the Mass Media*. Cambridge: Polity Press, 2000.

Lury, Celia. *Consumer Culture*. Cambridge: Polity Press, 1996.

Lyons, John. *Semantics*. Cambridge: Cambridge University Press, 1977.

Macdonell, Diane. *Theories of Discourse: An Introduction*. Oxford: B. Blackwell, 1986.

Martin, J. *English Text*. Amsterdam: John Benjamins, 1992.

McIntyre, Alasdair. *After Virtue: A Study in Moral Theory*. 2nd Ed. Notre Dame, Ind.: University of Notre Dame Press, 1984.

McEnery, Tony and Andrew Wilson. *Corpus Linguistics*. Edinburgh: Edinburgh University Press, 2001.

McLuhan, Marshall. *Understanding Media; The Extensions of Man*. New York: McGraw-Hill, [1964].

Merleau-Ponty, Maurice. *Signs*. Evaston, Ill.: Northwestern University Press, 1964.

Mey, Jacob L. *Pragmatics: An Introduction*. Oxford, UK: Blackwell, 1993.

Mills, Sara. *Discourse*. London: Routledge, 1997.

Mitzal, B. *Informality: Social Theory and Contemporary Practice*. London: Routledge, 2000.

Morris, P. *The Baby Book*. London: Newbourne, 1986.

Morrow, Raymond A. and David D. Brown. *Critical Theory and Methodology*. Thousand Oaks, Calif.: Sage Publications, 1994.

Muntigl, Peter, Gilbert Weiss and Ruth Wodak. *European Union Discourses on Un/Employment: An Interdisciplinary Approach to Employment, Policy-Making and Organizational Change*. Amsterdam: J. Benjamins, 2000.

Myers, Greg. *Ad Worlds: Brands, Media, Audiences*. New York: Arnold, 1998.

Ollman, Bertell. *Dialectical Investigations*. New York: Routledge, 1993.

Outhwaite, William (ed.). *The Habermas Reader*. Cambridge: Polity Press, 1996.

Palmer, F. R. *Mood and Modality*. Cambridge: Cambridge University Press, 1986.

Pujolar, Joan. *De què vas, Tio?*. Barcelona: Editorial Empûries, 1997.

Quirk, Randolph. *A Comprehensive Grammar of the English Language*. London: Longman, 1995.

———. *A Grammar of Contemporary English*. [London]: Longman, 1972.

Rabinow, P. (ed.). *Michel Foucault: Essential Works*. Harmondsworth: Penguin, 1994.
Vol. 1: *Ethics*

Rogers, R. (ed.). *New Directions in Critical Discourse Analysis: The Role of Language Learning in Social Transformation*. New York: Erlbaum, [n. d.].

Sayer, Andrew. *Realism and Social Science*. London: Sage, 2000.

Scannell, Paddy (ed.). *Broadcast Talk*. London: Sage Publications, 1991.

Searle, John R. *Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language*. London: Cambridge U.P., 1969.

Seligman, Adam B. *The Problem of Trust*. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1997.

Sennett, Richard. *Corrosion of Character: The Personal Con-*

sequences of Work in the New Capitalism. New York: Norton, 1998.
———. *The Fall of Public Man*. New York: W. W. Norton, 1974.
Shapiro, Michael J. (ed.). *Language and Political Understanding: The Politics of Discursive Practices*. Oxford: Blackwell, 1984.
Silverstone, Roger. *Why Study the Media?*. London: Sage, 1999.
Sinclair, John. *Corpus, Concordance, Collocation*. Oxford: University Press, 1991.
Steiner, Erich H. and Robert Veltman (eds.). *Pragmatics, Discourse and Text: Some Systemically-Inspired Approaches*. London: Pinter, 1988.
Stillar, Glenn F. *Analyzing Everyday Texts*. London: Sage, 1998.
Stubbs, Michael. *Text and Corpus Analysis: Computer-Assisted Studies of Language and Culture*. Oxford: Blackwell Publishers, 1996.
Swales, John M. *Genre Analysis: English in Academic and Research Settings*. Cambridge: Cambridge University Press, 1990.
Talbot, Mary. *Gender and Language*. Cambridge: Polity Press, 1996.
Taylor, C. *Human Agency and Language*. Cambridge: Cambridge University Press, 1985.
Thibault, Paul J. *Social Semiotics as Praxis: Text, Social Meaning Making, and Nabokov's Ada*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1991.
Thompson, John B. *The Media and Modernity: A Social Theory of the Media*. [Cambridge: Polity Press, 1995].
———. *Studies in the Theory of Ideology*. Cambridge: [Cambridgeshire]: Polity Press, 1984.
Titscher, Stefan [et al.]. *Methods of Text and Discourse Analysis*. London: Sage, 2000.
Toolan, Michael. *Narrative: A Critical Linguistic Introduction*. London: Routledge, 1998.
Toulmin, Stephen Edelston. *The Uses of Argument*. Cambridge: University Press, 1958.
Touraine, Alain. *What is Democracy?*. Boulder, CO: Westview-Press, 1997.
Van Dijk, Teun A. (ed.). *Discourse as Structure and Process: Discourse Studies: A Multidisciplinary Introduction*. London: Sage Publications, 1997.
Vol. 1: *Discourse as Social Interaction: Discourse Studies: A*

Multidisciplinary Introduction.
Vol. 2: *Discourse as Structure and Process: Discourse Studies: A Multidisciplinary Introduction.*

———. *Ideology: A Multidisciplinary Approach.* London: Sage Publications, 1998.

Verschueren, Jef. *Understanding Pragmatics.* London: Arnold, 1999.

———, Jan-Ola Östman and Jan Blommaert (eds.). *Handbook of Pragmatics.* Amsterdam: J. Benjamins, 1995.

Volosinov, V. N. *Marxism and the Philosophy of Language.* Translated by Ladislav Matejka and I. R. Titunik. Cambridge: [Harvard University Press], 1973.

Watson, Tony J. *In Search of Management: Culture, Chaos and Control in Managerial Work.* London; New York: Routledge, 1994.

Weber, Max. *The Theory of Social and Economic Organization.* New York: The Free Press, 1964.

Wernick, Andrew. *Promotional Culture: Advertising, Ideology, and Symbolic Expression.* London: Sage Publications, 1991.

Wertsch, James V. *Voices of the Mind: A Sociocultural Approach to Mediated Action.* [Hemel Hempstead: Harvester Wheatsheaf, 1991].

Wetherell, Margaret, Stephanie Taylor and Simeon Yates (eds.). *Discourse as Data: A Guide for Analysis.* London: Sage, 2001.

———. *Discourse Theory and Practice: A Reader.* London: Sage, 2001.

Williams, Raymond. *Marxism and Literature.* Oxford: Oxford University Press, 1977.

Winter, Eugene. *Towards a Contextual Grammar of English.* London: George Allen & Unwin, 1982.

Wodak, R. and C. Ludwing (eds.). *Challenges in a Changing World: Issues in Critical Discourse Analysis.* Vienna: Passagen Verlag, 1999.

———. *Methods of Critical Discourse Analysis.* London: Sage, 2001.

Wooffit, Robin. *Conversation and Discourse Analysis. A comparative and Critical Introduction.* London: Sage Publications, 2005.

Periodicals

Bourdieu, Pierre and Loïc Wacquant. «New Liberal Speak: Notes

on the New Planetary Vulgate.» *Radical Philosophy*: no. 105, January - February 2001.

Brenner, Robert. «The Economics of Global Turbulence.» *New Left Review*: no. 229, 1998.

Butler, Judith. «Merely Cultural.» *New Left Review*: January-February 1998.

Chiapello, Eve and Norman Fairclough. «Understanding the New Management Ideology: A Transdisciplinary Contribution from Critical Discourse Analysis and New Sociology.» *Discourse and Society*: vol. 13, no. 2, 2002

Chouliaraki, Lilie. «Regulation in «Progressivist» Pedagogic Discourse: Individualized Teacher-Pupil Talk.» *Discourse and Society*: vol. 9, no. 1, 1995.

Fairclough, Norman. «Critical Discourse Analysis and the Marketisation of Public Discourse: The Universities.» *Discourse and Society*: vol. 4, no. 2, 1993.

———. «The Dialectics of Discourse.» *Textus*: vol. 14, 2001.

———. «Discourse Representation in Media Discourse.» *Sociolinguistics*: vol. 17, 1988.

———. «Discourse, Social Theory, and Social Research: The Discourse of Welfare Reform.» *Journal of Sociolinguistics*: vol. 4, no. 2, 2000.

———. «Represenciones del cambio en discurso neoliberal.» *Cuadernos de Relaciones Laborales*: vol. 16, 2000.

———, Bob Jessop and A. Sayer. «Critical Realism and Semiosis.» *Journal of Critical Realism*: vol. 5, no. 1, 2002.

Fraser, N. «Heterosexism, Misrecognition and Capitalism: A Reply to Judith Butler.» *New Left Review*: vol. 228, 1998.

Graham, Philip. «Contradictions and Institutional Convergences: Genre as Method.» *Journal of Future Studies*: vol. 5, no. 4, May 2001.

———. «Predication and Propagation: A Method for Analyzing Evaluative Meanings in Technology Policy.» *Text*: [vol. 33], 2002.

———. «Space: Irrealis Objects in Technology Policy and their Role in a New Political Economy.» *Discourse and Society*: vol. 12, 2001.

Harvey, David. «Globalization in Question.» *Rethinking Marxism*: [vol. 8], 1996.

Iedema, Rick. «Formalising Organizational Meaning.» *Discourse*

and Society: vol. 10, no. 1, 1999.

Jessop, Bob. «The Crisis of the National Spatio-Temporal Fix and the Ecological Dominance of Globalizing.» *International Journal of Urban and Regional Research*: vol. 24, no. 2, 2000.

———. «The Rise of Governance and the Risks of Failure: The Case of Economic Development.» *International Social Science*: vol. 155, 1998.

———. «On the Spatio-Temporal Logics of Capital's Globalization and their Manifold Implications for State Power.»

Ledema, Rick. «Formalizing Organizational Meaning.» *Discourse Society*: vol. 10, 1999.

Lemke, J. «Resources for Attitudinal Meaning: Evaluative Orientations in Text Semantics.» *Functions of Language*: vol. 5, 1998.

Mitchell, T. F. «The Language of Buying and Selling in Cyrenaica: A Situational Statement.» *Hesperis*: vol. 26, 1957.

Schegloff, E. A. «Whose Text? Whose Context?» *Discourse and Society*: vol. 8, no. 2, 1997.

Van Leeuwen, T. «Genre and Field in Critical Discourse Analysis: A Synopsis.» *Discourse and Society*: vol. 4, no. 2, 1993.

——— and R. Wodak. «Legitimizing Immigration Control: A Discourse-Historical Analysis.» *Discourse Studies*: vol. 1, no. 1, 1999.

Wetherell, M. «Positioning and Interpretive Repertoires: Conversation Analysis and Post-Structuralism in Dialogue.» *Discourse and Society*: vol. 9, no. 3, 1998.

Wodak, Ruth. «What is Critical Discourse Analysis?» *Forum: Qualitative Social Research*: vol. 8, no. 2, 29 May 2007.

Wynne, B. «Creating Public Alienation: Expert Discourses of Risk and Ethics on GMO's.» *Science as Culture*: vol. 10, no. 4, 2001.

Conferences

29th International LAUD Symposium March 25 - 28, 2002.

Sites

www.grammatics.com

Thesis

Gieve, S. «Discourse Learning and «Being Critical.» (PhD, Lancaster University, 2000).